

تَصَدُرُعَنَ مُوْسِيَسِيدُوْارْتُ الْاِندِيَاءِ لِلْاَرْاتِيَّ الْمَنْسِيدِينَّةِ الْمُنْسِيدِينَةِ فَشَوَّالِيْسُورِ الْمُنْسِيدِينَ الْمُنْسِيدِينَ الْمُنْسِيدِينَ الْمُنْسِيدِينَ الْمُنْسِيدِينَ الْمُنْسِيدِينَ فَشَوَّالِيْسُورِ الْمُنْسِيدِينَ الْمُنْسِيدِينَ الْمُنْسِيدِينَ الْمُنْسِيدِينَ الْمُنْسِدِينَ الْمُنْسِدِين

العدد العاشر السنة الثالثة (١٤٣٦ هـ-٢٠١٥م)



عَجَلَةٌ وَضِمَّلْيَةٌ مُنِعَضَصَّةً فِي النَّهَضَّة الْجُسُيِّيَّةِ وَتُعْبُنَ الدَّراسِاتِ الدِّينِيّة



الهيئة والاستنسالي والمستنسط المناتية

آيسة الله الشبيخ محمد السند آية الله الشيخ محمد مهدي الأصفي آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكرائي العلّامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي

أيسة الله السيد عنادل العلوي آيسة الله السنيد منير الخبساز أيسة الله السنيند ريباش الحكنيد العلامة الشيخ عبد المهدي الكريلاني





تصدرعن			
مؤسسة وارث الأنبياء			
للدراسات التخصصية في النهضة الحسينيّة			
النجف الأشرف.قم المقدّسة			
قسم الشؤون الفكرية والثقافية			
العتبة الحسينية المقدّسة			
الإشراف العام:			
سماحة الشيخ علي الفتلاوي			
إدارة المؤسسة:			
الشيخ باقر الساعدي			
الشيخ رافد التميمي (فرع قد انقسة)			
معاونية المؤسسة:			
الشيخ عباس الحمداوي			

الشيخ حيدر الأسدي (فرع قم القدسة)

ربيس التحرير	ŕ.
الشيخ قيصر التميمي	
مدير التحرير	*
الشيخ صباح عباس الساعدي	
هيئة التحرير	*
د. السيد حاتم البخاتي	
الأُستاذ ثناء الدين الدهلكي	
الأُستاذ حيدر الساعدي	
المقابلة وتقويم النس	*
الشيخ عدنان الطائي	
الشيخ عصام السعيد	
الشيخ مصطفى الدالي	
التصميم والإخراج الفني	*
السيد صادق الحيدري	
الشيخ حسين المالكي	
معتمد الترجمة الإنجليزية	*

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣مر الترقيم الدولي: 5-240-984-978 ISSN: 978-964-984

هوية المجلّة

مجلّة علمية فصلية تخصصيّة تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينيّة، وكذا الدراسات العلمية في حقول المعرفة الدينيّة. تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينيّة في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المحلّة

تهتم المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينيّة وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

كما تهتم المجلّة أيضاً باستقطاب ونشر البحوث والدراسات الدينيّة التخصّصية ذات الجوانب التجديديّة والإبداعيّة، وذلك في كافّة الحقول والمجالات، فتمتدّ لتشمل الدراسات القرآنية والعقديّة والفكريّة والتاريخيّة والفقهيّة، وكذا ما يرتبط بالتراث الديني، من الأدعية والزيارات والنصوص الدينيّة بشكل عام.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب العلوم والمعارف الدينيّة، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المحلّة

١- إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينيّة من خلال البحوث والدراسات.

٢ _ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينيّة.

٣ _ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ ـ فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة
 حقول المعرفة الدينية.

٥ ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكِّرين.

٦-استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب
 البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ - فسح المجال أمام الباحثين والمفكِّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول
 الدين بصورة عامّة والنهضة الحسينيّة بصورة خاصّة.

ضوابط النشر

تدعو المجلّة العلماء والأساتذة والباحثين وكل مَن لديه اهتمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص الـمجلّة وأركانها.
 - ألّا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة.
 - أن تكون ضمن المناهج العلمية المتَّبعة.
 - أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
- أن يكون البحث على قرص ليزرى فيما لو كان منضداً.
 - حقوق النشر محفوظة.
 - الأفكار المطروحة لا تعبِّر بالضرورة عن رأى الـمجلّة.
 - لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنشَر.
 - يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
- إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات الـمجلّة.
- للمجلّة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
 - كل ۲۵۰ كلمة تحسب صفحة واحدة.
 - تتبع المجلّة نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
 - تعتبر الأولوية في الـمجلّة للمقالات والبحوث الحسينيّة.
 - الـمجلّة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

مراكزالنشر

- * النجف الأشرف: الروضة الحيدرية _ معرض الكتاب الدائم.
 - * النجف الأشرف: شارع الرسول عَلَيْ الله مكتبة دار الهلال.
- * النجف الأشرف: قرب مشروع الماء _ مكتبة العراق الجديد.
 - * النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.
- * كربلاء المقدسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينيّة المقدّسة.
 - * بغداد: شارع المتنبيّ ـ مكتبة العين.
 - * البصرة: العشار _ مكتبة الإمام الهادي الله.
- * إيران _ قم المقدسة: صفائية _ سوق الإمام المهدي الله على مكتبة فدك.
 - * إيران _ قم المقدسة: سوق كذرخان _ مكتبة الهاشمي.

المُحتَويات

مةأل النكربر سياسة الإمام الحسين الله في مواجهة الإرهاب الحكومي

١٣	الشيخ قيصر التميمي
	ملف المصريح
	ألنهضة الكسبنبة في مواجهة النطرّف والإرهاب
	دور القيم الحسينيّة في مواجهة الإرهاب
٤٣	سماحة العلّامة السيد حسين الحكيم
	التطرّف في الجدل المذهبي
٠	سماحة العلّامة الشيخ معين دقيق العاملي
	ثنائية التطرّف الأُموي والاعتدال الحسيني
٠	الشيخ إسكندر الجعفري
	مظاهر الإرهاب الفكري في المعسكر الأُموي (قراءة في الآليات والنتائج)
۱۱۷	السيد شهيد طالب الموسوي
يّة)	فاجعة الطف وجريمة قطع الرؤوس والتمثيل بها وإهدائها (رؤية تاريخيّة. تحليد
۱٤٣	الشيخ منتظر الإمارة

	رواية قطع رأس بكر بن غانم على يد عليِّ الأكبر اللهِ (عرضٌ ونقد)
١٧١	الشيخ أركان التميمي
	دور محاولات اغتيال الإمام الحسين ﷺ في صناعة الإرهاب
١٨٩	الشيخ صباح عباس الساعدي
	الأُصول الأخلاقيّة للثورة في ضوء النّهضة الحسينيّة
۲۱۳	محمد نصر الأصفهاني
(,	أخلاق المقاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف (القسم الأوز
۲٤٣	د. طلال الحسن
	طراسكات في النهضة المهنبنة
	توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين الله (القسم الثاني)
YVV	د. عادل لعيبي
	مقتل الحسين الله برواية الفضيل بن الزبير الأسدي الكوفي
۳۰۱	الشيخ عامر الجابري
	ظر المالية حيالة
	الإرهاب الوثني والأُموي (ت امّلات في الجنور والرؤى والتحالفات)
۳۳۰	د. الشيخ عبد الجيد فرج الله
۳٥٩	خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية



تنعى مجلة الإصلاح الحسيني مستشارها العلمي الفقيد الراحل المجاهد والعالم الزاهد آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي تغمّده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته وحشره مع محمّدٍ وآله الطاهرين.

سياسة الإمام الحسين النهائي في مواجهة الإرهاب الحكومي القسم الأوّل (دراسة مفهوميّة)

الشيخ قيصر التميمي

كان ولا يـزال العنف المجتمعي يتصـدر قائمة التحديات الصعبة، ويمثّل التحدي الأشهر والأبرز على الإطلاق، ولا زال يقف حائلاً أمام الجهود الإنسانية المتواصلة التي تُبذل باستمرار لإرساء معالم التعايش السلمي بين بني البشر في قرية أرضيّة آمنة موحّدة؛ ولأن العنف طبع غرائزي متجذّر في تكوين الإنسان وتركيبته السيكولوجية المعقّدة (۱) ولأنه فتاك، سريع الاشتعال، شديد الانفجار، عالية ألسنة لهيه ونيرانه، تحرق الأخضر واليابس كان وسيبقى العبء الأكبر والهمّ الأثقل الذي يشغل تفكير الهداة والمصلحين بمختلف ألوانهم وتوجّهاتهم، وفي شتّى بقاع الأرض وأصقاعها، مع أنّهم لا يطمعون أبداً بالقضاء عليه بقدر ما يسعون جاهدين للحدّ

⁽١) نعتقدبأن الإنسان في تعاطيه مع مجتمعه كائن مُعقّد، متشكّل ومتضادّ في طباعه، فهو مُستخدم ومدني بالطبع، وهو محبّ ومُبغض بالطبع، رؤوف رحيم وشديد عنيف بالطبع، وهكذا. وهو بحث مفصّل موكول إلى علم النفس الاجتماعي (social psychology).

من انتشاره وتفشّى مظاهره بشكل مُفرط في الأوساط الموبوءة بداء العنف.

وهناك من العنف المضادّ ما هو مررّ ومقبول لدى العقلاء من البشر ، فالإنسان

بحاجة إلى شيء من غريزة الحزم والغلظة والعنف يدافع بها عن النفس والعرض والوطن والشروة والحياة، ويقف ببطولة وبسالة أمام أطباع الغزاة والمعتدين، وتوسّعهم الهمجي على حساب الآخرين. لكن هناك أيضاً من العنف ما هو مر فو ض وغير ميرّر ولا مقبول، تستنكره الفطرة الإنسانيّة السليمة، وله درجات وأشكال متنوّعة ومتفاوتة، قد تبدأ بكلمة جارحة، وتنتهي أو لا تنتهي بحروب عالمية طاحنة. وقد أُطلق في العقود الأخيرة مصطلح الإرهاب)terrorism على بعض أشكال العنف وأنواعه غير المبرّرة، وليس هدفنا في هذا المقال دراسة كلّ ما يُسمّى إرهاباً في عصر نا الحاضر ، فهذا ما لا يسعه مقال أو كتاب، وهو همُّ الإنسانيَّة الأكس الـذي ملا بطون الكتب وشغل بال الباحثين والمفكرين، لابثين في فهمه ودراسته أحقاباً طويلة من الزمن الماضي والحاضر، فأضحى الإرهاب شبح العصر المرعب، وعُقدت لمعرفة هيولاه المؤتمرات والقمم العالميّة، وكُتبت البحوث والقوانين والمعاهدات الأُمميّة والدوليّة؛ لقوننة هذا الطراز الخاصّ من العنف ووضعه في أطره وسياقاته الواضحة؛ ما أنتج تراثاً ضخماً متضارباً متلاطم الأمواج مفقود السواحل، لا يمكن أن يُحصر بكلمات مختصرة في محدودة هذا البحث الموجز.

ومن هذا المنطلق؛ سندرس صنفاً خاصّاً من أصناف العنف الإرهابي في ضوء كلمات الإمام الحسين الله ونهضته المباركة، وهو ما يُسمّى بـ(الإرهاب الحكومي) أو (إرهاب الدولة)، ولعلّ هذا الصنف من الإرهاب هو أبرز ما واجهه الإمام الحسين الله في حركته وثورته الإصلاحيّة. وقد أحطنا أقطار حديثنا في هذا الموضوع بأسوار العناوين التالية:

الإرهاب في اللغة والاصطلاح

الأصل اللغوي في مادة الإرهاب: (رهب)، وقد نصّ جملة من اللغويين على أنّ معناه لغةً: الخوف والفزع. ويكون معنى الإرهاب المشتقّ من ذلك الأصل: هو إخافة الناس وإفزاعهم. قال ابن منظور في لسانه: «رَهِبَ، بالكسر، يَرْهَبُ رَهْبةً ورُهْباً، بالضم، ورَهَباً، بالتحريك، أي: خاف. ورَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً خافَه ... وأَرْهَبه ورَهَبه واستَرْهَبه أخافَه وفَزَّعه. واسْتَرْهَبه : اسْتَدْعَى رَهْبته حتى رَهِبه الناسُ؛ وبذلك فُسّر قوله عزّ وجلّ: ﴿ قَالَ أَلْقُوأُ فَلَمّا آلَقُواْ سَحَرُواْ أَعَينك ٱلنّاسِ والإرْهُبه وَكَامُو بِسِحْ عَظِيمٍ ﴾؛ أي: أَرْهَبُوهم "(). وقال الزبيدي في تاجه: «والإرْهَابُ بالكسْر: الإِزعاجُ والإِخَافَةُ "().

ويؤكد الزمخشري على الجانب القلبي والنفسي في مفردة الإرهاب، ويجعله هو الأساس في مضمون هذه المفردة ومؤدّاها، وليست الإخافة في مؤدّى الإرهاب إلا سبباً لحصول تلك الحالة النفسيّة، وهي حالة القشعريرة والاضطراب والانزعاج والفزع والرعب النفسي الحاصل بالتخويف، ويتضمّن أيضاً عنصر المفاجأة، إذ يقول: «رهَبُتُه، وفي قلبي منه رهبة، ورَهَب ورهبوت، وهو رجل مرهوب، عدوّه منه مرعوب... وأرهبته ورهبته واسترهبته: أزعجت نفسه بالإخافة. وتقول: يقشعر الإهاب. إذا وقع منه الإرهاب، إفيكون تعريف الإرهاب بالإخافة والتخويف من تعريف الشيء بالعلّة والسبب. ولعلّ هذا هو مراد الراغب الأصفهاني أيضاً حينها قال: «الرّهْبَةُ والرُّهْبُ: مخافة مع تحرّز واضطراب» (٤٠). وفي ضوء هذه الرؤية يكون الإرهاب أقرب إلى مفردة الفزع من مفردة الخوف؛ لأنّ الخوف هو مجرّد: «توقّع الإرهاب أقرب إلى مفردة الفزع من مفردة الخوف؛ لأنّ الخوف هو مجرّد: «توقّع

⁽١) ابن منظور، لسان العرب: ج١، ص٤٣٦_٤٣٤.

⁽٢) الزبيدي، تاج العروس: ج٢، ص٤٣.

⁽٣) الزمخشري، أساس البلاغة: ص٣٨٥.

⁽٤) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ص٣٦٦.

الضرر المشكوك في وقوعه»(١)، وأمّا الفزع فهو: «مفاجأة الخوف عند هجوم أمر، وهو انزعاج القلب بتوقّع مكروه عاجل»(٢).

ثم إن صاحب كتاب الفروق اللغوية أضاف عنصراً آخر لمؤدى الإرهاب، وهو عنصر الاستمرارية والدوام، إذ يقول: «الرهبة طول الخوف واستمراره؛ ومن ثَمَّ قيل للراهب: راهب؛ لأنه يُديم الخوف، والخوف أصله من قولهم: جمل رهب إذا كان طويل العظام مشبوح الخلق والرهابة»(٣). ونسجاً على هذا الرأي اختار بعض المحققين «أنّ الأصل الواحد في هذه المادة: هو الخوف المستمرّ المستديم»(٤). ولكن اتضح أن الخوف والإخافة بمنزلة السبب لمؤدّى الإرهاب، ومؤدّاه المطابقي والحقيقي هو: حالة من الفزع والانزعاج والرعب النفسي المفاجئ، ولا تخلو هذه الحالة بحسب العادة من عنصر الاستمراريّة والدوام، ولعلّه من هذه الزاوية أضاف العسكري هذا العنصر في فروقه.

والحاصل في تعريف الرَّهَب والإرهاب لغة: هو حالة من الانزعاج والفزع والنُّعب القلبي والنفسي المفاجئ، الناتج عن الإزعاج والإخافة الصادرة عن الغير، وهي لا تخلو عادة من عنصر الاستمراريّة والدوام.

وبهذا المعنى اللغوي استُعملت مادّة الإرهاب في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِيّنِي فَأَرُهَبُونِ ﴾ (٥)، وفيه مطالبة بالخشية والفَرَق والفزع النفسي من انتقام الله تعالى ونزول عقابه وغضبه. وقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَةُ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (٢). وأيضاً قوله سبحانه: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُه مِن قُوّةٍ وَمِن رَبَاطٍ ٱلْخَيْل تُرْهِبُونَ بِهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

⁽١) أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية: ص٢٢٦.

⁽٢) المصدر السابق: ص٤٠٤.

⁽٣) المصدر السابق: ص٢٦١.

⁽٤) مصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج٤، ص ٢٤١.

⁽٥) البقرة: آية ٤٠.

⁽٦) الأعراف: آية ١٥٤.

عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (١) ، أي: تُدخلون حالة من الفزع والرعب في نفوس وقلوب أعداء الله وأعداء المؤمنين. وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا ٱلْقَوّا سَحَرُوۤا ٱعَيُّكَ ٱلنَّاسِ وَقَلْهَ وَجَاءُ وَبِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) ، فالسَّحَرة أدخلوا الرعب والفزع في قلوب الناس بعجائب وغرائب سحرهم.

وأيضاً «في حديث (الدعاء رغبة ورهبة إليك) الرهبة: الخوف والفزع... وفي حديث بهز بن حكيم: (إني لأسمع الراهبة). هي الحالة التي تُرهِب، أي: تُفزع وتُخوّف»(٣). وفي مناجاة الإمام زين العابدين علي بن الحسين المنظلة مع الله تعالى يقول: «وتلطفت في الترغيب، وبالغت في الترهيب»(٤)، أي: أدخلت الفزع في قلوب الناس، عن طريق التهديد والوعيد بالنار والعذاب وسوء المصير، وهو ذات المعنى اللغوي الذي قرّرناه. وبالمعنى ذاته ما جاء في الحديث أيضاً: «قد أرهب عمر بن الخطاب امرأة، فأخصت بطنها، فألقت جنيناً ميتاً، فشاور علياً الله وهمل ديّة جنينها»(٥).

فتحصّل: أن النصّ الديني كما استعمل مادّة الإرهاب في معناه اللغوي بمعطيات ومواصفات وتطبيقات إيجابية ومطلوبة دينيّاً، كذلك استعمله في المعنى اللغوي بمعطيات ومواصفات وتطبيقات سلبية ومرفوضة في المقاييس الدينيّة، كما هو الحال في الإرهاب الذي مارسه السَّحَرة لإدخال الرعب والفزع والخوف في قلوب الناس، وكذا الإرهاب الذي مارسه عمر بن الخطاب بحقّ المرأة الحامل التي فقدت بسببه جنينها. وأمّاالإرهاب في معناه الاصطلاحي: فقد اختلفت وتضاربت فيه الأقو الوالتعريفات

⁽١) الأنفال: آية ٦٠.

⁽٢) الأعراف: آية١١٦.

⁽٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٢، ص٢٨١.

⁽٤) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٤٦٠.

⁽٥) الماوردي، الأحكام السلطانيّة: ص٣٤٧.

بشكل واسع ومُفرط؛ ما أدّى ببعض الباحثين إلى الاعتقاد بعدم إمكانية ضبط وتأطير لفظ الإرهاب في مفهوم ومعنى محدد وواضح. وبنحو الإجمال والإيجاز نقول: ١- استعمل طائفة من الفقهاء الإسلاميين لفظ (الإرهاب) في العنف القولي، من قبيل لعن وتوبيخ العُصاة والمذنبين من المسلمين؛ ليجتنبوا مواقعة الذنب والمعصية (۱۱)، وكذلك تعنيف القاضي لبعض المتخاصمين في القضاء، إذا ظهرت له أمارات كذبه واحتياله (۲۱). كما استعملوه أيضاً في العنف الفعلي، ومن أمثلته: عمارسة أفعال الرعب والعنف والقوّة لإخافة وإرعاب الخصم والعدوّ، من قبيل حشد الخيول وضرب الطبول ونشر السلاح والرماح في ساحات القتال والجهاد في سبيل الخيول وضرب الطبول ونشر السلاح والرماح في ساحات القتال والجهاد في سبيل الله (۳)؛ تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُم مَا اَسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّباطٍ النَّيِك لِتُوهِبُون لِعِه عَدُوَ اللهِ وَعَدُو الله الله الله الله الله الله الله الماركة: «الإرهاب للعدو إنها يكون بالعدد والمدد، والعُدّة والشدّة، والسلاح المعدّ للكفاح» (۱۰).

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه المعاني والتطبيقات كلّها إيجابية ومرغوب فيها بنظر الفقهاء، وبحسب مقاييسهم الاستنباطيّة في الفقه الإسلاميّ، ولا تحمل في مؤدّاها أيّ صفة سلبيّة من الصفات التي نحملها في أذهاننا عن مفهوم الإرهاب في وقتنا الحاضر. نعم، هناك بعض العناوين والمضامين الفقهيّة ذات المداليل السلبيّة أدرجها

بعض الباحثين تحت عنوان الإرهاب، من قبيل: (البغي والخيانة والسرقة والحرابة) وغيرها، وهي ـ مع قطع النظر عن المناقشة في كونها إرهاباً أم لا ـ خارجة عن محلّ

⁽١) أُنظر: الصنعاني، الأمير محمد بن إسهاعيل، سبل السلام: ج٣، ص١٤٣. وأيضاً: الشوكاني، نيل الأوطار: ج٦، ص٣٦٣.

[&]quot; (٢) أُنظر: الماوردي، الأحكام السلطانية: ص٨٣_٩٣.

⁽٣) أنظر: الطوسي، الخلاف: ج٤، ص٤٠٢. وأيضاً: النووي، المجموع: ج١٥، ص٤٩٧. والسرخسي، المبسوط: ج١٠، ص١٩٠. والكاشاني، أبو بكر، بدائع الصنائع: ج٧، ص١٢٦.

⁽٤) الأنفال: آية ٦٠.

⁽٥) الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرّار: ج٤، ص١٢٤.

البحث. ولكن هناك أيضاً عناوين أُخرى سلبيّة المضمون والتأثير، قد تُحسب في عداد الأعمال الإرهابيّة، وهي مرتبطة بمحلّ البحث _ ستأتي الإشارة إليها لاحقاً من قبيل: (الظلم والقتل، والذبح والإحراق، والطغيان والعدوان) وأمثالها، وهي قد تكون في الحقيقة من أهمّ أساليب ووسائل ومظاهر العنف والإرهاب.

٧- حاول جملة من الباحثين وفقهاء القانون المحدثين تعريف الإرهاب بالمثال، وتحديد معناه بذات الأفعال الإجراميّة، وتجريم الأنشطة التي لا تختلف الآراء في كونها أعهالاً إرهابيّة، سواء أسمينا ذلك تعريفاً مادّياً أم إحصاءً مصداقيّاً للعمل الإجرامي، فساقوا للتوضيح والبيان مجموعة من الأمثلة والمهارسات التي ينطبق عليها عنوان الإرهاب، بل ذهب بعضهم إلى أن حقيقة الإرهاب ومحتواه لا تعدو ذلك النحو من التمثيل، فانصبّ جُلّ جهدهم على بيان وإحصاء واستقصاء كلّ الأمثلة الفعلية والمتصوّرة الحصول في المستقبل، وصاغوا من ذلك مادّة قانونية لمعرفة معنى الإرهاب وتحديد مضمونه ومحتواه، وقد أحصوا في هذا المجال: جرائم القتل، والاغتيال، والإبادة، والإخلال بالنظام العام وأمثالها.

ويبقى باب الأمثلة مفتوحاً أمام الحوادث المتجدّدة في عالمنا المتغيّر والمتطوّر. وليس هناك أيّ ضرورة لوضع تعريف محدّد ماهويّ للأعمال الإرهابيّة، بل إن وضع «تعريف للعمل الإرهابي قد يُضيّق من دائرة جهود مكافحته، ويحصر هذه الجهود في إطار التعريف المحدّد له؛ لتبقى دائماً ملزمة بالخضوع له»(۱). مضافاً «إلى أن الإرهاب كمصطلح في حدّ ذاته غير قابل للتعريف؛ لأن أيَّ محاولة لتعريفه لن تكون قادرة على الإلمام بكافة صوره ومظاهره، وأيّ تعريف للإرهاب إمّا أن يكون عامّاً؛ وهو بذلك

⁽١) شرايرية، نادية، إشكاليّة تعريف الإرهاب في القانون الدولي: مجلّة التواصل في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد: ٣٤، ص١٥٤.

عتاج إلى تفسيرات أُخرى، أو أنّه محدّد وحصريّ، فيكون بذلك جامداً غير قادر على مسايرة التطوّر المستمرّ في صور الإرهاب وأساليبه المتزايدة باستمرار تزايد التطوّر العلمي في شتّى المجالات»(۱). ومن هذا المنطلق آمن جملة من الباحثين بمبدأ النسبية، و«أن مفهوم الإرهاب هو مفهوم نسبي متطوّر، يختلف من مكان إلى آخر، ومن شخص إلى آخر، ومن عقيدة أو فكر إلى آخر، وحسب الظروف المتغيّرة، رغم وجود بعض القواسم المشتركة؛ ولهذا من الصعب أن نقول بوجود مفهوم واحد للإرهاب أو للجريمة السياسية أو للعنف السياسي يمكن أن يقبل به الجميع، أو يمكن أن يُرضي الكلّ؛ ولهذا نعترف أن ليس هناك تعريف محدّد واضح أو دقيق للفكر الإرهاب»(۱).

٣_ حاولت مجموعة أُخرى من الباحثين وذوي الاختصاص في المجال القانوني ضبط معنى الإرهاب في تعريف قانوني ماهوي، واضح ومحدد وشامل، يحظى بالمقبوليّة العامّة في المجتمع الدولي، بعيداً عن المهاترات والتوظيفات الفئويّة والسياسيّة؛ إيهاناً منها بإمكانيّة ذلك، بل ضرورته، وهو ما أكّد عليه قرار الجمعية العامة للأُمم المتّحدة المرقّم ٢٤/ ١٥٩، الصادر بتاريخ ٧ كانون الأول ١٩٨٧، الذي يعترف بأنّ «فعّالية محاربة الإرهاب يمكن تعزيزها من خلال وضع تعريف للإرهاب الدولي يحظى بإجماع عام»(٣).

وقد اختلفت الرؤى والأفكار إزاء هذه الحقيقة الغامضة والشائكة، وما زالت الآراء مختلفة حولها، وأنتج هذا الاختلاف الفكري تُراثاً بشريّاً غنيّاً، يكشف مدى قدرة الإنسان على الإنتاج في المجالات الفكريّة والعقديّة والإنسانيّة، وهو تُراث كبير وجدير بالدراسة والبحث والتنقيب، وهذا ما لا يسعه مقالنا الموجز؛ ولذا

(١) المصدر السابق.

⁽٢) د. منذر الفضل، دراسات حول القضيّة الكرديّة ومستقبل العراق: ص٢٠٠.

⁽٣) أُنظر: كمال مساعد، مقال على جريدة البناء، العدد: ١٨٣٦، تاريخ: ٢١ / ٧٠/ ٢٠١٥، بعنوان: ◄

سوف نقتصر على إيراد أهم التعاريف بنظرنا، لنستخلص منها العناصر المرتبطة بمحلّ بحثنا، الذي نحاول تسليط الضوء فيه على ملامح حركة الإمام الحسين السلافي مواجهة الإرهاب الحكومي الأموي:

التعريف الأول: ما جاء في مؤتمر مدينة (وارسو) في بولندا المنعقد عام ١٩٣٠ لتوحيد القانون الجزائي، حيث عُرّف الإرهاب بأنه: «الاستعمال العمدي لكل وسيلة قادرة على إحداث خطر جماعي، ويُعتبر الرعب عنصر أأساسيّاً في تكوين هذه الجريمة»(١). لقد تضمّن هذا التعريف الأُممي أربعة عناصر أساسيّة في تحديد محتوى الإرهاب وبيان حقيقته، وهي:

١_ استعمال وسيلة ذات خطورة إجرامية.

٢_ تعمّد استعال تلك الوسيلة.

٣ أَنْ يُشكّل استعمال تلك الوسيلة خطراً جماعيّاً.

٤ - اعتبار الرعب عنصراً أساسيّاً في تكوين الجريمة الإرهابيّة.

ولم تُؤخذ الأسباب والغايات والأهداف في هذا التعريف عنصراً من عناصر تكوين مفهوم الإرهاب، وهو ما يتبنّاه ويختاره جملة من المختصّين والباحثين في هذا المجال، إذ يؤكّدون على ضرورة الفصل بين حقيقة الإرهاب ومعناه، وبين الدوافع والأهداف، وسيأتي التصريح بذلك في تعريف لاحق.

التعريف الثاني: ما جاء في اتفاقية جنيف لقمع ومعاقبة الإرهاب عام ١٩٣٧م، من أن الإرهاب هو: «الأفعال الجنائية الموجّهة ضدّ دولة مّا، ويكون غرضها أو نتيجتها إشاعة الرعب والذعر لدى شخصيّات أو جماعات معينة أو لدى عموم الجمهور»(٢).

حكتاب «تعريف الإرهاب_نهاية المعايير المزدوجة» للسفيرة عبير رياض طه.

⁽١) أُنظر: د. هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلاميّة: ص٢٥.

⁽٢) أُنظر: نعمة على حسين، مشكلة الإرهاب الدولي (دراسة قانونيّة): ص٣٣.

واضح أنّ هذا التعريف يشترك في جملة من عناصره مع التعريف السابق، مع إضافة العناصر التالية:

١- أَنْ تكون الأفعال الجنائيّة موجّهة ضدّ دولة معيّنة، وهذا ما يُضفي على مفهوم
 الإرهاب مذاقاً سياسيّاً، وهو مذهب طائفة كبيرة من فقهاء القانون.

٢ قد يكون (الغرض والهدف) من ممارسة تلك الأفعال الإجرامية هو إثارة الرعب والهلع ذاته لدى الناس.

٣- إنّ مفهوم الإرهاب يطال أيضاً الأعمال الإجراميّة التي تُمارس بحقّ الشخصيّات ذات الحصانة والمكانة السياسيّة أو الاجتماعيّة، وقد أُضيف هذا العنصر في أعقاب أحداث اغتيال ملك يوغسلافيا ووزير الخارجيّة الفرنسيّة في فرنسا عام ١٩٣٤م، وهروب الفاعلين إلى إيطاليا ورفض الأخيرة تسليمهم؛ بذريعة الفصل بين الجرائم السياسيّة والجرائم الإرهابيّة.

التعريف الثالث: ما ورد في معاهدة منظمة المؤتمر الإسلامي لمكافحة الإرهاب الدولي، من أن الإرهاب هو: «كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أيّاً كان بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجراميّ فرديّ أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس وترويعهم، بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو أعراضهم أو حريّتهم أو أمنهم أو حقوقهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامّة والخاصّة، أو احتلالها، أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو المرافق الدولية للخطر، أو تهديد الاستقرار أو السلامة الإقليمية أو الوحدة السياسية أو سيادة الدول المستقلة» (۱).

⁽١) أنظر: جامعة منيسوتا، مكتبة حقوق الإنسان، معاهدة منظمة المؤتمر الإسلامي لمكافحة الإرهاب الدولي، اعتُمدت من قِبَل مؤتمر وزراء خارجية دول المنظمة، المنعقد في أواغادوغو، خلال الفترة من ٢٨ حزيران/ يونيو إلى ١ تموز/ يوليو ١٩٩٩.

أضاف هذا التعريف عناصر أُخرى مهمّة في تحديد مضمون مفردة الإرهاب، وهي: 1- إنّ من موارد الإرهاب أيضاً التهديد بمارسة العنف.

٢ أَنْ يمثّل العنف أو التهديد به مشروعاً إجراميّاً مُنظّاً لفرد أو جماعة، وهو ما قد يُسمّى في بعض التعريفات بـ«الاستعمال المنظّم للعنف والجريمة».

٣- لا يهم التعرّف على نوع وطبيعة الدوافع والأغراض في تحديد معنى الإرهاب، سواء كانت سياسيّة أم لا، وهو أحد الآراء المهمّة والمطروحة بقوّة في أروقة التشريعات القانونيّة للإرهاب.

٤- أضاف هذا التعريف علاوة على مسألة الرعب والترويع عنصر إيذاء الناس والاعتداء على حقوقهم وحريّاتهم والإضرار بهم وبأملاكهم العامّة والخاصّة وتعريض الموارد الوطنيّة والمرافق الدوليّة للخطر، وكذلك تهديد الأمن والاستقرار والسلامة الإقليمية والوحدة السياسية وسيادة الدول المستقلّة؛ ما يُعطي صورة أوسع وأشمل لمعرفة طبيعة العمل الإرهابي، من دون تحديده بالزوايا والأبعاد السياسيّة.

التعريف الرابع: الإرهاب هو: «عملُ عنفٍ غير قانوني»(١).

أضاف هذا التعريف الموجز للإرهاب عنصر عدم الشرعية والقانونيّة في أعمال العنف، وأن العنف القانوني لا يسمّى إرهاباً.

التعريف الخامس: الإرهاب «هو: الأُسلوب أو الطريقة المستخدمة، والتي من طبيعتها إثارة الرعب، والفزع، بقصد الوصول إلى الهدف النهائي»(٢).

يُؤكّد هذا التعريف على عنصرين أساسيّين في تحديد مفهوم الإرهاب:

١- إن الإرهاب أُسلوب وطريقة يتّبعها الإرهابي في عمله الإجرامي، من طبيعتها

⁽١) أُنظر: وداد جابر غازي، (الإرهاب وأثره على العرب)، مجلّة العرب والمستقبل، جامعة المستنصريّة: السنة الثانية آيار ٢٠٠٤، ص٥٥.

⁽٢) د. إمام حسانين عطاالله، الإرهاب البنيان القانوني للجريمة: ص١٢٣.

إثارة الرعب في نفوس الناس، وليس الإرهاب فكرة عقديّة أو نظريّة علميّة فحسب.

٢- أن تكون ممارسة الأساليب المرعبة بقصد الوصول إلى هدف محدّد ومعلوم، وليس من الصحيح الإغماض عن طبيعة الهدف المقصود في معرفة وتحديد معنى الإرهاب، وهذا من أهم العناصر التعريفيّة بنظر طائفة كبيرة أُخرى من فقهاء القانون. التعريف الله هذ: «العمليات العنفة المنسّقة، المادّيّة والمعنه يّة، الته

التعريف السادس: الإرهاب هو: «العمليات العنيفة المنسقة، المادّية والمعنويّة، التي تحوي نوعاً من القهر؛ بُغية تحقيق غاية معيّنة»(١).

ما يُضيفه هذا التعريف هو: أن العنف المأخوذ في معنى الإرهاب يشمل العنف المادّي والمعنوي، ولنا أن نتصوّر السحر وتحضير الجن والتنويم المغناطيسي وأمثالها من جملة وسائل العنف المعنوي والروحي.

التعريف السابع: الإرهاب هو: «كل فعل يرمي إلى قلب الأوضاع القانونيّة أو الاقتصاديّة التي تقوم على أُسسها الدولة»(٢).

إن هذا التعريف يجعل البُعد الغائي في الفعل الإجرامي مقوّماً لتحديد معنى الإرهاب، فالإرهاب حركة انقلابيّة تسعى بالعنف لتغيير الدولة وقلب أوضاعها وشؤونها القانونيّة والاقتصاديّة، وهذا تحديد واضح لمعنى الإرهاب بأعمال العنف ذات الغايات والأهداف السياسيّة.

هذه هي أبرز التعريفات وأهمّها فيما نعتقد، أوردناها لنستخلص منها أهمّ العناصر المختارة في معنى ومفهوم مفردة الإرهاب اصطلاحاً، وبالنحو التالي:

1- إن الإرهاب يمثّل طريقة وأُسلوباً ومنهجاً أيديولوجياً مخطّطاً له ومنظّاً ومستمرّاً وغير قانوني في ممارسة أعال العنف والجريمة، بقيادة فرد أو جماعة أو حزب أو غير ذلك. «فالعنف في النشاط الإرهابي لا يمكن أن يُحدث أثره إلّا إذا كان

⁽١) د. هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلاميّة: ص٢٦.

⁽٢) أُنظر: عبد الناصر حريز، الإرهاب السياسي (دراسة تحليلية): ص٢٦.

مُنظّاً من خلال حملة إرهاب مستمرّة، أي: من خلال نشاط منسّق ومتّصل لعمليات أو مشروعات إرهابية تؤدّي إلى خلق حالة من الرعب، فالفعل الإرهابي نفسه لا يُخيف إلّا ما يُمدّد بأفعال أُخرى مستقبلية، وحتّى العشوائية في أعمال الإرهاب مقصودة في حدّ ذاتها؛ لكي تُعطي الانطباع بأنَّ كل إنسان في أيّ مكان معرّض لأن يكون الضحية التالية»(١).

٢- أن تكون أعمال العنف والوسيلة المستخدمة - مادّية أو معنويّة - ذات طبيعة إجراميّة وخطيرة، من شأنها أو يُقصد بها نشر الرعب في المجتمع، وإثارة الفزع والخوف في نفوس الناس الآمنين المسالمين، وزعزعة الأمن والسلم الوطني والدّولي. ومن المتّفق عليه أن الرعب يُمثّل عنصراً أساسيّاً في تحديد حقيقة الإرهاب وتعريفه.

٣- إن من الإرهاب أيضاً (التهديد) بمارسة أعمال العنف والرعب والترويع.

٤ ـ يُضاف إلى مسألة الرعب والترويع، عنصر إيذاء الناس والإضرار بهم وبأملاكهم العامّة والخاصّة، والاعتداء على حقوقهم وحريّاتهم، وتعريض الموارد الوطنيّة والدوليّة للخطر، وأيضاً تهديد الأمن والاستقرار والسلامة الوطنيّة والإقليمية، أو تهديد الوحدة السياسية والوطنيّة أو سيادة الدول المستقلّة.

٥ ـ أن يكون الفاعل عالماً قاصداً متعمّداً لما يقوم به من أعمال إجراميّة منظّمة.

7- أن يُشكّل استعمال تلك الوسيلة خطراً جماعيّاً ومجتمعيّاً، سواء كان موجّهاً إلى دولة معيّنة بشعبها أو بحكومتها أو بأرضها ومواردها، أم كان موجّهاً إلى جماعة خاصّة من الناس، تجمعهم لغة أو دين أو طائفة أو عرق أو أمثال ذلك، ويُضاف إلى ذلك الشخصيات المرموقة ذات الحصانة السياسيّة أو الاجتماعيّة.

٧_إن هناك بُعداً غائياً في التعريف، له دوره المهمّ والمؤثّر في معرفة حقيقة الإرهاب

⁽١) خورشيد عليكا، مقال بعنوان: إرهاب الدولة المنظّم، شبكة الأنترنت، موقع (مدارات كرد).

وتحديد معناه، سواء كانت الغاية هي نفس إخافة الناس وإرعابهم، أم كانت هناك غايات سياسية معينة، أم كانت هناك غايات أُخرى اجتهاعية أو دينية أو طائفية أو عنصرية عرقية (نازية فاشية) أو غير ذلك.

هذه هي أهم عناصر الإرهاب في معناه الاصطلاحي المعاصر، وهو بهذه العناصر يُمثّل ظاهرة خطيرة ومستنكرة عقلاً ونقلاً، ويجب على العقلاء من البشر محاربتها والقضاء عليها. كما ينبغي الالتفات أيضاً إلى أن هذا المعنى الاصطلاحي للإرهاب يُعدّ مورداً وتطبيقاً من تطبيقات المعنى اللغوى كما هو واضح.

ثم إنه لا يخفى على القارئ الكريم بأن هناك جملة من المفردات الأُخرى التي قد تكون أسباباً فاعلة ومؤثرة، تُساهم بصورة مباشرة في تكون ونشوء ظاهرة الإرهاب، كمفاهيم التطرّف والتعصّب والكراهية ونحوها، أعرضنا عن بيانها وتعريفها في هذا المقال؛ لخروجها عن محلّ البحث، بالإضافة إلى أنّنا اكتفينا بها جاء في بحوث أُخرى قيّمة في مقالات هذا العدد، تعرّضت لمعاني هذه المفردات بشيء من التفصيل.

السياسة، الحكومة، الدولة

إن البحث في معاني ومضامين هذه المفردات الحيويّة والحساسّة يُعدّ هو الآخر من أهم الأبحاث الشائكة والمعقّدة والمحتدمة، التي وقع في تعريفها النزاع والاضطراب والخلاف الشديد، وهذا أمر طبيعي ومعقول جدّاً؛ إذ كانت ولا زالت التطبيقات والمظاهر اليوميّة لمعاني هذه المفردات تُشكّل أهمّ مفاصل الحياة البشريّة، لكنّنا نكتفي في المقام بالبيان الإجمالي وبها يرتبط بمحلّ البحث، من معرفة المعنى اللغوى والاصطلاحي لهذه المفردات وبصورة موجزة:

السياسة في اللغة: هي القيام على الشيء وتوليّ أمره وإدامة تدبيره؛ لإصلاحه وتأديبه وترويضه. والسياسيّ: هو الذي يتولّى أُمور الناس ويرعاها، ويكون أميراً عليهم؛ ليواصل تدبير أُمورهم بالإصلاح والتأديب والأمر والنهي (۱۱). و «الفرق بين السياسة والتدبير: أنّ السياسة في التدبير المستمرّ، ولا يُقال للتدبير الواحد: سياسة، فكلّ سياسة تدبير، وليس كلّ تدبير سياسة» (۱۲).

«وفي الحديث: (كان بنو إسرائيل يَسُوسُهم أَنبياؤهم). أَي: تتولَّى أُمورَهم، كما يفعل الأُمَراء والوُلاة بالرَّعِيَّة»(٣). وفي الحديث أيضاً: «ثم فوّض إلى النبي عَلَيْ أمر الدين والأُمّة ليسوس عباده. كلّ ذلك من سُسْتُ الرعية سياسة: أمرتُها ونهيتُها»(٤).

وأمّا السياسة في اصطلاح الفقهاء والإسلاميين عموماً، فلا تبتعد كثيراً عن معناها اللغوي، فهي في نظرهم: (استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل)، أو هي: (حياطة الرّعية بها يُصلحها لطفاً وعُنفاً)، أو هي: (ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد)، أو (أنّها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأموال)(٥)، وغيرها من التعريفات التي يُراعى الفقهاء فيها المعنى اللغوى للسياسة، كها هو واضح.

وأما السياسة في تعريفاتها المعاصرة: فقد اختلفت واضطربت معانيها بصورة لا يمكن الجمع والتوفيق بينها، لكننا نكتفي بهذا التعريف المتداول، وهو كون السياسة

⁽١) أُنظر: ابن منظور، لسان العرب: ج٦، ص١٠٨.

⁽٢) أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية: ص٢٨٨.

⁽٣) ابن منظور، لسان العرب: ج٦، ص١٠٨.

⁽٤) الطريحي، مجمع البحرين: ج٤، ص٧٨.

⁽٥) أنظر: محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج٢، ص٣٠٨.

سُلطة تُعنى بـ (رعاية شؤون الدولة الداخليّة والخارجيّة) (١)، وهو أيضاً مُقتبس من المعنى اللغوي لمفردة السياسة، ولكن في إطار الدّولة.

الحكومة

أصل الحكومة في اللغة: هو المنع من وقوع الفساد والظلم. «ومن هذا قيل للحاكم بين الناس: حاكِمٌ؛ لأَنّه يَمْنَعُ الظالم من الظلم. قال الأَصمعي: أصل الحكومة ردّ الرجل عن الظلم، قال: ومنه سُمّيت حَكَمَةُ اللجام؛ لأَنها تَرُدُّ الدابة. وحَكَمَ الشيء وأَحْكَمَه، كلاهما: منعه من الفساد»(٢).

وأما الحكومة في الاصطلاح المعاصر: فنختار من معترك التعاريف الاصطلاحية التعريف التالي: (الحكومة: هي الجهة التي تمتلك القوّة والسلطة الشرعيّة لفرض وتنفيذ الأحكام والقوانين؛ بهدف تنظيم الحياة المشتركة بين الأفراد، والحفاظ على الأمن والاستقرار والرفاهية في المجتمع) (٣).

الدُّولة

الدَّوْلة ـ بالفتح ـ في اللغة: هي الانتقال إلى حالة الانتصار والغلبة على العدّو، وموردها «في الحرب أَن تُدال إحدى الفئتين على الأُخرى، يُقال: كانت لنا عليهم الدَّوْلة. والجمع الدُّولُ. والدُّولة ـ بالضم ـ في المال؛ يُقال: صار الفيء دُولة بينهم يَتَداوَلونه مَرَّة لهذا ومرة لهذا، والجمع دُولات ودُولُ» (٤). وجاء في الحديث: «ألا وإن للباطل جولة وللحقّدولة» (٥).

⁽١) أنظر: موسوعة ويكيبيديا، مفردة (سياسة).

⁽٢) ابن منظور، لسان العرب: ج١٢، ص١٤١_١٤٣.

⁽٣) أُنظر: مقال بعنوان: (تعريف الحكومة وأنواعها)، شبكة الأنترنت، موقع (السياسة كوم).

⁽٤) ابن منظور، لسان العرب: ج١١، ص٢٥٢.

⁽٥) الحافظ البرسي، مشارق أنوار اليقين: ص٢٦١.

وأما في الاصطلاح: فأوضح التعاريف وأخصرها، هو أن «الدولة: عبارة عن الشخصية المعنوية التي ترمز إلى شعب _ حُكّاماً ومحكومين _ موحّد ومستقرّ على رقعة جغرافيّة مُعيّنة، بحيث يكون لها سلطة سياسيّة ذات سيادة»(١).

إرهاب الدولة/ السلطة

(الإرهاب: الحكومي/السياسي)

لا نريد أن نتحدّث تحت هذا العنوان حول الإرهاب الدولي، «وهو الإرهاب الذي أن نتحدّث تحت هذا العنوان حول الإرهاب الدولي، «وهو الإرهاب الذي تمارسه دولة واحدة أو أكثر، عن طريق تسخير إمكانيّاتها الدبلوماسية أو العسكرية؛ لتحقيق هدف سياسي، أو الاستيلاء على مكتسبات أو ثروات غيرها من الدول» (٢٠). فإنّه على الرغم من أهميّته القصوى وخطورته البالغة وابتلاء عالمنا المعاصر به، خارج عن محلّ بحثنا.

وإنّما يختصّ بحثنا بالسياسات الدكتاتوريّة غير الشرعيّة، والأعمال والمهارسات الإرهابيّة والإجراميّة والقمعيّة المنظّمة والشاملة والمدروسة، التي تُمارسها الدّولة والحكومة والسلطة بحقّ شعبها أو فئة خاصّة من الشعب، على أساس التمييز السياسي أو الاجتماعي أو العرقي أو الديني أو الثقافي أو نحو ذلك، فتعمد إلى تسليط أجهزتها ومنظيّاتها القمعيّة على أفراد الشعب الأعزل؛ لتقوم باستخدام الوسائل الوحشيّة وممارسة ألوان الجرائم، والاعتقالات التعسّفيّة، والمحاكمات غير العادلة والخطف والتغييب في مطامير السجون، والتعذيب والنفي والتهجير والقتل السياسي، والإعدامات العسكريّة والاستخباراتيّة والأمنيّة، ومصادرة الحقوق الإنسانيّة الأساسيّة بالقوّة، كلّ ذلك وأمثاله يقع خارج نطاق الشرعيّة الدستوريّة

⁽١) أُنظر: موسوعة ويكيبيديا، مفردة (الدولة).

⁽٢) المرصد العربي للتطرّف والإرهاب، شبكة الأنترنت.

والقانون والقضاء العادل، الداخلي المحلي والخارجي الأممي، تستهدف من ذلك نشر الخوف والقلق وإشاعة الرعب وعدم الأمان بين المواطنين المدنيين؛ لإخضاعهم أمام الأغراض والأهداف السياسية والأيديولوجية التي لا تتمكّن الدولة من تحقيقها بالوسائل القانونية والمشروعة، من قبيل حماية الطبقة الحاكمة، وإجبار الشعب على طاعة الحكومة والانصياع لأوامرها، والقضاء على الأصوات والحركات والأحزاب المعارضة والمطالبة بالتغيير، والانتقام منها، وضهان استمرار النظام السائد وسيطرته على مقاليد الحكم.

وقد يكون النظام الدكتاتوري قائماً على أساس سلطة الفرد الحاكم أو العائلة الحاكمة، كما قد يكون قائماً أيضاً على أساس عنصري أو قومي أو إثني ديني، ولعلّ الأخطر من ذلك كلّه في زماننا الحاضر دكتاتوريّة الحزب الواحد، «فحزبية النظام وعسكرته يعني: أنَّ الحزب الحاكم هو الحزب الوحيد في الدّولة، ويُطلق على هذا النظام: دكتاتورية الحزب، فهو الذي يُسيّر أُمور الدّولة السياسية والاقتصادية والاجتهاعية والعسكرية وكذلك الأمنية، وتعني حزبية النظام أنَّه لا يقبل بوجود معارضة سياسية له»(۱).

ويُعدّ الإرهاب الحكومي من الجرائم الدّولية الخطيرة والمدمّرة في كافّة الأبعاد والأصعدة الإنسانيّة، والاجتهاعيّة والسياسيّة، والاقتصاديّة والنفسيّة، والأمنيّة والدينيّة وغيرها، وحينها نطالع الجهود الكبيرة والمتواصلة التي بذلها ويبذلها الإنسان في القرنين الأخيرين، انطلاقاً من المسؤوليّة التي يحملها تجاه بيئته ومجتمعه، نجد أنّ هناك تحرّكات ومساعي مستمرّة ومحاولات جادّة ومسؤولة لتحديد وتعريف هذا القسم الخطير من الإرهاب، والسعي لمحاربته وتحجيمه والقضاء عليه، ونحاول فيها يلي وبإيجاز استعراض أهمّ التعريفات وأوضحها؛ للوقوف على خصائص وأسباب

(١) حسين عوض، مقال بعنوان (إرهاب الدولة بين حزبية النظام وعسكرته)، شبكة الأنترنت، موقع الحوار المتمدّن.

وآثار وأهداف الإرهاب والعنف الحكومي، مع الالتفات إلى أن الإرهاب الحكومي يُمثّل قسماً من أقسام مفهوم الإرهاب الكلّي الذي سبق تعريفه، فتنطبق عليه كافّة العناصر التي سبقت في تعريف الإرهاب؛ ومن هنا نحن نبحث في التعاريف التالية عن الحيثيات والعناصر الإضافيّة الخاصّة بهذا النحو من الإرهاب، التي تُميّزه عن الأقسام الأُخرى، مع التنبيه أيضاً على بعض العناصر الماضية:

التعريف الأوّل: ما ورد في دائرة المعارف الحديثة، من أن: «الإرهاب من الوسائل التي يستخدمها الحكم الاستبدادي؛ لإرغام الجهاهير على الخضوع والاستسلام لها، وذلك بنشر الذُّعر والفزع بينها»(۱). وهو وإن ذُكر فيها كتعريف لعموم الإرهاب، لكنّه من الواضح مختصّ بالإرهاب الحكومي، وقد تضمّن العناصر التعريفيّة التالية: الرهاب الحكومة يُمثّل وسيلة من وسائل الحكم الاستبدادي.

٢- إن إرهاب الحكومة يمثّل أيضاً وسيلة إجراميّة تنشر الذعر والفزع بين الجاهر.

٣_ إن الغاية من ممارسة هذا النوع من الإرهاب هو إرغام الجماهير على الخضوع والاستسلام لنظام الحكومة الاستبدادية.

التعريف الثاني: ما ذكره الدكتور أدونيس العكرة، من كونه: «منهج نزاع عنيف، يرمي الفاعل بمقتضاه وبواسطة الرهبة الناجمة عن العنف إلى تغليب رأيه السياسي، أو إلى فرض سيطرته على المجتمع أو الدولة، من أجل المحافظة على علاقات اجتماعية عامّة، أو من أجل تغييرها أو تدميرها» (٢). وهو وإن جاء أيضاً كتعريف عامّ لمفردة الإرهاب، لكنّه الأقرب إلى قسم الإرهاب الحكومي، وقد تضمّن العناصر التالية: ١-إنه منهج وأُسلوب منظم.

⁽١) أُنظر: د. هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلاميّة: ص٢٦.

⁽٢) العكرة، أدونيس، الإرهاب السياسي، بحث في أُصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية: ص٩٣.

٢ إنه منهج عنيف يُوجب الرهبة في نفوس الناس.

٣ـ هدفه تغليب الرأي السياسي، وفرض السيطرة على المجتمع، ومفاصل الدولة، بها يتوافق مع الرؤية السياسية التي يتبنّاها الفاعل لجريمة الإرهاب.

وهذه عناصر أساسيّة تتوافر عادة في الإرهاب الحكومي.

التعريف الثالث: إرهاب الدولة المستبدّة هو: (الاستخدام المنتظم للعنف؛ لخلق مناخ عام من الخوف في مجموعة من السكّان، لتحقيق هدف سياسيّ معيّن، أو تثبيت سياسة معيّنة مرفوضة شعبييًا)(۱). يشترك هذا التعريف في عناصره مع ما سبقه من تعريف، وهي ممارسة العنف المنتظم، وإدخال الرهبة والخوف في نفوس الناس، وأنّ وراء ذلك أهدافاً سياسيّة. ولكن مع إضافة كون تلك الأهداف السياسية مرفوضة ومُستنكرة شعبيًا.

التعريف الرابع: إرهاب السلطة الحاكمة هو: «انتشار أعمال العنف من جانب دولة ضدّ شعبها» (٢). يتميّز هذا التعريف بالاختصار والإيجاز، مع فرض حيثيّة انتشار العنف ضدّ الشعب؛ ما يجعله ظاهرة مجتمعيّة متفشّية.

التعريف الخامس: إن إرهاب الدولة: «هو أعمال العنف الإجراميّة التي تُرتكب في حقّ المدنيين الأبرياء، ويقوم بها أفراد أو أجهزة أو جماعات تنتسب إلى الكيان الرسمي للدّولة، أو تتمّ بمعرفة وموافقة السلطات العُليا التي تُشرف على هذه الأجهزة وتُصدر إليها الأوامر، أو تغضّ الطرف عن هذه الأفعال مع علمها بوجودها من حيث تبعية الجزء للكلّ، أو تُوفّر لها الحماية من أيِّ نوع»(٣). بالإضافة أيضاً إلى ما تضمّنه هذا التعريف من العناصر المشتركة مع التعاريف السابقة، وكون المجنيّ عليهم من

⁽١) أُنظر: موسوعة ويكيبيديا، مفردة (إرهاب الدولة).

⁽٢) المصدر السابق.

⁽٣)د.أهمدمحمدالمزعنن،مقال بعنوان (إرهاب الدولة والجريمة المنظمة)، شبكة الأنترنت، المركز الفلسطيني للإعلام.

المدنيين الأبرياء، تمّ التركيز على ذكر المنظّمات والأجهزة القمعيّة المختلفة التي تُباشر مارسة الأفعال الإرهابيّة، كما هو مُفصّل في نصّ التعريف، ويجمعها حيثيّة ارتباطها بالسلطات العُليا الحاكمة، من جهة انتسابها إليها، أو الإشراف عليها، أو حمايتها ورعايتها، أو نحو ذلك.

التعريف السادس: الإرهاب الحكومي هو: ما «إذا قامت الدولة من خلال أجهزتها القمعيّة بانتهاكات بليغة لحقوق الإنسان، في التعذيب والقتل، وضرب الشعب بالأسلحة الكيهاوية والصواريخ، والإخفاء القسري، والإعدامات، والتعذيب للبشر، وإهدار حقوق الإنسان المعروفة في الإعلان العالمي والمعاهدات الدّولية، وفي التحريض على العصيان أو دعم الأشخاص أو الجهاعات، للقيام بتفجيرات ضدّ أهداف مُعيّنة، أو التدخّل في شؤون دولة أخرى، تُعتبر الدّولة ممارسة للإرهاب وراعية للعنف السياسي من خلال إشاعة الرعب والخوف ومصادرة الحريّات الأساسية»(١). بعد ذكر العناصر المشتركة، من قبيل ممارسة العنف وإشاعة الرعب والخوف بين الناس، أضاف التعريف المذكور العناصر التالية:

١- الاهتمام الخاص بتعداد الأفعال الإجرامية التي قد تُمارسها السلطة القمعيّة ضدّ شعمها.

٢- إنّ من الإرهاب الحكومي إهدار حقوق الإنسان المعروفة في الإعلان العالمي
 والمعاهدات الدولية.

٣- إنّ من الإرهاب الحكومي أيضاً مصادرة الحرّيات الأساسيّة للشعب.

التعريف السابع: إرهاب الدولة عبارة عن: «تلك الأعمال الإرهابية التي تقودها الدولة من خلال مجموع الأعمال والسياسات الحكومية التي تستهدف نشر الرعب بين المواطنين؛ لإخضاعهم داخلياً أو في الخارج، بهدف تحقيق الأهداف التي لا

⁽١) د. منذر الفضل، دراسات حول القضيّة الكرديّة ومستقبل العراق: ص٢٠٢.

تستطيع الدّولة ولا تتمكّن من تحقيقها بالوسائل المشروعة»(١). أضاف هذا التعريف أيضاً عنصراً مهمّاً في تعريف إرهاب الدّولة، وهو أن من جملة الأسباب التي تدفع السلطات الحكوميّة لمارسة العنف بحقّ شعبها، هو أن لها أهدافاً وغايات لا تتمكّن من تحقيقها بالوسائل المشروعة.

التعريف الثامن: إرهاب الدولة هو: «الاستعمال غير الشرعي للقوّة والقمع اللذين تمارسهما دولة مّا، وذلك بحقّ بعض أو كلّ المواطنين، على أساس التمييز السياسي أو الاجتماعي أو العرقي أو الديني أو الثقافي»(۱). أضاف هذا التعريف جملة من الأسس التي قد يتمّ على أساسها التمييز بين مكوّنات الشعب، وممارسة القمع والقوّة غير الشرعيّة في حقّ مكوّن دون آخر.

التعريف التاسع: الإرهاب الحكومي هو: «الإرهاب الذي تُمارسه الدّول والأنظمة الحاكمة ضدّ رعاياها أو ضدّ المعارضين لها، من أحزاب وأفراد، والإرهاب في هذا القسم، يعني: تجاوز القوانين الدّولية والعرفية التي تُنظّم علاقة الحاكم بالمحكوم، كأن تعتقل مجموعة من الأبرياء وتُعذّبهم من أجل إخافة المعارضين الحقيقيّين الذين ربا لم ينكشفوا بعد» (٣). أضاف هذا التعريف العناصر التالية:

١ قد يُقصد من ممارسة هذا النوع من الإرهاب تخويف المعارضة والكشف عن هويّتها؛ لإجبارها على طاعة الحكومة.

٢- يُحدّد هذا التعريف ما هو المقصود من عدم قانونيّة العنف الذي تمارسه الحكومة بحقّ شعبها، وأنه عبارة عن تجاوز القوانين الدّولية والعرفية التي تُنظّم علاقة الحاكم بالمحكوم.

⁽١) عبد الناصر حريز، الإرهاب السياسي (دراسة تحليلية): ص١٧٤.

⁽٢) أنظر: كمال مساعد، مقال على جريدة البناء، العدد: ١٨٣٦، تاريخ: ٢١٥/٠١/ ٢٠١٥، بعنوان: كتاب «تعريف الإرهاب-نهاية المعايير المزدوجة» للسفيرة عبير رياض طه.

⁽٣) أُنظر: السند، محمد، بحوث معاصرة في الساحة الدوليّة: ص٥٥٨.

التعريف العاشر: إرهاب الدولة هو: «عنف منظم ومتصل، بقصد خلق حالة من الرعب والتهديد العام الموجّه إلى المعارضة (جماعة سياسية)، والذي ترتكبه جماعة منظمة أو حكومة أو نظام ضدّ شعبها بقصد تحقيق أهداف سياسية»(١). فكون العنف منظمًا ومتصلاً ومستمرّاً من العناصر الأساسيّة في هذا التعريف.

وقد حدّدت منظمة العفو الدولية الرئيسية أشكال إرهاب الدولة بـ: «الاحتجاز التعسّفي، والمحاكمات غير العادلة، والتعذيب، والقتل السياسي أو الإعدام خارج نطاق القضاء»(٢).

بعد أن طالعنا طائفة من التعريفات المختصّة بالإرهاب الحكومي، نحاول فيها يلي أن نستخلص منها أهمّ العناصر التي تُحدّد طبيعة هذا القسم من الإرهاب:

١-إن الإرهاب الحكومي الاستبدادي يُمثّل منهجاً عنيفاً وأُسلوباً منظّاً، ووسيلة من الوسائل القمعيّة غير القانونيّة، تنشر الذعر والفزع بين أفراد الشعب.

٢ - تُحارس الدولة هذا النحو من الإرهاب بواسطة الأجهزة القمعية المرتبطة بها،
 إمّا من جهة انتسابها إليها، أو الإشراف عليها، أو حمايتها ورعايتها، أو نحو ذلك.

٣- إن الغاية من ممارسة هذا النوع من الإرهاب هو تغليب الرؤية السياسية الحاكمة، المرفوضة والمستنكرة شعبيًا، والتي لا تتمكّن الحكومة من تحقيقها بالوسائل المشروعة. ومن الغايات أيضاً فرض السيطرة على المجتمع ومفاصل الدولة، وتخويف المعارضة وإرغام الشعب على الخضوع والاستسلام للنظام الاستبدادي الحاكم.

٤ إن من جملة الأسس التي قد يتم على أساسها التمييز بين مكوّنات الشعب، وممارسة القمع والقوّة غير الشرعيّة في حقّ مكوّن دون آخر، هي الأسس السياسيّة أو الاجتهاعيّة أو العرقيّة أو الدينيّة أو الثقافيّة.

⁽١) عزّ الدين، أحمد جلال، الإرهاب والعنف السياسي: ص٤٩.

⁽٢) أُنظر: موسوعة وكيبيديا، مفردة (إرهاب الدولة).

٥- إن المراد من عدم قانونيّة العنف الذي تمارسه الحكومة بحقّ شعبها، هو تجاوز القوانين الدّولية والعرفية التي تُنظّم علاقة الحاكم بالمحكوم.

ثم إن الإرهاب الحكومي قد يكون نابعاً من الشعور بالقوّة المفرطة للسلطة، أو الشعور بالخوف من المعارضين، أو الشعور الزائف بمشروعيّة ما تقوم به من العنف والقمع بحقّ شعبها، أو نحو ذلك.

ويُعدّ هذا القسم من الإرهاب هو الأخطر والأكثر تدميراً؛ للأسباب التالية:

1-إن السلطة القمعيّة تمتلك المبررّات القانونيّة لمهارسة إرهاب الدولة، بلا رقيب ولا مُساءلة من أحد، فتنطلق من مبدأ الحفاظ على هيبة الدولة والأمن والنظام العامّ، لتسحق تحت ظلّ القانون معارضيها وكلّ مَن يُخالفها الرأي بوحشية منقطعة النظير، كما حدث ذلك بأبشع صوره في عام ١٩٩١م، حينها قمع النظام البعثي الجائر الشعب العراقي في الوسط والجنوب بعد ثورة ١٥ شعبان، في إبادة جماعيّة هي الأولى من نوعها، إذ امتلأت السجون والمقابر الجماعية بجثث الملايين من الأبرياء، الذين ما خرجوا إلا للمطالبة بحقوقهم الإنسانيّة المشروعة التي حرمهم منها النظام البعثي المائد.

٢_سيطرة السلطة على مصادر القوّة ومنابع القدرة، وعلى كافة الإمكانيات المتاحة في داخل البلد وخارجه، وعلى النقيض من ذلك الشعب المضطهد، فهو في الغالب أعزل ومجرّد من السلاح ومصادر القوّة؛ ولذا ينتشر في أوساطه القمع والاضطهاد والرعب بلا قيود أو حدود.

٣_سيطرة السلطة على وسائل الإعلام، وقدرتها على ممارسة التضليل الإعلامي بأبشع صوره، فترسم صورة مشرقة لإرهابها، وأُخرى قاتمة سوداء لمعارضيها.

وفي نهاية المطاف لهذه الدّراسة المفهوميّة نقول: إنّه ممّا لا شكّ فيه أن الشريعة الإسلاميّة قد استنكرت وحاربت بشدّة هذا اللون الأسود من الإرهاب، بل نحن نعتقد بأن واحدة من أهم الأهداف الرئيسة لبعثة الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال

الشرائع السياويّة هو الوقوف بوجه السلطات الظالمة والمستبدّة، التي مارست بحقّ شعوبها أشكال القمع والجريمة والفساد، وجعلتهم عبيداً لها، يعيشون ذلّ العبوديّة القاسية، تفعل بهم ما تشاء، وتستغلُّهم فيما تُريد، وتسومهم سوء العذاب والهوان، والاضطهاد والترويع، ومصادرة الأموال، وهتك الأعراض، والتشريد والتهّجير، والقتل والإبادة بوحشية مروّعة، لا يُتقن صناعتها إلّا الطغاة والجبابرة من بني البشر. ولولا الدور الريادي والجهادي للأنبياء والرسل والأوصياء والشرائع الساوية المتعاقبة، لما كنّا ننعم اليوم بجانب من الحريّة والحياة الإنسانيّة. وهذا ما تؤكّده النصوص الدينيّة والآيات القرآنيّة المتضافرة، ولعلّ أبرز مثال قرآني على ما نقول، قصّة النبيّ موسى الله عندما أرسله الله تعالى إلى فرعون حينها علا وطغى وعاث في الأرض فساداً، ومارس أعنف وأقسى أشكال الإرهاب الحكومي بحقّ شعبه المضطهد من بني إسرائيل، الذين كانوا يعيشون تحت وطأة سلطته القمعيّة الجائرة، وكان يخاطبهم بملء فمه قائلاً: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾(١)، فأمر الله عزّ وجلّ نبيّه موسى اليُّلِا بالقول: ﴿أَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَعَى ﴾(٢)، وقد أوضحت الآيات القرآنية الكثيرة مشاهد الاستبداد والطغيان والقمع والجور الذي كان يُهارسه فرعون بحقّ طائفة مستضعفة من رعاياه، وهم بنو إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا يَشْتَضْعِفُ طَآبِهَةٌ مِّنْهُمْ يُذَيِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْي، نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ,كَاكِمِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٣). وأيضاً يقول تبارك وتعالى في مخاطبة بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ نَجَيَّنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمُ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُم وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَالِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(١). وبعد أن جاء موسى الله بالبيّنات وأظهر الحجج والآيات الإلهيّة الواضحة، مارس فرعون أيضاً الإرهاب والرعب

⁽١) القصص: آية٣٨.

⁽٢) طه: آية ٢٤.

⁽٣) القصص: آية ٤.

⁽٤) البقرة: آية ٥٠.

مرّة أُخرى بوسائل معنويّة، وحاول أن يُخيف الناس ويردعهم عن الالتحاق بنبيّهم موسى الله عن طريق السحر، فانتدب لهذه المهمّة كبار السَّحَرة ومخضر ميهم؛ ليُلقوا بعظيم سحرهم ومكرهم أمام الملأ العام، ﴿ فَلَمَّا أَلْقُواْ سَحَرُواْ أَعَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾(١)، وحينها تجلَّت الحقيقة للناس، وآمن السَّحَرة بإله موسى الله ، استمرّ فرعون بمارسة أساليبه القمعيّة، واستنكر على السَّحَرة إيهانهم بالله تعالى من دون أن يأذن لهم، وهدِّدهم وتوعَّدهم بأقسى أنواع العذاب والتنكيل، ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِ عَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمِّ إِنَّ هَلَا لَمَكُرٌ مَّكُرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِنُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلكُم مِّنْ خِلَفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُم أَجْمَعِينَ ﴾(٢). ومما يؤسف له أنّ كبار السياسيين وذوى الوجاهة الاجتماعيّة آنذاك كانوا من المؤيّدين والراضين بسياسة الإرهاب الفرعونيّة، بل كانوا من أشد المحرّضين على قمع الأبرياء من بني إسرائيل، يحكى ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَا مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَيِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحِيء نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَلِهِرُونَ »^(٣). ولهذا كان موسى الله دائماً ما يُذكّر بني إسرائيل بواقعهم المرير الذي كانوا يعيشونه في حكم فرعون، يُذكّرهم بذلك حينها كانوا يكفرون بأنعُم الله وفضله عليهم، ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنِحَىٰكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْن يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَالِكُم بَلاَءٌ مِن رَّيِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿ (٤).

والآيات الكريمة في هذا المجال كثيرة جدًّا، لا يسع المجال لذكرها، وأمَّا

⁽١) الأعراف: آية١١٧.

⁽٢) الأعراف: آية ١٢٣.

⁽٣) الأعراف: آية١٢٧.

⁽٤) إبراهيم: آية٦.

النصوص التاريخيّة والروائيّة في المقام، فهي فوق حدّ الإحصاء، وسنكتفي منها لاحقاً باستعراض النصوص والخطابات والمواقف الحسينيّة المباركة المرتبطة بمحلّ البحث، والتي صدرت من الإمام الحسين الله حينها تصدّى لأخطر وأعتى حكومة إرهابية مستبدّة، مارست ألوان العنف وإرهاب السلطة بحقّ المسلمين والمواطنين في بلاد الإسلام عموماً، تلك هي الحكومة الأُمويّة الجائرة. وكيف لا تكون مواقف وكلهات الحسين الله منهجنا القويم في مواجهة إرهاب الحكومات الظالمة؟! وهو القائل لمعاوية بن أبي سفيان ـ بكلّ شجاعة وبسالة منقطعة النظير ـ : "واعلم أنّ لله كتاباً لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس لك أخذك بالظنّة، وقتلك أولياءه على الشبهة والتهمة، وأخذك الناس بالبيعة لابنك، غلام سفيه يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ولا أعلمك إلاً خسرت نفسك، وأوبقت دينك، وأكلت أمانتك، وغششت رعيّتك، وتبوّأت مقعدك من النار، فبُعداً للقوم الظّالمين»(١). وهذا ما سنترك وخطابات الإمام الحسين في مواجهة ومعارضة ما عايشه من إرهاب حكوميّ أمويّ جائر.

⁽١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص١٢٢.

مُلْفَتُ الْعَدُّدُ

النفض بالمستنبين في مواجه بالتطرف والازهاب

- دور القيم الحسينيّة في مواجهة الإرهاب
 - التطرُف في الجدل المذهبي
- 🔷 ثنائية التطرف الأُموي والاعتدال الحسيني
- مظاهر الإرهاب الفكري في المعسكر الأموي (قراءة في الاليات والنتائج)
- فاجعة الطف وجريمة قطع الرؤوس والتمثيل بها وإهدائها (رؤية تاريخية . تحليلية)
 - 🔷 رواية قطع رأس بكر بن غائم على يد عليَّ الأكبر (عرضُ ونقد)
 - دور محاولات اغتيال الإمام الحسين ﴿ في صناعة الإرهاب
 - الأصول الأخلاقية للثورة في ضوء النّهضة الحسينيّة
- ♦ أخلاق المقاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف/ انقسم الأول

دور القيم الحسينيّة في مواجهة الإرهاب

سماحة العلّامة السيد حسين الحكيم

آمنت مجلة الإصلاح الحسيني ومنذ انطلاقتها بضرورة الإفادة من نتاجات العلماء والمفكرين والباحثين وأفكارهم النيرة وتقديمها للقراء الكرام بالصور الممكنة؛ فتنوّعت طبيعة الإفادة بأشكال مختلفة، كالمقال والبحث والندوة والحوار، ومن هذا المنطلق اغتنمت مجلة الإصلاح الحسيني فرصة اللقاء بسماحة العلّمة السيد حسين الحكيم، فكان معه هذا الحوار:

ونشكره جزيل الشكر على تقبّل دعوتنا.

السيّد حسين الحكيم: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وآله الطاهرين. أنا أيضاً بدوري أشكركم على هذا اللقاء، وأسال الله تعالى لكم التوفيق والسداد.

ملامح الاستفادة من القضيّة الحسينيّة في التصدّي للإرهاب

المعاصر المتمثّل بعلماء الحوزة العلمية _الذي ما زال يدرس الحسين الله شهيداً عظيماً مصلحاً ومعبرًا حقيقياً عن الإسلام العظيم _الحلول الحقيقية لظاهرة الإرهاب

^{*} أُستاذ في الحوزة العلمية.

وآثارها الخطيرة والمدمِّرة.

ونبدأ أسئلتنا مع ساحتكم عن مدى تأثير القضيّة الحسينيّة في المجتمع كونها قضية ضدّ الإرهاب والتطرّف؟

السيّد حسين الحكيم: قضية الحسين الله حيّة رغم تعاقب العصور، ومبادؤه ما زالت تصلح أن تشكّل معالم هُدى لإنسان هذا العصر؛ ثُعقّق طموحاته وتستجيب إلى تحدياته، وتحفّز فيه دواعي الخير والإصلاح والتنمية البشريّة السليمة.. ومن أبرز تحديات ظرفنا الراهن ظاهرة الإرهاب التكفيري الذي أعلن عن بشاعته بشكل غريب ومريب.. غريبٌ لأنّه متميّز بالبشاعة إلى حدّيفوق الخيال البشري السليم.. ومريبٌ لأنّه ينسب كلَّ تلك البشاعة للإسلام ويحاكي بعض شعائره وقشوره، وكأنّ هدفه الأساس غير المعلن هو تشويه الإسلام في عقل الإنسان.

المنابعة الحسينية الحسينية الحسينية والإرهاب التكفيري والتي من خلال دراستها قد نتمكّن من الوصول إلى رؤية حسينية متكاملة تواجه الإرهاب وتعالج آثاره الخطيرة؟

السيّد حسين الحكيم: لا شكّ في أنّكم على بيّنة من أنّ تحديد المراد من المفردات الأساسية في السؤال من أهمّ مفاتيح البصيرة في الجواب؛ ولهذا لا بأس بتبيان المراد من (القضيّة الحسينيّة) و (الإرهاب التكفيري).

نقصد بالقضيّة الحسينيّة: الصراع الذي حصل بين الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب الشيّة، وبين الحكم الأُموي المتمثّل بيزيد بن معاوية بن أبي سفيان، والذي أدّى إلى استشهاد الإمام الحسين الشيّة وصحبه وأهل بيته، وسبي نسائه، وكل الخلفيات الفكرية والأخلاقية والاجتهاعية والسياسية التي كانت أسباباً ودوافع في الصراع، وكلّ الآثار التي ترتّبت على ذلك.

ونقصد بالإرهاب التكفيري: المارسات العنيفة التي تصدر من الجماعات المسلَّحة على أساس ادّعاء تمثيل الإسلام، وتكفير وتصفية مَن يخالفها بالموقف، والخلفيات التي تقف وراءها، والآثار التي تترتّب عليها.

وعليه نقول: إنّ أهم ملامح العلاقة بين القضيّة الحسينيّة والإرهاب التكفيري هو كونه الله ضحية عظمى للإرهاب التكفيري، ولكن هناك ملامح أُخرى أيضاً:

أوّلاً: الإمام الحسين الله يُمثّل الإسلام على مستوى المرجعية التي نزل بها القرآن في آية التطهير وغيرها، وصدع بها رسول الله الله في حديث الثقلين وغيره، فهو من العترة الطاهرة، والمُعبِّر عن الإسلام تعبيراً تامّاً، والناطق الرسمي الشرعي باسمه.

ثانياً: هو إمام المسلمين؛ بها ورد عن النّبي عَلَيْ من أدلّة إمامته التي لا تُحصى في هذه العجالة، وبحسب وثيقة الاتّفاق بين مؤسس الدولة الأُموية وبين الإمام الحسن الله والتي نصّت على أنّ الخلافة بعد معاوية للإمام الحسن الله ، فإن مات فإنّها لأخيه الإمام الحسين الله (۱).

ثالثاً: إنّ الإرهاب الذي قتل الحسين الله يدّعي تمثيل الإسلام فكرياً وقيادياً، كما هو الإرهاب التكفيري اليوم، وقد تبلور أخيراً بشكل رسمي وتام عندما ادّعت «داعش» الخلافة لأبي بكر البغدادي ودعت النّاس إلى بيعته والنزول على حكمه.

رابعاً: المارسات الوحشية الفضيعة التي مارسها الإرهاب الأُموي ضد الحسين الثيلا، ويهارسها الإرهاب التكفيري المعاصر من قطع الرؤوس بغير حقّ، وقتل الأطفال، وحرق البيوت على أهلها الآمنين فيها من الرجال والنساء والأطفال، والأصحّاء والمرضى، وقطع الماء عن المدنين المسالمين، وسبي النساء، وقتل الأسرى، والإبادة الجهاعية على قاعدة «لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية»، وإلى آخر ما حفلت به قائمة الجرائم الكبرى التي ترتكبها قوى الإرهاب التكفيري المتعدّدة الأسهاء، والتي يتحمَّل جريرتها أوّل ظالم ظلم محمداً وآل محمّد ممَّن سنَّ لهم ذلك؛ أي: جعله لهم

⁽١) آل ياسين، راضي، صلح الحسن الله ، ص٢٦٠.

سنّة، وشرّعه لهم تشريعاً.

خامساً: المواقف الحسينيّة الدفاعية التي اتّخذها الإمام الحسين الميلا وأهل بيته وأصحابه الكرام.. بشجاعة منقطعة النظير، واستعدادهم الكامل للتّضحية بكلّ ما يملكون في مواجهة الإرهاب الأُموي.

مقوّمات المشروع الحسيني في مواجهة الإرهاب

المالح المسيني في السيد ما هي مقوّمات المشروع الحسيني في مواجهة العدو التكفيري وبطشه؟

السيّد حسين الحكيم: أهمّ مقوّمات المشروع الحسيني في مواجهة الإرهاب هي:

١_الفكر.

٢_الإعلام.

٣_ الاستعداد والتعبئة العسكرية.

٤_ الجهاد دفاعاً عن الإسلام وحرماته حتى النَّـفَس الأخير.

٥ القيم الأخلاقية في الحرب والسِّلم.

الخاصية: هل يسعنا أن نقف عند كلّ واحد من هذه المقوِّمات لندرسه جيّداً، فنحن اليوم بأمسّ الحاجة لبلورة مشروع حسيني في مواجهة خطر الإرهاب. فكيف واجه الحسين الله الإرهاب فكرياً؟ وماذا علينا أن نفعل في هذا العصر؟

السيّد حسين الحكيم: نلاحظ في الخطاب الحسيني أنّه ركَّز على بيان المنطلقات الإيهانية له، وحاول جهد إمكانه أن يُقنع بها الآخر، فقد كان خطابه حافلاً بذلك، وكلهاته مشهورة، ومنها مثالاً لا حصراً : «فليّا مات الحسن بن علي ازداد البلاء والفتنة، فلم يبقَ لله وليّ إلّا خائف على نفسه، أو مقتول، أو طريد، أو شريد. فليّا كان قبل موت معاوية بسنتين حجّ الحسين بن علي الله وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن

عباس معه. وقد جمع الحسين بن علي الشياسة بني هاشم، رجالهم ونساءهم، ومواليهم، وشيعتهم، مَن حجّ منهم ومَن لم يحج، ومن الأنصار محّن يعرفونه، وأهل بيته، ثمّ لم يدع أحداً من أصحاب رسول الشياسة ومن أبنائهم والتابعين، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم، فاجتمع عليه بمنى أكثر من ألف رجل، والحسين الشيابي فحمد الله في سرادقه، عامّتهم التابعون وأبناء الصحابة، فقام الحسين الشيابي فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد: فإنّ الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإني أُريد أن أسألكم عن أشياء، فإن صدقت فصدّقوني، وإن كذبت فكذّبوني، اسمعوا مقالتي، واكتموا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصار كم وقبائلكم مَن أمنتموه ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون؛ فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون. فها ترك الحسين شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلّا قاله وفسّره، ولا شيئاً قاله الرسول في أبيه وأُمّه وأهل بيته إلّا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: اللّهم نعم، قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: اللّهم قد حدَّثنا مَن نصدَّقه ونأمّنه بن نفرن له يترك شيئاً إلّا قاله، ثمّ قال: أنشدكم بالله إلّا رجعتم وحدَّثتم به مَن تثقون به. ثمّ نزل له يترك شيئاً إلّا قاله، ثمّ قال: أنشدكم بالله إلّا رجعتم وحدَّثتم به مَن تثقون به. ثمّ نزل وتفرّق النّاس على ذلك» (۱۰).

وفي هذا النص عبرة لنا في شدّة اهتهامه الله بإيصال الحقّ والمحافظة عليه من الاندراس، ومواجهة عملية التجهيل المركّب الواسعة التي تقوم بها أجهزة إعلام الدولة التكفيرية الأموية القمعية التي تُعظّم الحاكم بالجور (الخليفة)، وتوظّف معالم الدين لخدمة سلطته المعادية لله وللرسول والمؤمنين.

وأيضاً بيان الحقّ في مرجعية أهل البيت الملك في تعريف الإسلام للنّاس، وأنّ أيّ حذف لهم عن مقامهم الذي نصّبهم الله فيه فهو تشويه للدين وإضلال للمؤمنين.

⁽١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص١٨ ـ ١٩. وقد وردت الرواية مفصَّلة في كتاب سليم بن قيس الكوفي: ص٢٠٠٠.

كما قد حفلت كلماته التي وصلتنا بتعاريف إسلامية للمفاهيم التالية:

١- الحياة والموت عند انتشار الباطل وضياع المقاييس: «فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً»(١).

٢ - الدنيا: فقد روي عنه: «عِبادَالله، اتّقُوا الله وكونوا من الدّنيا عَلى حَذَر، فإنّ الدنيا لو بقيت لأحدٍ وبقي عليها أحدٌ، كانت الأنبياء أحقّ بالبقاء، وأولى بالرضا، وأرضى بالقضاء، غير أنّ الله تعالى خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء، فجديدها بالٍ، ونعيمها مضمحل، وسرورها مُكْفَهِر، والمنزل بُلغَة، والدَّار قُلعَة»(٢).

٣- الفتح (النصر): فقد روي أنّه أرسل إلى أخيه محمد بن الحنفية: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى بني هاشم، أمّا بعد: فإنّه مَن أُلحقَ بي منكم استُشهِد معي، ومَن تخلّف لم يبلغ الفتح، والسّلام»(٣).

وحدّد أهداف ثورته بقوله: «وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّم خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي عَلَيْ أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب الله «نناك فالثورة لا تبرّر العنف ولا العدوان حتّى وإن كانت شعاراتها حقّة.

وقد حدَّد الموقف من الذين لم يستجيبوا لدعوته بقوله: «فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أَوْلى بالحق، ومَن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين» (٥). فهذا النّص يدلّ على أنّه لا يوجد قمع في قاموس الحسين المُلِيّ حتّى لمن لم يستجيبوا له.

1 11(1)

⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٥٠٥.

⁽٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١١، ص٢١٨.

⁽٣) الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص٥٠٢.

⁽٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

⁽٥) المصدر السابق: ج ٤٤، ص٠٣٣.

وغير ذلك كثير ممّا يحتاج إلى مشروع بحثي كبير، أدعوا الباحثين لإيلائه الأهمية التي يستحقّها.

إنّ كل القيم الفكرية الإسلامية التي نطق بها الحسين الله وأحيا بها الإسلام في عصره وجسَّدها عمليّاً في نهضته كشفت الزيف الذي كان عند أعدائه، وما زالت تكشف الزيف في التنظير التكفيري للإرهاب الذي يستدلّ ببعض المتشابه من نصوص القرآن، أو السنّة، أو المختلق المكذوب عليهما.

إنّ الإرهاب التكفيري، وإن كانت تحرّك سياسات ومخابرات عالمية، لكن ديناميكيّته الأساسية تنطلق من عقيدة فكرية زائفة يجب أن تبدأ منها الخطوات الأُولى في المواجهة معه.

القضيّة الحسينيّة وسبل الارتقاء بالمنظومة الإعلامية الإسلامية

الحراج الفكر من صالات النُّخب الباردة وتحويله إلى رأي عام يصنع الإرادة والحراج الفكر من صالات النُّخب الباردة وتحويله إلى رأي عام يصنع الإرادة والحاس؟ وقد أشرتم إلى أنَّ الإعلام كان إحدى أهم مقوّمات المشروع الحسيني في مواجهة الإرهاب.

السيّد حسين الحكيم: نعم، الفكر بلا إعلام طاقة كامنة، والإعلام بدون فكر عشوائية مشتّتة، ونحن وإن كنّا نلاحظ على الساحة العراقية بعد الفتوى المباركة بوجوب الدفاع الكفائي بدايات لنهوض إعلام ينطلق من أُسسنا الفكرية الإسلامية الحقيقية التي تعرف للحسين الله موقعه من هويّتنا الإسلامية والوطنية، لكنّنا ما زلنا نعاني اليوم من كلتا الأزمتين؛ أزمة الفكر المهجور إعلامياً وأزمة الإعلام الأجوف فكرياً.

الأزمة؟ إذن، ما هو الحل الأنسب لمعالجة هذه الأزمة؟



السيّد حسين الحكيم: الحلّ جانب منه يبدأ عند الفقهاء بالتحديد؛ وذلك من خلال الاهتهام بقضايا العصر وخصوصاً قضية الإرهاب التكفيري، وتقديم المنتج الفقهي والفكري والرؤية التي تُغطِّي الحاجة الفعلية للمسلمين في هذا الشأن، كها وجدنا سهاحة المرجع الأعلى السيّد علي السيستاني (دام ظلّه) يتصدّى لكتابة النقاط التوجيهية للمدافعين عن الوطن وحياضه وحرماته ومقدّساته، هذا فضلاً عن التوجيهات المستمرّة في خطبة الجمعة، وإن كنّا نقرّ بأنّ الحاجة الواقعية ما زالت تفتقر للمزيد.

وجانب آخر من الحل عند الإعلامين؛ وذلك من خلال الاهتهام بتحديد استراتيجياتهم الفكريّة، وأولوياتهم الإعلامية، وعدم الانغهاس في التفاصيل الإعلامية الصغيرة اليومية الفنيّة والسياسيّة والشخصية؛ فالإعلام شجرة لا يورق عودها، ولا تمتد أغصانها، ولا تؤتي أُكلها.. إلّا إذا تجذّرت في الأرض، وانطلقت من القيم الأساسية للجمهور المستهدف بها. وحتى إن كان قادة بعض وسائل الإعلام يمتلكون في عقولهم رؤية رصينة، لكنّهم ما لم يُحوّلوا استراتيجياتهم الفكرية إلى بحوث علمية يربّون عليها كوادرهم، فإنّهم يبقون عاجزين عن قيادة فريق إعلامي قادر على تقديم منجز حقيقي، ويكونون بين خيارين أحلاهما مرّة:

أحدهما: الدخول في كل التفاصيل الصغيرة للصورة واللقطة والتقرير والخبر والخبر والإعداد و...؛ ممّا يستهلكهم من جانب، ويُعطِّل روح الإبداع في المخرجين والمواسلين وغيرهم.

والآخر: ترك التفاصيل للكوادر الوسطى غير الفاعلة، أو غير العارفة في بعض الأحيان بالأولويات الحقيقية الفكرية التي تتطلّبها المرحلة؛ فيكثر العثار منهم، ويكونون كبش الفداء للفشل الذي تعاني منه العديد من وسائل إعلامنا، الكثيرة في عددها، والضعيفة في تأثيرها ومصداقيتها وقدرتها على الإقناع والتأثير، وإن كسبت جمهوراً من المشاهدين العاتبين عليها، والمتذبذيين بينها

وبين إعلام ممنهج معادٍ لهم لا يجدون إلى التحصّن منه سبيلاً.

وأعتقد أنَّ ما تقوم به مجلَّتكم الغرّاء من إرساء بُني التواصل بين الفقه والإعلام، جهدٌ مشكور في الاتجاه الصحيح ينبئ بالمزيد من التطوّر والانتشار.

الإعلام الحسيني في مواجهة الإرهاب

الذات المام الحسين الله المسينيّة، ماذا فعل الإمام الحسين الما الحسين المالم الحسين المالم إعلامياً في مواجهة الإرهاب؟

السيّد حسين الحكيم: القضيّة الحسينيّة عطشى إعلامياً كعطش الحسين اليّلا، كادوا أن يقتلوا قضيَّته كما حاولوا أن يقتلوه عطشاً (روحي فداه)، لكنَّه بذل في هذا المجال ما لا يمكننا استيعابه، بل ويحتاج إلى جهد بحثى جبّار لاكتشافه ووضعه في إطار منهجي، لكنّي سأُشير إلى بعض اللقطات المهمّة؛ فعلى سبيل المثال: نلاحظ أنّ الحسين الله وهو يعلم أنّه مستشهد لا محالة _ كما صرَّحَ بذلك مراراً _ إلّا أنّه قام بجهد إعلامي جبّار للتعبير عن أمرين أساسيين هما:

أوِّلاً: إيصال الفكر من خلال عدالة قضيَّته، وصحَّة شعاراته وعقيدته، وارتباطها برسول الله حقًّا؛ أي: تقديم الرؤية العقدية والشرعية التي هي امتداد لحركة الأنبياء. ثانياً: كشف الزيف عند إعدائه، وبيان انحرافهم وظلمهم وبشاعتهم.

الالالحالية: إذن، كان الإعلام أحد مقوّمات النهضة الحسينيّة، وعليه فما هي الوسائل الإعلامية التي اعتمدها الإمام الله في نهضته؟

السيّد حسين الحكيم: لم تكن الوسائل آنذاك متيسّرة جداً، ولكنّه مع ذلك قدَّم ما تمكُّن منه، وبذل جهوداً عظيمة؛ فمضافاً لخطبه في مكَّة في موسم الحج وفي الطريق في كثير من التجمّعات، بل وبعثه كتباً إلى كبار الشخصيات في البصرة يدعوهم إلى نصرته، وقد خطب أيضاً في كربلاء خُطباً كثيرة رغم قصر المدّة، ولم يكن لينشغل

عن التعبير الإعلامي حتّى وهو في أشدّ الظروف؛ ففي اللحظة الصعبة التي أخرج وَلَده الرضيع فيها إلى أعدائه _ بعد أن أشر ف على الموت عطشاً _ ليُعلِن عن ظلامته وعطشه حتّى ذُبِحَ ولده بين صدره ونحره في فاجعة من أقسى ما واجهه الحسين اليَّلا في كربلاء.. لم يشغله مصابه بولده عن أن يرمى بدمه إلى الساء فيراه أكثرُ مَن كانوا في معسكر أعدائه.. فهذه الحادثة بأيّ قصد كان_سواء بقصد التعبير الإعلامي أو التضرّع إلى الله أو إقامة الحجّة على أعدائه _ جعلت من دم وَلَده جزءاً من الإعلام عن مظلمته وعدالة قضيته وبشاعة عدوه، بل نجد أنّ الحسين الله أخرج عياله معه، مع أنَّهنَّ تعرّضن إلى السبى ـ وهو من أعظم الفجائع ـ ولكن كان السبى أبرز الجهود الإعلامية للقضية الحسينيّة التي تمكّنت من أن تقلب معادلات الرأي العام، وتُحدِث فيه هزّة عنيفة رغم المرارة الكبيرة، والجرح العميق الذي أحدثه السبي في بيت الرسالة، بل حتّى في الساعة التي خرّ فيها صريعاً من على ظهر جواده لينتظر من عدوّه أن يذبحه كأشد ممّا انتظر إسماعيل الذبح وسلّم له، فقد روي عنه أنّه وهو يجود بنفسه «طلب منهم ماءً، فقال له رجل: والله، لا تذوقه حتّى ترد الحامية، فتشرب من حميمها. فقال: بل أرد على جدّى رسول الله وأسكن معه في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ارتكبتم منّى وفعلتم بي»(١).

أفكان_روحي فداه_لا يعلم أنّ أعداءه لا يسقونه الماء؟! أم كان يروم الإظهار عن مظلوميته وبشاعة عدوّه حتّى آخر نفس.

إنّنا اليوم بحاجة ماسّة إلى أن نستلهم من الحسين الله جهاده الإعلامي الذي نجح إلى حدٍّ كبير في إسقاط كل الشعارات التي كانت تتلفّع بها الخلافة الجائرة، وحقّق من خلال ذلك أعظم منجز لنهضته؛ وهو حماية الإسلام من تحريف الخلفاء الذين كادوا أن يُحوّلوا الإسلام من منهج للدّعوة إلى الحقّ وإرساء العدل بين النّاس إلى وسيلة

⁽١) ابن نيا الحلّى، محمّد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٥٧.

لاستغلال الشعوب والتسلُّط عليها باسم الله وكتبه ورسله، كما فصّل ذلك سيّدنا الأُستاذ المرجع الكبير السيّد سعيد الحكيم (دام ظله) في كتابه (فاجعة الطف)(١٠).

الخلاج الله عنه الله عنه الله عنه التكفيرية هل يمكننا نشر مخازي الإرهاب والإعلان عن بشاعته وإجرامه؟

السيّد حسين الحكيم: نعم، يجب أن نُعطى مسألة المظالم التي تعرَّض لها المسلمون عموماً وشيعة أهل البيت الملك بالخصوص أهميّة قصوى في توثيقها وبيان تفاصيلها الدقيقة، وعدم الاكتفاء بالكلام العمومي عنها؛ فإنّ في ذلك حفظاً لحقّ المظلومين، وبياناً لجرائم الإبادة الجماعية التي تعرّضوا لها، وأيضاً ترميزاً إعلامياً قويّاً لبراءة الإسلام من التكفير الإرهابي، فإنّ ضحاياه من المسلمين أكثر من غيرهم، وحقده الأسود عليهم أكثر من حقده على غيرهم.

هذا مضافاً إلى الأولويات الأُخرى التي يجب أن يتبنّاها الإعلام من تقوية الجانب المعنوي وتأكيد رمزية الحسين الله و ملاحم البطولات والشجاعة عند أهل بيته وأصحابه ونسائه وأطفاله، والتعبير عن الاستقامة والتقوى والعفّة لدى المدافعين المتأسّين بالحسين اليِّلا، والمواساة بينهم، بل والرفق حتّى بأعدائهم من الأسرى وغيرهم، ونبذ التعصّب والتحزّب، والإصرار على الخطأ، وغير ذلك من الجوانب الإنسانية الحافلة بالقيم والمثل العليا.

التدابير الحسينيّة الجهادية في الوقوف بوجه الإرهاب

المُنْ المُحَدِّدِينَ إِنَّانَ وقد اتَّضِحت المعالم الأساسية في البُعد الفكري، وكذلك البعد الإعلامي للمشروع الحسيني في مواجهة الإرهاب والتكفير الأعمى ومدى تكامل كل من البعدين مع الآخر، فإنّنا بحاجة أيضاً لأن نناقش الأبعاد والمقوّمات

⁽١) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص٥٩ في بعدها، ص٢٠٠ في بعدها.

الأُخرى في المشروع الحسيني، ولعل أهمّها هو الجانب الجهادي، فالإرهاب ليس شبهة فكرية كي تحلّ بندوة نقاشية، وليست حملة إعلامية كي يُردّ عليها بحملة مضادة، بل الإرهاب ممارسات عُنفية تثير الهلع والخوف عند المدنيين، وتهدم الحضارة، وتُدمّر كلّ مقوّمات الحياة.

السيّد حسين الحكيم: صحيح هذا، لكن يجب أن نتذكّر دوماً أنّ الإرهاب التكفيري لم يكن ليفلح في استدراج الأنصار المخدوعين، لولا وجود شبهات عقدية خطيرة تخدع بعض النّاس وتضلّهم ضلالاً بعيداً، فالعمل الفكري لإزالة اللّبس، والجهد الإعلامي لنشر الهدى كلاهما له دور محوري في تفكيك العبوات الفكرية الناسفة لعقول أُولئك الشباب، بأوهام يتحوّلون بسببها إلى انتحاريين يقتلون الإسلام الحقيقي بوهم الإسلام التكفيري.

نعم، أنا أُشاطركم الرأي في كون الجانب الجهادي هو الردع المباشر للحرب الإرهابية التكفيرية التي بدأت تتسع رقعتها، ولكن لم يكن الفكر ولا الإعلام بمستوى التحدي الكبير، ولو درسنا هذا الجانب عند الحسين الله فسنجد بعض العجائب:

أوّلاً: كان يحاول أن يقنع النّاس بنصرته ويدعوهم إلى ذلك بشتّى السّبل، حتّى أنّه أرسل إلى زهير بن القين (رضوان الله عليه) فتمكّن من إقناعه بنصرته، مع أنّه كان يتهرّب من لقاء الحسين الميلاً ويحاول التملّص من ذلك بشتّى السّبل.

ومن ذلك نستفيد أنّ الإمام الحسين الله كان يتّخذ كامل الاستعدادات اللازمة لمواجهة العدوّ من دون أن يكون توطين النّفس على الاستشهاد بل ولا العلم الحتمي بالشهادة _ سبباً في التسامح في هذا الشأن، فهو يفكّر تماماً بمنطق المقاتل الذي يريد أن يُميّئ كل ما يستطيع من أسباب النّصر، وهذا الدّرس من أهمّ الدروس التي تحتاجها الحرب ضدّ الإرهاب الذي يعتمد المكر والغدر واستهداف التجمّعات الآمنة؛

ممّا يو جب شرعاً اليقظة التامّة منه والحذر الشديد للمحافظة على أرواح الأبرياء.

ثانياً: إنّ سيد الشهداء في يوم عاشوراء اتّخذ استعدادات عسكرية فريدة، وقضى شطراً مهاً من ليلته الأخيرة بذلك، فقد قال ابن شهر آشوب في مناقبه: «أمر بأطناب البيوت، فقُرِّبَت حتّى دخل بعضها في بعض، وجعلوها وراء ظهورهم لتكون الحرب من وجه واحد، وأمر بحطب وقصب كانوا جمعوه وراء البيوت، فطُرح ذلك في خندق جعلوه وألقوا فيه النّار وقال: لا نُؤتى من ورائنا»(۱). وأيضا فقد حفر خندقاً وراء الخيام ليستقبل العدو من جهة واحدة فلا يتمكّنون من تطويقه (۲).

ثالثاً: إنّه لم يستخدم أساليب الاحتماء بالأماكن المقدّسة، ولا الاغتيالات، ولا العمليات الانتحارية، بل ولا استخدام عنصر المباغتة مع العدو، أو قطع الماء عنه، وأمثالها من الأساليب التي تتبعها القوى المقاومة الصغيرة التي تواجه دولاً أو قوى عظمى، وتبرّر ذلك عادة بعدم تكافؤ القوى، فه و الله لم يحتل مكة بمن معه من الأنصار ويتخذها أو مسجدها الحرام على الأقل حمى يستدرّ به عطف المسلمين، كما فعل ذلك عبد الله بن الزبير بعد استشهاد الإمام بسنة أو سنتين.

وهذا رسوله إلى الكوفة مسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) لم يقتل ابن زياد اغتيالاً؛ لأنّ (الإسلام قيد الفتك)، كما فعل الخوارج بقتلهم الإمام أمير المؤمنين المؤلفة.

والإمام الحسين الله سقى الحرّبن يزيد الرياحي - الذي خرج من الكوفة بأمرٍ من ابن زياد، وأرسل معه ألف فارس ليُجعج بالإمام الحسين الله ويُنزله بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء - بعد أن اشتدّ بهم العطش في أرضٍ قاحلة، ولم يمنعهم الماء، ولم يقبل مشورة بعض أصحابه بقتالهم وحرمانهم

⁽١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٤٩. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٥٦٠.

⁽٢) أنظر: المصدر السابق.

من الماء. مع أنّ أهل المدينة وفيهم كثير من التابعين وأولاد الصحابة عندما ثاروا على يزيد في سنة (٦٢) للهجرة؛ وهي السّنة التي تلت استشهاد الحسين الله كانوا قد وضعوا القطران في بعض الآبار التي تقع في الطريق بين العراق والمدينة؛ كي لا يتمكّن الجيش الأموي القادم لقتالهم من شرب الماء كما يذكر الطبري وغيره (١٠).

وفي ليلة العاشر من المحرّم لم يُبيِّت العدو ويباغته ويقتل منه أكثر عدد ممكن كما تفعل القوى الثورية المعاصرة فضلاً عن الإرهاب التكفيري.

إنّـه يستعد لمواجهـة العـدو أفضل ممّـا يفعلـه أيّ قائد عسكري محنّـك، ويحترم أخلاقيات الحرب كأنّه نبيّ يتلو على النّاس وحى الله إلى عباده.

إنّ القوانين المرعية التي تحفظ الحقوق والحرّيات في حال السّلم تُجمّد عندما تُعلَن حله حالة الطوارئ؛ لأنّ صوت الحرب يعلو على كل صوت. والحسين الميّل حمّا كان جدّه رسول الله عَيْل وأبوه أمير المؤمنين وأخوه الحسن المين عبّر في حربه عن قيم الإسلام ومُثُلِه أكثر ممّا يفعله أيّ أحد في حال السلم.

مبادئ الحسين الله الجهادية أمثلة تُحتذى

المن عصرنا ربيّا يعدّه عا البعض كلاماً مثالياً غير قابل للتطبيق؛ فالعدو المتوحّش إن رأى منّا هذه المرونة والاحتياط الشديد از داد ضراوة وتنكيلاً، واستغلّ هذه الطيبة المفرطة التي لا تصلح ولا تليق إلّا بمثل الحسين المناها.

السيّد حسين الحكيم: إشكالية المثالية والواقعية إشكالية عامّة، ربّما يواجه بها أيّ طرح قيمي وأخلاقي إسلامي، وصفوة القول فيها تتلخّص بنقاط:

العدد العاشر _ ا

⁽١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير: ج ٤٤، ص ٣٨٠.

أوّلاً: إنّ المثالية إن كانت حكماً شرعياً إلزامياً، فلا يجوز لنا تجاوزه حتّى وإن خفي علينا وجه الحكمة فيه؛ لأنّ حكم الله خطّ أحمر لا يتجرّأ عليه إلّا فاسق، فمثلاً حرمة البدء بقتال مَن لم يقاتل، وإن بيّت القتال، إن تمّّت أدلّتها الشرعية فلا تجيز القتال حتى وإن كان القتال المتعجّل المحرَّم يؤدّي إلى النّصر بخسائر أقل.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَفُسَهُمْ وَأَمُوٰ لَكُمْ بِأَنَ لَهُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللْلَّةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللللِّهُ اللللِّهُ اللللللللِّهُ الللللِّهُ الللللللللِّهُ الللللللللْمُولِللللللللللَّةُ الللللِللللْمُولِلللللللللْمُولِللللْمُولِلْمُولِلللْمُولِلْ

فلابد أن نحفظ حدود الله، ولا خيار لنا سوى ذلك، فهل يتحقّق الجهاد بالفساد؟! وهل يُطلَب النصر بالجور؟! أم هل يُطاع الله من حيث يُعصى؟!

ثانياً: إنّ هذا الالتزام المبدئي، وإن كان قد يُغري العدو بالجرأة على انتهاك الحرمات من جهة، لكنّه يُفكِّك تدريجاً تراكهات الحقد عند بعض أتباعه، ويُلغي من قاموس البعض منهم على الأقل شعوره بأنّ معركته عادلة.. هذا الشعور الذي إن تحقّق في الجانب المعنوي للمقاتلين ولو بسبب الجهل المركّب فإنّه يلهب الروح القتالية عندهم، ويزيد من فرصة انضهام مقاتلين آخرين إليه، وعندما يشعر عدوُّك بنبلك وشهامتك أو بإيهانك وقوّة بصيرتك، فإنّه يهتزّ، وقد ينتقل بعض أفراده ليحاربوا إلى جانبك، وقد روي أنّ عدداً من جيش ابن سعد قد انتقل إلى معسكر الحسين الله ليلة العاشر من المحرّم عندما رأوا عبادته وعبادة أصحابه (٢)، وكذا في اليوم العاشر عندما العاشر عندما

⁽١) التوبة: آية ١١١ ـ ١١٢.

⁽٢) أُنظر: ابن طاووس، على بن موسى، اللهوف في قتلي الطفوف: ص ٥٧.

انتقل الحرّ ومعه بعض الأفراد. إنّ المبدئية العالية عندك سلاحٌ فتّاك ضدّ معنويات عدوّك.

ثالثاً: إنّ المعركة التي تهدف إلى احتلال مدينة صغيرة أو كبيرة ربّم الا تخطط إلّا في حدود هدفها، ومعركة الحسين اليّلِ وأتباعه حتّى في هذا العصر هدفها الأوّل بعد الدفاع عن الحرمات هداية النّاس وإخراجهم من الظلمات إلى النّور، والحرب من أعظم اختبارات مصداقية أيّ مشروع أو منهج ينال المقاتلين فيه ثقة الشعوب الأُخرى إن كانوا يتسمون بالشرف ويحترمون القيم.

ولم نلاحظ شُعوباً دخلت في منهاج مَن احتربت معه، وتحوَّلت إلى جزء أساس من مشروعه كالشعوب التي قاتلت المسلمين في صدر الإسلام مع رسول الله على بل حتى من بعده عندما كانت الكثير من الأحكام الإسلامية الحربية قد تحوَّلت إلى قواعد في قتال غير المسلمين، وإن حصلت في بعض الأحيان خروقات كبيرة من بعده لولاها لدخل النّاس في الإسلام بشكل أوسع وبعقيدة أرسخ، بينها نجد اليوم أنّ أيّ شعب يتعرَّض إلى احتلال، ثمّ يرتكب الجيش الذي احتله بعض جرائم الحرب؛ يتحوَّل إلى عدو لدود للدولة التي احتلته، وتبقى الأحقاد والضغائن بينها أجيالاً وأجيالاً.

رابعاً: إنّ المبدئية العالية عند القادة في أوامرهم الميدانية تزيد الأتباع المقاتلين بصيرة وهُدًى وإيهاناً واحتساباً؛ بكونهم على حقّ، خصوصاً في الأوساط التي تنتمي إلى الأنبياء والأوصياء والفقهاء الأتقياء، وتُحقِّق لهم من الروح المعنوية ما لا يصنعه أيّ غدر أو انتقام أو تشفّي.

خامساً: إنّ الثقافة الحربية الانتهازية التي لا تراعي حُرمات العدو، تُورِث أعقد المشاكل الكبرى التي تتعرّض لها المجتمعات من محاربيها إن وضعت الحرب أوزارها، فإنّ من أعقد تداعيات الحروب رجوع المقاتلين إلى مجتمعاتهم المدنيّة، وهم يحملون بين جوانحهم قلوباً قاسية، وعادات شرسة في التعامل، وجرأة على سفك

المستسمى دور القيم الحسينية في مواجهة الإرهاب

وعلى كلّ المجاهدين الصالحين الندين يعتقدون برسول الله عَيْنُ وأهل بيته المَّا ومنهم الإمام الحسين الله عَن يواجهون الإرهاب التكفيري أن يلتز موابهذا النّهج أوّلاً؟ لأنّهم أتباعه وشيعته، فلا يسعهم إلّا أن يأخذوا بمنهاجه. وثانياً: لأنّ الإسلام يتعرّض اليوم إلى تشويه هائل بسبب المهارسات الإرهابية التكفيرية، كها كان حكم الخلافة في عصر الإمام الحسين الله وأجدر من يستحقّ شرف إظهار الحقيقة الناصعة للإسلام ونهج محمّد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) هم أتباعهم، والمواجهة مع التكفير وأشياعه وأتباعه فرصة ذهبية للتأسي بآل محمّد عليهم أمعين أنه ما فيها من آلام وتضحيات.

وسائل ترسيخ القيم الحسينيّة في المجتمع

المنافظية: هل يمكننا الوصول إلى هذا المستوى من الاقتداء بالحسين الله واستلهام قيمه الإسلامية العليا وتجسيدها في الميدان؟ وما هي الوسائل التي تمكّننا من ذلك؟

السيّد حسين الحكيم: لسنا عاجزين عن الوصول إلى ذلك وبمساحات مختلفة.

⁽١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٦٦.

نعم، إنّ القيم الحسينيّة تختلف في حضورها في المشهد الجهادي المعاصر لأتباعه؛ فبعضها وبحمد الله ملموس وبوضوح، مثل: قيم التضحية والإيثار، والصبر والاحتساب عند الله، والنّفس الطويل في مواجهة العدوان. وأمّا قيم النزاهة والأمانة والانضباط بالضوابط الشرعية القتالية فهي تشهد تحسّناً وتنامياً ملحوظاً، وتُمثّل علامة بارزة وفارقة بين المؤمنين بالحسين الله وبين عدوّهم الأرعن (الإرهاب التكفيري) الذي يفتضح يوماً بعد آخر، مع كل ما تمارسه الماكنة الإعلامية الكبرى التي تحاول بشقّ الأنفس التخفيف من وطأة جرائمه، وتضليل الرأي العام عنها بالتخفيف منها تارة وبتعميمها على القوّات التي تواجهه، وبالأخص قوات الحشد الشعبي الباسلة تارة أُخرى.

والوسائل التي تساعد على تنمية هذه القيم وتحويلها إلى تقاليد عامّة كثيرة ومتحرّكة، وقابلة للتجديد والتوالد المتدفّق، وقد يكون منها على سبيل المثال لا الحصر:

أوّلاً: تعميق البحوث الفكرية والفقهية بالتحديد في هذه المسائل؛ لأنّ كثيراً من الأخطاء التي تُرتَكَب تعود إلى جهل بالأحكام، أو بالاستناد إلى فتاوى بغير علم.

ثانياً: نشر هذه القيم بمختلف الوسائل الإعلامية التقليدية، مثل: الكتاب والمنبر الحسيني. والحديثة، مثل: الفضائيات، ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها.

ثالثاً: التواصل المستمر - كما هو حاصل بنسب عالية - بين علماء الحوزة وطلابها ومبلّغيها، وبين المتطوّعين والمقاتلين من مختلف القوى الأمنية، وعلى الساتر الأمامي في كثير من الأحيان.

رابعاً: تشجيع الأدب والفن بكل أدواته الجمالية والوجدانية؛ كي يُعبِّر عن هذه القيم، ويُجسِّر العلاقة بين القضيّة الحسينيّة والجهاد المعاصر الكبير في مواجهة الإرهاب التكفيري.

خامساً: _وهو من أهم الأُمور _اعتبار القضيّة الحسينيّة بمعالمها الرئيسة جزءاً لا يتجزّأ من الهوية الوطنية، واهتهام البحث الأكاديمي العسكري العراقي وغير العراقي ببلورة ذلك، واستنباط معالم المدرسة القتالية الوطنية من القضيّة الحسينيّة، فإنّها هي التي تنبثق من وجدان الشعب، وهي التي تستطيع بناء شخصية المحارب الشجاع المنضبط الذي يُضحِّى بسخاء ويُقاتل بشر ف.

وأدعو المراكز البحثية في الحوزة العلمية، والعتبة الحسينيّة المقدّسة، ووزارة الدفاع والداخلية العراقية لتنسيق الجهود في بلورة معالم مدرسة عسكرية حسينيّة معاصرة تنطلق من قيم الحسين الله و و و و و جدان المقاتل، و تستفيد من تجربة الاستجابة المنقطعة النظير لفتوى الدفاع الكفائي؛ كي تضيف للمدارس العسكرية المعاصرة الكثير ممّا تفتقر إليه.

إنّ ذلك قد يساعد كثيراً في خروج القوى الأمنية العراقية وغيرها من أزمة الهوية الموجّدة التي تنعكس سلباً على الروح المعنوية القتالية، وتجاوز الكثير من الخلل في النزاهة المالية والإدارية وضعف الانتهاء الوطني، فالحسين وأبوه على أمير المؤمنين وجدّه رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) رموزٌ وطنية للجميع، أكبر من أن يصادرها مكوِّن خاص، وأعظم من أن نجد عنها بديلاً وطنياً حقيقياً.

إنَّ الاكتفاء بكون الرمز الوطني الواحد هو (العراق) مشلاً ككلمة خالية من أيَّ مضمون واقعي، لا يصلح لكي يملأ الفراغ، فالعراق بلا محمّد عَلَيْ وعلي والحسين الميلي عراق بلا عراق.

المن الحكيم: في الختام هل من كلمة أخيرة تختصر اللقاء وتفتح الآفاق للمزيد؟ السيّد حسين الحكيم: الإمام الحسين الحكيم، وكالقرآن الكريم، لا يُسبر غوره ولا تحصى مناقبه، وإنّ من أعظم مناقبه ما نلمسه اليوم أكثر من أيّ يوم مضى من تأثيره الكبير في حركة التاريخ، وفي بناء الإنسان، وسنخرج إن شاء الله

من هذا التحدّي الإرهابي التكفيري أصلب عوداً وأقوى بصيرة بقيم الحسين الله من هذا التحدّي الإرهابي التكفيري أصلب عوداً وأقوى بصيرة بقيم الحسين الله وأصْلَحَ ما كانَ وأَصْلَحَ ما كانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيانا. وَبِمُوالاتِه مَّتَ الكَلِمَةُ، وَعَظُمَتِ النَّعْمَةُ وَائْتَلَفَتِ الفُرْقَةُ»(١).

المنافضية: نشكركم سماحة السيد على هذه الإفادات القيّمة، ونتمّني لكم مزيداً من التوفيق.

السيّد حسين الحكيم: كذلك أشكركم على إتاحة هذه الفرصة الكريمة، متمنّياً لكم مزيداً من التألق والنجاح.

⁽١) الصدوق، محمد بن على، عيون أخبار الرضايك: ج٢، ص ٣٠٩.



التطرّف في الجدل المذهبي

سماحة العلّامة الشيخ معين دقيق العاملي *

تمهيد

كلُّ باحثٍ إِذا أراد أنْ يعالج ظاهرةً ما منتشرةً في المجتمع، فلابدٌ له من أنْ يواجه في بحثه حقيقة هذه الظاهرة وخصائصها، وانعكاساتها السلبية، وإفرازاتها الحادّة.

وإذا كانت هذه الظاهرة لها أبعادٌ مختلفة، بحيث يُعتبَر كلّ بُعدٍ من أبعادها ظاهرةً مستقلّة، فلابد في المقاربة العلاجية من تشقيقها إلى أبعادها المختلفة، ودراسة كلّ بُعدٍ على حدة؛ ليتسنّى له حينئذٍ من إعطاء الوصفة العلاجية الناجعة بحكمة ورويّةٍ في ضوء موازين الحقّ والعدل.

ومن الظواهر التي كانت موجودةً في المجتمعات الإنسانية عبر العصور _ وبلغت ذروتها في وقتنا الحالى _ هي ظاهرةُ التطرّف في أبعادها المختلفة.

فلابد لنا من أنْ نتعرّف على ماهية هذه الظاهرة، وأبعادها المختلفة، ومن ثمّ نخصّص البحث في ظاهرة التطرّف الفكري في مقاربة فضائل أهل البيت الميالية؛ لنفتح المجال أمام إشكاليات أُخرى ترتبط بعلاج هذه الظاهرة وكيفية القضاء عليها.

أستاذ في الحوزة العلمية.

إشكالية البحث وأسئلته

الإشكالية التي أُريد معالجتها هنا عبارة عن تحديد مفه وم (التطرّف) وماهيته، وبيان خصائصه وحدوده، وتطبيق ذلك على أمرٍ شائع قديماً وحديثاً في مجال الجدل المذهبي.

وعليه؛ فإشكالية البحث تتمحور في ثلاثة محاور أساسية، يتضمّن كلّ محور مجموعة من النُّقاط التي تمثّل الأسئلة الفرعية لهذه المقالة.

المحور الأوّل: يرتبط بالمبدأ التصوُّري لمصطلح (التطرّف)، ويتمّ استيعابه في ضمن الإجابة عن النُّقاط التالية:

- ١- في المراد من مفهوم التطرّف لغةً واصطلاحاً.
 - ٢- في بيان المفردات المشابهة لهذا المصطلح.
- ٣- في الضابط الَّذِي على أساسه نميّز نقطة الوسطية بين الإفراط والتفريط،
 والغلوّ والتقصير، والتطرّف وعدمه.

المحور الثاني: يرتبط بالمبدأ التصوّري لمصطلح (الجدل المذهبي)، ويتمّ استيعابه في ضمن النُّقطتين التاليتين:

- ١- في المراد من الجدل المذهبي.
- ٢- في أنواع الجدل من حيث المذموميّة والممدوحيّة.

المحور الثالث: ويرتبط بالنموذج التطبيقي للتطرُّف في الجدل المذهبي، ويتمُّ تطبيقه على:

- ١- النموذج السلبي.
- ٢- النموذج الإيجابي.

المحور الأوّل: جولةٌ في مفهوم التطرّف

إِنَّ أُوِّل مشكلةٍ تواجه الباحث في القضايا ذات البُعد السياسي والاجتماعي تتعلَّق بتحديد المصطلح والمفهوم؛ لأنَّ أيِّ انحرافٍ بل و(تطرُّف) في البحث عنه سوف يقلب الأحكام الثابتة للمصطلح رأساً على عقب؛ وبالتالي يبتعد الباحث عن الصواب ويجانب الوصول إلى الحقيقة.

هذا، والغرض الأصلي في البحث عن معنى أيِّ مفهوم من المفاهيم الأساسية وإنْ كان هو تشخيص المعنى الاصطلاحي للكلمة، لكنْ كثيراً ما يكون تشخيص المعنى اللُّغوي ذا دور فعّال في الوصول إلى معناه الاصطلاحي، وليس ذلك إلَّا لأنَّ الغالب في المعاني الاصطلاحية أنْ تكون من قبيل المنقول المنطقي، ومن المعلوم أنَّ المنقول يُؤخَذ من المعنى الأصلى للكلمة بحسب وضعها اللُّغوي أو العرفي مع مراعاة المناسبة. وعلى هذا الأساس؛ يكون تنقيح المدلول اللُّغوي أو العرفي للكلمة نافعاً في الأمرين التالين:

الأوّل: تسليط الضوء على تلك العلاقة القائمة بين المعنى المنقول منه اللَّفظ والمعنى المنقول إليه، وهي التي يُعبَّر عنها بالمناسبة بين المنقول منه والمنقول إليه.

الثاني: معرفة التدرُّج والتطوُّر الـذي مرّ على الكلمة إلى حين استقرار معناها الجديد. فكثيراً ما تحمل الكلمة في سبرها التطوّري بعض إيجابيات المعنى السابق أو سلبياته، من دون أنْ تكون كذلك بالفعل في أصل وضعها المعجمي.

وهذا ما سوف نقوم به بالنسبة لمفردة (التطرّف).

١ ـ مفهوم التطرّف لغة واصطلاحاً

أ ـ التطرّف لغة

إذا عرفنا أَنَّ كلَّ مفردةٍ من المفردات يتكوَّن معناها النهائي من خلال المعادلة



التالية: (المعنى المعجمي للمادة + الهيئة الصرفية) = المعنى اللُّغوي للمفردة. ففيها نحن فيه تتكوّن المعادلة بالشكل التالي:

(المعنى المعجمي للمادة): الطاء والفاء والراء أصلان: فالأوّل يدلُّ على حدِّ الشيء وحَرفه، والثاني يدلُّ على حركةٍ في بعض الأعضاء. فالأوّل طَرَفُ الشيء كطرف الثوب أو الحائط. ويقال: ناقة طَرفَة. ترعى أطرافَ المرعَى و لا تختلط بالنُّوق. وقولهم: عينٌ مطروفة، من هذا؛ وذلك أن يصيبَها طَرَف شيءٍ، ثوبِ أو غيره، فتَغْرَوْرِق معاً.

والأصل الآخر الطَّرْف، وهو تحريك الجفون في النظر. هذا هو الأصل ثمَّ يُسمُّون العنَ: الطُّرْف، محاز أُ(').

ولا شكّ في أنَّ المعنى المعجمي المناسب للمصطلح الَّذِي نبحث عنه هو الأصل الأوّل دون الثاني، فتدلُّ الكلمة في معناها المعجمي على الحدّ والحَرْف.

(الهيئة الصرفية): مفردة (التطرّف) على وزن (التفعُّل)، وهي من صيغ الزوائد، ومن المعروف أنَّ الزيادة في المبنى زيادةٌ في المعنى، والمناسب في المقام أن تدلَّ الصيغة على التكثير في الأخذ بالفعل.

(النتيجة النهائيّة): أنَّ المتطرِّف هو ذلك الفاعل الذي يُكثِر من الإمساك والأخذ بطرف الشيء وحرفه، ويبتعد عن حدّ الاعتدال والتوسُّط.

ب التطرّف اصطلاحاً

لم تكن هذه الكلمة شائعة الإطلاق في النُّصوص الدينية في زمن المعصومين الكين، ولا في عصر التابعين والعلماء، إلَّا في معناها المعجمي بحسب الأصل الثاني المتقدِّم، وهو تحريك جفون العين، ففي الخبر عَنْ أبي عبد الله الله الله عنان «إذا شَكَكْتَ في حَيَاةِ شَاةٍ وَرَأَيْتَهَا تَطْرِفُ عَيْنَهَا، أَوْ تُحَرِّكُ أُذْنَيْهَا، أَوْ تَمْضَعُ بِذَنْبِهَا؛ فَاذْبَحْهَا؛ فَإِنَّهَا لَكَ حَلَال "''). وبهذا المعنى استُعمِلَت في البحوث الفقهية عند علماء الشريعة.



⁽١) أُنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللُّغة: ج٣، ص ٤٤٩.

⁽٢) الكُلَيْني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٢٣٢.

نعم، شاع استعمالها بحسب الأصل الأوّل في غير النُّصوص الدينية، إِلّا أَمّا في القرن المنصر م وصولاً إلى أيامنا هذه أخذت هذه الكلمة منحى الظاهرة الاجتماعية التي تُعبِّر عن: الخروج عن النَّسق العام، ومنظومة القيم والمبادئ والأفكار الشائعة والرائجة والمتوافق عليها بين النّاس. والخروج المذكور يرتبط ارتباطاً وثيقاً بها تُضاف إليه هذه الكلمة، فقد تضاف إلى الدين، فيقال: (التطرّف الديني)؛ فتعني الخروج عن الوسط في أُمور الدين، والوسط هي النُّقطة القائمة بين الغلوّ والتقصير، كها في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْتَكُمُ الله التي فُسّرت بها هذه الآية هو أن: هذه الأُمّة لم تغلُ غلوّ النّصارى في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم، وقد تُضاف إلى الفكر، فيقال: (التطرّف الفكرى)؛ فتعنى: خلاف الوسطية وقد تُضاف إلى الفكر، فيقال: (التطرّف الفكرى)؛ فتعنى: خلاف الوسطية

وقد تُضاف إلى الفكر، فيقال: (التطرّف الفكري)؛ فتعني: خلاف الوسطية الفكرية، التي من مظاهرها التشبُّث بالرأي والمغالاة فيه، وعدم قبول فكر الآخر بمعناه السلبي المتجاوز عن الحدّ، مها كان فكر الآخر موضوعياً ويشتمل على مقوّمات صدقه.

٢ـ مفرداتٌ مشابهة

والتطرّف كظاهرة اجتهاعية يعادل مفردات كانت رائجة في زمن النُّصوص الدينية، من قبيل: الغلو الذي هو في أصل اللَّغة تجاوز الحدّ، يقال: غَلَا السّعرُ يَغْلُو غَلاءً، وغَلَا الناس في الأمر؛ أي: جاوزوا حدّه، كَغُلُوِّ اليهود في دينها (").

والغلو يقع في العقيدة من حيث فهم مقاصد الدين، كما يقع في العبادة من

⁽١) البقرة: آية ١٤٣.

⁽٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج٢، ص١٥٤.

⁽٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج٤، ص٤٤٦.

حيث تطبيق الفهم الخاطئ المتجاوز للشرع، كما يقع في المعاملات مع الآخرين من المسلمين وغيرهم؛ حيث يجنح المغالي أو المتطرِّف أو المتنطِّع لمحاكمة الآخرين وفق فكره ومعتقده وتصوره المتجاوز للشرع، والمنحرف عن الصراط المستقيم والقسطاس الحق().

وهذه الكلمة المعبِّرة عمّا يُعبِّر عنه التطرّف في عصرنا كثيرة الشياع في النُّصوص الدينية وكلمات علماء الدين على اختلاف اختصاصاتهم الدينية، وتُعتَبر من أوصاف القدح في علم الرجال والدراية.

فالتطرّف الَّذِي يعني التجاوز الأبعد لحدَّي الإفراط أو التفريط، وقريبٌ منه التعصُّب، كلّها مفردات تُعبِّر عن تلك الظاهرة الاجتهاعية التي أشرنا إليها، ولكنّ الإشكالية الأساس التي تواجه الباحث أنَّه كثيراً ما لا يكون هناك اتّفاقٌ على تحديد (نقطة الوسط) حتى يتعيِّن الطّرف الذي يُعدُّ الأخذ به تطرُّفاً وغلواً؛ ولذا كان لابدً لنا من الاستعانة بالنُّصوص الدينية لتحديد معالم هذا المفهوم وخصوصيّاته.

٣ ـ نقطة الوسطية في النَّصوص الدينية

والذي يفهمه كلّ مراجع للنُّصوص الدينية وتعاليم القرآن الكريم وسيّد الأنبياء والمرسلين عَيَّا والأحمّة الهداة المعصومين الميّا ، هو أنَّ كلّ حركة وفعل له ضوابطه الشرعية ، ويُعَدُّ الخروج عنها إلى أحد الحدّين إفراطاً وتفريطاً وغلواً وتقصيراً. وعليه؛ فالعمل بالضوابط الشرعية ، وعدم التجاوز عن الحدود التي حدّها الله تبارك وتعالى يُعتبر نقطة الوسط التي يكون الخروج عنها تطرُّ فاً وغلواً وتقصيراً.

وإليك بعض الأوصاف التي وردت في كلام لأمير المؤمنين الملكي تصلح دستوراً للاعتدال والوسطية الذي ينال به المؤمن الجنان ورضا الرحمن، وقد جاءت بصيغة

⁽١) من مقال للدكتور عبد الرحيم عمر محيي الدين، تحت عنوان: (الغلو والتطرّف الديني: الأسباب وسبل العلاج).

الْمُؤْمِنُ هُوَ:

_ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ.

_ لَا حَقُودٌ وَلَا حَسُودٌ.

_ لَا وَثَّابٌ وَلَا سَبَّابٌ وَلَا عَيَّابٌ وَلَا مُغْتَابٌ.

_ سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَيِّنُ الْعَريكَةِ.

_رَصِينُ الْوَفَاءِ، قَلِيلُ الْأَذَى.

_ لَا يَحِيفُ فِي حُكْمِهِ، وَلَا يَجُورُ فِي عِلْمِهِ.

_ لَا عَنِفٌ وَلَا صَلِفٌ.

_عَدْلٌ إِنْ غَضِبَ، رَفِيقٌ إِنْ طَلَبَ.

_ خَالِصُ الْوُدِّ، وَثِيقُ الْعَهْدِ، وَفِيُّ الْعَقْدِ.

ـ لَا يَغْلُظُ عَلَى مَنْ دُونَهُ.

_ لَا بِفَحَّاشِ وَلَا بِطَيَّاشِ.

_ وَصُولٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ، بَذُولٌ فِي غَيْرِ سَرَفٍ.

_ لَا بِخَتَّالٍ وَلَا بِغَدَّارٍ.

- لَا يَقْتَفِى أَثَراً، وَلَا يَحِيفُ بَشَراً.

_رَفِيقٌ بِالْخَلْقِ، سَاعِ فِي الْأَرْضِ.

_عَوْنٌ لِلضَّعِيفِ، غَوْثٌ لِلْمَلْهُوفِ.

_ يُقِيلُ الْعَثْرَةَ، وَيَغْفِرُ الزَّلَّةَ.

_ يُحْسِنُ بِالنَّاسِ الظَّنَّ.

_ لَا يُتَوَقَّعُ لَهُ بَائِقَةٌ، وَلَا يُخَافُ لَهُ غَائِلَةٌ.

_ كُلُّ سَعْي أَخْلَصُ عِنْدَهُ مِنْ سَعْيِهِ، وَكُلُّ نَفْسٍ أَصْلَحُ عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ.

تطرِّف في الجدل المذهبي



- _ مَرْجُوٌّ لِكُلِّ كَرِيهَةٍ، مَأْمُولٌ لِكُلِّ شِدَّةٍ.
- _هَشَّاشٌ بَشَّاشٌ، لَا بِعَبَّاسٍ وَلَا بِجَسَّاسٍ.
 - _عَفْوُهُ يَعْلُو حِقْدَهُ.
 - _ لَا يَهْجُرُ أَخَاهُ، وَلَا يَغْتَابُهُ، وَلَا يَمْكُرُ بِهِ.
- _ كَظُو ماً غَيْظَهُ، صَافِياً خُلُقُهُ، آمِناً مِنْهُ جَارُهُ.

ألَا ترى أنَّ مَن اتّصف بهذه الصفات يكون سائراً في معاملته مع النّاس طريق العدل والصواب، وكان من أفراد الأُمّة الوسطى التي أرادها الله أنْ تكون شهيدة على النّاس.

وليقارن كلّ واحدٍ منّا نفسه مع هذه الصفات؛ ليرى على أيّ نقطةٍ من النُّقاط قع.

الوسطية في كلام سيّد الشهداء السيّد

الكلات المأثورة عن الإمام الحسين الله في هذا المجال وإنْ كانت قليلة، إِلَّا أنَّها تفي لتحديد منهج صحيح يسير عليه الإنسان، فيبتعد عن التطرّف بأبعاده المختلفة، خصوصاً في مقام العقيدة والعمل.

ومن هذه الكلمات النيِّرة مقولته المشهورة السائرة مثلاً بين النَّاس، التي قالها بعد أَنْ أصبح وحيداً في كربلاء، وقد قُتِل صحبه ووُلده وأهل بيته، أراد الأعداء أَنْ يَحد أَنْ أصبح وحيداً في كربلاء، وقد قُتِل صحبه ووُلده وأهل بيته، أراد الأعداء أنْ يهجموا على رحله وعياله: «وَيْلَكُمْ يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ، وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ المَعَادَ، فَكُونُوا أَحْرَاراً في دُنْيَاكُم»(١).

فالإنسان وإنْ لم يُرِد التعبُّد بدين يمكن له أنْ يكون وسطياً في الحياة، مجانباً للتطرُّف والخروج عن حدّ الاعتدال؛ وذلك بأنْ يكون حرّاً في حياته؛ لأنَّه إنْ كان مستعبَداً لشهواته، ولإنسان مثله، فسوف يُخرجه هواه عن جادة الاعتدال والإنصاف والوسطية، ويعمل على وفق ما يُمليه عليه هواه وشيطانه.



⁽١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٤، ص٥٥.

وإنْ شئتَ فقل: يوجد أربعة مراجع للإنسان في سلوكه وتصر فاته:

المرجع الأوّل: الدِّين وأحكامه والخوف من يوم المعاد

فالإنسان إذا أراد أن يقوم بأفعال ـ لا سيما العظيمة ـ يتجنّب مخالفة أحكام الدين؛ لئ يُعذّب يوم المعاد. نعم، قد يغفل الإنسان أو يتغافل عن كون بعض الأفعال معصية، ولكن عند تذكيره بالمعاد وتوضيح عظم هذا الفعل وحرمته، يرجع عما قصده من المعصية والخروج عن خطّ الاعتدال والوسطية؛ ونموذج هذا النمط ما نلمسه واضحاً من مدرسة القيم في كربلاء الشهادة في الموقف الذي وقفه الحربن يزيد الرياحي، بعد أن سمع كلام الإمام الحسين المسلا و تذكيره للقوم فخير نفسه بين الجنة والنار، وحينها قال كلمته التي خلدته في تاريخ القيم والمبادئ: «إني ـ والله - أخير نفسي بين الجنة والنار، فوالله، لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطّعت وحُرّقت» (١٠).

المرجع الثاني: العادات والتقاليد

فكثيراً ما تكون العادات والتقاليد والقوانين الاجتهاعية مانعاً من اقتراف الإنسان بعض الأفعال، ومن القوانين العربية منذ زمن الجاهلية عدم القتال في الشهر الحرام، وعدم التعرُّض للنساء والأطفال بالتخويف والترويع، لا سيها مع حياة الرجل صاحب النساء. ولكن تلك الطغمة الأُموية التي وقفت في الجبهة المقابلة للإمام الحسين الميلا لم ترع حتى القوانين والأحكام العربية؛ إذ أقدموا على نهب رحله في حياته الميلا فكلمهم بالكلهات التي ذكرناها آنفاً فأحجموا عن ذلك بأمر بعض قادتهم، إلا أنهم أسر فوا في ذلك بعد شهادته الميلا. وهذا ما نشاهده بأم أعيننا في التكفيريين أينها حلّوا.

⁽١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص ٩٩.

المرجع الثالث: الشرف والحرية الذاتية

كثيرٌ من الأفعال أو الأقوال يتركها الإنسان الشريف حتى ولو لم ينه عنها الدين أو المجتمع؛ وله خانرى بعض الأفراد كانت تمتنع عن شرب الخمر أو الزنا في زمن الجاهلية. إذن، الإنسان هنا يفكّر بحرية؛ ليرى الحق من الباطل، ويميّز بين الخير والشر، بين الصواب والخطأ، وحينئذٍ يترفّع عن كثير من المساوئ والعيوب، ويسير في خطّ الاعتدال والوسطية.

المرجع الرابع: العبودية للغير

هنا يصبح الإنسان عبداً لغيره، ولا يرفض له طلباً، ولا يسمح لنفسه بالتفكير في صحّة ما يقوم به أو خطأه، بل يُطمَس على قلبه، فلا يرى ولا يسمع ولا يعقل أيّ شيء ما عدا أوامر سيّده، سواء أكان سيّده هو يزيد أم مُلْك الريّ أم غير ذلك، فكانت من هؤلاء الأوغاد في المعسكر الأُموي المواقف المختلفة والمتعددة بتعدد البواعث التي تدفعهم لذلك.

والحاصل: إنْ لم يكن الإنسان ذا دين ويخاف يوم المعاد، فلا يصبح عبداً لغيره يسيّره كيف يشاء ويشتهي، فيفقد كلّ شيء حتى إنسانيّته وشر فه واستقلاله، ولا أقلّ من تحكيم العقل والفطرة؛ ليتَّخذ القرار الصحيح والنهج السليم في حياته الدنيوية.

المحور الثاني: التطرّف في مقام الجدل

كَثُر في العقدين الأخيرين ـ نتيجةً للتّفجُّر التكنولوجي الحديث في مجال الإعلام والدّعاية _ الجدل المذهبي بين الفرق الإسلاميّة، واشتد أواره بحيث يمكن القول: بأنَّه فاق كُلِّ جدلٍ في التّاريخ.

وهذا الجدل ليس أمراً بدعياً، بل له جذورٌ تمتدُّ بامتداد الإنسانيّة، ونتيجة حتميّة للانشقاق المعرفي بعد أنْ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَرَحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيّتَنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِنْبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾(١).

(١) البقرة: آية ٢١٣.

وهو نتيجة لحتميّته من جهة، وفطريّته من جهة أُخرى، لا يُعدُّ ظاهرةً مرضيّةً في الأُمّة ـ أيّ أُمّة ـ بل هو إنْ أُحسن تنظيمه على وفق الضّوابط المنطقيّة والفطريّة، وسار على الطريقة الوسطى، وجانب التطرّف والغلّو الفكري والعقدي كان ـ حينئذ ـ وسيلةً من أفضل وسائل المعرفة والهداية، كيف وقد قال تعالى: ﴿وَجَدِلُهُم بِاللِّي

ولذا؛ كان من اللازم الرَّبط بين التطرّف والجدل المذهبي عملاً في صورتين متقابلتين: صورةٌ مشرقةٌ اتِّخذت الوسطية والحقّ والإنصاف شعاراً، وصورةٌ مظلمةٌ اتِّخذت التطرّف والغلوّ والتعصُّب دثاراً.

ولكن قبل ذلك يحسن بنا أنْ نمرَّ على مفهوم الجدل وأنواعه بحسب ما يُستفاد من النُّصوص.

١ _ جولةً في مفردة الجدل

وهو في اللَّغة له أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومة ومراجعةِ الكلام(٢).

فالمجادلة: مفاوضةٌ على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من: جَدَلْتُ الحبل، أي: أحكمت فتله (٣).

وقد شاع استعمال هذه الكلمة في زمان ترجمة التُّراث اليوناني إلى العربية في فنً وصناعة كانت تسمّى عندهم (طوبيقا)، وعرّفوا صناعة الجدل بأمّا: «صناعة علمية يُقتدر معها حسب الإمكان على إقامة الحجّة من المقدّمات المسلَّمة على أيّ مطلوب يراد، وعلى محافظة أيّ وضع يتفق على وجه لا تتوجّه عليه مناقضة»(٤).

⁽١) النحل: آية ١٢٥.

⁽٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج١، ص٤٣٣.

⁽٣) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفر دات ألفاظ القرآن: ص١٨٩.

⁽٤) أُنظر: المظفر، محمد رضا، منطق المظفّر، مبحث صناعة الجدل.

وقد أُخذت في ماهيّته - كصناعة - قيودٌ للتفريق بينه وبين سائر الصناعات الخمس، لا يهمّنا التعرُّض لها، ما دُمنا نعتقد بوفاء المعنى اللَّغوي والعرفي للكلمة في تأهيلنا لاستيعاب النُّصوص الواردة فيه.

٢ _ أنواع الجدل في النَّصوص الدينية

على الرغم من أهمّية الجدل في حياة البشر، ودعوة القرآن إلى ممارسته كما تقدّم، نجد في الوقت نفسه نهياً في النُّصوص الدّينيّة عنه؛ ممَّا يدلّل على أنَّ الجدل منه ما هو مذمومٌ ومنه ما هو ممدوحٌ. وكأنَّه لكثرة مصاديقه المذمومة توهم بعض الرُّواة أنَّ الجدال منهيٌّ عنه على وجه الإطلاق، ففي كتاب (الاحتجاج) تفصيل لذلك على أكمل وجه، حيث روي عن مولانا أبي مُحمّد العسكري اللهِ أنَّه قال: «ذُكِرَ عِنْدَ الصَّادِقِ اللهِ الجِّدَالُ فِي الدِّينِ وأنَّ رَسُولَ اللهَ عَيَّالُهُ وَالْأَوْمَّةَ اللهِ عَنْهُ. فَقَالَ الصَّادِقُ اللهِ: لَمْ يُنْهَ عَنْهُ مُطْلَقاً، وَلَكِنَّهُ نُهِيَ عَنِ الْجِدَالِ بِغَيْرِ التي هيَ أَحْسَنُ. أَمَا تَسْمَعُونَ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَلَا جُكِدِلُواْ أَهْلَ الْكِتَبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١)، وَقَوْلَهُ: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١). فَالْجِدَالُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ قَدْ قَرَنَهُ الْعُلَمَاءُ بالدِّين، وَالْجِدَالُ بغَيْرِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مُحَرَّمٌ حَرَّمَهُ الله عَلَى شِيعَتِنَا. وَكَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ الجُدَالَ جُمْلَةً وَهُوَ يَقُـولُ: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِتُكُمْمٌ قُلْ هَاتُوا بُرَهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ﴿ (")، فَجَعَلَ اللهُ عِلْمَ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانَ بِالْبُرُهَانِ، وَهَلْ يُؤْتَى بِبُرْهَانِ إِلَّا بِالْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...»(٤)، وهي روايةٌ طويلةٌ تذكر أنواع الجدل على أكمل وجهٍ، فلتراجَع.

⁽١) العنكبوت: آية ٤٦.

⁽٢) النحل: آية ١٢٥.

⁽٣) البقرة: آية ١١١.

⁽٤) الطّبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج١، ص١٤.

وبعد هذا البيان الشّافي من قِبَل الإمام الله للجدال بالتي هي أحسن، وللجدال بغير التي هي أحسن، وللجدال بغير التي هي أحسن، لا بأس بالاستقراء السّريع للنُّصوص القرآنية والأحاديث الواردة عن النّبي عَلَيْ وأهل بيته الكرام المالي في مجال بيان مصاديق النّوع الثّاني، وبالمقايسة يستطيع الخبير أنْ يقف على الجدل الممدوح؛ إذ الأُمور تُعرف بأضدادها:

- الجدال بغير علم، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ
 كُلَّ شَيْطِينِ مَّرِيدٍ ﴾ (١).
- الجدال بالباطل لإدحاض الحقّ، قال تعالى: ﴿كَذَبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوجٍ
 وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتَ كُلُ أُمَّةٍ بِرَسُولِمْ لِيَأْخُدُوهُ وَجَدَلُوا بِٱلْبَطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْخَقَ فَأَخَذْ ثُهُمُ قَكَيْفَ كَانَ عِقَابٍ ﴾ (١).
- الجدال بعد تبين الحق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا السَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا السَّهُ عِينَ لَهُ مُجَّنَّهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابُ شكديدٌ ﴾ (٣).
- الجدال مراءً ولمجرِّد الخصومة: رَوَى يُونُسُ بْنُ ظَبْيَانَ، عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ الْجَدال مراءً ولمجرِّد الخصومة: رَوَى يُونُسُ بْنُ ظَبْيَانَ، عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْكُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُهُ عَلَى اللهُ عَلَى الله
- الجدال الإظهار العلم والقدرة، حيث رُوِيَ: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِب اللهِ : اجْلِسْ حَتَّى نَتَنَاظَرَ فِي الدِّينِ. فَقَالَ: يَا هَذَا، ... وَإِنَّ الشَّيْطَانَ

لتطرّف في الجدل المذهبي

⁽١) الحج: آية ٣.

⁽٢) غافر: آية ٥.

⁽٣) الشورى: آية ١٦.

⁽٤) الصَّدوق، محمد بن على، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٥٩٥.

⁽٥) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٢، ص١٢٨.

لَيُوَسْوِسُ لِلرَّجُلِ وَيُنَاجِيهِ وَيَقُولُ: نَاظِرِ النَّاسَ فِي الدِّينِ؛ لِئَلَّا يَظُنُّوا بِكَ الْعَجْزَ وَالْحُهْلَ...»(١).

أسوأ أنواع الجدل على الإطلاق

وأسوأ الجدال على الإطلاق: ما اجتمع فيه بطلان الغاية مع بطلان الوسيلة؛ لأنَّه مضافاً إلى أنَّه ينطبق عليه كُلِّ العناوين السَّابقة للجدل بغير التي هي أحسن، فقد زاد عليها الكذب والافتراء.

٣_النموذج السلبي

ومن الأمثلة الواضحة على الجدل المذموم: ما ارتكبه ابن تيميّة الحرّاني في كتاب (منهاج السُّنّة) رداً على ابن المطهّر الحلّى، قال: «الوجه الخامس: إنّه يُقال: قد ثبت لعليّ بن أبي طالب _ رضى الله عنه _ والحسن والحسين وعلى بن الحسين وابنه محمد وجعفر بن محمد من المناقب والفضائل ما لم يذكره هذا المصنّف الرافضي، وذكر أشياءً من الكذب تدلُّ على جهل ناقلها، مثل قوله: نزل في حقّهم ﴿ هَلْ أَنَّ ﴾ فإنّ سورة ﴿ هَلْ أَنَّ ﴾ مكيّة باتَّفاق العلماء، وعليٌّ إنَّما تـزوج فاطمة بالمدينة بعد الهجرة، ولم يدخل بها إلَّا بعد غزوة بدر، ووُلِدَ له الحسن في السّنة الثالثة من الهجرة، والحسين في السّنة الرابعة من الهجرة بعد نزول ﴿ هَلْ أَقَ ﴾ بسنين كثيرة. فقول القائل: إنَّها نزلت فيهم، من الكذب الذي لا يخفى على مَن له علمٌ بنزول القرآن، وعلمٌ بأحوال هؤلاء السّادة الأخيار »(٢).

أخي القارئ اللّبيب! تعالَ معي لنتناول هذا النَّصَّ بقليل من التّأمُّل والتّحقيق؛ لنرى معاً أسوأ نموذج في تاريخ الجدل المذهبي يسجّله هذا الحرّاني في كتابه المعروف! والذِي كان هو الأساس لمنهج التطرّف الفكري والعقدي، وهو طريقةٌ اتّبعها بعضُ



⁽١) النُّوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج٩، ص٧٤.

⁽٢) ابن تيمية الحرّاني، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السُّنّة النّبوية: ج٤، ص٠٢.

مقلَّديه في عصرنا الحاضر؛ فكانت بئس السُّنَّة التي سـوف يتحمّل وزرها ووزر مَنْ عمل مها إلى يوم القيامة.

فاعلم _ أيّدك الله _ أنَّ النّصَّ الجدلي المتقدّم مو ضوعه فضيلةٌ من فضائل أصحاب الكساء الميكان، وبالتّحديد قصّة مرض الحسنين المبكلة ونذر الصّيام ثلاثة أيّام، فابن المطهّر يدّعي نزول سورة الدّهر في ذلك، وابن تيميّة ينكر ذلك.

وفي مقام المجادلة مع ابن المطهّر وإبطال نزول سورة الدهر في حقّ أصحاب الكساء أتحفنا ابن تيميّة ببرهانٍ يعتمد على مقدمات أربع:

الأُولى: إنَّ الآيات بحسب نزولها التّدريجي على رسول الله عَيَّا اللهُ تَعَلَّلُهُ تنقسم إلى ما نزل قبل الهجرة وإلى ما نزل بعد الهجرة، والأوّل يُسمّى بالمكّى، والثّاني بالمدني(١).

الثَّانية: إنَّ من ثمرات تشخيص المكيّ من المدنيّ القدرة على تشخيص المصداق المراد من الآية، والذي يُعبَّر عنه بشأنِ النُّز ول.

الثَّالثة: إنَّ سورة الإنسان مكَّيةٌ باتَّفاق العلماء.

الرابعة: إنَّه في مكَّة لم يكن قد وُلِد الحسن والحسين المِيكا، بل لم يكن عليُّ النَّهِ قد تزوّج من فاطمة الزّهراء عليَّك.

وهذه المقدّمات الأربع كما ترى تُنتج نتيجةً حتميّة _ كما يرى ابن تيمية _ كذَّب ابن المطهّر في دعواه نزول سورة الدهر في حقّ أصحاب الكساء.

ولكن _ مع الاعتذار مِمَّن يرى قيمةً لابن تيميّة _ ما ذكره في المقدّمة الثّالثة كذبُّ وافتراء؛ ويكفى في ردّه أنْ يرجع كُلُّ واحدٍ منَّا إلى المصحف الذي بين يديه في أيّ بلدٍ كان؛ لبرى التّنصيص فيه على أنّ سورة الإنسان مدنيّة.

⁽١) هذا هو المشهور عند علماء علوم القرآن في التّفريق بين المكّي والمدني، وهناك أقوالٌ أُخر، كالتّفريق بينها على أساس المكان، في نزل في مكّة وجوارها فهو مكيٌّ وإنْ كان بعد الهجرة، وما نزل في المدينة وجو ارها فهو مدنيٌ وإنْ كان قبل الهجرة. وكالتَّفريق بينها على أساس نوعيَّة المخاطب، فالموجَّه إلى أهل مكّة مكيٌّ، وإلى أهل المدينة مدنيّ.

ولكي يكون البحث موضوعياً، نرى أَنَّ هذا النَّمط من الجدل الذي كَثُر في كلمات ابن تيميّة ومَنْ لفّ لفّه، يُصنّف في المرتبة الأُولى من الجدال بغير التي هي أحسن، بل يُعتَبر ابن تيميّة الحائز لقصب السّبق في الجدال بالأسوأ؛ وذلك _ إذا أخذنا ما تقدّم نمو ذجاً _ لأنَّه أساء في الخاية والوسيلة.

لقد كان يمكن لنا أنْ نبرّر ما فعله ابن تيميّة لو كانت الغاية نبيلة وسامية؛ فيكون ابن تيميّة حينئذٍ من القائلين بمقولة ميكافيللي: «الغاية تبرّر الوسيلة».

أمّا مع كون الغاية مخالفة لتعاليم القرآن ولوصيّة سيّد البشر والكون عَيْنَ ومع كون الوسيلة محض الكذب والافتراء، فلا يبقى مبرّرٌ لهذا النّوع من الجدل على الإطلاق.

أمّا أَنَّ الغاية مخالفةٌ لما ذُكِر؛ فلأنّها لمّا كانت ترجع إلى إبطال فضيلةٍ من فضائل أمّا أَنَّ الغاية مخالفة لم فضائل الله وتعالى: ﴿ قُل لا آسَّنَكُم عَلَيهِ أَجَرًا إِلّا اللهُ وَتعالى: ﴿ قُل لا آسَّنَكُم عَلَيهِ أَجَرًا إِلّا اللهُ وَتعالى: ﴿ قُل لا آسَّنَكُم عَلَيهِ أَجَرًا إِلّا اللهُ وَيَا اللهُ وَيَا اللهُ ا

وأمّا مخالفة ذلك لوصيّة الحبيب المصطفى عَيْنَ فواضحٌ؛ كيف وقد تواترت النُّصوص عنه بالوصيّة بأهل بيته الميّن والدّعوة إلى التّمسُّك بهم، وركوب سفينتهم؟! وغير ذلك من العناوين التي يعرفها جميع المسلمين من أيّ مذهبٍ كانوا وإلى أيّ فرقةٍ انتسبوا.

أليس إنكار فضائلهم من مصاديق قوله المُثَلِّهُ في حديث الثَّقلين: «ولا تقصر واعنهما فتهلكوا» (٣).

أمَّا أنَّ الوسيلة كذبُّ وافتراء؛ فباعتبار أنَّه لو قال: ذهب بعض المفسّرين إلى أنَّ

⁽١) الشورى: آية ٢٣.

⁽٢) الأحزاب: آية ٣٣.

⁽٣) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد: ج٩، ص١٦٤. الحافظ الطَّبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٥، ص١٦٧.

وإليك أخي القارئ بعض النُّصوص على ذلك من كُتُب مفسّري إخواننا السنّة: قال المفسّر السّمر قندي، الإمام أبو اللّيث نصر بن محمّد بن إبراهيم، الفقيه الحنفي (ت٣٧٣ه): «سورة الإنسان، وهي إحدى وثلاثون آية مدنية»(١).

وقال الزّخشري (ت٥٣٨ه): «سورة الإنسان مدنية، وآياتها (٣١)، نزلت بعد الرحمن »(٢). وقال ابن جزي الغرناطي (ت٤١ه): «سورة الإنسان مدنية وآياتها (٣١)، نزلت بعد الرحمن »(٣).

وقال المراغي في تفسيره (ت ١٣٧١ه): «سورة الإنسان. هي مدنية، وآياتها إحدى وثلاثون، نزلت بعد سورة الرحمن»(٤).

وقال السَّيِّد عبد القادر ملا حويش آل غازي المفسِّر (من أعلام القرن الرَّابع عشر): «تفسير سورة الإنسان. نزلت بالمدينة بعد سورة الرّحمن، وهي إحدى وثلاثون آية، ومئتان وأربعون كلمة، وألف وأربعائة وخمسون حرفاً، وتُسمّى: سورة الدّهر»(٥٠).

نعم، قيل بمكيّتها، بل نُسِب ذلك إِلَى المشهور والجمهور، قال أبو حيّان الأندلسي (ت: ٥٤٧ه): «هذه السورة مكية في قول الجمهور. وقال مجاهد وقتادة: مدنية. وقال الحسن وعكرمة: مدنية إلّا آية واحدة فإنّها مكية»(٦).

⁽١) السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم: ج٣، ص٥٢٥.

⁽٢) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل: ج٤، ص٦٦٥.

⁽٣) ابن جزي الغرناطي، محمّد بن أحمد، كتاب التسهيل لعلوم التّنزيل: ج٢، ص٢٣٦.

⁽٤) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي: ج٢٩، ص٥٩.

⁽٥) ملا حويش آل غازي، عبد القادر، بيان المعاني على حسب ترتيب النُّزول: ج٦، ص٦٧.

⁽٦) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التّفسير: ج٠١، ص٥٥٨.

وعلى تقدير صدق نسبة القول بمكيّتها إلى الجمهور، مع ذلك لا يتمُّ دعوى ابن تيمية الاتّفاق على مكيّتها.

على أنَّ هذه النسبة غير تامّة قطعاً، كيف وقد نسب الكثير من مفسّري علماء أهل السُّنة قديماً وحديثاً القول بمدنيّتها إلى الجمهور؟!

قال الإمام البغوي الشافعي (ت٠١٥ه): «قال عطاء: هي مكية. وقال مجاهد وقتادة: مدنية. وقال الحسن وعكرمة: هي مدنية إلّا آية»(١).

قال ابن الجوزي (ت٩٥٥): «سورة هل أتى، ويُقال لها: سورة الدهر، وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنّها مدنيّة كلّها، قاله الجمهور منهم مجاهد وقتادة. والثاني: مكيّة، قاله ابن يسار، ومقاتل، وحُكي عن ابن عباس. والثالث: أنّ فيها مكيّاً ومدنيّاً. ثُمّ في ذلك قولان: أحدهما: أنَّ المكيّ منها آية، وهي قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَنَظُعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْكَفُورًا ﴾، وباقيها جميعه مدنيّ، قاله الحسن وعكرمة. والثاني: أنّ أوّها مدنيّ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنّا نَحَنُ نَزَّلْنَا عَلِيّكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾، ومن هذه الآية إلى آخرها مكيّ، حكاه الماورديّ» (١).

وقال القرطبي (ت ٢٧١ه): «سورة الإنسان، وهي إحدى وثلاثون آية مكّية في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي، وقال الجمهور: مدنية. وقيل: فيها مكّيُّ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَعُنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ إلى آخر السورة، وما تقدّمه مدني. وذكر ابن وهب، قال: وحدثنا ابن زيد، قال: إنَّ رسول الله عليه ليقرأ ﴿هَلُ أَتَى عَلَى ٱلْإِنسَنِ حِينُ مِن ٱلدَّهْرِ ﴾، وقد أُنزِلَت عليه وعنده رجلٌ أسود كان يسأل النبي عليه، فقال له عمر بن الخطّاب: لا تثقل على النبيّ (صلى الله عليه وسلم)، قال: دعه يا بن الخطاب. قال: فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده، فلما قرأها عليه وبلغ صفة الجنان، زفر زفرة فخرجت نفسه.

⁽١) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التّنزيل في تفسير القرآن: ج٥، ص١٨٨.

⁽٢) أبو الفرج ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التّفسير: ج٤، ص٧٧٤.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أُخْرَجَ نفسَ صاحبكم أو أخيكم الشوقُ إلى الجنّة...»(١).

وقال الخازن البغدادي (ت٥٤٧ه): «سورة هل أتى، وتُسمّى: سورة الإنسان أيضاً، وهي مدنية، كُحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل، وقيل: فيها مكّى ومدنى...»(٢).

وعن الإمام الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ): «قال الجمهور: هي مدنيّة»(٣).

وفي تفسير الآلوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ): «وعن ابن عادل حكاية مدنيّتها على الإطلاق عن الجمهور، وعليه الشيعة. وآيها إحدى وثلاثون آية بلا خلاف»(٤).

وهناك الكثير غير ذلك، لكنّ اللّبيب تكفيه الإشارة لمعرفة أنَّ ما ذكره ابن تيميّة من اتّفاق العلماء على كون السُّورة مكّيّة بعيدٌ عن الصّواب، في قوله: «لا يخفى على مَن له علمٌ بنزول القرآن»! (٥٠).

وهذه الدّعوى من ابن تيميّة قد سبقه إليها بعض النّواصب على ما قاله الحاكم الحسكاني السّابق على ابن تيميّة بها يقرب من ثلاثة قرون (٢)؛ حيث قال في كتابه القيّم بعد استعراضه لقصّة تصدُّق أصحاب الكساء المحيّي ما لفظه: «اعترض بعض النّواصب على هذه القصّة بأنْ قال: اتّفق أهل التّفسير على أنَّ هذه السُّورة مكيّة وهذه القصّة كانت بالمدينة إنْ كانت، فكيف كانت سبب نزول السّورة، وبان بهذا أنّها مخترعة؟! قلت: كيف يسوَّغ له دعوى الإجماع مع قول الأكثر: إنّها مدنية؟!!»(٧).

⁽١) القرطبي، محمَّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج١٩، ص١١٨.

⁽٢) الخازن البغدادي، على بن محمد، تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التّنزيل): ج٤، ص٣٧٦.

⁽٣) الشوكاني، محمد بن على، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التّفسير: ج٥، ص١٤.

⁽٤) الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ج١٥، ص١٦٦.

⁽٥) هذا نصّ عبارة ابن تيميّة بعد ادّعائه الإجماع والاتفاق، فلاحظ.

⁽٦) حيث كان حياً إلى سنة (٤٧٠هـ)، بقول الذهبي في تذكرة الحفاظ، وابن تيميّة مات سنة (٧٢٨) للهجرة.

⁽٧) الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد، شواهد التنزيل لقواعد التّفضيل: ج٢، ص ٤٠٩.

فإنْ كانت أصل هذه الدّعوى ناصبيّة، فهل يَصدُق على ابن تيميّة ما ذكره في ردّه على ابن المطهّر من أنَّه عالم بأحوال هؤلاء السّادة الأطهار.

أليس هذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَندَلُوا بِٱلْبَطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِٱلْخَقَّ فَأَخَذْتُهُمُّ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٍ ﴾(١)، أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا.

ثُمّ إِنَّ جَمْلةً من المفسّرين قد ذكروا حادثة مرض الحسنين اليَّالِيُّا وتصدُّق أمير المؤمنين اللَّيُ على المسكين واليتيم والأسير عند تفسيرهم لهذه السُّورة، ومن جملتهم الفخر الرَّازي؛ حيث قال: «والواحدي من أصحابنا ذكر في كتاب البسيط أنَّها نزلت في حقّ عليٍّ اللَّيْ، وصاحب الكشّاف من المعتزلة ذكر هذه القصّة...»، ثُمَّ أور دالقصّة بتمامها.

وغاية ما أشكل على ذلك مع ما هو عليه من إمامة التشكيك أنَّ تخصيص الآيات بشخصٍ معينٍ خلاف ظاهر نظم السُّورة. ثُمَّ عاد وقال: «اللَّهمّ إلَّا أنْ يُقال: السُّورة نزلت عند صدور طاعةٍ مخصوصةٍ عنه، ولكنّه قد ثبت في أُصول الفقه أنَّ العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّب»(٢).

وهذا كما ترى لا ينافي ما يقول به الإماميّة؛ لأنّهم يعتقدون أنَّ نزول الآية في حقّ شخصٍ لا يمنع من الانطباق على غيره، كيف وقد قال الإمام الباقر الله الله الله أنَّ الله الآية لما بقي من القرآن شيءٌ، ولكنَّ الآية إذا نزلت في قومٍ ثُمَّ مات أُولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيءٌ، ولكنَّ القرآن يجري أوَّله على آخره ما دامت السَّموات والأرض...» (٣)؟! وعن أبي عبد الله الصّادق الله القرآن نزل في أقوامٍ، وهي تجري في النَّاس إلى يوم القيامة...» (١٠).

ولا نظن أنَّ ابن تيميّة جاهلٌ بم قدّمنا ذكره، لكن التطرّف والغلو والعصبية أعمته عن اتّباع الحق والاعتراف به.

⁽١) غافر: آية ٥.

⁽٢) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التّفسير الكبير: ج٠٣، ص٢١٦.

⁽٣) العياشي، محمّد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص٠١.

⁽٤) البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج١، ص٢٨٩.

و لا يعني ما تقدّم أنّه لا يوجد في التّاريخ صفحاتٌ مشرقةٌ لمحاججاتٍ كان القصد منها رضا الله تعالى، وكانت تتّصف بالأدب الرّفيع والخُلُق العالي، وجدالاً بالتي هي أحسن، سواء من ناحية الغاية أم من ناحية الوسيلة، وكانت من أبرز مصاديق الوسطية في الفكر والمناظرة.

فهذه بغداد كانت حركة الجدال الموضوعي فيها على أوجه في بداية القرن الرّابع الهجري، وقد سجّل لنا التّاريخ منها مجموعة من المحاورات حصلت بين الشَّيْخ المفيد العالم الشِّيعي في بغداد وبين إخوانه العلماء من سائر المذاهب الأُخرى، كالمناظرة بينه وبين عليّ بن عيسى الرّماني، والمناظرة بينه وبين القاضي ابن سيّار، وغيرها الكثير(۱).

ويأتي على رأس الجدل بالتي هي أحسن تلك المراجعات التي حصلت بين الإمام شرف الدّين العاملي والإمام سليم البشري إمام الجامع الأزهر (تغمّدهما الله برحمته الواسعة)، تلك المراجعات التي لم يُسجِّل لنا التّاريخ مثيلاً لها في الموضوعيّة، والأدب الرّفيع، والأخلاق الفاضلة. وهي تصلح دستوراً لعلماء الإسلام في العصر الحاضر في المناظرة والجدال، وقبول الآخر مهما اختلفا في الرأي والعقيدة.

وكأنّ الإمام شرف الدِّين كان ناظراً إلى عصرنا عندما قال في مقدّمة تلك المراجعات: «لكنّ مشهد هؤلاء الإخوة المتصلين بمبدأ واحد، وعقيدة واحدة، كان وا أسفاه مشهد خصومة عنيفة، تغلو في الجدال غلو الجهّال، حتّى كأنّ التجالد في مناهج البحث العلمي من آداب المناظرة، أو أنّه من قواطع الأدلّة! ذلك ما يثير الحفيظة، ويدعو إلى التفكير، وذلك ما يبعث الهمّ والغمّ والأسف، فها الحيلة؟ وكيف العمل؟

⁽١) أُنظر: هذه المناظرات في الفصول المختارة للشّيخ المفيد.

هذه ظروفٌ ملمةٌ في مئين من السنين، وهذه مصائب محدقة بنا من الأمام والوراء، وعن الشال وعن اليمين، وذاك قلم يلتوي به العقم أحياناً، وتجور به الأطهاع أحياناً أُخرى، وتدور به الحزبية تارة، وتسخّره العاطفة تارة أُخرى، وبين هذا وذاك ما يوجب الارتباك، فها العمل؟ وكيف الحيلة؟»(١).

فهل لهذه الكلمات أُذنٌ واعيةٌ، تتلقّفها فتعمل بها في زمن نحن أشدّ ما نكون في الحاجة إلى الوحدة والتّقارب.

⁽١) شرف الدين، عبد الحسين، المراجعات: ص٠٥.



ثنائية التطرّف الأُموي والاعتدال الحسيني

الشيخ إسكندر الجعفري*

مقدّمة

لعلّ أبرز ما نواجهه اليوم هو ظاهرة (التطرّف الديني)، والتي تُعدُّ من العوامل المهمّة لنشوء ظاهرة (الإرهاب)، التي اجتاحت العالم بشكل كبير عبر التفجيرات، والقتل المنظّم في حقّ الأبرياء والنّاس العُزَّل.

ولا تقتصر ظاهرة (التطرّف الديني) على إيجاد الإرهاب فقط، بل هي عامل مهمّ في نشوء ظواهر أُخرى، من قبيل ظاهرة (التكفير) ـ التي يلصقها المتطرّفون بكلّ مَن يخالفهم في الفهم، ومن ثَمَّ يُرتّبون على ذلك جواز القتل، وحلّية المال ونحو ذلك ـ ومن قبيل ظاهرة (التعصّب)، وظاهرة (إلغاء الآخر)، بحيث لا يقبل المتطرّف أيّ معارضٍ له في الفكر والرأي، ولا يمكن أن يتحاور معه عبر وسائل الحوار العلميّة، إلى غيرها من الظواهر الخطيرة التي ينتجها التطرّف الديني.

ولهذا صار لزاماً أن يتناول الباحثون والمُثقفون هذه الظاهرة ـ دراسةً، وتحليلاً، ونقداً ـ لغرض الوقوف على أسبابها ومناشئها، ومن ثُمَّ طرح العلاج والحلول النافعة، التي ربها تُقلّل من خطورة هذه الظاهرة، أو تمنع من انتشارها وتوسّعها أكثر.

* باحث وكاتب إسلامي.

وفي الطرف الآخر تقف ظاهرة (الاعتدال) و(الوسطيّة) التي عُرِف بها الإسلام، واتصف بها المسلمون الحقيقيون على مرّ التاريخ، فهذا القرآن الكريم - كها سنلاحظ - يدعو من خلال آياته الكريمة إلى الوسطيّة والاعتدال في كلّ شيء، حتّى في تناول الطعام والشراب، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَالمَرْبُوا وَلَا شُرِفُوا أَوْلا في كلّ شيء؛ وهذا التوازن بين الإفراط والتفريط اللّذين يُعدّان تطرّفاً وخروجاً عن الحدّ المرسوم، وهذا النبي الأكرم على قد عُرِف من خلال سيرته بالاعتدال والوسطيّة في كلّ شيء؛ في العبادة، والأخلاق، والدّعوة إلى الإسلام، وكلّ ما يمتُ إلى الإسلام بصلة، فكان الاعتدال متجسّداً في فكره، وقوله، وسلوكه، ثمّ جاء من بعده أهل بيته الكرام الشيّة؛ المحمديّة، التي دعا الكريم على فكانوا بحقّ مثالاً حيّاً للاعتدال القرآني والوسطيّة المحمديّة، التي دعا إليها الإسلام؛ ولهذا صاروا المي مقياس الاعتدال والوسطيّة في الإسلام.

وهذا المقال هو محاولة لإعطاء صورة واضحة عن التطرّف، وعن أسبابه ومناشئه، ثمّ محاولة إعطاء الحلول المناسبة على ضوء النهضة الحسينيّة، التي استهدفت فيها استهدفت، الوقوف بوجه التطرّف الديني والإرهاب الأُموي، وطرحت بكلّ وضوح منهج الإسلام في الاعتدال والوسطيّة.

ثمّ إنّ البحث يقع في ثلاثة محاور هي:

المحور الأوّل: التطرّف

المحور الثاني: الاعتدال والوسطيّة

المحور الثالث: اعتدال النهضة الحسينيّة في مواجهة مشروع التطرّف

(١) الأعراف: آية ٣١.

نتطرّق في هذا المحور إلى عدّة موضوعات:

أوّلاً: مفهوم التطرّف

التطرّف لغةً: مشتق من (الطَّرَف) بالتحريك، أي: (الناحية)(١). و(تَطرَّف): أتى الطَّرَف، ويُقال: تطرّفت الشمس: دنت للغروب، كذا: جاوز حدّ الاعتدال ولم يتوسَّط، وتطرَّف الشيء: أخذ من أطرافه(١). والحاصل: إنّ التطرّف في اللّغة: تجاوز حدّ الاعتدال وعدم التوسّط.

التطرّف اصطلاحاً: قد ذُكر للتطرّف عدّة تعاريف نذكر منها:

١_ مجاوزة الحدّ في الأمر المشروع (٣).

٢ الغلو في عقيدة، أو فكرة، أو مذهب، أو غيره، يختص به دين، أو جماعة، أو حزب⁽¹⁾.

٣_ الخروج عن القيم والمعايير، والعادات الشائعة في المجتمع، وتبنّي قيم ومعايير مخالفة لها(٥).

٤ التطرّف: هو اتخاذ الفرد أو الجماعة موقفاً متشدِّداً إزاء فكر قائم، أو يحاول أن يجد له مكاناً في بيئة هذا الفرد أو الجماعة (١).

ولعلّ هناك تعاريف أُخرى، ولكنّها تقترب من هذا المضمون، ويمكن من خلال

⁽١) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٩، ص٢١٦، (طَرَف).

⁽٢) أُنظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: ص٥٥٥، (طَرَف).

⁽٣) أُنظر: محمد علي إبراهيم، الإرهاب والعنف والتطرّف في ميزان الشرع: ص١٠.

⁽٤) الشبل، د. على عبد العزيز، الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرّف والإرهاب والعنف: ص ٩.

⁽٥) مفهوم التطرّف وعلاقته بالإرهاب، مقال منشور على شبكة الأنترنت.

⁽٦) المصدر السابق.

هذه التعاريف أن نصوغ تعريفاً جامعاً، فنقول: التطرّف: هو الخروج عن دائرة الاعتدال في الفكر، والعقيدة، والسلوك.

ثانياً: ظواهر التطرّف

للتطرّ ف عدّة ظواهر وأشكال نذكر بعضاً منها:

الظاهرة الأُولى: التعصّب وعدم قبول الآخر

وتُعدُّ هذه الظاهرة سمة بارزة لدى المتطرّفين، فتجدهم يتعصّبون بشدّة لأفكارهم، وآرائهم، واتجاهاتهم، ولا يتقبّلون الفكر المضاد بأيّ حالٍ من الأحول، بل لا يسمحون لأنفسهم أن يفكّروا قليلاً بقناعاتهم ونظرياتهم؛ ولأجل ذلك، هم يعيشون حالة من حالات الانغلاق والعُزلة التامّة عن المحيط العلمي والثقافي، وخير مثال لذلك الخوارج، فقد ذكر المؤرّخون أنّهم اعتزلوا المجتمع الإسلامي ثقافيّاً وعلميّاً، وتعصّبوا لعقائدهم إلى حدّ كانوا يمنعون أصحابهم من الاستماع إلى مَن يناظرهم ممّن بعثهم الإمام أمير المؤمنين الله إليهم، أمثال: عبد الله بن عباس؛ لغرض محاججتهم وإقناعهم.

والتعصّب المذكور هو واحد من الظواهر التي حاربها القرآن الكريم في آياته، والنبي الأكرم عَيْلِهُ، وأهل بيته اللِّكُ، في سلوكياتهم وحياتهم، والشواهد على ذلك كثيرة سوف نعرضها في المحور الثاني.

الظاهرة الثانية: السطحيّة

وهذه الظاهرة قد يشوبها شيء من الخفاء؛ لأنَّ المتطرّفين يتظاهرون بالمعرفة والإحاطة والشمول، ولكنَّهم في الواقع لا يعرفون إلَّا القشور. والحقيقة أنَّ هذه الظاهرة لا يستطيع اكتشافها إلَّا العلماء والمثقَّفون، وقد وصف النبيَّ الخوارج بأنَّهم يقرأون القرآن، ولكنّه لا يجاوز تراقيهم (١٠)؛ أي: لا يعرفون منه شيئاً.

⁽١) البخاري، محمد بن إسهاعيل، صحيح البخاري: ج٤، ص١٧٩.

ولعلّ هذه الظاهرة هي أخطر ما يواجهه المجتمع الإسلامي؛ لأنَّ المتطرّف يُرتّب على تكفير الآخرين آثاراً، منها: القتل، واستباحة العرض والمال، ومن هنا نشأت ظاهرة الإرهاب في المجتمعات الإسلاميّة، فالتطرّف يقود إلى الإرهاب الديني، وما نقرأه في التاريخ من جرائم قتل، وإبادة، وانتهاكات، تقوم بها جماعة من المسلمين، وما نراه اليوم من قتل، وتفجير، وإبادة في حقّ المسلمين، إنّها نشأ من التكفير الذي يلصقه المتطرّفون بكلّ مَن يختلف معهم في الرأي.

فالخوارج _ مثلاً _ كفّروا أمير المؤمنين الله وعامّة المجتمع الإسلامي؛ لأنَّهم يختلفون معهم في الرأي والقناعة.

وفي العصر الحاضر يُصدّر المتطرّفون السلفيون فتاوى التكفير في حقّ جميع المسلمين الذين يختلفون معهم في الرأي، حتّى تحوّلت هذه الفتاوى إلى مفخخات تحصد أرواح المئات من المسلمين في مختلف بقاع العالم الإسلامي.

فتنظيم (داعش) ذلك التنظيم الإرهابي الخطير الذي حصد أرواح الأُلوف من المسلمين وغيرهم وما زال، ما هو إلّا نتاج فتاوى التكفير التي يطلقها المتطرّفون بين الحين والآخر.

وهذه الظاهرة تتنافى مع روح الشريعة القائمة على التأنّي والتروّي، والتحقق قبل اتّهام الآخرين وترتيب الآثار على ذلك، وإليك بعض الآيات القرآنية:

1_قال تعالى: ﴿ وَلَا نَقُولُواْلِمَنْ أَلْقَى ٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَامَ لَسَّتَ مُؤْمِنًا ... ﴾ (١). ٢_قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن جَآءَكُمُ فَاسِقُ بِنَبٍ ... ﴾ (٢).

⁽١) النساء: آية ٩٤.

⁽٢) الحجرات: آية ٦.

٣_ قال تعالى: ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ... ﴾ (١). ٤_ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُورٌ ... ﴾ (١).

إلى غيرها من الآيات التي تنهى عن اتهام الآخرين بدون دليل، وتدعو إلى التأني والتروّي والفحص عن عقائد النّاس، والتروّي والفحص عن حقائد النّاس، والبحث عن حقائق الإيهان، والتعامل معهم وفق الظاهر.

وأمّا سيرة النبي عَيْقُ وأهل بيته الكرام الكثير، فهي قائمة على كفاية حُسن الظاهر، والتعامل مع النّاس بحسب ظاهر إسلامهم، وعدم الفحص عن حقيقة ذلك في نفوسهم.

ومن ذلك الأحاديث الكثيرة الصادرة عن النبي الأكرم التي مفادها أنّ: مَن تشهد الشهادتين فقد عُصم دمه، وماله، وعرضه، ومن ذلك سيرة النبي الله في قبول الإسلام، كإسلام أهل مكّة بعد فتحها، فقد قبل إسلامهم بمجرّد النطق بالشهادتين دون الفحص عن حقيقة إسلامهم، مع علمه الإيان ويُضمر الكفر والجحود.

ومن الشواهد سيرة أمير المؤمنين الله مع مَن نصب له الحرب، كأهل الجمل، وصفّين، والنهروان، فإنّه لم يتهمهم بالكفر، وتعامل معهم على أساس أنّهم مسلمون قد بغوا عليه.

يُضاف إلى ذلك أنَّ الحكم بارتداد المسلم وتكفيره يحتاج إلى دليل واضح، وبرهان ساطع، والمسألة ليست راجعة إلى قناعات المتطرّف وفهمه الخاص؛ إذ لعلّه مشتبه في ذلك، ومتوهم في فهم حقيقة الشرك والارتداد، وما أكثر الاشتباهات التي يقع فيها العلماء، وما أكثر الاختلافات التي تصدر منهم.

(١) الإسراء: آية ٣٦.

⁽٢) النور: آية ١١.

ولو اتفقنا على حدود مفهوم الشرك والارتداد، ولم نختلف في تفاصيله وتطبيقاته، يبقى احتمال أنَّ ما نراه _ بحسب الظاهر _ من صنع المسلم قد لا يُطابق مقصوده، فلو رأيناه يسجد باتجاه صنم _ مثلاً فليس لنا أن نحكم بكفره وارتداده لمجرّد ذلك، ما لم نتحقّق من حقيقة سجوده، فلعلّه لم يكن من قصده السجود للصنم، وإنَّما كان من قصده السجو د لله تعالى؛ لتذكّر نعمة أنعمها عليه، ولكن اتفّق وجو د صنم أمامه.

وعلى كلّ حال، هذه ظواهر ثلاث مهمّة يتّسم بها المتطرّف، وهناك ظواهر أُخرى يمكن ملاحظتها من خلال سلوك المتطرّ فين، ولكنّنا لم نذكرها خوف الإطالة، وهذه الظواهر التي ذكرناها مختصراً تحتاج إلى بحوث مستقلّة مستفيضة، ودراسات موسّعة للوقوف أكثر على جوانبها المهمّة بُغية الكشف عنها ومحاولة علاجها.

ثالثاً: صور التطرّف

للتطرّف عدّة صور، يجمعها عدم الاعتدال في الفكر والسلوك، ولكن لا بأس بذكر بعضها:

١ _ التطرّف في العبادة

وهذه الصورة قد انتشرت في عصر النبي عَيْلَالله؛ فقد اعتزل بعض الصحابة الحياة الاجتماعية وانقطعوا إلى العبادة تماماً؛ ممّا جعل النبي عَيْنِا للهُ ينتقد هذه الحالة، ويستدعى أُولئك الصحابة، ويُنبِّههم على خطأهم.

٢_التطرّف في الخُلُق

والمقصود منه عدم التزام خطّ الاعتدال بين الإفراط والتفريط في الصفات الخُلقية، فالشجاعة _ مثلاً _ اعتدال ووسطيّة؛ لأنَّها تتوسط الجبن والتهوّر، فهي اعتدال، وهما تطرّ ف، وهكذا بقيّة الصفات.

٣ _ التطرّف في العقيدة

والمقصود منها: أن يعيش الإنسان تجاه عقيدةٍ ما، بين إحدى حالتين، الأُولى:



إنكارها ورفضها جملةً وتفصيلاً، بحيث لا يسمح لنفسه التفكير فيها أبداً، كما هو الحال بالنسبة للملحدين الذين يرفضون عقيدة التوحيد جملةً وتفصيلاً. والثانية: اعتناقها اعتناقاً سلبياً، بحيث يقبلها جملةً وتفصيلاً، ولا يستمع للنقد أو الملاحظة، فيبتعد عن الموضوعية المطلوبة في تقبُّل العقائد والأفكار.

والعقيدة الصحيحة: هي المعتدلة التي تتسم بالوسطيّة، أي: العقيدة القائمة على أساس تقبُّل الفكرة التي لا تستند إلى ذلك، ولكن بدون تشنّج أو تشدّد.

فصاحب العقيدة المعتدلة هو ذلك الإنسان الذي يتسم بالتوازن الفكري والنفسي، بحيث يتقبّل النقد والملاحظة بكلّ رحابة صدر، ويستمع للآخرين بشكل جدّي، ويفكّر فيها يقولون، ثمَّ يتحاور معهم تحاوراً علميّاً، قائهاً على ردّ الدليل بالدليل والحجّة بالحجّة، ولو وجد فيها يعرضون من أفكار وآراء شيئاً من الحقيقة سارع إلى قبوله والتزامه.

وهذا المنهج (منهج الوسطية) هو منهج الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم، وسار عليه النبي الأكرم الله وأهل بيته الله في دعوتهم الناس لهذا الدين الحنيف، ولو لا هذه الوسطية لما انتشر الإسلام ذلك الانتشار الواسع في عصر النبي الله فترة زمنة قصرة جداً.

رابعاً: أسباب التطرّف العقدي

التطرّف في المعتقد له أسبابه وعوامله، وهي كثيرة نذكر فيها يلي أهمّها:

١-الجهل

وهو من الأسباب الخفية التي لا يعرفها إلّا العلماء والباحثون؛ لأنَّ المتطرّفين يتظاهرون بالمعرفة والإحاطة، فالخوارج كانوا يحفظون القرآن، ويحسنون قراءته حتّى عُرِفوا بـ (القرّاء)، وكانت هذه الصفة من الظواهر التي استوقفت الكثير من أصحاب الإمام أمير المؤمنين المؤلفة وجعلتهم يتردّدون في مدى مشروعية قتالهم؛ ممّا اضطر

أمير المؤمنين الله إلى كشف حقيقتهم، وأنَّهم جهلة لا يعرفون من الدين إلَّا القشر.

وفي يومنا الحاضر نجد المتطرّفين يتظاهرون بالعلم والمعرفة، والإحاطة بقضايا الشريعة، ولكنّهم في الواقع أبعد ما يكونوا عن ذلك.

وورد في الحديث عن أمير المؤمنين الله (لا ترى الجاهل إلّا مُفرطاً أو مُفرِّطاً»(١)، والمُفْرِط أو المُفرِّط متطرّف؛ لأنَّه قد زاغ عن حدّ الاعتدال والوسطيّة؛ إذ الاعتدال يفترض أن لا يكون صاحبه مُفرطاً ولا مفرِّطاً، والإمام يوعز سبب ذلك إلى الجهل وعدم المعرفة.

وفي حديث عن الإمام الباقر الله يجيب به عن سؤال لبعض أصحابه يقول فيه: «الدين واسع، ولكن الخوارج ضيّقوا على أنفسهم من جهلهم»(٢).

والشيء اللافت هو أنَّ هؤلاء المتطرّفين يرون أنفسهم علماء، فهم يجهلون جهلهم، وبالاصطلاح المنطقي جهلهم مركب، ويُشير إلى ذلك كلام لأمير المؤمنين الله يوصي به ولده الحسن الله: «إنَّ الجاهل مَن عدَّ نفسه بها جهل من معرفة العلم عالماً، وبرأيه مُكتفياً، فها يزال للعلهاء مباعداً، وعليهم زارياً» (٣).

٢_التعمّق

والمراد من التعمّق: المبالغة في الأمر والتشدد فيه (٤).

وورد النهي عن التعمّق في الأحاديث، فمن ذلك ما رُوي عن النبي الأكرم الله قوله: «إيّاكم والتعمّق في الدين، فإنَّ الله قد جعله سهلاً، فخذوا منه ما تطيقون، فإنَّ الله يحبّ ما دام من عملِ صالح، وإن كان يسيراً»(٥).

وتُشير الروايات إلى عُلَّة النهي عن التعمَّق؛ لأنَّه يقود إلى الخروج عن الدين،

⁽١) خطب أمير المؤمنين الله عنه البلاغة: ج ٤ ص١٥.

⁽٢) الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج٤، ص ٢٢١.

⁽٣) الري شهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١، ص٤٦٤.

⁽٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (عمق).

⁽٥) المتّقى الهندي، على، كنز العمال: ج٣، ص٥٣.

كما في الحديث: «إنَّ أقواماً يتعمّقون في الدين يمرقون كما يمرق السهم من الرمية»(۱)، بل تُشير بعض الروايات إلى أنَّه يقود إلى الكفر، فيخرج صاحبه عن الإيمان، ففي الحديث عن أمير المؤمنين على : «والكفر على أربع دعائم، على التعمّق، والتنازع، والزيغ، والشقاق، فمَن تعمّق لم ينب إلى الحقّ»(۱).

ومن خلال ملاحظة كلمات أهل اللّغة في معنى التعمّق، وملاحظة الأحاديث المتقدّمة وتطبيق فكرة التعمّق على الخوارج، مع ما هو معلوم من حالهم من التشدّد؛ نستطيع أن نخرج بنتيجة حاصلها: إنَّ التعمّق بمعنى التشدّد والتضييق، والتشدّد حالة نفسيّة يعيشها المتطرّف، تنشأ من جهله بروح الشريعة، وعدم إحاطته بجوانبها، وهذا يعنى أنَّ التعمّق من إفرازات السبب المتقدّم، وهو الجهل وعدم معرفة الشريعة.

٣_حبّ الدنيا

لا يقتصر حبّ الدنيا على المظاهر الدنيويّة المعروفة، كحبّ المال، والنّساء، والشهرة، والمنصب، وغيرها من المظاهر الواضحة، بل حبّ الدنيا له صور خفيّة لا يعلمها حتّى صاحبها، فالعالم العارف إذا أُعجب بعلمه فقد أحبّ الدنيا، والعابد الناسك إذا أُعجب بعبادته فقد أحبّ الدنيا؛ لأنّ العُجب من الدنيا، ومن هنا فقلّما ينجو الإنسان من هذا المرض العضال، ويحتاج المؤمن الواعي ـ دائماً ـ إلى مراقبة نفسه ومحاسبتها؛ لئلّا تقع في المحذور وهو غافل عنها.

وعلى هذا الأساس؛ فحبّ الدنيا له صور متعدّدة وكثيرة، بعضها واضح ظاهر، وبعضها الآخر خفي مستور، لا يكتشفه إلّا أصحاب البصائر، وإلى هذا المعنى يُشير الإمام زين العابدين الله في كلام له يقول فيه: «إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرنّكم...»(٣).

⁽١) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج٨، ص١١٤.

⁽٢) خطب أمير المؤمنين اليلاء نهج البلاغة: ج٤، ص٩.

⁽٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٨، ص٣١٧.

ومن هنا كان (حبّ الدنيا) رأس كلّ خطيئة، فها من ذنبٍ، أو جريمة، أو انحراف، إلّا وكان حتّ الدنيا وراءه.

وحيث اتّضح مما تقدّم أنَّ التطرّف نحوٌ من الانحراف، فلابدّ أن يكون وراءه حبّ الدنيا؛ لأنَّ حبّ الدنيا أساس الانحراف ومنشؤه، وتُشير بعض الأحاديث إلى أنَّ المتطرِّف يحبِّ العلو، كما في حديث ورد فيه أنَّه قد تُليت بمحضر أمير المؤمنين التَّالِّا الآية المباركة: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَيِّثُكُمْ فِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِ الْخَيَوةِ الدُّنيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾، فقال التيلا: «أهل حروراء منهم»(١١).

وهذا الحديث يُلفت النظر إلى عدّة أُمور، منها:

١- إنَّ الدوافع التي تقف وراء حركة الخوارج كانت دوافع دنيويّة؛ بدليل قوله: ﴿ سَعَيْهُمْ فِي ٱلْحَيْوَةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، فالعبادة التي كانوا يتظاهرون بها، لم تكن خالصة لله تعالى، وإنَّما كان يشوبها العُجب والرياء، ولعلِّ قوله: ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ يُشير إلى ذلك.

٢- إنَّ تشخيص حقيقة الخوارج وواقعهم، لم يكن واضحاً لدى النَّاس عامَّة، بل لعلَّ الأمر على عكس ذلك، فهم كانوا يُشكِّلون الطبقة المتديِّنة في المجتمع الإسلامي؛ ولهذا تصدّى الإمام الله لإظهار حقيقتهم، وأنَّهم من مصاديق الآية الكريمة.

إذاً، تشخيص حقيقة المتطرّف ودوافعه ليس أمراً هيِّناً يتيسَّر لكلّ أحد؛ لِما يظهر عليه من العبادة والالتزام، ممّا يجعل النّاس عامّة يتأثّرون به، وبالتالي ينقادون إلى مشروعه.

المحور الثاني: الاعتدال والوسطيّة

بعد أن اتّضح معنى التطرّف في اللّغة والاصطلاح، ومظاهره وأسبابه، سنتناول في هذا المحور الاعتدال والوسطيّة، اللذين يقابلان التطرّف باعتبارهما المنهج الإسلامي الذي رسمه القرآن الكريم والسنّة المطهّرة قولاً وفعلاً. وعليه؛ نتطرّق في هذا المحور إلى عدّة موضوعات:

⁽١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٣٣، ص٢٥٣.

أوّلاً: معنى الاعتدال والوسطيّة

الاعتدال والوسطية لغةً: جاء في المعجم الوسيط: (اعتدل): توسط بين حالتين في كم، أو كيف، أو تناسب. يقال: ماء معتدل: بين الحار والبارد. وجو معتدل: بين الحرارة والبرودة. وجسم معتدل: بين الطول والقصر، أو بين البدانة والنحافة(۱).

وجاء في المصدر نفسه: (الوسط):

١_وسط الشيء: ما بين طرفيه وهو منه.

٢ ـ المعتدل من كلُّ شيء. يقال: شيء وسط: بين الجيَّد والرديء.

٣ ما يكتنفه أطرافه ولو من غير تساوٍ.

٤_ العدل(٢).

إذاً؛ الاعتدال: التوسّط بين حالتين. والوسط: المعتدل، فهم كلمتان مترادفتان.

وفي الاصطلاح: لم نعثر على تعريف اصطلاحي خاصّ بالاعتدال والوسطيّة لي يُغاير المعنى اللُّغوي المتقدّم، وعليه يمكن أن نقول: إنَّ الاعتدال والوسطيّة ما يقابل التطرّف، أي: لا إفراط ولا تفريط، فالوسطيّة والاعتدال في التفكير والسلوك هو المعنى المقصود هنا.

ثانياً: الإسلام دين الاعتدال والوسطيّة

إنّ الدين الإسلامي يدعو إلى الوسطيّة والاعتدال في جميع تشريعاته، كما يظهر ذلك جليّاً من خلال مراجعة القرآن الكريم، وملاحظة سيرة النبي الأكرم على وأهل بيته المحليّة، فكلّ تشريع في الكتاب العزيز، أو على لسان أهل بيت العصمة المحليّة، هو آية الاعتدال والوسطيّة.

⁽١) أنظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: ص٥٨٨.

⁽٢) أنظر: المصدر السابق: ص١٠٣١.

والحقيقة أنَّ هذا الموضوع _ وسطيّة الإسلام _ من المواضيع المهمّة التي تحتاج إلى بحث مفصّل، تُستقصى فيه الآيات الكريمة، وتُصنّف بشكل تتّضح معه معالم الاعتدال والوسطيّة، وهكذا أحاديث النبي الأكرم عَيْنَ وأهل البيت المَيْلُ وأهل البيت المَيْلُ .

ولكن من المناسب الإشارة فيها يلي إلى بعض الشواهد القرآنيّة الدالّة على ذلك، وقد سبق أن أشرنا إلى بعضِ منها في طيّات المحور الأوّل:

الشاهد الأوّل: القصاص في الإسلام

من الواضح أنَّ الإسلام قد جعل للمجني عليه أولولية حقّ القصاص من الجاني، ولكن بشرط أن لا يخرج بذلك عن حدود الحقّ، وإليك بعض الآيات:

١ ـ قال تعالى: ﴿ وَلَا نَقَتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُلِلَ مَظْلُومًا فَقَدَّ جَعَلْنَا لِمَا تَعَالَى: ﴿ وَلَا نَقَتُلُوا ٱلنَّفُورُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّقَصُود مِن قوله: ﴿ فَلَا يَهُ مِن الْحَالَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

٢ قال تعالى: ﴿ وَكُنْبَنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ وَالْأَنفَ وَالْأَنفَ بِالْمَانَ وَالْأَنفَ وَالْأَنفَ وَالْأَنفِ وَالْأَنفِ وَالْأَنفِ وَالْأَنفِ وَالْأَنفِ وَالْأَنفِ وَالْأَنفِ وَالْمَانِ فَالْمَوْنَ ﴾ (١) يعِ فَهُو كَاللَّهُ فَأُولَتَ إِلَى هُمُ الظَّلِمُونَ ﴾ (١).

٣_ قال تعالى: ﴿ وَجَزَّوُا سَيْئَةٍ سَيْئَةً مِثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ، عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ، لَا يُحِبُّ الظَّلِلِمِينَ ﴾ (٣).

٤_ قال تعالى: ﴿ الشَّهُ رُاكُو الشَّهُ رِاكُو السَّهُ إِلَيْ اللَّهُ اللَّالَّالَةُ اللَّالَّاللَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

٥ ـ قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَنْلَيِّ الْخُرُّ بِالْخُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ

⁽١) الإسراء: آية ٣٣.

⁽٢) المائدة: آية٥٤.

⁽٣) الشورى: آية ٠ ٤.

⁽٤) البقرة: آية ١٩٤.

وَٱلْأَنْثَىٰ بِٱلْأَنْثَىٰ فَمَنُ عُفِى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱلِبَاعُ إِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنِ ۚ ذَاكِ تَحْفِيفٌ مِّن رَّبَكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَن ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَالِكَ فَلَهُ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾(١).

ولعلّ هناك آيات أُخرى يجدها الباحث، وهي تُشير جميعاً إلى وسطيّة القصاص وعدالة تشريعه، بحيث لا يُسمح لصاحب الحقّ أن يأخذ أكثر من حقّه، بعد ملاحظة توفّر الدواعي لذلك؛ لتملّك المجني عليه أو الولي حالة من الغضب يخرج بها _ أحياناً _ عن دائرة الحقّ إلى دائرة التطرّف والباطل، فيخرج بذلك عن دائرة الإيهان التي تفرض على المؤمن الاتّزان والاعتدال، وعدم التعدّي، وإلى ذلك يُشير الحديث الوارد في وصف المؤمن: "إنّم المؤمن الذي إذا غضب لم يُخرجُه غضبه من حقّ، وإذا رضى لم يُدخلُه رضاه في باطل، وإذا قدر لم يأخذ أكثر عمّا له»(٢).

الشاهد الثاني: العدل في الإسلام

١ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمُ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمْنِئَتِ إِلَىٰٓ اَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحَكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ...﴾ (٣).

ففي هذه الآية يأمر القرآن الكريم بالعدل في موارد الحكم بين الناس؛ لمنع الظلم والحيف، وهما من التطرّف.

٧_ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدُلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَآمِ ذِي ٱلْقُرْبِكِ ... ﴾(١).

والآية تُفيد وجوب العدل مطلقاً، وفي جميع الأشياء، وهذا دليل واضح على أنَّ العدل من الأُسس التي بُني عليها الإسلام.

٣_ قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآمِهِنَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْنَتَلُواْ فَأَصَّلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنْ بَعَتَ إِحْدَنهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَنِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَىٰ تَغِيءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصَّلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاً إِنَّ

⁽١)البقرة: آية١٧٨.

⁽٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٣٣.

⁽٣) النساء: آية ٥٨.

⁽٤) النحل: آية ٩٠.

الله يُحِبُ المُقْسِطِينَ ﴾(١). وهي تُفيد أنَّ الإصلاح إنَّما يكون وفق العدل ليأخذ كلّ ذي حقٍّ حقه.

إلى غيرها من الآيات التي تجعل العدل أساساً يُرجَع إليه في جميع الأشياء.

الشاهد الثالث: الاستقامة في الإسلام

ومن تلك المفردات الدالّة على الاعتدال والوسطيّة هي مفردة الاستقامة، التي دعا إليها القرآن الكريم في الكثير من الآيات؛ إذ من الواضح أنَّ المقصود منها: الاعتدال وعدم الميل.

١_قال تعالى: ﴿ فَأُسْتَقِمْ كُمَّاۤ أُمِرْتَ ... ﴾(٢).

٢ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ ...﴾(٣). إلى غيرها من
 الآيات الدالة على لزوم الاستقامة ومراعاتها.

الشاهد الرابع: أسلوب الحوار في القرآن

ا _ قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَهُلُ ٱلْكِئْبِ تَعَالُوْا إِلَىٰ كَلِمَةِ سَوَلَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُوْ أَلَّا نَعَبُدُ إِلَّا اللهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ عَشَيْعًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُ نَابَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِ عَشَيْعًا وَلَا يَتَخِذَ بَعْضُ نَابَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا الله وَلَا يَتَعْمُ اللهُ وَمِناظرته مع بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ وَمَا اللَّهُ وَمِناظرته مِع المَنْ اللهُ خرى على القواسم المشتركة؛ لتكون هي المنطلق للحوار والحديث.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحُسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِٱلَتِي هِي أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْ تَدِينَ ﴾ (٥).
 هِي أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُو اَعْلَمُ بِمَن ضَلَ عَن سَبِيلِةٍ ﴿ وَهُو اَعْلَمُ بِٱلْمُهْ تَدِينَ ﴾ (٥).

⁽١) الحجرات: آية ٩.

⁽٢) هود: آية ١١٢.

⁽٣) فصلت: آبة ٣٠.

⁽٤) آل عمران: آية ٢٤.

⁽٥) النحل: آية ١٢٥.

فقد استعمل القرآن ثلاث مفردات مهمة في كيفية الدعوة إلى الإسلام، وهي: (الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن)، وهذه المفردات من أهم الوسائل التبليغيّة التي يعتمدها القرآن في نشر العقيدة، فإنها تخاطب العقول عبر الحكمة، والنفوس عبر الموعظة الحسنة، بعيداً عن التشنّجات والتعصّبات المقيتة.

والشواهد في سيرة النبي الأكرم الله وأهل بيته المالي كثيرة جداً، فهذه حياة النبي الله مليئة بصور الانفتاح واللين، والهدوء في الحوار والدعوة إلى الإسلام، حتى صارت هذه السبب الأبرز في دخول النّاس إلى الإسلام أفواجاً، وقد وصفه القرآن الكريم بها يرجع إلى هذه الصفة في جملة من آياته من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَيِظَ ٱلْقَلْبِ لَانْفَضُواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٢).

ويوم فتح مكّة أعطى لواءه لأمير المؤمنين الله وأمره أن ينادي: «اليوم يوم المرحمة، اليوم تُحمى الحرمة...»(٣)، بعد أن كان اللواء بيد سعد بن عبادة، وكان ينادي: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسبى الحرمة...»(٤).

وهذا أمير المؤمنين الله يبرز بين الصفيّن في يوم الجمل - بعد أن تقطّعت به أسباب الصلح والتهدئة - فنادى على أحد قادة الناكثين (الزبير بن العوام)؛ ليحاوره ويحادثه ويُذكّره بالعهد والميثاق والأُخوة؛ حتّى يتجنّب المسلمون الحرب والقتال. وهكذا صنع مع معاوية عندما أرسل له الرسل والكتب؛ لإقناعه وهدايته من ضلاله، وهكذا صنع مع الخوارج، والأمثلة والشواهد كثيرة.

وهكذا صنع الإمام الحسين الله مع أعدائه الذين اجتمعوا على قتله؛ إذ قام فيهم خطيباً، ليُذكّرهم بحدود الله تعالى وحقوقه عليهم، ويُثنيهم عن قتله، وانتهاك

⁽١) آل عمران: آية ٩٥١.

⁽٢) القلم: آية ٤.

⁽٣) السند، محمد، الحداثة، العولمة.. في ميزان النهضة الحسينيّة: ص٢٧٤.

⁽٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢١، ص١٠٥.

حرمته. ولكنّهم أبوا إلّا قتله.

هذه بعض عناوين الشواهد القرآنيّة التي تدلّ بوضوح على وسطيّة الإسلام واعتداله، وهناك شواهد كثيرة جداً، لم نذكرها خوف الإطالة، ولا بأس بالإشارة إليها:

١- نهي القرآن عن مظاهر التطرّف، كالنهي عن الظلم، والبغي، والإسراف،
 وغيرها من مظاهر التطرّف؛ فإنَّ نهيه عنها يدلّ على اعتداله.

٢ الدعوة إلى التفكير العلمي السليم، والنهي عن التقليد الأعمى.

٣- الدعوة إلى التعايش السلمي بين النَّاس، والنهي عن إثارة الفتنة.

٤ مدح القرآن لأهل الاعتدال والاستقامة، وذمّه لأهل التطرّف والانحراف.
 إلى غيرها من العناوين الدالّة على اعتدال الإسلام ودعو ته للوسطيّة.

ثالثاً: ميزان الاعتدال

هناك سؤال مهمٌّ تلزمنا الإجابة عليه، وإلَّا فلا فائدة من هذا البحث وأمثاله.

وحاصله: إنَّ وسطيَّة الإسلام واعتداله أمر واضح يعتقد به حتَّى المتطرِّفون، ولكن المشكلة تكمن في تحديد الوسطيَّة والاعتدال المطلوبين، فالمتطرِّف لا يعتقد أنَّه متطرِّف ومجانب للاستقامة، بل يعتقد أنَّه في قمة الاعتدال والوسطيَّة، وأنَّ غيره هم المتطرِّفون والمنحرفون.

وعليه؛ نحن بحاجة إلى الضابطة التي نرجع إليها جميعاً؛ لتشخيص حالات الاعتدال والتطرّف، وتمييز الموارد بعضها عن بعض، وإذا كانت بعض الموارد والحالات معلومة ومعروفة، فإنَّ هناك الكثير الكثير مما يختلط أمره على النّاس، فلا يعرفون مصداق التطرّف عن مصداق الاعتدال.

إذاً، هل هناك ضابطة يمكن أن نرجع إليها في تشخيص موارد الاختلاف؟

وقبل أن نذكر الجواب لا بأس بنقل كلام للعلّامة الطباطبائي الذي يصلح أن يكون تمهيداً للجواب، إذ قال ما نصه: «إنّ الكون على ما بين أجزائه من التضاد

والتزاحم، مؤلَّف تأليفاً خاصًا يتلاءم معه أجزاؤه بعضها مع بعض في النتائج والآثار... فالكون يسير بالنظام الجاري فيه إلى غايات صالحة مقصودة، وهو بها بين أجزائه من الارتباط التام يخطّ لكلّ من أجزائه سبيلاً خاصّاً، يسير فيها بأعهال خاصّة من غير أن يميل عن حاق وسطها إلى يمين أو يسار، أو ينحرف بإفراط أو تفريط، فإنَّ في الميل والانحراف إفساداً للنظام المرسوم، ويتبعه إفساد غايته وغاية الكلّ، ومن الضروري أنَّ خروج بعض الأجزاء عن خطّه المخطوط له، وإفساد النظم المفروض له ولغيره؛ يستعقب منازعة بقيّة الأجزاء له، فإن استطاعت أن تقيمه وتردّه إلى وسط الاعتدال فهو، وإلّا أفنته وعفت آثاره حفظاً لصلاح الكون واستيفاءً لقوامه.

والإنسان الذي هو أحد أجزاء الكون غير مستثنى من هذه الكلّية، فإن جرى على ما يهديه إليه الفطرة فاز بالسعادة المقدّرة له، وإن تعدّى حدود فطرته وأفسد في الأرض، أخذه الله سُبحانه بالسنين والمثلات، وأنواع النكال والنقمة؛ لعلّه يرجع إلى الصلاح والسداد، قال تعالى: ﴿ طَهَرَ الْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِيما كَسَبَتُ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ النَّي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ رَجْعُونَ ﴾»(١).

إذاً، الكون بأجمعه يقوم في نظامه على الاعتدال وعدم الإفراط والتفريط؛ وحيث إنَّ الإنسان من أجزاء الكون، فلابد أن يخضع لنفس النظام، وعليه فغاية بعث الرسل، وإنزال الكتب الساوية، وتشريع القوانين الإلهيّة، هو إخضاع الإنسان لقانون الاعتدال؛ ليبقى محافظاً على قوانين الكون، ولا يشذّ أو ينحرف، فإنّ شذوذه وانحرافه (تطرّفه) له تأثير على الكون، ولابدّ حينئذٍ أن ترسم الشريعة للإنسان خطّ الاعتدال الذي ينبغي له اتباعه، وفي حال انحرافه عن المسار الصحيح لابدّ أن تردعه الشريعة، بحيث تضمن رجوعه إلى خط الاعتدال المرسوم له.

ومن هنا نعود إلى السؤال من جديد _ بعد أن اتّضح لنا ضرورة الوسطيّة

⁽١) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٥، ص٢٠٦.

والاعتدال، وأنَّهما من الضرورات التكوينيّة والتشريعيّة ـ ما هو الضابط في خط الاعتدال الذي رسمته الشريعة للإنسان؟

والجواب: لا إشكال أنَّها قد جعلت ضابطة لذلك، ولكن ما هي هذه الضابطة؟ حاول بعضٌ أن يُجيب على ذلك بها نصه أنَّ: «وسطيّة الإسلام تقتضي إيجاد شخصيّة إسلاميّة مُتّزنة، تقتدي بالسلف الصالح في شمول فهمهم واعتدال منهجهم، وسلامة سلوكهم من الإفراط والتفريط...»(۱).

وهذا الجواب يفترض جعل (السلف الصالح) ميزاناً للاعتدال والوسطيّة، يرجع إليه المسلم لتشخيص ذلك، ولكن هذا الفرض لا يُطابق الواقع إطلاقاً؛ وذلك لأنَّ اعتدال (السلف الصالح) مجرّد دعوى، والدليل اختلافهم الشديد لاسيّما بعد وفاة النبي الأكرم على المسلم الذي يقرأ النبي الأكرم الله على المسلم الذي يقرأ في التاريخ أنَّ آلاف المسلمين قد قُتلوا في حروب طاحنة قادها السّلف الصالح - بل قتل السلف الصالح بعضهم بعضاً - أن يجعلهم ميزاناً للاعتدال والوسطيّة؟! فهذا طلحة والزبير وأُم المؤمنين عائشة، الذين هم من السلف الصالح عند صاحب القول السابق، وعند الكثير من المسلمين، قد خاضوا حرباً ضروساً مع جيش الإمام أمير المؤمنين على السلف الصالح أيضاً، بل عند جميع المسلمين، وهكذا الأمر في معركة صفيّن، فكيف يتسنّى للمسلم اليوم أن يعيش اعتدال العقيدة والسلوك بالرجوع إلى السلف مع هذا الاختلاف الشديد، ألا يفترض في الرجوع المذكور أن يكون (السلف الصالح) معصوماً؛ ليصلح قياس الاعتدال عليهم؟!

ومن هنا؛ فلابد أن يُفترض وجود (أُمّة وسط) معصومة لا يعتريها التطرّف والزيغ، تكون هي المرجع في تشخيص الاعتدال والوسطيّة، وهذه (الأُمّة الوسط) قد تحدّث عنها القرآن الكريم وذكر لها أوصافاً، وذكرها النبي الأكرم عَلَيْكُ وأكّد عليها

⁽١) حبيب الله، صالح، (تشي شيوهي الصيني)، وسطيّة الإسلام: ص٧.

في أحاديث كثيرة، سنذكر فيها يلي بعضها:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَاكِ جَعَلْنَكُمُ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُواْشُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمُ شَهِيدًا ﴾(١). وقد جاء في تفسيرها عدّة روايات منها:

ا _ عن بريد بن معاوية العجيلي، عن الباقر عليه: «نحن الأُمّة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجّته في أرضه»(٢).

٢ ـ في رواية أُخرى قال الله «إلينا يرجع الغالي، وبنا يلحق المقصّر الذي يقصّر بحقّنا…»(٣).

٣ ـ روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب (شواهد التنزيل) بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي، عن علي الله تعالى إيّانا عنى بقوله: ﴿لِنَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى بقوله: ﴿لِنَكُونُواْ شُهَدَاءَ الله على خلقه، وحجّته في أرضه، ونحن الذين قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمُ أُمَّةً وَسَطًا ﴾»(٤).

وسواء كان المراد من (الأُمّة الوسط) خصوص (العترة الطاهرة) أو الأعمّ، وهم المصداق الواضح والأبرز، فالنتيجة واحدة، إذ جعلت الآية (العترة الطاهرة) مرجعاً للوسطيّة والاعتدال التي ستشهد على النّاس.

إذاً، بعد ملاحظة هذه الروايات يتضح أنَّ (الأُمَّة الوسط) هم العترة، أو هي القدر المتيقّن منها، وعليه فالاعتدال والوسطيّة ينبغي أن يُقاس عليهم، فكلّ مَن يخالفهم فهو متطرّف؛ لأنَّه خالف الأُمّة الوسط؛ ومن هنا يمكننا أن نفهم المعنى الحقيقي لبعض الأحاديث، التي تجعل من أهل البيت المي مقياساً لتمييز الحقّ من الباطل، والإيمان من النّفاق، كقول النبي عَيَّا في حقّ أمير المؤمنين المؤلّة : «علي مع الحقّ الباطل، والإيمان من النّفاق، كقول النبي عَيَّا في حقّ أمير المؤمنين المؤلّة : «علي مع الحقّ

⁽١) البقرة: آية ١٤٣.

⁽٢) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص٨٤.

⁽٣) الصدوق، محمد بن على، الخصال: ص٦٢٧.

⁽٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج١، ص٤١٧.

والحقّ مع على، يدور معه حيثها دار»(١)، وقو له على الله على الله على الله على الله على الله على الله مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»(٢)، وغيرها كثير.

هذا كلّه بلحاظ هذه الآية المباركة، وهناك آيات أُخرى لا يسع المقام لذكرها. وأمّا الأحاديث والروايات، فهي كثيرة نذكر بعضاً منها:

١_حديث الثقلين

فقد تواترت الأحاديث على أنَّ النبي عَيَّا لله قد قال في أكثر من مناسبة: «إنِّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنِّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله (عزّ وجلّ) وعترتي، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترت أهل بيتي، وإنَّ اللطيف الخبير أخبرني أنَّها لن يفترقا حتّى يردا على الحوض، فأنظروا بمَ تخلِّفوني فيهما». وفي رواية «إنِّي تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتى...»^(۳).

والذي ينبغي الالتفات إليه أنَّ الحديث قد جعل (العترة) عِدل القرآن وقرينه، بحيث لا يفترقان، ومعنى ذلك أنَّ اجتماعهما علَّه تامَّة لحصول الهداية، وبافتراق أحدهما عن الآخر لا تُشكِّل العلَّة التامَّة، وعليه؛ فالتمسَّك بالكتاب لوحده لا يعصم الإنسان من الضلال، فالتعبير بـ(حسبنا كتاب الله) ليس صحيحاً، ما لم ينضم إليه الثقل الآخر وهو العترة، كما أنَّ العترة لوحدها لا تكفي في حصول الاعتصام والاستقامة ما لم ينضم القرآن إليها، فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية، والحقيقة أنَّ الحديث عن هذه النقطة يحتاج إلى توسعة تخرجنا عن الهدف من كتابة هذا المقال.

⁽١) المفيد، محمد بن محمد، الفصول المختارة: ص٩٧.

⁽٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٣٩، ص٢٥٢.

⁽٣) أنظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٧، ص١٢٢. الترمذي، عيسى بن محمد، سنن الترمذي: ج٢، ص٧٠٣. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٣، ص١٧، و٢٦ص، وص٥٩، وغيرهم كثير.

والمهم أنَّ الحديث الشريف قد جعل ميزان الاعتدال والاستقامة في الإسلام (القرآن والعترة) لا غير.

٢_حديث السفينة

فقد روى المحدّثون عن النبي الأكرم ﷺ قوله: «إنَّما مثل أهل بيتي في أُمّتي كمثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق»(١).

وقد علَّق على هذا الحديث ابن حجر في صواعقه، قائلاً: «ووجه تشبيههم بالسفينة أنَّ مَن أحبّهم وعظّمهم؛ شكراً لنعمة مُشرّفهم، وأخذ بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات، ومَن تخلّف عن ذلك، غرق في بحر كفر النّعم، وهلك في مفاوز الطغيان» (٢).

يُضاف إليه أنَّ النبي الأكرم عَيِّك في هذا التشبيه يُشير إلى قضية يقرأها في مستقبل أُمَّته، وهي انقسام الأُمَّة إلى قسمين: مهتدين، وضالَّين، تماماً كما هو الحال في أُمَّة نوح ﷺ، ثمَّ جعل المقياس والمرجع في تمييز إحدى الطائفتين عن الأُخرى أهل البيت المالك ، فمَن تمسَّك بهم وأخذ عنهم نجا، كما نجا مَن ركب في سفينة نوح، ومَن تخلُّف عنهم ولم يأخذ منهم، فقد ضلَّ، وجانب الصواب، ووقع في التطرُّف والانحراف.

٣_حديث الأمان من الاختلاف

فقد روى المحدّثون عن ابن عباس، عن النبي عَيْشُ أنَّه قال: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف»(٣).



⁽١) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله، المستدرك: ج٢، ص١٥١. والسيوطي، جلال الدين، خصائص أمير المؤمنين: ج٢، ص٢٦٦، وغيرها.

⁽٢) ابن حجر الهيتمي، أحمد، الصواعق المحرقة: ص١٥٣.

⁽٣) أخرجه عدد من المحدّثين، منهم: الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك: ج٣ ص١٤٩، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه. المتقى الهندي، على، كنز العمال: ج٦، ص٢١٧، وغيرهما.

وواضح أنَّ الاختلاف ناشئٌ من عدم الاقتداء بأهل البيت المَيِّ ، وعدم الأخذ عنهم. إذاً ، ميزان الاعتدال في الإسلام القرآن الكريم والعترة الطاهرة ، والخروج عن هذين الأصلين أو أحدهما يقتضى التطرّف والانحراف.

المحور الثالث: اعتدال النهضة الحسينيّة في مواجهة مشروع التطرّف

اتضح من خلال المحور الثاني أنَّ القرآن الكريم والعترة الطاهرة، هما المشروع الإسلامي في الاعتدال والوسطيّة، وترتّب على ذلك، أنَّ مخالفة هذا المشروع والخروج عنه، يُمثّل خروجاً عن حدِّ الاعتدال، وابتعاداً عن خط الاستقامة الذي رسمه الله سُبحانه وتعالى لبني البشر.

وعليه؛ فمشروع أهل البيت الميارة هو المشروع الإلهي الذي أراده الله سبحانه وتعالى، واختاره للعباد، فهو قد اختارهم لأداء هذه المهمّة؛ فلذا عصمهم من الزلل، وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ولكن في قِبال هذا المشروع برز المشروع الأُموي المتطرّف، الذي حاول أن يقف أمام هذا المشروع؛ ليحرم الأُمّة من ثمرات الاعتدال وفوائده، كلّ ذلك لأهداف دنيوية، وقد بدأ هذا المشروع منذُ بداية الدعوة الإسلامية، مُتمثّلاً بأبي سفيان رأس الكفر والنفاق، الذي قاد الحروب ضدَّ المشروع الإسلامي عَلناً، ثمَّ قاده بالخفاء بعد الإخفاق في العَلن، واستمر هذا المشروع يتوارثه الأبناء جيلاً بعد جيل حتى يومنا هذا، وقد بلغ ذروته على يدّ معاوية وابنه يزيد، وحققا نجاحاً كبيراً في تأسيس مشروع التطرّف؛ ممّا اقتضى الأمر أن يتصدّى الإمام الحسين الله وهو الممثّل الوحيد في زمانه للمشروع الإسلامي الأصيل للواجهة هذا التطرّف الخطير، وإيقاف امتداده وتوسّعه في المجتمع الإسلامي المستسلم وقتئذٍ. إذاً، النهضة الحسينية كانت تهدف لإيقاف مشروع التطرّف الأموي وإرجاع إذاً، النهضة الحسينية كانت تهدف لإيقاف مشروع التطرّف الأموي وإرجاع عذة موضوعات:

ظواهر التطرّف في عصر النهضة الحسينيّة

يمكننا أن نتلمّس مظاهر التطرّف في المجتمع الإسلامي المعاصر للنهضة الحسينيّة المباركة، من خلال مكاتبات الإمام الحسين الما للهاوية، وكذلك لأهل الكوفة بعد هلاك معاوية، ومن خلال تصريحاته وخطبه التي أدلى بها قُبيل النهضة، ومن خلال تصريحات وخطب أصحابه وأهل بيته قبل الواقعة وأثنائها وبعدها، من خلال ذلك كلُّه يمكننا أن نستشر ف حجم التطرُّف في تلك الحقبة الزمنيَّة، وخطورته على مستقبل الأُمَّة، لو لا النهضة المباركة التي وقفت أمامه، وفيها يلي نَعرض لأهمّ مظاهر التطرّف التي نحاول استفادتها من تصريحات الإمام الحسين الله ومكاتباته وخطبه، ومن خلال تصريحات وخطب أصحابه وأهل بيته الملكالاً.

الظاهرة الأُولى: شرعيّة الحاكم الجائر

إنَّ انحراف الخلافة عن مسارها الصحيح، هو خروجٌ عن حدِّ الاعتدال الذي رُسِمَ لهذه الأُمَّة، وتنكَّرُ للأُمَّة الوسط التي أُمرنا بالخروج إليها والأخذ منها، وقد أدّى هذا الانحراف إلى المزيد من التطرّف والابتعاد عن الاعتدال، حتّى تسلّط على رقاب المسلمين معاوية بن أبي سفيان، الذي بلغ التطرّف في عهده ذروته؛ إذ حاول بكلُّ ما أُوتِي من دهاء أن يُشرعن التطرُّف، ويجعل من تولِّي شرار الناس مقاليد الحكم عقيدةً يُؤمن بها النَّاس مرغومين، فقام بوضع الأحاديث وتزويرها؛ لتحقيق هذا الغرض. فقد رووا في صحاحهم أنَّ النبي عَيِّاللهُ قد قال: «يكون بعدى أئمّة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتُطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع»(١).

⁽١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٦، ص٠٢.

والأحاديث في هذا المجال كثيرة، وهي تحاول إضفاء الشرعية لحكّام الجور، وعدم مشروعية الخروج عليهم، على الرغم من كثرة التجاوزات التي تصدر عنهم، بحيث لو أخذ الحاكم الجائر أموال الناس ظلماً وعدواناً، واعتدى عليهم بغير حقّ، فلا يجوز الخروج عليه؛ لأنّ ذلك يُسبب الفرقة في الدين، ووقوع الفتن، مما يُوجب إضعاف الحكومة الإسلامية.

إنَّ هذه الأحاديث وأمثالها قد ظهرت بشكل واضح وشاعت بعد توليّ معاوية السلطة، ولم تكن كذلك قبل تولّيه، وممّا يؤيّد ما نقول: إنَّ هذه الأحاديث لم يكن لها عين أو أثر في عهد الإمام أمير المؤمنين الله الخرج عليه جماعة من أصحاب الرسول عليه الله من أم المؤمنين عائشة، وهكذا معاوية، وعمرو بن العاص، ومعها أهل الشام، فإذا كانت هناك أحاديث تنهى عن الخروج على الحاكم لامتنع هؤلاء الصحابة عن الخروج، ولاحتج بقيّة الصحابة بهذه الأحاديث، وفي مقدمتهم أمير المؤمنين الله المؤمنين الله المؤمنين الله عنين الله المؤمنين الله المناه المؤمنين الله المؤمنين الله المؤمنين الله المؤمنين الله المؤمنين الله عنين المؤمنين الله المؤمنين الم

وعلى كلّ حال، لا إشكال ولا ريب في وجود دوافع سياسيّة وراء هذه الأحاديث المكذوبة، كان الهدف الأبرز منها تشريع ولاية الحاكم الجائر، واستبدال (الأُمّة المحرّفة)، واستبدال ولاية (الأئمّة الأطهار) بولاية (أئمّة الجور).

إنَّ الوقوف بوجه هذا المشروع الخطير كان من أولويات النهضة الحسينيّة، التي أخذت على عاتقها مواجهة أشكال التطرّف والانحراف، الذي كان يسود المجتمع الإسلامي وقتئذ، بفعل سياسات الحكّام والمتسلّطين، ويمكننا قراءة ذلك في تصريحات الإمام الحسين الله بوضوح، إذ كان الله يُردّده في أكثر من مناسبة ابتداءً من المدينة وانتهاءً بكر بلاء، ونذكر فيها يلى بعض تلك التصريحات:

١ _ ما قاله الإمام الحسين الله لمروان بن الحكم، الذي عرض عليه البيعة ليزيد؛ معلّلاً له بأنّ فيها خير الدين والدنيا، حيث أجابه الإمام الله على أن استرجع _:

«على الإسلام السلام إذا بُليت الأُمّة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدّي رسول الله عَيَّالله، يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان»(١). وتصريحه الله واضح في أنَّ سبب الخروج إنقاذ الأُمّة من الحاكم الجائر، ومنعه من فرض شرعيّته.

٢ ـ ما قاله الإمام على في الخطبة التي خطبها في جيش الحرّ: «أيّها الناس، إنَّ رسول الله، الله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مُستحلًا لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله الله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مُستحلًا لحرام الله، ناكثاً عهده، كان حقاً على الله أن يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل، ولا قول، كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله. ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقى مَن غيَّر هرن.

وفي هذا الكلام قد ركز الإمام الله على ثلاث نقاط مهمة:

النقطة الأُولى: إنَّ الصادر عن النبي عَيَّا هو لزوم الخروج على الحاكم الجائر لا عدم جوازه، كما يُروِّج لذلك الحزب الحاكم، فهو بهذا التصريح يُكذّب الأحاديث التي اختلقها الحزب الحاكم لشرعنة تسلّطه.

النقطة الثانية: تطبيق عنوان (السلطان الجائر) على الحكم الأُموي، من خلال ما أفرزه هذا النظام من مخالفات صريحة للشرع الإسلامي، من قبيل: (لزوم طاعة الشيطان)، و(تعطيل الحدود)، و(الاستئثار بالفيء)، وغيرها من مظاهر الانحراف والتطرّف.

النقطة الثالثة: إنَّ الإمام اللهِ هو المسؤول عن التغيير، والمعَنْي به أكثر من غيره، وهو بذلك يُشير إلى مسؤوليته في إرجاع الأُمَّة إلى الاعتدال والوسطيّة، وأنَّ غيره لا يستطيع ذلك؛ لعدم امتلاكه المؤهلات التي يمتلكها الإمام الحسين اللهُ؛ لكونه من (الأُمَّة الوسط) ومن (العترة) التي يُقاس الاعتدال بهم وتُعرف الوسطيّة من خلالهم.

⁽١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين الله: ص١٤٢.

⁽٢) المصدر السابق: ص٢١٦_٢١٧.

٣ ما قاله الإمام الله خاطباً به والي المدينة لمّا طلب منه البيعة ليزيد: «إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا يختم الله، ويزيد رجل شارب الخمور، وقاتل النفس المحرَّمة، مُعلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»(١).

وفي هذا البيان يُسلّط الإمام الله الأضواء على موقفه لئلّا يُفسَّر تفسيراً ماديّاً، فإنّه يقول: إنَّ موقفي تجاه يزيد ليس موقفاً شخصيّاً أو خلافاً بين أُسرتين، وإنّا هو موقف تفرضه عليَّ الشريعة، فإنّا من قوم نزل فيهم الكتاب، وفتح الله بهم، فلا ينبغي أن أُداهن على حساب الحقّ، ولا أُجامل لمصلحة دنيويّة، فالموقف الشرعي يُحتِّم عليَّ رفض البيعة المذكورة، وإعلان بطلانها، وعدم جوازها أمام الملأ؛ لأنَّ مثل هذه البيعة تشكّل انحرافاً خطيراً على مستقبل الدين الإسلامي.

والملاحظة التي تجدر الإشارة إليها أنَّ النهضة الحسينيّة استطاعت إسقاط مشروعيّة (ولاية الجائر) لا إزالة الولاية، فالولاية والحكومة بقيت على حالها، ولكنّها بقيت مسلوبة الشرعيّة، وهذا هو المهم، أي: سلب الشرعيّة؛ لأنَّ الخطورة تكمن في اعتقاد شرعيّة الحاكم الجائر.

الظاهرة الثانية: حبّ الدنيا

لقد ذكرنا في المحور الأوّل أنَّ من أسباب التطرّف هو (حبّ الدنيا)، فإنّه رأس كلّ خطيئة، وهذه الظاهرة لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات، ولكن المشكلة تتفاقم فيها لو صارت ظاهرة شائعة في المجتمع، وسمة بارزة فيه، بحيث يُقبل الناس على الدنيا إقبالاً تامّاً، ويُعرضون عن الآخرة إعراضاً تامّاً.

إنَّ بلوغ المجتمع إلى هذا المستوى، لهو من أخطر الظواهر التي تقود إلى عصيان الشريعة ومخالفتها، ولعلَّ المجتمع الإسلامي في عصر الإمام الحسين الله قد بلغ هذا المستوى أو قريباً منه، وإلَّا فكيف يُفسَّر هذا السكوت المطبق عن أعظم جريمة

(١) المصدر السابق: ص١٣٩.

تشهدها الإنسانيّة! وهي قتل ريحانة الرسول عَلَيْهُ، وأهل بيته وأصحابه، في أبشع صورة وأوحش منظر، والعالم الإسلامي يقف محايداً متفرّجاً، بل يقف العديد منهم في صفّ الحاكم الجائر الذي أقدم على هذا الجريمة، وهناك الكثير من الشواهد والمواقف التي تدلّ بوضوح على تفاقم هذه الظاهرة في المجتمع المعاصر للنهضة الحسينيّة، فمن تلك الشواهد:

ا _ ما قاله الفرزدق للإمام الحسين الله حينها سأله عن خبر الناس خلفه، فأجابه: «قلوبهم معك، والسيوف مع بني أُميّة»(١).

وأدلُّ شيء على رسوخ حبّ الدنيا هو ضعف الإرادة، ومخالفة القناعات، فإنَّ قوله: «قلوبهم معك» يُشير إلى ميل النَّاس إلى (مشروع الإمام العادل)، ولكن الموقف والسيف مع (مشروع الحاكم الجائر)، وما ذلك إلّا لأنَّ المال والقوّة مع الثاني دون الأوّل، فموقفهم مخالفة صريحة لما يعتقدونه من الحقّ، فهم يعتقدون أنَّ الحقّ مع الإمام الحسين الله ولكنّهم يخالفون ذلك ويقفون مع الباطل حبّاً في الدنيا وميلاً لها.

٢ ـ موقف عمر بن سعد من حرب الحسين الله: فقد روى المؤرِّخون أنَّ حمزة بن المغيرة بن شعبة ـ ابن أُخت عمر بن سعد ـ قال لابن سعد: «أنشدك الله أن لا تسير لحرب الحسين، فتقطع رحمك، وتأثم بربك، فو الله، لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّه، لو كان لك، لكان خيراً لك من أن تلقى الله بدم الحسين. فقال ابن سعد: أفعل إن شاء الله، وبات ليلته مُفكّراً في أمره وسمع يقول:

أأترك ملك الرّي والري رغبتي أم أرجع مذموماً بقتل حسين وفي قتله النّار التي ليس دونها حجاب وملك الرّي قرّة عيني

وعند الصباح أتى ابن زياد، وقال: إنَّك ولّيتني هذا العمل وسمع به النّاس، فأنفذني له وابعث إلى الحسين مَن لست أغنى في الحرب منه، وسمّى له أُناساً من أشراف الكوفة.

(١) المصدر السابق: ص٢٠١.

فقال ابن زياد: لست أستأمرك فيمَن أُريد أن أبعث، فإن سرت بجندنا وإلّا فابعث إلينا عهدنا. فلمّا رآه مُلحاً قال: إنّى سائر»(١).

وواضح من موقفه أنَّ حبِّ الدنيا قد غلب عقله وتملَّكه، فأقدم على هذه الجريمة النكراء.

٣ ـ موقف عبيد الله بن الحرّ الجعفي من نصرة الإمام الحسين الله عرض الإمام الحر الله ابن الحر نصرته والقتال معه، قال له ابن الحر: «والله، إنّي لأعلم أنّ مَن شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أُغني عنك، ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله، أن تحملني على هذه الخطّة، فإنّ نفسي لا تسمح بالموت...»(٢).

فهو يعلم يقيناً أنَّ مشايعة الحسين اللهِ سعادة في الآخرة، ولكن الذي منعه هو ممانعة نفسه عن الموت، وما ذلك إلَّا لشدَّة التعلَّق بالدنيا وحبَّه للبقاء.

والشاهد الثاني والثالث وإن كان شخصيّاً، لكنّه أُنموذج لشرائح واسعة في المجتمع آنذاك، فالذين خرجوا لقتال الحسين الله دفعهم الطمع، والذين تقاعسوا عن نصرته منعهم خوف القتل وحبّهم للبقاء، والجامع بين الاثنين (حبّ الدنيا).

ولهذا نجد أنّ الإمام الحسين الله كان يركّز في خطبه على آفة حبّ الدنيا التي تملّكت المسلمين في تلك الحقبة الزمنيّة؛ بسبب (المشروع الأُموي)، فأفقدتهم الروح الإسلاميّة التي كان يمتلكها الكثير من أصحاب النبي الله في زمانه، والكثير من أصحاب النبي المشروع الأُموي استطاع أصحاب الإمام أمير المؤمنين الله في زمانه أيضاً، ولكن المشروع الأُموي استطاع بفعل دهائه وسياسته الشيطانيّة أن يقضي على هذه الروح في المجتمع الإسلامي، ولو لا نهضة الحسين الله التي أرجعت هذه الروح إلى جسد المجتمع الإسلامي، لبقي هذه المجتمع خاوياً فارغاً طوال هذه السنين، ولتحوّل إلى مجتمع خانع لا يعرف من الدين إلّا ما تُترجمه له السلطة الغاشمة، يعيش التطرّف والانحراف على جميع من الدين إلّا ما تُترجمه له السلطة الغاشمة، يعيش التطرّف والانحراف على جميع

⁽١) المصدر السابق: ص٢٣٥_٢٣٦.

⁽٢) المصدر السابق: ص٢٢٣.

المستويات، المستوى العقائدي، والأخلاقي، والسلوكي.

إنّ النهضة الحسينيّة المباركة أعادت إلى الأُمّة روح المقاومة والتصدّي لمشروع التطرّف الأُموي، ومنذُ ذلك الحين والثّلة المؤمنة تستمدّ من كربلاء روح الإباء والثبات والمقاومة؛ لتبقى عصيّة على (المشروع الأُموي المتطرّف)، وما نشهده اليوم من إباء وتضحية وتفانٍ يتمتّع به أبناء (المشروع العلوي المعتدل) لمواجهة (التطرّف الأُموي) ما هو إلّا امتداد لتلك الروح التي تمتّع بها أنصار الحسين الميه في كربلاء.

إِنَّ الثُّلَة المؤمنة القليلة التي قاتلت مع الحسين الله وواجهت (أخطر مشروع للتطرّف) قد أينعت ثهارها، وآتت أُكلها، فهذه الملايين من أتباع أهل البيت المعلّق هبّت ـ تلبية لنداء المرجعيّة الدينيّة ـ للتصدّي (للمشروع الأُموي الجديد القديم)، المتمثّل بها يُسمّى بـ (داعش)، فإذا قُتل في كربلاء (حبيب بن مظاهر الأسدي) شيخ الأنصار، فقد قُتل اليوم في معركة التصدي لـ (يزيد العصر) الكثير الكثير من أمثال حبيب بن مظاهر، وإذا قُتل في كربلاء ثُلة قليلة من الشباب، فقد قُتل اليوم وما زالوا الألاف من الشباب المؤمن في ساحات الشرف والجهاد، وإذا ضحّت في كربلاء نساء الأنصار بأزواجهن وأولادهن، فقد ضحّت اليوم ومازالت الكثير من الأُمهات تُضحّى بفلذات أكبادهن؛ نصم ة خط أهل البيت المهلية.

أقول: سيّدي أبا عبد الله الله إذا لم تُحبك أبداننا عند استغاثتك، فها هي اليوم شيعتك يستجيبون لندائك التاريخي: «ألا من ناصرٍ ينصرني»، فهبّوا لندائك وتركوا العيال والأطفال والأموال، تركوا كلَّ شيء لأجلك سيّدي؛ حتّى لا تبقى وحيداً في الميدان، وقد أحاط بك الأعداء من كلّ جانب، وأنت تستغيث ولا تُغاث، وها هم شيعتك سيّدي يسطّرون أروع البطولات والملاحم في معركتهم ضدَّ (المشروع الأُموي)، وها هي قوافل الشهداء منهم تلتحق بك سيّدي في جنان الخُلد عند مليك مقتدر، فأحسِن سيّدي ضيافتهم؛ فإنهم قُتلوا لحبّك وحبّ آبائك الطاهرين وأبنائك

الميامين، سيّدي خذهم إلى صدرك المرضوض بحوافر الخيول، فإنَّ أجسادهم قد مزِّقتها الأيدي نفسها التي مزِّقت جسدك الطاهر المقدّس.

نتائج البحث

يمكن تلخيص نتائج البحث بها يلي:

١ ـ إنَّ التطرّف ظاهرة خطيرة مَرَضيّة لها آثارها وأسبابها، تحدّثنا عن ذلك في المحور الأوّل.

٢ ـ إنَّ المشروع الإسلامي يقوم على أساس الاعتدال والوسطيّة، في قبال المشروع الأُموى القائم على التطرّف والانحراف.

٣ ـ إنَّ الاعتدال والوسطيَّة لا يتحققان إلّا من خلال الرجوع للكتاب الكريم والعترة الطاهرة، وقد أوضحنا ذلك في المحور الثاني.

٤ ـ إنَّ النهضة الحسينيَّة كانت تستهدف إرجاع الأُمة إلى الاعتدال بعد تطرّفها؛
 بسبب انحراف الخلافة عن مسارها الصحيح.

٥ ـ إنَّ من أهم مظاهر التطرّف في عصر النهضة الحسينيّة: (مشروعية الحاكم الجائر) و(حبّ الدنيا)، فكانت النهضة تستهدف القضاء على هذين الظاهرتين الخطيرتين.





مظاهر الإرهاب الفكري في المعسكر الأُموي (قراءة في الآليات والنتائج)

السيد شهيد طالب الموسوى*

تمهيد

ابتُلِيَت الأُمّة الإسلامية بآفة الإرهاب، الذي عُدَّ في فكر البعض من ذاتيات الدين الإسلامي. بيد أنّ الأُمّة الإسلامية هي المتضرّر من هذا النهج الغريب الذي وُلِدَ بين ظهرانيه نتيجةً لعوامل عديدة، منها: غياب الوعي الحقيقي بالرسالة المحمّدية، وعدم الانقطاع التام عن الجاهلية وعادات ما قبل الإسلام، وخاصّة بعد أن جاء الإسلام بديلاً متكاملاً لإدارة الحياة في مختلف الجوانب. ومنها: العلاقات الخارجية ببعض الجهات التي أرادت للإسلام أن ينتهي في جزيرة العرب كما بدأ منها. ومنها وهي أهمّها ـ: عزل أهل البيت الميلالا باعتبارهم يُمثّلون الامتداد الطبيعي للرسول الذين يحملون روح الإسلام وجوهره. وما نراه من المحاولات الفاشلة لإلصاق تهمة الإرهاب بالدين الإسلامي وبمنظومته الفكرية، من خلال تفسير بعض النصوص التي تأوَّلت على غير مراد السهاء، هو بعيد جداً عن واقع الإسلام؛ لأنّ من النصوص الإسلامية الصريحة ما يرفع هذه الشبهة عن الدين الإسلامي.

^{*} باحث وكاتب إسلامي.

لا شكَّ أنَّ الإرهاب الفكري من أخطر أنواع الإرهاب؛ لأنَّه يستهدف العقل الذي يُعدّ قيمة الإنسان العليا التي تميّزه عن سائر المخلوقات، ويستهدف على إثر ذلك الإبداع الفكري في مختلف جو انب الحياة، فيعمد إلى الحرّيات الفكرية فيقمعها، ويقيّد أُفق الإبداع، كما أنّ الإرهاب هو أُسلوب وسلوك خاص طبيعته إثارة الرّعب والخوف للوصول إلى هدف معيَّن، فالإرهاب الفكري هو ما كان يستهدف هذا الأُسلوب الفكر والعقيدة. إنَّ الإرهاب الفكري تارة يتبنَّى فكرة معيّنة يدافع عنها مذا الأُسلوب، وتارة يكون هو عدو الفكرة والرأى والعقيدة، ولعلَّ هذا الشكل أو النوع أشدّ خطراً من الأوّل؛ لأنّ إمكانية الحوار هنا منتفية من الأساس، إذ لا موضوع له.

ولا تختلف أساليب الإرهاب الفكري عن غيره في سبيل تحقيق أهدافه، وهذه الأساليب قد تتطوّر لتصل إلى حدّ التصفية الجسدية، أو الحبس، أو غير ذلك، التي من شأنها تغييب الخصوم عن ساحة النزاع إن لم يكن باستطاعته أن يُكمِّم الأفواه.

وأوضح المصاديق وأعمها للإرهاب الفكرى _ بكل خصائصه وصوره _ هو سياسة وأُسلوب المعسكر الأُموي في واقعة الطف، الذي استنفذ كل طاقاته العدوانية وأساليبه الإجرامية في سبيل تحقيق غرضه؛ المتمثّل بالقضاء على صوت الحق الرافض للاضطهاد والظلم، وتحريف الدين وتغييب مبادئه وقيمه الإنسانية، التي صدع بها الإمام الحسين علي معلناً رفضه لهذا الغرض البعيد عن الإسلام وتعاليمه، فواجه المعسكر الأُموي هذا الإصحار بأبشع صور العنف والقتل والسلوك الهمجي، وهي أجلى صورة للإرهاب الفكري جرت في تاريخ الإنسانية.

وفيها يلي من المباحث بيان للأساليب والآليات التي اعتمد عليها المعسكر الأموى في ترسيخ منهجيّته، مع شيء من التحليل الذي يُعدّبياناً لخصائص الإرهاب الفكري للمعسكر الأُموي.

الآلية الأُولى: سياسة الركون إلى الظالمين ـ دعم وتأسيس المعسكر الأُموى

إنّ من العوامل الأساسية التي اعتمدها الإرهاب الفكري الأُموي اعتهاداً مطلقاً هي سياسة الركون إلى الذين ظلموا _ هذا التعبير اقتبسناه من القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَلا تَرْكُنُواْ إِلَى النِّينَ ظَلَمُواْفَتَمَسَّكُمُ النّارُ وَمَا لَكُمُ مِن دُونِ اللّهِ مِنْ أَولِيكَ وَله تعالى ﴿ وَلا تَرْكُنُواْ إِلَى النّبِينَ ظَلَمُواْفَتَمَسَّكُمُ النّارُ وَمَا لَكُمُ مِن دُونِ اللهِ مِنْ أَولِيكَ وَ قوله تعالى ﴿ وَلا تَرْكُنُواْ إِلَى اللّهِ مِن اللهِ مَن اللهِ عَلَى المؤمنين عنها؛ كونها لا تليق إطلاقاً بمبادئ المؤمنين مها كانت الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها؛ لأنّ الأُسلوب والطريقة فرع المؤمنين مها كانت الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها؛ لأنّ الأُسلوب والطريقة الأسلوب المفدف والغاية، وقد قيل: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. إلّا أنّ هذا الأُسلوب يعتبر من الأساليب التي اعتمد عليها المعسكر الأُموي استعداداً لمواجهة الإمام الحسين النِّي. وهنا نهاذج نذكرها لهذا الأُسلوب، هي:

أولاً: يزيد بن معاوية بين ظلم السلف وتضليل الخَلف

إنّ من أوضح مظاهر الظلم هو ظلم الإنسان لنفسه، ثمّ ظلمه للآخرين، وأشدّ ما يكون الظلم كذلك هو تضليل الناس وإبعادهم عن الحق والصراط السوي، وهذا ما كان عليه بنو أُميّة قاطبة، ابتداءً من أسلافهم في عصر الجاهلية وعداواتهم لهاشم وعبد المطّلب، وما تمخّض عنه من عداوة معلنة من قبل أبي سفيان وعتبة بن ربيعة للنبي عَنَّى أمّا عتبة فقد قضى في معركة بدر، والدور الأهم كان لأبي سفيان الذي ما برح يُضعف كاهل الإسلام بمؤامراته وضعائنه حتى أعلن ذلك صراحة عندما بويع عثمان بن عفان خليفة ثالثاً للمسلمين بعد عمر بن الخطّاب، إذ ورد: «عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أُميّة، فقال أبو سفيان: أفيكم أحدٌ من غيركم؟ وقد كان عدي. قالوا: لا. قال: يا بني أُميّة، تَلَقّفُوهَا تلقُفَ الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما زلتُ أرجوها لكم، ولتصيرَنَّ إلى صبيانكم وراثة» (۲).

⁽١) هود: آية ١١٣.

⁽٢) المسعودي، على بن الحسين، مروج الذهب: ج٢، ص٢٦٨ ـ٢٦٩.

هذا الظلم من أبي سفيان لنفسه وللإسلام وأهله، اتخذه يزيد بن معاوية سيرة له، فترك الإسلام عقيدة ومنهجاً، وركن إلى أسلافه الظالمين بحق أنفسهم وبحق الإسلام وأهله. فأسس يزيد وقبله معاوية بناءً على هذا النهج فكرة الحكم الملكي، وبدأ بنو أُميّة بالفتك بكل ما من شأنه أن يُهدّد عروش سلطانهم، حتى أعلنها صراحة ودون لبس عندما أُدخِل عليه رأس الحسين اليه:

«لعبت هاشم باللك فلا خبر جاء ولا وحي نرل لستُ من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل»(۱).

فيزيد بن معاوية قد باع نفسه لهواه، كما فعل أسلافه، وركن إليهم كما ركنوا إلى سيرة أسلافهم من التعصّب والاستعلاء والبغض لأهل الخير. كما وركن أتباع بني أُميّة إلى يزيد الذي هو الآخر حمل أتباعه على اتّباع الهوى وترك الحق وأهله، فلا نكاد نجد فارقاً في الاعتقاد بين يزيد وأتباعه، وخاصّة المقرّبين منه أصحاب القرار كعبيد الله بن زياد وأضر ابه.

فالحرب التي أعلنها المعسكر الأُموي هي حرب ضدّ العقيدة والدين وليست حرباً عقائدية كما أشار إلى ذلك الشهيد مطهري: «ومن هنا؛ يتضح أنّ حرب أصحاب ابن زياد مع الحسين بن على الله لم تكن حرباً عقائدية، بل حرباً ضدّ العقيدة»(١).

فالإرهاب الفكري _ وإن تصنّع في أُسلوبه وإعلامه ليوحي بأنّ معركته فكرية أو عقدية _ إنّها يخوض حرباً ضدّ الفكر والعقيدة والدين.

ثانياً: سرجون الرومي ومخطّطات أعداء الإسلام

وقد ذكره المؤرّخون بهذا الوصف (الرومي)، ومنهم الطبري وابن الأثير. قال

⁽١) ابن طاووس، على بن موسى، الملهوف: ص٥٠١.

⁽٢) مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينيّة: ص ٦٨ ٥.

الطبري: «لمّا بويع لمعاوية بالخلافة صيَّر على شرطته قيس بن حمزة الهمداني، ثمّ عزله واستعمل زميل بن عمرو العذري، ويُقال: السكسكي، وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومي»(۱). وذكر سرجون بهذا الوصف أو اللقب في كتب المؤرِّخين يمكن أن يحتمل أمرين:

ا _إن معاوية كان قد استعمله بناءً على اتّفاق بينه وبين الدولة البيزنطية أو الرومية آنذاك؛ لأخذ المشورة في إدارته للحكم، فهو باق على روميّته وانتهائه المناطقي؛ إذ لا معنى أن يبقى على هذا الوصف بعد أن أصبحت الشام تحت الحكم الإسلامي في زمن الخليفة الثاني.

٢ - إنّ المؤرِّ خين أبقوه على هذا الوصف دلالة على بقائه على مسيحيّته؛ لأنّ الروم عامّتهم على دين المسيحية؛ فيُطلَق على المسيحي أنّه رومي. وهذا الاحتمال قريب، يقول السيّد محمد الصدر: «على أُطروحة أُخرى - أن يكون سرجون كاذباً، وإنّما يريد أن يخدع يزيد لأجل تنفيذ أغراضه التي يدركها إجمالاً، بها فيها ما حصل في واقعة الطف. فكان سرجون - الذي هو مسيحى وليس مسلماً - مسؤولاً عنها»(٢).

أمّا المشورة التي تقدّم بها سرجون إلى يزيد، فهي بدورها تُبيِّن لنا ما هي الأهداف الحقيقية لسرجون؛ فهو قد أشار على يزيد أن يضمّ العراقين (البصرة والكوفة) إلى عبيد الله بن زياد. «فلمّا اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية، فأقرأه الكتب واستشاره فيمن يولّيه الكوفة، وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال له سرجون: أرأيت لو نُشِرَ لك معاوية كنت تأخذ برأيه؟ قال: نعم. قال: فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة. فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب. فأخذ برأيه وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله، وكتب إليه بعهده وسيّره إليه مع مسلم بن عمرو الباهلي والد

⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٣٠.

⁽٢) الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين الله: ص٢٦٩.

قتيبة، فأمره بطلب مسلم بن عقيل وبقتله أو نفيه»(۱). وهذا يعني أنّ المهمّة والغرض الذي يريد تحقيقه سرجون أو يزيد لا يمكن أن يقوم به إلّا مثل عبيد الله بن زياد، وهذا ما تحقّق فعلاً من قتل الحسين الله وأحداث تلك الفاجعة بها تضمّنت من وقائع مؤلمة، ولا يمكن لأحد أن يُباشر هذا الفعل بنفسه سوى ابن زياد أو أشباهه، فضلاً عن سياسته بعد قتل الحسين الله إذ أمر بأن يوطأ صدر الحسين الله بحوافر الخيل، وسوقه النّساء والأطفال من أهل البيت الميلة أسارى إلى الكوفة، وعزمه على قتل الإمام زين العابدين الله في قصره لولا أنّ العقيلة زينب ألقت بنفسها على ابن أخيها وطلبت أن تُقتل معه (۱).

فركون يزيد إلى سرجون في المشورة - مع أنّه بعيد عن الإسلام ولا يرى مصلحته ومصلحة دولته في بقاء الإسلام - دليل على أنّ الإرهاب الفكري لا يرى أيّ تقييد في الأساليب والسلوكيات من أجل تحقيق غاياته. وبعبارة أُخرى: فهو لا عقيدة له ولا مبادئ ولا أخلاقيات يمكن أن تزاحمه في سلوك أيّ طريق وانتهاج أيّ أُسلوب لتحقيق أغراضه، وإلى هذا المعنى يُشير السيّد الصدر: «وهنا نرى أنّ الخلافة الظالمة كانت تعتمد على بعض اليهود أو النصارى. وليس في التاريخ أنّهم دخلوا الإسلام، بل كانوا يعتمدون عليهم حال كونهم يهوداً أو نصارى، وهم يعلمون أنّهم يريدون السوء بالإسلام. بل كانت الخلافة عميلة إلى ملك الدولة البيزنطية بمقدار فهم الدول يو مئذ» (٣).

فهذه الصفة والخاصّية ممّا يتَّصف به الإرهاب الفكري بشكل عام، والمعسكر الأُموي كأحد أشكاله بشكل خاص، وهي أنّه يركن إلى أعداء الإسلام في سبيل أن

⁽١) ابن الأثير، على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص١٣٥.

⁽٢) أُنظر: ابن طاووس، على بن موسى، الملهوف: ص٢٠٢.

⁽٣) الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين الله: ص٢٦٩.

يحقَّق غرضه، فهو حقيقة لا يمت إلى الإسلام بصلة؛ لأنَّه يخالف أوضح الواضحات في تعاليم الدين الإسلامي فضلاً عن القول: بأنَّه أداة بيد أعداء الإسلام في سبيل تمرير مخططاتهم الخبيثة ضد الإسلام من خلال مَن ينسبون أنفسهم للإسلام.

الآلية الثانية: سياسة التجهيل وتغييب الوعي. أهل الشام أنموذجاً

لعلَّنا نواجه اعتراضاً هنا وهو: أنَّ توصيف أهل الشام بأنَّهم من الظالمين الذين ركن إليهم الحاكم الأُموي، فيه نوع من القساوة التي في غير محلّها.

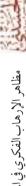
فنقول: إنَّ المقصود من أهل الشام الذين عاصر وا وناصر وا الحكم الأُموي، وليس كل أهل الشام على مرّ العصور، فهذا ممّا لا يمكن تصوّره، هذا من جهة.

ومن جهة أُخرى، فإنَّ أهل الشام لا تعني الاستيعاب، بل هيَ على نحو التغليب، فتشمل الذين تولُّوا بني أُميَّة خاصَّة، واستعملوهم في تمرير مخطَّطاتهم وترسيخ منهجهم الدّموي، وهم كثُر على كل حال.

أمّا صفات أهل الشام التي كانوا يتّصفون بها من ناحية الوعى والثقافة الدينية، فهي من العوامل التي ساعدت بني أُميّة على دعم منهجهم الإرهابي، وهم أيضاً رسموا لأسلافهم صورة واضحة في الاعتباد على الجهل وغياب الوعي عند أتباعهم، فجهل أهل الشام بالشريعة الإسلامية أُصولاً وفروعاً وكلّ ما هو متعلّق بها ـ ابتداءً من رأس الهرم وهو الخليفة بها يلزم له من مزايا تؤهَّله للقيام بهذه المهمَّة العظيمة، إلى أبسط المفاهيم الدينية _ كانت من العوامل الأساسية التي اعتمد عليها يزيد في بناء معسكره و إعداده.

وهذه الخصلة لأهل الشام آنذاك لها جذور وأسباب نذكر منها:

١- إِنَّ الشام كانت من المستعمرات الروميَّة، ثمَّ فُتِحَت في عهد عمر بن الخطاب، لكنّ هذا الفتح لم يمنع المسيحيين من ممارسة طقوسهم الدينيّة والبقاء على ديانتهم



بحسب الصلح الذي تصالحوا عليه مع الخليفة الثاني الذي استعمل عليها يزيد بن أبي سفيان، ثمّ بعد موته استعمل معاوية بن أبي سفيان، الذي كان حريصاً على عزل الشام عن الإسلام الحقيقي ومفاهيمه السامية، يقول السيّد الحكيم: «وحتّى الشام، فإنّها وإن حُجِر عليها ثقافياً ولم تعرف عموماً غير ثقافة الأُمويين»(۱).

وقد وصف المسعودي لنا حجم هذه الجاهلية بالإسلام وقادته بقوله: «فقال لي ذات يوم بعضُهم ـ وكان من أعقلهم وأكبرهم لحية ـ : كم تُطْنبون في عليٍّ ومعاوية وفلان وفلان؟! فقلت له: فها تقول أنت في ذلك؟ قال: مَن تريد؟ قلت: عليّ، ما تقول فيه؟ قال: أليس هو أبو فاطمة؟ قلت: ومَنْ كانت فاطمة؟ قال: امرأة النبي الله بنت عائشة أُخت معاوية. قلت: فها كانت قصة علي؟ قال: قُتل في غَزَاة حنين مع النبي صلّى الله عليه وسلّم»(۱).

٢ ـ سياسة الخليفة الثاني في الحجر على الصحابة، فكانت سبباً مهماً في جهل الأُمّة بتعاليم الدين الحنيف، «عن الشعبي، قال: لم يمُتْ عمر ـ رضي الله عنه ـ حتى ملّته قريش، وقد كان حصرهم بالمدينة، فامتنع عليهم وقال: إنّ أخوف ما أخاف على هذه الأُمّة انتشاركم في البلاد»(٣). قال السيّد الحكيم ذلك: «ومن أجل إبقائهم على غفلتهم رأى أنّ اللازم الحجر على كبار الصحابة وذوي الشأن منهم، وحبسهم في المدينة المنوّرة، وجعلهم تحت سيطرته ... من أجل الالتزام بتعاليمه والسير على خطّه، ولا أقلّ من عدم الخروج عنه وزرع بذور الخلاف والانشقاق»(٤). وقد استثمر معاوية هذه السياسة لصالحه في إبقاء النّاس على غفلتهم وجاهليّتهم، وأصبحت من عناصر تقوية سلطانه، فعزَلَ أهل الشام عزلاً ثقافياً محكماً، وقد بلغ هذا العزل بأهل الشام تقوية سلطانه، فعزَلَ أهل الشام عزلاً ثقافياً محكماً، وقد بلغ هذا العزل بأهل الشام

⁽١) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص١٠٦.

⁽٢) المسعودي، على بن الحسين، مروج الذهب: ج١، ص٣٦٢.

⁽٣) المصدر السابق: ص٣٩٧.

⁽٤) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص٥٥٥.

حداً انطلت عليهم أكذوبة أن لا قرابة للنبي على غير بني أُميّة، كما قال المسعودي: «ونزل عبد الله بن علي الشام، ووجّه إلى أبي العباس السفّاح أشياخاً من أهل الشام من أرباب النعم والرياسة من سائر أجناد الشام، فحلفوا لأبي العباس السفّاح أنّهم ما علموا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أُميّة حتّى وليتم الخلافة»(١).

وكان معاوية قد مهّد ليزيد في بناء معسكره الداخلي بالاعتباد على مشورة مَن يعتقد بولائهم المطلق لبني أُمية، ومعرفتهم بمؤهّلات أهل الشام، وقبولهم لسياسة بني أُميّة مها كانت طبيعتها.

اعتراض وجواب

قد يواجه الطرح المذكور في النقطة المتقدّمة نقضاً واضحاً؛ يراد منه تبرئة أهل الشام من جميع ما حصل في واقعة الطّف، ويعتقد أصحاب هذا الاعتراض أنّ جيش بني أُميّة في واقعة الطّف كان من أهل الكوفة، وروايات خذلان أهل الكوفة للحسين الله أكثر من أن تحصى، فكيف لنا أن تُهمل هذا الدور لأهل الكوفة؟ فضلاً عن القول: بأنّ جيش المعسكر الأُموي كان من أهل الكوفة.

فنقول: إنّنا يمكن أن نذكر عدّة أدلّة يمكن أن نستدلّ بها على وجود جيش الشام في كربلاء وبعدّة وجوه، فإمّا أن تكون هذه الأدلّة بمجموعها معارضة لما هو شائع تاريخياً، فيبقى احتمال الأمرين في الانتماء المناطقي لجيش المعسكر الأُموي هو القائم ولا مرجِّح لأحدهما على الآخر. وإما أن نجمع بينهما بأن نقول: إنّ المؤرِّ خين ركَّزوا في رواياتهم على الجيش الذي حضر من الكوفة مع عمر بن سعد، وتركوا الحديث عن جيش أهل الشام، سوى كتيبة الحصين بن نمير التي ذكروها ضمن جيش أهل الشام، سوى كتيبة الحصين بن نمير التي ذكروها ضمن جيش أهل

⁽١) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص٥٥٥.

الكوفة، والحال أنّ الحصين بن نمير من كندة أهل الشام أو سيّدهم على ما يظهر من دوره في تنصيب مروان بن الحكم خَلَفاً ليزيد، «ولمّا بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم، وعصا مالك بن هبيرة فيها أشار به عليه من بيعة خالد بن يزيد بن معاوية، واستقرّ لمروان بن الحكم المُلك، وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن ينزل البلقاء مَن كان بالشام من كندة، وأن يجعلها لهم مأكلةً، فأعطاه ذلك»(۱).

ومن هذه الأدلة:

١ ـ ما ورد عن الإمام الحسين الله في يوم عاشوراء من وصفه لمعسكر بني أُميّة بأنّهم شيعة آل أبي سفيان إذ قال الله مخاطباً إياهم: «ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان ...» (٢). فهذه الرواية وإن كانت تحتمل وجوهاً عدّة بأن يكون هذا الوصف لأهل الكوفة أيضاً؛ لأنّهم شايعوا بني أُميّة، أو أنّه خاص بأتباع بني أُميّة الذين يسكنون الكوفة، إلّا أنّ ما ذكرناه أحد هذه الاحتمالات أيضاً، مضافاً إلى ما سيأتي من الأدلّة.

٢ ـ ما ذكره المجلسي على في البحار: «عن عبد الملك، قال: سألت أبا عبد الله الله عن صوم تاسوعا وعاشورا من شهر المحرَّم، فقال: تاسوعا يوم حوصر فيه الحسين الله وأصحابه بكربلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه، وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها، واستضعفوا فيه الحسين الله وأصحابه وأيقنوا أنّه لا يأتي الحسين ناصر» (٣). ففيها دلالة واضحة على ما طرحناه من دور أهل الشام في واقعة الطف.

٣ ـ إصرار سليمان بن صرد الخزاعي على الأخذ بالثأر من عبيد الله بن زياد ومَن كان معه وهم في الشام يومئذ، ورفضه فكرة الأخذ بالثأر ممّن كان في الكوفة، «ودعا

⁽١) الطبرى، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٤٥.

⁽٢) ابن طاووس، على بن موسى، الملهوف: ص١٧١.

⁽٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٥، ص٥٩.

سلمان بن صرد بالمسيب بن نجبة الفزاري، فقال له: صِرْ إلى ابن عمّك هذا فخبّره أنّا لسنا إيّاه أردنا، وإنّا نريد عبيد الله بن زياد وأصحابه الذين قتلوا الحسين بن علي (()). فسليمان بن صرد كان على قناعة تامّة بأنّ مَن قتل الحسين الله هو عبيد الله بن زياد ومَن كان معه؛ وهم أهل الشام خاصّة. فبعد مقتل سليمان بن صرد _ رضوان الله عليه _ في عين الوردة، وزحف جيش عبيد الله بن زياد وفيهم الحصين بن نمير إلى الموصل، قاتلهم إبراهيم بن مالك الأشتر وقتلهم في وقعة خازر. وعن هذه الواقعة وغيرها يقول ابن أعثم: « الهيثم بن عدي: قال: أنبأني عبد الله بن عياش، قال: كان الأهل العراق على أهل الشام النصر والظفر في ثلاثة مواطن، قتلوا منهم ستة وثهانون ألفاً، منها: وقعة بابلا... ومنها: وقعة خازر... ومنها: يوم دجيل (()). فهي دالة وبوضوح على أنّ مَن كان مع عبيد الله بن زياد قد شارك في قتل الحسين المنظم بناءً على قول سليمان بن صرد، وهم من أهل الشام الذين قتلهم إبراهيم بن الأشتر بناءً على قول ابن أعثم.

وهذا القتال وهذه الدماء كان سببها تضليل بني أُميّة أهل الشام، وانتهاج سياسة التجهيل والعزل الثقافي والديني عن أُصول الإسلام وتعاليمه، مضافاً إلى أنّهم كانوا حجر الأساس في إعداد الجيش لقتل ريحانة رسول الله على وسبطه وأهل بيته، في حادثة تُعدّ من أفظع ما فعله الإنسان على البسيطة، ومشاركتهم قبل ذلك مع معاوية في قتال الإمام على الله وسراياهم التي كان يبعثها معاوية للإغارة على قرى أهل العراق، كما أجمل ذلك المسعودي بقوله: «ولم يكن بين علي ومعاوية من الحرب إلّا ما وصفنا بصفين، وكان معاوية في بقية أيام علي يبعث سرايا تُغير، وكذلك علي كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذيّة الناس» (٣).

⁽١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٢٠.

⁽٢) المصدر السابق: ج٧ص٨٨

⁽٣) المسعودي، مروج الذهب: ج١، ص٣٣٩.

ثمّ دورهم في وقعة الحرّة التي أعقبت واقعة كربلاء وغيرها؛ كل ذلك يدلّ على غيبوبة الوعي والإصرار على إعانة الظالمين والتسليم المطلق لهم، مع العلم والعمد، فهم من هذه الناحية قد وطّؤوا وهيّئوا ورسّخوا نهج الإرهاب الذي ما فتأ يفتك بهذه الأُمّة إلى يومنا الحاضر، برعاية بني أُميّة ومَن نهج نهجهم وسار على سنتهم.

فهذه هي الآلية الثانية من آليات الإرهاب الفكري وما اتصفت به من صفات، وتتلخّص بانتهاج سياسة التجهيل وغياب الوعي وتضليل الأفراد المنتمين إلى جهة ما؛ ليكونوا أدوات في تمرير مخطّطاتٍ معيّنة، وتحقيق أهداف محدّدة، وهو أُسلوب ليس بغريب؛ لأنّ الإرهاب الفكري في الحقيقة هو عدو العلم والفكر والرأي والعقيدة، فلا نتصوّر أن ينتمي إليه غير مَن هم على شاكلته.

الآلية الثالثة: اللاعقلانية في أخلاق الحرب

لكلّ شيء ثقافة (أُصول) وأُسلوب وآليات يعتمد عليها في تحقيق هدف وغرض معيَّن، ومنها: الحرب أو القتال. ولعلّنا نجد من القوانين في العصر الحديث ما يختصّ بهذا الجانب، إذ وُضِعت القوانين للحروب والكفاح المسلح لتمييزه عن العمليات الإرهابية الخارجة عن هذه القوانين. والعرب قبل الإسلام وبعده كذلك لديهم من ثقافة الحرب الشيء الكثير، ومنها ما ورد عن النبي عَيَّا من النهي عن المُثلة بالمقتول فضلاً عن إلحاق الأذى بالنّساء والأطفال والممتلكات.

هذه الثقافة قد غابت وبشكل واضح في واقعة الطف؛ وسبب ذلك يعود إلى اللا عقلانية في المعسكر الأُموي، ابتداء بقادته إلى أدنى رتبة عسكرية في الجيش، وقد عمد يزيد بن معاوية إلى التأكيد على هذه الصفة للمعسكر الأُموي من خلال الأوامر المباشرة بذلك، أو اختيار الرجال الذين لهم صفات يختلفون بها عن غيرهم من الوحشية وثقافة الإجرام: كعبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي

الجوشن، والحصين بن نمير وغيرهم، فجعلهم في طليعة الجيش الذي لا يقل كثيراً بوحشيته وهمجيّته عن قادته، فرسموا لنا صوراً من الوحشية هي الأُخرى كانت تُغذّي الأجيال التي فسدت نفوسها وعميت قلوبها عن الحقّ وأهله، ومن شواهد الإجرام في كربلاء التي تُعبِّر عن اللا عقلانية في ثقافة المواجهة والحرب ما يلي:

أوّلاً: رضّ جسد الحسين السَّالْ بعد استشهاده

ويصوِّر لنا هذا الموقف مدى الوحشية والله عقلانية التي كانت خصلة بارزة في المعسكر الأُموي، وكها ذكرنا فتلكَ الوحشية والهمجية على صعيد القادة أو الجند هي التي دفعتهم إلى أن يتجاوزوا كل القيم والأعراف والبديهيّات، فقد ورد: «وأمر ابن زياد (لعنه الله وغضب عليه) أن يوطأ صدر الحسين، وظهره وجنبه ووجهه، فأُجريت الخيل عليه» (۱). فإنّ عبيد الله بن زياد يعلم بأنّ الجسد ليس له أثر مادي بعد سلب الحياة عنه، إلّا أنّه وبإقدامه على توجيه هكذا أمر أراد أن يُحقّق عدّة أغراض منشؤها مرض النفوس بأحقادها، والقلوب بقسوتها. ومن هذه الأغراض نحتمل ما يلي:

1 - إنّه أراد أن يرى ذلك مَن كان حاضراً في ذلك اليوم أو مَن يسمع به؛ حتى يدخل الرعب في نفوسهم ويُرهبهم بهذا الفعل، فلا يسمح لنفسه أن تحدّثه بشيء يعارض سياسة بني أُميّة. وهي من الأساليب الإعلامية للإرهاب في إظهار القسوة والوحشيّة ليزلزل ثبات خصومه، خاصّة الذين ليس لهم نيّة حقيقية في المواجهة، أو المتردّدين في ذلك.

فابن زياد مع علمه بقبح هذا الفعل وعدم جدواه من ناحية الغلبة على العدو، إلّا أنّ هدفه يتحقّق من هذه الجهة.

٢ ـ إنّه أراد تنفيذ الأوامر الصادرة إليه من يزيد، وهذا ظاهر من قوله: «فإن قُتِلَ

⁽١) الأصفهاني، على بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص١١٨-١١٩.

حُسَيْن فأوطئ الخيل صدره وظهره... وليس دهري في هَذَا أن يضرّ بعد الموت شَيْئاً، ولكن عليَّ قول لو قَدْ قتلته فعلت هَذَا بِهِ»(١). ولا شكّ في أنّ يزيد بن معاوية قد غابت عليه الموازين، فهو الآخريريد ويأمر بأقصى حدّ من الوحشية والهمجية في التعامل مع الأعداء لضهان الانتصار عليهم، ورضّ الجسد الطاهر بحوافر الخيل من معالم تأكيد النّصر ليزيد بميزانه اللا عقلاني، والذي أذعن له عبيد الله بن زياد دون أدنى تردّد للتقرّب من يزيد ونيل الحظوة عنده.

٣ _ إنّ يزيد وعبيد الله بن زياد أرادا بهذا الفعل أن يُمحى أثر الجسد نهائياً، فلا يبقى له رسم بعد أن قُطِعَ رأسه الشريف؛ خوفاً من أن يُقام له معلماً ومناراً للثائرين على الحكم الأُموي، أو يكون رمزاً إسلامياً في بيان الحق من الباطل، وغير ذلك من الأُمور المحتملة والتي تحقّقت بإرادة الله تعالى على الرغم ممّا فعلوه بالجسد الطاهر، وها هو قبره ومرقده قد أصبح معلماً ورمزاً ومشهداً مقدَّساً تهوى إليه قلوب المؤمنين من كل حدب وصوب؛ لينهلوا من معينه، ويُستقى من رحيقه معاني الإيمان الحقيقي بالله تعالى والتمسّك بدينه الحنيف.

وعلى هذا الاحتمال يمكننا أن نقول: إنّ الصفة الغالبة للمعسكر الأُموي أو الإرهاب الفكرى بشكل عام هو أنّه بها يظهره من صور القسوة والرعب الإخافة المناوئين فهو في الحقيقة لإخفاء هزيمته معنوياً، فتراه يُقدم على أفعال لا جدوى منها عموماً، فهو يريد أن يُظهر صور نصره وغلبته بأيّ شكل كان؛ ليبعد نفسه وأتباعه عن التفكر بخسارته المعنوية في حربه الفكريّة.

ثانياً: ترويع الأطفال وهمجية المعسكر الأموى

وللأطفال في واقعة الطف نصيب من القسوة والوحشية والشرور على يد المعسكر الأُموي، ابتداءً بأشدّها وحشية وهي حادثة قتل الطفل الرضيع عبد الله بن الإمام

⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٥١٥.

الحسين العلام، ولا أتصوّر أنّه يمكن لنا أن نسأل عن ذنب وجريرة الطفل الرضيع؛ لأنَّ الجواب من أوضح الواضحات، لكنَّه إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على أنَّ المعسكر الأُموى قد تقدّم على غيره في عرض أوضح صورة على مرّ التاريخ من صور الشر والهمجية والَّلا عقلانية، فهو مع تميُّزه عن غيره في الهدف، كذلك تميّز عن غيره في الأساليب، مع أنّنا يجب أن لا ننسى أنّ تاريخ بنى أميّة حافل ببعض المظاهر الشبيهة بهذه الواقعة، كما هو الحال مع بسر بن أرطأة الذي وجّهه معاوية ليغير على أهل اليمن، فوصلت وحشيته إلى حد قتله لأولاد عبيد الله بن العباس عندما كان عامل الإمام على الله على اليمن، وهما طفلان صغيران إذ ورد: «وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما: عبد الرحمن، وقثم. فقتلها، وكانا عند رجل من كنانة بالبادية، فلمّا أراد قتلها قال له الكناني: لم تقتل هذين ولا ذنب لها؟ فإن كنت قاتلها فاقتلني معها! فقتله وقتلها بعده»(١). إلَّا أنَّ هدف بسر حينذاك هو إلحاق الأذى النفسي بأعدائه، وهي من أساليب الإرهاب بشكل عام.

إِلَّا أَنَّ الحال في واقعة الطف، وقتل الطفل الرضيع يختلف عنه في الحالات الأُخرى، إذ كان في حقيقته استهدافاً لوجود عترة النبي الله والقضاء عليهم، وأن لا يبقوا لهم باقية، فأرادوا من قتلهم الرضيع التأسيس والتأصيل لفكرة إرهابية فحواها لزوم إبادة كل من وقف في وجه الظالمين واعترض على تصر فاتهم المشينة، ولعلَّ أمر الإمام الحسين الله أُخته زينب أن تحبس الإمام زين العابدين الله كان الغرض منه إبطال مخططهم وكيدهم الشيطاني؛ إذ ورد في مصادر واقعة الطف: «فخرج على بن الحسين زين العابدين الله ، وكان مريضاً لا يقدر أن يقلّ سيفه وأم كلثوم تنادى خلفه: يا بُني، ارجع. فقال: يا عمَّتاه، ذريني أُقاتل بين يدي ابن رسول الله. فقال الحسين اليُّه: يا أُمّ كلثوم، خذيه؛ لئلّا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد عَيْق (١٠).

⁽١) ابن الأثير، على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٧٣٢-٧٣٣.

⁽٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٤، ص٤٦.

وما زاد من هول هذه الواقعة بالتحديد هو سبب خروج الحسين الله بعد ما في بعض الروايات أنّه خرج به ليطلب له الماء بعد أن جفّ صدر أُمّه من اللبن بعد حصار معسكر بني أُميّة ومنعهم الماء على الحسين الله ومَن كان معه، حتى النّساء والأطفال، «فدعا بولده الرضيع يودّعه، فأتته زينب بابنه عبد الله وأُمّه الرباب، فأجلسه في حجره، يقبّله ويقول: بُعداً لهؤ لاء القوم إذا كان جدّك المصطفى خصمهم. ثمّ أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدى بسهم فذبحه»(۱).

وهنا تتجلّى لنا صورة أُخرى، وصفة من صفات وأشكال الإرهاب الفكري، وهي: افتقار أتباعه لأبسط معاني الإنسانية والرحمة التي جُبِل عليها الإنسان في وجوده، فهم قد أنكروا على أنفسهم انتهاءهم للنوع الإنساني، فباتوا لا يملكون من معنى الإنسان سوى الأجساد الخالية من الرحمة والعقل.

ثَالثاً: حرق الخيام وسبي النّساء والذراري

تعدّى أُسلوب المعسكر الأُموي في واقعة الطف ومنهجهم اللا عقلاني إلى الاستهداف المباشر للنّساء والذراري، هذه الحالة التي بدأت عندما أمر عمر بن سعد بحرق البيوت بالنّار، بعد أن رأى أصحابه يدخلون الخيام لينهبوها فيقتلهم أصحاب الحسين الله وفأمر بها عُمَر بن سَعْد عند ذلك فقال: أحرقوها بالنّار، ولا تدخلوا بيتا ولا تقوضوه. فجاؤوا بالنّار، فأخذوا يُحرقون. فَقَالَ الحسين: دعوهم فليحرقوها؛ فإنهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها، وكان ذلك كذلك»(١). وكانت هذه أوّل محاولة للمعسكر الأُموي في إيذاء العيال والنّساء، ولعلّنا نفهم من سياق الرواية أنّ الحسين الله قد جمع العيال في مكان واحد أو متقارب، وأفرغ باقي الخيام؛ لأنّه لم يمنع من حرق الخيام، وكانت لهم حصناً من الأعداء من جهة معيّنة، وبعدها أراد

⁽١) المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الإمام الحسين الله : ص٢٧٨ ـ ٢٧٩.

⁽٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٣٨.

شمر بن ذي الجوشن أن يُحرق الخيام هو الآخر لولا رفض بعضهم لهذا الفعل، كحميد بن مسلم، وشبث بن ربعي، «وَحَمَلَ شمرٌ حتّى بَلَغَ فُسْطَاطَ الحسين ونادى: عليَّ بالنَّار حتّى أُحرِّقَ هذا البيتَ على أَهْلِهِ. فَصَاحَ النِّساء وخرجْنَ، وَصَاحَ بِهِ الحسينُ: أنت تَحْرِقُ بَيْتِي عَلَى أهِلِي؟ حَرَقَكَ الله بالنَّار! فَقَالَ مُمَيْدُ بنُ مُسْلِم لِشمر: إنّ هذا لَا يَصْلُحُ لَكَ... فلم يَقبَل مِنهُ، فَجَاءَهُ شبثُ بنُ ربعي فنهَاهُ، فَانْتَهَى»(١).

ولم يكن هذا الاعتراض والرفض من قبل حميد بن مسلم أو شبث بن ربعي للرحمة منهم بالعيال والنساء، بل لأنه لا يليق بالشمر؛ كونه قائداً من قادة المعسكر الأموي، كما يظهر من قول حميد لشمر، وإلّا فما الذي أخّر هؤلاء من أن يمنعوا الجيش من حرق الخيام بعد استشهاد الحسين الله الله عبر لسكوتهم إلا أن نقول: بأن الوضع بعد مقتل الإمام الحسين الله أصبحت السيطرة فيه بالنسبة لقادة المعسكر الأموي أكثر مما كانوا عليه والحال أنّ العيال والنساء بعد استشهاد ذويهم أو فقدهم أكثر ضعفاً وأعوز للرحمة بحالهم، وهذا ما لا نجده من هؤلاء أو غيرهم. يقول الشيخ ابن نها: «وخرج بنات سيّد الأنبياء وقرّة عين الزهراء حاسرات مبديات للنياحة والعويل، يندبن على الشباب والكهول، وأضرمت النّار في الفسطاط، فخرجن هاربات وهن كما قال الشاعر:

تحثو التراب لفقد خير إمام يمسحن عرض ذوائب الأيتام يبكين كلّ مهذب وهمام»(٢).

فترى اليتامى صارخين بعولة وتقمن ربّات الخدور حواسراً وترى النّساء أراملاً وثواكلاً

فيتبيَّن لنا أنَّ المعسكر الأُموي قد استهدف النَّساء والعيال استهدافاً مباشراً، ولم يرعَ لهم إلاَّ ولا ذمّة.

⁽١) المصدر السابق.

⁽٢) ابن نها، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٧٧.

ولم ينتهِ الحال مع النّساء عند حرق الخيام والسلب فقط، بل بدأت معهن رحلة أخرى هي رحلة السبي، مع أنّه من المتيقن في الإسلام عدم مشروعية هذا السبي وهو من المسلّمات لدى الجميع حتى عند يزيد نفسه؛ حيث إنه أُفحم وسكت بعد احتجاج زينب المهال لل علل علم الشامي أن يهبه فاطمة بنت الحسين الحيالي في الحادثة المعروفة؛ ولأنّه أمر بردّهم بعد ذلك إلى المدينة مع الإمام زين العابدين الحياد، ثمّ سوق بنات رسول الله أسارى مع الجيش إلى الكوفة بأمر من عبيد الله بن زياد، ثمّ إلى الشام بأمر يزيد؟! ولا شكّ في أنّ السفر ولمسافات طويلة من الأُمور الشاقة على النساء والأطفال، وخاصّة بعد ما شهدوه من أحداث في كربلاء.

وهنا يتبيّن لنا أيضاً شيء آخر من صفات المعسكر الأُموي، الذي بدوره كان مثلًا واضحاً للنهج الإرهابي الفكري، إذ لو تأمّلنا لوجدنا أنّ الإرهاب الفكري لا يستثني أحداً من معادلته بمجرّد انتهائه إلى الطرف الآخر، وقد أضحت هذه الصفة جليّة في المعسكر الأُموي بالرغم من أنّ العائلة والأطفال ليس لهم أيّ دور محتمل في المعركة، ولا أقلّ من الناحية العسكرية فضلاً عن القول بأنّهم يُمثّلون عامل ضعف للخصم، فاحتهال مشاركتهم في المعركة ولو على غير الصعيد العسكري بعيد أيضاً.

نعم، استثناء الركب الحسيني من هذا العموم موضوع آخر؛ لأنّ هذا الدور لعيال الحسين وأبرزهم العقيلة زينب النّها، إنّا برز وشاع بعد الواقعة، والجيش الأُموي وقادته لم يلتفتوا إلى ذلك؛ لأنّ العُرف العام لا يحتمل مثل هذا الدور المتميِّز إطلاقاً؛ فيبقى الأمر على ما هو عليه. فإذا كان العيال من النّساء والأطفال هكذا فها معنى أن تواجَه مهذه الوحشية واللا عقلانية المقيتة.

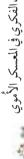
ونحن هنا لا ننكر دور العقيلة زينب الله أثناء واقعة الطف، كما تُبينه الكثير من المصادر، إلّا أنّ هذا الدور يبقى محدوداً إلى حد كبير مع وجود الحسين الله. نعم، أورد الطبري رواية لعبد الله بن عمّار يصف خروج العقيلة زينب الها والحسين بعد أورد الطبري رواية لعبد الله بن عمّار يصف

لم يُستشهد، «فوالله، إنّه لكذلك، إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أُخته، وكأتّى أنظر إلى قرطها يجول بين أُذنيها وعاتقها وهي تقول: ليت السهاء تطابقت على الأرض! وقد دنا عُمَر بن سَعْد من حسين. فقالت: يَا عُمَر بن سَعْدِه أَيْقتل أبو عَبْد الله وأنت تنظر إلَيْهِ»(١). والرواية لا يمكن قبولها من وجه، لما فيها من المخالفات الشرعية الواضحة البعيدة عن خُلق أهل البيت المنظل مهم كانت الظروف، فضلاً عن المواقف الكثيرة من الثبات والستر الذي تحلَّى به عيال الحسين الله ومَن كان معهم، المعارضة لما صوَّره لنا الراوى هنا، وإنَّما كان خروج العقيلة زينب النَّك ، بعد أن أخذت الجراح من طعن السيوف وضرب الرماح من الحسين الميلا مأخذاً، «وخرجت زينب من الفسطاط وهي تنادى: وا أخاه! وا سيّداه! وا أهل بيتاه! ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل»(٢). ثمّ بعد أن اقتضى التكليف أن تُظهر دورها في إكمال مسيرة هذه النهضة الجبّارة، تحمّلت النَّا عبء هذه المسؤولية، وظهر للتاريخ الدور البطولي لبطلة كريلاء العقبلة زينب عليها.

وبالجملة؛ فالإرهاب الفكري لا يمتلك أيّ مقوِّم من مقوِّمات الاعتدال، أو معيار من معايير الشرع أو العرف يمكن أن يحتكم إليها في أخلاقياته، فأعماله الوحشية ليس لها حدود في قسوتها.

الآلية الرابعة: الإفراط في تقديرات الحرب

الإرهاب الفكري بنوعيه ـ الذي يتبنى فكرة ويدافع عنها أو الذي يكون عدوّ الفكرة والراي والعقيدة _ يعاني من أزمة التوازن والاعتدال في التقدير، ومنشأ ذلك ضعف جبهته المعنوية؛ لأنَّ هذا النهج ناتج من فراغه الفكري، أو المعنوي، أو عدم اكتراثه لهذا الجانب أصلاً، فيسعى إلى خلق حالة التوازن والتكافؤ من خلال إضافة



⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٥٢.

⁽٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٤، ص٥٥.

عناصم جديدة إلى معسكره، كعامل الكثرة، أو النوعية في العدّة والعدد، وهذا ما انفر دبه المعسكر الأموى، في حين أنّ ما تميّز به معسكر الإمام الحسين الميلاً من الجانب المعنوي بها يحمله هذا المعسكر من عقيدة وإيهان وإخلاص للمبدأ وفكر نبّر زاد من خبال المعسكر الأُموي، ولعلّنا نجد ذلك واضحاً خلال أحداث واقعة الطف، فكم من الرجال المؤمنين من أصحاب الحسين الله برزوا وخطبوا في المعسكرين، وبيَّنوا أحقيّة معسكر الإمام الحسين الله الذي ينتمون إليه، واحتجّوا على المعسكر الأُموى بالحجج الدامغة والبيانات الواضحة، أمثال: زهير بن القين، وبرير بن خضير وغيرهما، في حين أنّ المعسكر الأُموي قد خلت ساحته تماماً من الدعاة أو المفكّرين الذين يحتاج إليهم العسكر في تقوية معنوياتهم، وهذا ما أجبر المعسكر الأُموي على أن يعتمد على عناصر أُخرى من هذه الجهة لخلق حالة التوازن، ومنها:

أولاً: عدد جنود الجيش الأُموي وفلسفة الكثرة

اختلف المؤرِّخون في عدد جنود المعسكر الأُموي، فقيل: إنَّهم ثلاثون ألفاً بعد أن كان مع عمر بن سعد أربعة آلاف، ثمّ أخذ عبيد الله بن زياد يمدّه بباقي القادة وجيوشهم، «وسار ابن سعد إلى قتال الحسين اليالا بالأربعة آلاف التي كانت معه، وانضم إليه الحرّ وأصحابه؛ فصار في خمسة آلاف، ثمّ جاءه شمر في أربعة آلاف، ثمّ أتبعه ابن زياد بيزيد بن ركاب الكلبي في ألفين، والحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف، وفلان المازني في ثلاثة آلاف، ونصر ابن فلان في ألفين، فذلك عشرون ألف فارس، تكمّلت عنده إلى ست ليال خلون من المحرِّم، وبعث كعب بن طلحة في ثلاثة آلاف، وشبث بن ربعى الرياحي في ألف، وحجار بن أبجر في ألف، فذلك خمسة وعشرون ألفاً، وما زال يُرسل إليه بالعساكر حتى تكامل عنده ثلاثون ألفاً ما بين فارس وراجل»(١). وعلى قول

⁽١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٠٧-١٠ . وأنظر أيضاً: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٦.

ابن نها وغير واحد ـ إنّ عدّتهم عشرون ألفاً ـ : «فلمّ قامت الحرب على ساقها، ومدّت على أصحاب الحسين الله صافي رواقها، وأظلمت الأيام بعد إشراقها، ومدّ عمر بن سعد بالعساكر حتّى تكمّلت العدّة لستّ خلون من المحرم عشرين ألفاً»(١).

وعلى كل حال، فالأقوال في هذا الشأن كثيرة تركنا معظمها؛ لأنّ الظاهر من الاختلاف في عدد الجيش أنّ نفس الجيش كان عبارة عن كتائب وفرق، كل منها تحت قيادة قائد معين، فمن قال: بأنّ الجيش أربعة آلاف، فهي عدّة مَن كانوا مع عمر بن سعد فقط، بينها كتيبة الحصين بن النمير هي كذلك أربعة آلاف انضمّت هي الأُخرى إلى الجيش، وكتيبة شمر بن ذي الجوشن، وهكذا على ما يظهر من رواية السيّد الأمين في لواعج الأشجان، فالأقرب هو ثلاثون ألفاً ما بين فارس وراجل، ويؤيّد هذا العدد ما ورد في البحار عن الإمام زين العابدين: «ولا يوم كيوم الحسين— ويؤيّد هذا العدد ما ورد في البحار عن الإمام زين العابدين: «ولا يوم كيوم الحسين— إلى الله عليه ـ ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأُمّة، كلّ يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بدمه» (۲)، ومثله ما ورد في (ذوب النضار) عن الإمام الحسن الشين رجل، يدّعون أنّهم من أُمّة جدّنا محمّد الله عند الله عبد الله يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدّعون أنّهم من أُمّة جدّنا محمّد الله وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبى ذراريك ونسائك» (۳).

ولا خلاف في قول الشيخ ابن نها بين كتابه (مثير الأحزان) و(ذوب النضار)، فالعشرون ألف التي ذكرها كانت عدّتهم إلى السادس من المحرّم، كها أشار الشيخ إلى ذلك، كذلك ما ورد في رواية لواعج الأشجان.

وهنا لابدّ لنا من أن نشير إلى أنّ العدد لا ينتهي عند هذا الحد، فهناك أقوال كثيرة

⁽١) ابن نها، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٠٥. وأنظر أيضاً: ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف: ص١٤٥.

⁽٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢٢، ص٢٧٤.

⁽٣) ابن نها، محمد بن جعفر، ذوب النضار: ص٧٧.

تركنا التعرّض لها، واحتمال أنّ العدد أكثر من ذلك أيضاً لأمرين:

الأمر الأوّل: إنّ العدد كان كبيراً جدّاً؛ لما ورد من أعمال التجهيز للجيش الأُموي وضخامة هذه الأعمال ومدّتها لتجهيز الجيش، يقول الشيخ القرشي: «ويحدّثنا المؤرِّخون عن ضخامة ذلك الاستعداد، فقالوا: إنّ الحدادين وصانعي أدوات الحرب في الكوفة كانوا يعملون ليلاً ونهاراً في بري النبال وصقل السيوف في مدّة كانت تربوا على عشرة أيام... لقد دفع ابن زياد لحرب الحسين بقوة عسكرية مدجّجة بالسلاح كانت لها القدرة على فتح قطر من الأقطار»(۱).

الأمر الثاني: إنّ رواية الإمام الصادق الله التي أوردناها في مقام إثبات وجود أهل الشام في كربلاء، دالّة على أنّ العدد المشار إليه في الروايات (الثلاثون ألفاً) كان إلى يوم التاسع من المحرّم، وبعدها فإنّ معادلة المعركة تغيّرت، حتّى أنّ السرور قد دخل على قلب عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد؛ أي: إنّ القوّة التي انضمّت إليهم لم تكن في حساب عبيد الله بن زياد، وهذا ممّا لا يخفى على ذي مسكة.

ولنا أنّ نتساءل عن السبب الذي حمل ابن زياد أو يزيد إلى الدفع بهذه الأعداد الهائلة من الجيوش لقتال ثلّة قليلة، هذا الاندفاع الذي كلَّف الدولة آنذاك الشيء الكثير من الأموال والأعمال؟

ويمكننا أن نجيب باحتمالات منها:

الاحتمال الأوّل: إنّ طبيعة الصراع في الإرهاب الفكري مبتنية على الجانب المفاهيمي أو العقائدي أو الفكري بشكل عام، وبالتالي فهو يستهدف القضاء على الخصم أو الانتصار عليه فكرياً، وينهج إلى تحقيق ذلك مناهج مختلفة، ومن أهمّها: التصفية الجسدية لمعارضيه ومنازعيه، وهو على كل حال مفلس تماماً من هذه النّاحية، وإفلاسه فكرياً يدعوه إلى أن يخلق حالة من التوازن في طر في المعركة، فإذا

العدد العاشر _ السنة ال

⁽١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين الين المراقب ١٢٤.

كان خصمه غنياً في عقيدته ورصيده الفكري فإنّه يعمد إلى أن يعتمد على الجانب المادّي في توسيع جبهته، وهذا ما حصل فعلاً في واقعة الطَّف، فالمعسكر الأُموري كان مفتقراً إلى عنصر القوّة المعنوية أو الفكرية، قياساً إلى حجم الثراء الفكري والرصيد المعنوي للحسين الله وأصحابه، وذلك بمقدار ما لهم من علاقة بالإسلام ومبادئه وقيمه، وهذا ما دفع بقادة المعسكر الأُموي إلى الإفراط في تحشيد أكبر عدد ممكن من الجند أمام ثلَّة قليلة لا وجه للقياس بينها من هذه الناحية.

الاحتمال الثاني: إنّنا قدَّمنا في وصف المعسكرين من النّاحية الفكرية، وخلو المعسكر الأُموي من الدعاة والمفكّرين، وأصحاب العقيدة، وأهل العلم والإيمان والتقوى، بخلاف معسكر الإمام الحسين الميالا الذي عجَّ بقرّاء القرآن والحديث وأهل الورع والتقوى، أمثال: برير بن خضير، وحبيب بن مظاهر، وزهير بن القين وغيرهم، الذين شهروا سيف الكلمة الصادقة بوجه أعدائهم من خلال خطاباتهم وبياناتهم، آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، داعين إلى الحق واتّباع الكتاب والسنّة بالحكمة والموعظة الحسنة، ومنها خطبة برير: «يا معشر النّاس، إنّ الله قد بعث محمداً بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه، وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله، أفجزاء محمد هذا؟!»(١).

في الوقت الذي لا نجد أيّ محاولة من أيّ رجالات المعسكر الأُموي في إلقاء خطبة أو بيان أحقيّتهم في هذا النزال، سوى لغة التهديد والوعيد، ومحاولة إدخال الرّعب والفزع في نفوس أصحاب الحسين اليّلا.

وهذا كلُّه لم يثن من عزيمة الحسين وأصحابه وأهل بيته في كربلاء، على قلَّة العدَّة ا والعدد وخذلان النَّاصر من أن يؤثروا طاعة اللئام على مصارع الكرام، ويصوّر لنا التاريخ وقفتهم وصمودهم في الميدان أمام هذه الجموع وبسالتهم ورباطة جأشهم

⁽١) المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الإمام الحسين اليِّلا: ص٢٣٧.

بأروع صور الكرامة والصمود والثبات: «وقاتلوهم حَتَّى انتصف النّهار أشدّ قتال خلقه الله، وأخذوا لا يقدرون على أن يأتوهم إلّا من وجه واحد $^{(1)}$.

فيتبيَّن لنا خلو ساحة الإرهاب الفكري من أيّ معلم من معالم الفكر والعقيدة والحوار والكلمة الصادقة، واعتادهم المطلق على منطق السيف والقوّة والقهر في تحقيق أغراضهم وغاياتهم.

ثانياً: الكتيبة المجففة

من الأساليب الأُخرى التي اعتمد عليها المعسكر الأُموي _ في نهجه اللّا إنساني _ هي الكتيبة المجففة؛ وهي: جماعة (فرقة أو كتيبة) من الجيش يحملون دروعاً ومتاريس كبيرة تقيهم وتقى الرماة منهم نبال ورماح الخصم(٢). ولعلّ المعرِّفون لها بهذا النحو قد استندوا على ما ورد في تاريخ الأمم والملوك: «ودعا عُمَر بن سَعْد الحصينَ بن تميم، فبعث معه المجففة وخمسائة من المرامية، فأقبلوا حتّى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل»(٣). والظاهر أنّ مهمّتها لا تنتهى إلى هذا الحدّ، بل يمكن لها أن تتوغّل في صفوف الخصم لتحقيق مهمّات خاصّة؛ لأنّ الدروع أو المتاريس تضمن لهم سلامتهم.

والكتيبة المجففة _ ويُطلق عليها أيضاً (الشرطة المجففة) _ هي التي كان عليها الحصين بن نمير، وهو على شرطة عبيد الله بن زياد، وقد قام الحصين قام بمهمّات عديدة، والظاهر أنَّها مهرَّات للكتيبة المجففة التي كان قائداً عليها، وتحوَّلت معه بعد ذلك إلى كربلاء، وانضمّت إلى جيش عمر بن سعد، «... الحصين بن تميم وكان على شرطة عُبَيْد الله، فبعثه إلى الحسين، وكان مع عُمَر بن سَعْد، فولّاه عمر مع الشرطة



⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٣٨.

⁽٢) أنظر: مجموعة من المؤلّفين، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة: ص٣٣٣.

⁽٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٤٣٧.

المجففة»(۱). فيتبين من ذلك أن قدوم الحصين بن نمير إلى كربلاء كان مع الشرطة المجففة، والتي تولّت مهرّات سابقة على ذلك تُبيّن تركيز عبيد الله بن زياد واهترامه عنده الكتيبة؛ إذ أوْلى لها مهرّات عديدة ومنها:

١ ـ دورها في البحث عن مسلم بن عقيل في الكوفة، «ثمّ نزل عن المنبر ودعا الحصين بن النمير السكوني، فقال: ثكلتك أُمّك إن فاتتك سكة من سكك الكوفة لم تطبق على أهلها أو يأتوك بمسلم بن عقيل» (٢).

٢ ـ قطع طريق القادسية المؤدّي إلى الكوفة عن الإمام الحسين الله : «وَلمّا بَلَغَ ابْنَ زِيَادٍ مَسِيرُ الحسينِ مِن مكّة، بَعَثَ الحصينَ بنَ نُمَيْرِ التَّمِيمِيّ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ، فَنَزَلَ الْقَادِسِيّة وَنَظَّمَ الخيلَ مَا بَيْنَ الْقَادِسِيّة إلى خَفّانِ، وَمَا بَيْنَ القَادِسِيّة إلى الْقُطْقُطَانَة وإلى جَبّل لَعْلَعَ» (٣).

٣ ـ قيامها بعملية أسر قيس بن مسهَّر ـ مبعوث الإمام الحسين الله إلى الكوفة ـ وإرساله إلى ابن زياد الذي أمر به، فرُمِيَ من أعلى القصر فاستُشهد، «فَلمَّا انتَهَى قَيْسٌ إلى الْقَادِسِيّة أَخَذَهُ الحَصَيْن فَبَعَثَ بِهِ إلى ابن زِيَادٍ» (٤٠).

٤ - التحاق هذه الكتيبة بقيادة الحصين بن نمير بعمر بن سعد في كربلاء وقد تقدّم. وسبب إقدام المعسكر الأُموي على استخدام هكذا آليات في معركة كربلاء، هو أنه لم يكتفِ بعامل الكثرة في العدد لملأ فراغات ساحته الفكرية المفتقرة إلى عنصر التوجيه المعنوي، بل اعتمد أيضاً على عامل النوعيّة في الجانب المادّي، وهو استخدامه لهذه الكتيبة التي يتبيّن لنا من طبيعة تجهيزها أنّها تصلح لأن تكون ذات مهيّات خاصّة في المعركة.

⁽١) المصدر السابق: ص٤٣٤.

⁽٢) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٥٢.

⁽٣) ابن الأثير، على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٥٠ ١-١٥١.

⁽٤) المصدر السابق: ج٣، ص١٥١.

واستعمالها ضدّ نيف وسبعون مقاتل مع هذا العدد الكبير من الجند له دلالات خارجة عن أُطر الخطط العسكرية، وأهمّها ـ مع ما تقدّم ذكره في كثرة عدد الجيش ـ هو إضافة عنصر النوعية إلى الكم؛ لتصبح الصورة متكاملة بنظر المعسكر الأُموي، من أجل إيقاع الرعب في نفوس أصحاب الحسين الله ، أو مَن يكون على نفس عقيدتهم ومبادئهم وهذا ما أخفق المعسكر الأُموي فيه، سواء على مستوى معسكر الحسين الله بنحو خاص، أم على مستوى الجهاعات التي ظهرت بعد واقعة الطّف: كالتوّايين، وثورة المختار.

خاتمة

يتضح لنا ممّا تقدّم أنّ الإرهاب الفكري لا يدّخر وسيلة أو أُسلوب عدواني ووحشي أمام خصومه من أجل إيقاعهم في فخّ الرعب والخوف والوجل، فلا مجال للاعتدال ولا مجال للرحمة والإنسانية والأعراف الاجتهاعية، ولا مجال للعقل في حساباته وتدابيره، ولا مجال للكلمة والحوار في آلياته، ولا مجال لأيّ معيار في تقديراته، فهو بعد أن استهدف الفكر والعقيدة انسلخ من كل ذلك وأصبح أعمى في كل شيء من أجل تحقيق هدفه مهها كانت النتائج، ومهها اختلفت السبل والآليات، وهذا ما تحقّق فعلاً في واقعة الطّف، تلك الفاجعة التي ما فتأت الأُمّة تعاني من جرحها الذي أحدثه بنو أُميّة في جسد الإسلام، والذي لم يلتئم إلى يومنا الحاضر، فضلاً عن سيرتهم التي اعتبرت داعماً ومؤسساً لأجيال انتهجت تلك السنة السيئة في هذا العصر الذي يحتاج منّا أن لا نقطع الأمل في إبراز صورة الإسلام المشرقة، وجوهره الذي دعا له أهل البيت المي في سيرتهم العطرة خلال التاريخ، وأن نواجه الإرهاب كما واجهه أئمّتنا بنفس الثبات والعزيمة التي لا تزعزعها رياح الإرهاب مها كان شكله، ومها قوت شوكته؛ لأنّ الوعد الإلهى حليف الحق وأهله.



فاجعة الطفّ وجريمة قطع الرؤوس والتمثيل بها وإهدائها (رؤية تاريخية ـ تحليلية)

الشيخ منتظر الإمارة*

المقدمة

من الظواهر المرعبة والوحشية - التي بلغت الذروة في بشاعتها هذه الأيام - هي ظاهرة الإسراف في إراقة الدماء وقتل الإنسان، وأفظع منها وأبشع جريمة قطع الرؤوس وحملها والتمثيل بها، وهذا ما نشاهده بشكل يومي على أيدي عصابات متمرسة في صناعة الجرائم الدموية، كالقاعدة وداعش ونظائرهما؛ ولم تكن تلك الجريمة بدعاً من القول في العصر الحاضر، بل لها أطنابها وإسفينها الضارب في عمق التاريخ، فقد شهدت أُمم مختلفة هكذا جرائم سوداء بحق الإنسانية.

لكن يبقى لمعركة كربلاء من تلك الجريمة النكراء نصيبها الأكبر وقسطها الأوفر، فتجسّدت فيها أبشع مشاهد الإرهاب وصُوره، حيث عَمَد المجرمون في أرض الطفوف إلى قطع رؤوس الشهداء من العترة الطاهرة والمؤمنين من أنصارهم، وحملوها ومثّلوا بها ووضعوها على أسنة الرماح؛ ليرسلوها بعنوان هدية النصر المزعوم _إلى طاغيتهم اللعين يزيد بن معاوية.

نتناول في هذا المقال ظاهرة قطع الرؤوس والتمثيل بها في ثلاث محاور أساسيّة،

* باحث وكاتب إسلامي.

نستعرض في المحور الأول امتدادها التاريخي، وفي المحور الثاني نسلَّط الأضواء على أهدافها وآثارها الاجتماعية، ويختص المحور الثالث بتحديد الموقف الإسلامي من ظاهرة قطع الرؤوس وحكمها الشرعي.

تاريخ ظاهرة قطع الرؤوس والتمثيل بها

تُعدّ ظاهرة قطع الرؤوس من أبشع الظواهر التي شهدها تاريخ البشريّة، وإذا راجعنا تاريخ هذه الظاهرة نجدها بدأت ظاهرة فردية حتى فعّلها بنو أُمية وأتباعهم فوصلت أوجها في معركة الطف، ولمّا كان حديثنا يركّز على هذه الظاهرة في واقعة الطف سنقسم حديثنا عن تاريخها على قسمين:

١ قطع الرؤوس والتمثيل بها قبل واقعة الطف

حينها نرجع إلى النصوص التاريخيّة نقرأ في مطاويها بعض الأفعال والمهارسات الفردية والمحدودة مذا الخصوص، ولا نجد في التاريخ حديثاً حول قطع الرؤوس والتمثيل مها وإهدائها من مكان إلى مكان بمستوى ما حدث في فاجعة كربلاء كما سيأتي مفصّلاً، وإنّما أحصى المؤرخون في هذا المجال بعض الحوادث المتفرّقة والفردية لأشخاص معينين، ولعلّ أوّل جريمة بشريّة ارتُكبت على هذه الأرض هي جريمة قتل قابيل لأخيه هابيل، ولم يرو لنا القرآن الكريم ولا كتب التاريخ أن قابيل قد مثّل بجثّة أخيه، أو أنه بادر لقطع رأسه، وإنها اكتفى بقتله ثم دفنه. نعم، نقل لنا التاريخ القديم وكذا الروايات الشريفة صورة أُخرى عن مقتل النبيّ يحيى بن زكريا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ترتبط بموضوع بحثنا، فمن ذلك ما رواه ابن شهر آشوب في مناقبه: «عن على بن الحسين الله قال: خرجنا مع الحسين، فما نزل منزلاً ولا ارتحل عنه إلَّا وذكر يحيى بن زكريا. وقال يوماً: من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى أُهدي إلى بغي من بغايا بني

إسرائيل». وتفصيل القصّة ينقلها ابن شهر آشوب أيضاً في حديث آخر: «عن زين العابدين الله الملك، العابدين الله الملك بني إسرائيل كبرت وأرادت أن تزوج بنتها منه للملك، فاستشار الملك يحيى بن زكريا فنهاه عن ذلك، فعرفت المرأة ذلك وزيّنت بنتها وبعثتها إلى الملك، فذهبت ولعبت بين يديه، فقال لها الملك: ما حاجتك؟ قالت: رأس يحيى بن زكريا. فقال الملك: يا بنيّة، حاجة غير هذه؟ قالت: ما أُريد غيره. وكان الملك إذا كذب فيهم عُزِل عن ملكه، فخُيرٌ بين ملكه وبين قتل يحيى. فقتله، ثم بعث برأسه إليها في طشت من ذهب»(۱).

إن هذه القصة المؤلمة تضمّنت أوّل ممارسة لجريمة التمثيل بالرؤوس في تاريخ ما قبل الإسلام، ولبشاعة هذه المصيبة التي جرت على هذه الشخصية العظيمة بكت السهاء دماً أربعين يوماً، كما ورد في بعض النصوص الشريفة، وكانت الشمس تطلع هراء وتغيب حمراء "".

لكن تبقى هذه الحادثة خاصة وشخصية، ولا تضاهي حقيقة ما جرى من الجرائم في معركة الطف للقضاء على النهضة الحسينية المباركة، التي أعلنت شعار الإصلاح والوقوف بوجه الطغاة والظالمين والمفسدين. ونحن إذ نُقرّ بأنّ المقتول في كلا الجريمتين عظيم وذو مقام رفيع ومنزلة كبيرة عند الله تعالى، لكننا حينها نتأمل في وقائع الفاجعتين، ونتصوّر ما جرى في كربلاء من انتهاكات وتمثيل بأجساد الشهداء وقطع رؤوسهم وحملها من بلد إلى بلد وإهدائها إلى أراذل خلق الله، تتضح فضاعة جريمة كربلاء جليّاً وتفوق بشاعتها ما جرى في حادثة نبي الله يحيى بن زكريا المنهوقة بل كونها أبشع جريمة شهدها تاريخ الإنسانية، وقد جمعت في مشاهدها قتل الصفوة الطاهرة والكهال الإنساني الذي لا يتكرّر ولا يتجدّد.

150

⁽١) ابن شهر آشوب، محمد بن على، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٣٧.

⁽٢) المصدر السابق: ج٣، ص٢١٣.

وهكذا الحال فيها لو قارنا ما جرى في كربلاء بالجرائم الأُخرى التي وقعت قبل الإسلام وبعده إلى يوم الطف؛ إذ نلمس أن كلّ ذلك حوادث فردية ارتُكبت بحقّ أشخاص لا يمتلكون ذات الكهال والعظمة والقرب الإلهي الذي امتاز به الإمام الحسين الحيّ فمن ذلك الحادثة التي يرويها المؤرّخون والتي وقعت قبل الإسلام بتسع سنين تقريباً، وهي حادثة مقتل سعد بن الرقيم الذي كان قائماً على الطائف، ارتكبها صهيب بن شعيب؛ لأنّه خالف رأيه، حيث قطع رأسه أمام أعين الناس وقرب سوق عكاظ! (۱)، وكذا الحال بالنسبة إلى سائر الأمثلة الأخرى، وهي كثيرة جداً، لكنها لا تشابه كربلاء ولا تُقاس بها جرى في واقعة الطف.

ولم يحدّثنا التاريخ الإسلامي بأن الرسول الأكرم الله قد سنّ ذلك النوع من الجرائم أو عمل به، فلا أهدى ولا أُهديت له رؤوس الكافرين من أعدائه، ولا مُملت من مكان إلى آخر(٢).

نعم، إن قطع الرأس في ذلك الزمان كان وسيلة وطريقة معمول بها لقتل الإنسان المعتدي والمحارب أو الجاني الذي يستحق القتل والقصاص، من قبيل طُرق القتل وأساليبه المتعارفة والمألوفة في هذا الزمان، حيث يتم قتل المعتدين والمحاربين بالأسلحة الخفيفة والثقيلة، والاقتصاص من الجناة بإعدامهم رمياً بالرصاص أو بإزهاق أرواحهم بالكهرباء أو العقاقير أو شنقاً بالحبال ونحو ذلك، وما هذه إلا أساليب ووسائل وطُرق متنوّعة للقتل والإعدام، وكان الضرب بالسيف وقطع الرؤوس أحد تلك الطرق والأساليب.

⁽١) نقلاً عن مقال للكاتب جعفر الونان، الموقع الإلكتروني: www.kitabat.com.

⁽٢) ستأتي الإشارة إلى أن هناك بعض الحوادث التاريخية الخاصة والنادرة واردة عن رسولنا الكريم على المستأتي الإنساد، ولا تُشكّل فيها أمر بقطع العنق، وهي موارد خاصة ببعض المشركين الذين تمادوا في التعدي والإفساد، ولا تُشكّل ظاهرة أو عادة جارية كما فعل بنو أُمية وغيرهم من الطغاة.

ولكن لم تكن ظاهرة التمثيل بالرؤوس وحملها وإهدائها بعد قطعها من السنن المتبعة، ولامن الظواهر والأعراف الجارية والمألوفة في المجتمع العربي الإسلامي آنذاك. ولعلّ من أوائل الحوادث التاريخية التي وقعت بعد الإسلام فيما يرتبط بمحلّ البحث _ وقد تحدّث حولها الكثير من المؤرخين؛ لكونها الأُولى من نوعها _ هي جريمة خالد بن الوليد مع الصحابي الجليل مالك بن نويرة، حيث عمد بعد قتله إلى قطع رأسه والزنا بامرأته ظلماً وعدواناً، ثم _ ولإكمال مشهد الجريمة وإبراز قسوة الإنسان بحقّ أخيه الإنسان _ أخذ خالد رأس الصحابي مالك وجعله في أثفية القدر، وكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام!! (١٠).

وقد نقل لنا المؤرخون (٢): بأن أوّل من سن ظاهرة إهداء الرؤوس في الإسلام، وجرت العادة بعده، هو معاوية بن أبي سفيان، وذلك حينها أُهدي إليه رأس عمرو بن الحمق الخزاعي الصحابي الجليل، والذي أسلم قبل الفتح وهاجر، قال ابن كثير: «إن رسول الله على دعا له أن يمتّعه الله بشبابه، فبقي ثهانين سنة ولا يُرى في لحيته شعرة بيضاء، وهو أحد الأربعة الذين دخلوا على عثمان، ثم صار بعد ذلك من شيعة أمير المؤمنين على الله وشهد معه الجمل وصفين وكان من جملة من أعان حجر بن عدي، فتطلبه زياد، فهرب إلى الموصل، فبعث معاوية إلى نائبها فوجدوه قد اختفى في غار، فنهشته حية فهات، فقطع رأسه فبعث به إلى معاوية، فطيف به في الشام وغيرها، فكان

⁽١) أُنظر: أبو الفداء، إسماعيل، المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء): ج١، ص١٥٨. وكذلك: ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٦، ص١٠. ولقد أجاد في توضيح القصة كاملة العلامة التاريخي سلطان الواعظين في كتابه الفرقة الناجية: فراجع: ج١، ص١٢٩.

⁽٢) هناك عدة كثيرة من المؤرخين يؤكدون على أن أوّل عملية إهداء للرؤوس حدثت في زمان معاوية، وأنه أوّل مَن سنّ هذه الظاهرة، والتي أصبحت بعده سنّة متّبعة. أنظر: الخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص٥٦، والقاضي النعمان، شرح الأخبار: ج٢، ص٣٣. والطبراني، الأوائل: ص١٠٧. وابن عبد البر، الاستيعاب: ج٣، ص١٧٤. والمتقى الهندي، كنز العمال: ج١٣، ص٤٩٦.

أول رأس طيف فيه»(١).

عمرو بن العاص وأحرق جسده الشريف في جيفة حمار بالنار (رضوان الله عليه)(٢). وهكذا ترادفت وتتالت الحوادث الإجرامية وحالات البطش وسفك الدماء، كما هو معروف من سياسية الأُمويين الظالمة، وعلت وانتشرت وشاعت سنّة القتل والتمثيل والصلب وإهداء الرؤوس في البلدان الإسلاميّة، وما ذلك إلّا لإشاعة الخوف في نفوس الناس وترهيبهم؛ ليكون ذلك دافعاً للخنوع والسكوت ورادعاً للاعتراض أو المشاركة في الثورات المناهضة للحكم الأُموي، وفي هذا السياق قام عبيد الله بن زياد بأوّل جريمة لرفع الرؤوس على خشبة في بلاد الكوفة، ذلك حينها رفع رأس مسلم بن عقيل ورأس هاني بن عروة بعد قتلها وحز رأسيهما والتمثيل بجسديها في سكك الكوفة وشوارعها، ومن ثمّ أرسلها هديّة إلى يزيد بن معاوية (٣).

ثم تبعه أيضاً إهداء رأس محمد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان، بعد أن قتله

إنَّ ما ذكرناه من جرائم ومصائب يندي لها جبين الإنسانية، توالت من بعدها المصائب والويلات على الإسلام والمسلمين، بل جرت عادة الظلمة عليه، وأضحت السنّة في قطع الرؤوس والتمثيل بها وإهدائها وخصوصاً بعد ما جرى في واقعة الطف من المآسي، فجرت عادة الجبابرة من بني أُميّة وبني العباس على تلك السنّة النكراء، واستمرّت في أعقابهم وأعقاب مَن تربّى في مدرستهم الإجراميّة إلى يومنا هذا.

⁽١) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٥٢.

⁽٢) أنظر: الطبراني، كتاب الأوائل: ص٧٠١. وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج٤٩، ص٤٢٧. والثقفي، إبراهيم، الغارات: ج٢، ص٧٥٠. والأميني، عبد الحسين، الغدير: ج١١، ص٧٧.

⁽٣) أنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١، ص١٤. والسهاوي، محمد، إبصار العين في أنصار الحسن الله: ص٢٢.

٧. قطع الرؤوس والتمثيل بها في واقعة الطف

مع أنَّ الأحداث المتقدمة بشعة ويندى لها جبين الإنسانية، إلَّا أنَّ يوم عاشوراء حيث المصائب العظمي التي جرت فيه مما يعجز القلم عن توصيفها ويكلّ اللسان عن الإفصاح بها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

فاجعة مقتل أولاده الله وأصحابه وأبناء عمومته، وعطشه الشديد الذي لو خُلِّي اللَّهِ هو والعطش لمات عطشاً، وحينها وقف الإمام اللَّهِ يستريح، أصابه حجر بجبهته المقدّسة، فسالت منها الدماء، ولمّا أخذ ثوبه الطاهر _ليمسح الدم عن جبهته _ أتاه سهم محدّد مسموم له ثلاث شعب، فوقع في قلبه الشريف فأخرجه من قفاه وانبعث الدم كالميزاب، ثم جاءه مالك بن نسر، فضربه بالسيف على رأسه، ومن ثم بدر إليه الشمر الملعون، فرفسه وطعنه واحتز رأسه المقدس!!(١).

ولم يقف حقدهم وإرهابهم عند هذا الحدّ، بل تمادوا في غيّهم وعمدوا إلى جريمة التمثيل والتنكيل بالجسد الطاهر، وبادروا بعدها إلى حرق الخيام وترويع العيال، وسلبهم وسبيهم من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام على نوق هزّل عجاف(٢).

أمّا ما يخصّ مسلسل التمثيل بالأجساد الطواهر _ وهو ما يرتبط بمحلّ بحثنا _ فقد تمثّل بعدّة صور ومشاهد وجرائم مؤلمة:

أَوِّهَا: جريمة حزَّ الرؤوس، حيث بدأوا برأس الإمام الحسين اللهِ، ومن ثم رؤوس أهل بيته وأغلب أصحابه (٣)، بل رُوي أنهم عمدوا إلى ابنه عبد الله الرضيع

⁽١) أنظر: الخوارزمي، مقتل الحسين: ج٢، ص٠٤. وكذلك: المقرم، عبدالرزاق، مقتل الحسين الميلانية: ص ۲۹۸.

⁽٢) قد صّرح بذلك أغلب المقاتل التي عُنيت بمقتل الحسين الله أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٣٤.

⁽٣) من المشهور تأريخياً أن هناك بعض الأصحاب لم يُقطع رأسه، كالحر الرياحي وابنه؛ وذلك لدواع اجتماعية مع قبيلتهم.

وثانيها: سلب الجسد الطاهر، حيث بلغ القوم القمّة في التسافل، فسلبوا الحسين الله بعد قتله مباشرة بأخذ قميصه وعمامته ونعله وخاتمه، بل همّوا بسلب سرواله، إلّا أنّ المشيئة الإلهيّة الغيبيّة تدخّلت ومنعت من حصول ذلك(٢).

وثالثها: رض الجسد الطاهر للإمام الحسين الله بحوافر الخيل، حينها نادى ابن سعد لتطأ الخيلُ صدر الحسين الله وظهره (٣).

نعم، قد ناقش صاحب البحار في أصل وقوع هذه الجريمة ـ بعد نقله للرواية ـ بقوله: المعتمد عندي ما سيأتي في رواية الكافي من أنه لم يتيسّر لهم ذلك (3). لكنه في مرآة العقول صرّح بضعف رواية الكافي، وأكّد في منتهى شرحه للحديث بالقول: «وبالجملة: الخبر لا يخلو من تشويش واضطراب لفظاً ومعنى»(٥)، والمصادر التي تثبت الواقعة من الفريقين كثيرة بها لا يبقى مجال للشك في حدوثها(٢).

ورابعها: ترك الأجساد الطاهرة عارية على الرمضاء، من غير غسل ولا كفن ولا دفن، فقد بقي جسد الإمام الحسين الله مع أجساد الشهداء من أهل بيته وأصحابه في صحراء كربلاء تصهرهم حرارة الشمس إلى اليوم الثالث عشر من المحرم، حيث جاء الإمام على بن الحسين زين العابدين الله الله وتوليّ مواراة الأجساد الطواهر، على

دالعاشر _السنة الثالثة _ ١٤٣٦ هـ _ ٢٠١٥ م

⁽١) على خلاف بين أرباب المقاتل، بل وقع الخلاف أيضاً في عدد الرؤوس. أنظر: مجموعة من المؤلفين، مع الركب الحسيني: ج٥، ص٨٠.

⁽٢) أنظر: المقرم، مقتل الحسين: ص٧٩٨. إذ يشير إلى هذه الحادثة.

⁽٣) أُنظر: ابن طاووس، اللهوف في قتلي الطفوف: ص٥١١. وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٥٥.

⁽٤) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٥، ص٠٦.

⁽٥) المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول: ج٥، ص٣٧٣.

⁽٦) للتفصيل حول الموضوع راجع: مقال تحت عنوان (هل وطأت الخيل جسد الحسين الله عنه الإصلاح الحسيني، السنة الثانية، العدد السادس: ص١٩٧٠.

⁽٧) أُنظر: مجموعة من المؤلفين، مع الركب الحسيني: ج٥، ص٦٧. وأيضاً: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين الله : ص٣٢٢.

ما هو عليه اليوم من مدفنهم، بمعونة بعض مَن حضر معه من بني أسد(١).

وخامسها: الطواف برأس الإمام الحسين الله ورؤوس أهل بيته وأصحابه في سكك الكوفة، وحمل الرؤوس على أسنة الرماح وإهدائها إلى الطاغية يزيد بن معاوية في بلاد الشام، ولعلها الواقعة التاريخية الفريدة من نوعها، حيث التمثيل واستعراض مجموعة كبيرة من الرؤوس _ يبلغ عددها اثنين وسبعين _ على أسنة الرماح من كربلاء إلى الكوفة ومن ثم إلى بلدان عدّة، حتى وصولها إلى بلاد الشام.

101

⁽۱) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٤، ص٧٠١. والمقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين الله: ص٣٣٤.

⁽٢) أُنظر: المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين الله: ص ٣٤١.

⁽٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥، ص١٣٢.

العابدين الله وبقية العيال، فقام الإمام الله بدفن الرؤوس مع الأجساد في غاضرية كربلاء يوم الأربعين (العشرين من صفر)(١). فبقيت الرؤوس الطاهرة أربعين يوماً بلا دفن ولا كفن، وهل يوجد إرهاب أفضع من هذا؟! وهل توجد واقعة أمرّ وأمضّ من تلك الواقعة؟! كلا! بل هي الأُولى من نوعها، ولم يذكر لنا التاريخ ما يقاربها فضلاً عن مماثلتها.

تحليل الظاهرة وبيان أهدافها السياسية وآثارها الاجتماعية

حينها نتأمل في مثل هذه الأفعال الإجراميّة _ المتمثّلة بالقتل وقطع الرؤوس والتمثيل ما وإهدائها للطغاة _ نجد أن هناك مجموعة من العوامل والأسباب والأهداف السياسيّة والاجتماعيّة تدعو المجرمين والطغاة لمارسة هذه الجريمة، وهي أهداف تتجاوز مرحلة استهداف النصر في المعركة، بل يسعى الطغاة لتوظيف جرائمهم وجعلها عِبرة رادعة لكلُّ المناوئين والمعارضين لحكوماتهم الجائرة، وكلُّ مَن يفكر بتحريك الرأى العام والقيام بثورة مناهضة لهم، وفي مجال تحليل تلك الوقائع الإجراميّة والدمويّة التي شهدتها رمال كربلاء، وذكر الأهداف السياسيّة والاجتماعيّة من ورائها يمكننا طرح الوجوه التالية:

الوجه الأوّل: التشفي والحقد الدفين

ومعالم هذا الوجه واضحة وبيّنة من طبيعة الأفعال الشنيعة التي مارسها الظالمون في بحق شهداء كربلاء، فعلى الرغم من قتلهم بأقسى الطرق والأساليب الوحشيّة، عمدوا إلى قطع رؤوسهم والتمثيل بها وإهدائها إلى طغاتهم، ما يكشف عن حقد

⁽١) هناك بحوث عديدة تشير إلى صحة هذا الرأي، متبنّية أن الرؤوس المباركة قد دُفنت مع الأجساد، بخلاف ما نقله بعض المؤرخين وبعض الروايات الدالة على أن مدفن الرؤوس في غير موضع الأجساد. أنظر: حمودي، موحّد، مسجد الرأس: مقال منشور في مجلة الإصلاح الحسيني العدد الأول.

دفين وضغينة عمياء وتقصّد للتنكيل بالمقتولين، وكأنهم يطلبونهم ثائراً يشبه ثأر هند آكلة الأكباد حينها وقفت على الجسد الطاهر لحمزة بن عبد المطلب الله متشفيّة، وقد عمدت إلى تقطيع أحشائه وإخراج كبده الشريف لتأكله!!(١).

وهكذا مسألة ضرب ثنيا الإمام الحسين الله بقضيب الخيزران كما سبقت الإشارة اليها، تنبئنا بما لا يقبل الترديد بأن القلوب اللئيمة لأُولئك الطغاة قد مُلئت من رذيلة الحقد والكراهية، حيث كانوا يهارسون هذ العمل الإجرامي الفظيع بحق ابن بنت رسول الله المناطقة وهم يضحكون ويتغنون بأبيات الكفر والجاهلية.

الوجه الثاني: نشر الرُّعب والخوف في قلوب الناس

قد كان هذا الأمر طموحاً واضحاً لعموم الظالمين وهدفاً مهماً في نظر الطغاة؛ فإن الخوف من القتل والذبح والإذلال والصور المرعبة للتمثيل بالأجساد يشكّل رادعاً كبيراً للمعارضين، ومبرراً لانتهاج سبيل الخنوع والسكوت والقبول بالذلّ لكلّ الضعفاء، وكلّ مَن يحبُّ العيش ويفضّل البقاء في الدنيا والحفاظ على نفسه وأمواله وحياته وملذّاتها الفانية بأيِّ شكل من الأشكال، ولو كان تحت طائلة الذلّ والعار والهوان، وخير شاهد على ذلك ما جرى لمسلم بن عقيل (رضوان الله عليه) مع سواد أهل الكوفة؛ فإنهم بمجرّد أن عاينوا مشاهد الخوف ومظاهر التهويل والإرهاب التي مارسها معهم ابن زياد _ وبمحض تخويفهم مما سيقوم به الجيش الأُموي في الشام لو وصل الكوفة _ تخلّوا عن بيعتهم وانفرد مسلم وحيداً، بعد أن كان يؤم آلافاً مؤلّفة ممن بايعه على الموت!

وهذا التاريخ يحدّثنا بأن الرادع الأكبر والأخطر في إخماد كثير من الثورات المناهضة والقضاء عليها، هو مبدأ إشاعة الرعب والخوف وسفك الدماء وترويع

⁽١) أُنظر: العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ: ج٢٣، ص٥٨.

الأطفال والنساء. وانطلاقاً من هذا المبدأ والهدف مارس المجرمون في معركة كربلاء شتّى أشكال الجريمة وصورها، ابتداءً بالعطش وقطع الماء، ومروراً بالقتل والتنكيل وتقطيع الأجساد، وانتهاءً بقطع الرؤوس وحملها والتمثيل بها وإهدائها وسلب النساء وسبيها، كلّ ذلك حتى لا يفكر أحد بالثورة إلى مدّة طويلة من الزمن(١)، وهذا ما تحقق فعلاً في الأيام التي تلت الفاجعة؛ حيث رضخ الناس حينها وسكتوا، بل لم يعترضوا على ما اقترفه سفهاء الأُمويين من قتل وسلب وسبى وهتك لحرمة النبي الأكرم عَيْنِهُ ، إلَّا النزر القليل جداً من أمثال عبد الله بن عفيف الأزدي (رضوان الله عليه)، وما ذلك إلَّا للخوف الشديد وأجواء الرعب التي كان يعيشها أهل الكوفة وغيرهم. ونظير ذلك أيضاً ما حكاه التاريخ عن ثورة الزنج التي وقعت في البصرة، وأنَّ سبب انتصارها هو خنوع أهلها وخوفهم من القتال والمواجهة، وكان السبب في ذلك هو ما يروى من ممارسة القتل وقطع الرؤوس وسفك الدماء، يقول ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة: «وانصرف صاحب الزنج وجمع الرؤوس وملأ بها سفناً، فجعل الناس يأتون الرؤوس فيأخذ رأس كل رجل أولياؤه، وقوى صاحب الزنج بعد هذا اليوم، وسكن الرعب قلوب أهل البصرة منه، وأمسكوا عن حربه» (٢)، فليس العزوف عن قتاله ومحاربته إلا للخوف الذي سكن قلومهم واضطربت له نفوسهم؛ لما رأوه من قتل وهتك وعذاب.

الوجه الثالث: الإعلان الصارخ عن الغلبة والانتصار وإسقاط شخصيّة الثائر وهيبته

يُعدّ الإيغال في الجريمة وقطع رؤوس المناوئين وحملها والتمثيل بها من أبرز العلامات والسُبل في نظر المجرمين لإشهار النصر وإعلانه، وللتقليل من شأن المقتول

108

⁽١) أنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٧. أول ثورة للتوابين بعد مقتل الحسين الله بثلاث سنوات وعدة شهور.

⁽٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج٨، ص١٤١.

وتشويه شخصيته أمام الآخرين، وخصوصاً أتباعه ومحبيّه؛ لئلا يقتدوا به أو يتابعوه في نهضته، لكن خابت آمالهم وانعكست أهدافهم، فالتاريخ يبقى يُخلّد الثائرين والعظهاء، صنّاع الحركات والثورات الخالدة ذات الأهداف السامية والنبيلة، وبين أيدينا مسيرة الأنبياء والصالحين والمجاهدين المؤمنين بالله والدار الآخرة شاهدة على ما نقول، إلّا أن الطغاة لا يفقهون أن العاقبة للمتقين، فير تكبون المجازر ويعتدون على أعظم الحرمات والشعائر الإلهية في سبيل البقاء على كرسي الحكم والسلطة، ولو لأيام معدودة، يتبعون في ذلك الهوى والشيطان، ولا يعلمون أيّ منقلب سوء سينقلبون.

الوجه الرابع: رأس الإنسان يمثل تمام شخصيّته بعد موته

إنّ قطع الرأس يعني اليقين والعلم بموت الخصم، وأمارة واضحة على قتله، ويبقى الرأس هو الفارق الأوضح الذي يميز الشخصية المقاتلة عن غيرها، وكأنه الشخص كلّه، فتكون إهانة الرأس والتمثيل به إهانة لذات الإنسان وتعديّاً على شخصيته، ولا يمكن احتهال أن يكون الرأس لشخص آخر، فقد يرد هذا الاحتهال في أيِّ جزء آخر من أجزاء الإنسان، كاليدين والقدمين وغيرهما، حيث الاشتراك والتشابه، لكن يبقى رأس الإنسان عميزاً لشخصيّته، لا يشابه غيره إلّا نادراً، كها أنّ قطعه ينفي احتهال بقائه حيّاً، أو أنّ فيه رمقاً من الحياة! يضاف إلى ذلك سهولة نقله وإهدائه وانتقاله من أقصى البلدان إلى أقصاها، وفي المقابل أيضاً حصول القناعة والتصديق من قِبَل الحكام والطغاة وتحصيل رضاهم، وإعلام الناس بموت الشخص المعارض والتأثير عليهم، فلا يبقى أحد يؤيّده أو يعزم على مناصرته، كلّ هذه الوجوه دعتهم لارتكاب تلك الحهاقات والتعدّيات والجرائم التي عارضوا بها شرع الله تعالى، الذي يؤكّد على وجوب احترام الموتي وحرمة التمثيل بأجسادهم ولو كانوا من الكافرين، فضلاً عن المسلمين.

بها وإهدائها

الوجه الخامس: إسكات الأصوات المعارضة

لعلّ من الدوافع الأساسية لقطع الرؤوس والتمثيل بها، حبّ الذات والأنا، والرغبة الجامحة في القضاء على المعارضين وسحقهم، فالطاغية لا يريد أن يسمع صوتاً يخالف صوته، ولا يخاطبه أحد بكلا! فاعتادت نفسه المريضة على طاعة الناس، ويعيش الطاغي حالة من التكبر والمولوية المصطنعة له من قِبَل حاشيته من النافقين والمتملّقين والمؤيدين له؛ فيكون من السهل جداً حينئذ سحق وقتل كل مَن يقف أمامه، بل والتمثيل به؛ ليكون عبرة ومثلاً لكل مَن يتجرّاً أو يفكّر في المخالفة؛ لذلك لم يرضَ الطغاة من الإمام الحسين الله أن يرجع أو يذهب إلى أيّ بلد آخر، بل خيّروه بين البيعة والطاعة أو القتل والشهادة، فقال الله : «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين النبيعة والطاعة أو القتل والشهادة، فقال الله إلى ورسوله... »(١). قد ركز بين النبية من أوّل يوم خروجه من المدينة، معلناً سبيل الجهاد، رافضاً مبايعة الطاغية يزيد، فأخبر الناس بشهادته وما هو صائر إليه بالقول: «خُطّ الموت على وُلد آدم خطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لمصم عأنا ملاقيه، كأنى بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا»(١).

موقف الإسلام تجاه ظاهرة قطع الرؤوس

لا شك ولا ريب في ثبوت التسالم الفقهي على حرمة التمثيل بالموتى مطلقاً، حتى وإن كانوا من الكفار والمشركين، بل إنّ الحكم ثابت في التمثيل بالحيوانات أيضاً؛ والروايات المعتبرة صريحة في ذلك (٣)، ولم نجد أحد من فقهائنا خالف في هذا الحكم،

107

⁽١) ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين الله : ص ١٩٥٩.

⁽٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الإنوار: ج٤٤، ص٣٦٧.

⁽٣) أُنظر: الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة: ج٢٩، ص ١٢٨، ح٦: «إياكم والمثلى ولو بالكلب العقور...».

بل الإجماع قائم عليه، قال صاحب الجواهر: «لا يجوز التمثيل بهم بقطع الأنف والأُذن ونحو ذلك... بلا خلاف أجده... بل أكثر الفتاوى عدم الفرق في ذلك بين حال الحرب وغيره وبين بعد الموت وقبله...» (۱). ويؤكد على ذلك أيضاً جلّ فقهائنا المتقدمين والمتأخرين (۲).

و سنتناول بحث هذه المسألة من الزاوية الفقهية في قسمين:

القسم الأوّل: الحكم الفقهي لقطع الرأس قبل الموت أو بعده.

و الحديث عن هذا القسم يتضمّن فرعين:

الفرع الأوّل: قطع الرأس قبل موت صاحبه

إنّ قطع الرأس قبل موت صاحبه؛ ليُقتل بقطع رأسه، تُعدّ طريقة متبعة وسنة جارية لإزهاق روح الإنسان، وبه يتحقق الموت بالفعل، وهي الطريقة الأبرز لقتل الإنسان منذ قديم الأيام، وكانت هي الظاهرة الغالبة والحالة الجارية في القرون البعيدة، وحينها جاء الإسلام اتخذ هذه الطريقة العرفية السائدة ـ وفي بعض الموارد الخاصة جدّاً ـ وسيلة وأسلوباً لمعاقبة الجاني والمعتدي (٣).

وهنا ينبغي الالتفات إلى أن بعض الظواهر الاجتهاعية الجارية والأعراف السائدة قد أقرّها الإسلام الحنيف لغايات وأهداف تتناسب وبعض التشريعات الإلهيّة، فقطع الأعناق ليست إلّا وسيلة من الوسائل المتعارفة التي جعلتها الشريعة الإسلاميّة أُسلوباً للعقاب، ولم يخرج الإسلام للناس _ كها يدعى بعض الجهلة _

⁽١) النجفي، حسن، جواهر الكلام: ج١٦، ص٧٨.

⁽٢) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف: ج٦، ص٢٤١. وأيضاً: الخوئي، أبو القاسم، بحث القصاص الديات: ج٤٢، ص١٦٢.

⁽٣) أُنظر: المرعشي النجفي، كتاب القصاص على ضوء القرآن السنة: ج٢، ص٣٧٦. وأيضاً: المدني الكاشاني، كتاب القصاص: ص١٧١.

بالسيف والقتل والدماء! فالإسلام دين السلام والرحمة والعطاء، وهو الذي يؤكد دائهًا على أنَّ الحدود تُدر أبالشبهات، ويؤكِّد على مبدأ الاحتياط في الدماء، وحرَّم التقية فيها، وغيرها الكثير من الأحكام التي شُرِّعت في الإسلام لإحياء العنصر البشري. نعم، هناك من البشر مَن يستحق العقوبة والمجازاة الصارمة، ما يصل به إلى حدّ القتل، وهو أيضاً من مظاهر العدالة الإسلاميّة، فلا تكون عقوبة القاتل والمعاند المحارب إلا القتل، مجازاةً بها جناه على النفوس البريئة عالماً عامداً معتدياً آثماً محارباً. ففي مثل هذه الموارد قد يُصبح الإسلام - السمح الرحيم - شديد العقاب لمصلحة بنى البشر؛ ولأجل الحفاظ على النظام، فيُمضى العقاب الشديد على بعض الجناة والمجرمين كي يحيى الكل، وتستقيم حياة الإنسان، وتكون في ذلك موعظة وعبرة للناس؛ لئلا يعتدي الإنسان على أخيه من بني جنسه. ذلك لأنَّ الفطرة الإنسانيَّة التي لم تُحافظ على طهارتها وسلامتها، والنفس الأمّارة بالسوء والوساوس الشيطانية قد تحوّل القلب الطاهر المنبر إلى قلب أسود مظلم حاقد على البشريّة، يعتدي على أقرب الناس إليه حتى يحافظ على مصالحه الدنيويّة، فيقتل ويبطش وينتهك الحرمات، كها فعل قابيل وفرعون والنمرود ومشركو قريش وبنو أُمية وأتباعهم وبنو العباس وغيرهم، من جرائم إبادة بحقّ البشريّة إلى يومنا هذا، فأمثال هؤلاء المجرمين وسفًّاكي الدماء ألا يستحقون العقاب الشديد والقتل والتنكيل؟!

وأما في غير هذه الموارد ـ التي شُرّعت أيضاً رحمة بالبشر ـ يبقى الإسلام سمحاً رحيهاً، عظيهاً في مبادئه وتعاليمه السهاوية، وهو في مورد العقاب أيضاً شرّع جملة من الضوابط والأسس التي لا يصح أن يتجاوزها أيُّ مكلّف فيجور في العقاب، فجزاء القاتل القتل ضرباً بالسيف لا غير، كها كان هو المتعارف عليه آنذاك، ولا يحقّ لصاحب الدم التمثيل به، كضربه بالعصى أو إحراقه أو جرحه حتى يموت، بل لا يجوز الاقتصاص منه بسيف مسموم ونحو ذلك، فلا إفراط في الجزاء، وإن كان

الجاني قد تعدّى وظلم وطغى وقتل، كل ذلك للحفاظ على النظام البشري العام في ضوء المبادئ الإسلاميّة السامية(١).

الفرع الثاني: قطع الرأس بعد موت صاحبه

لقد ورد التنصيص في الفتوى على حرمة قطع الرأس بعد الموت، بل تجب الدية في مثل هكذا جنايات، ولا يصح للمقتص ممارسة هكذا فعل؛ لأن أيَّ عمل من هذا القبيل بعد موت الجاني يعد من المثلة المحرمة، فلو عصى وليُّ الدم وتعدى على جثّة المقتول لزمته الكفارة، قال السيد المرتضى في هذا المجال: «ومما انفردت به الإمامية القول: بأنّ مَن قطع رأس الميت فعليه مائة دينار لبيت المال» (٢)، وهذا من الأحكام الثابتة التي عليها مشهور فقهاء الإمامية (٣).

فالإرهاب الأموي وما تلاه من الإرهاب العباسي والسلفي الوهابي وما يسمّى اليوم بالإرهاب الداعشي، وما يهارسونه من القتل والتنكيل والتمثيل بالموتى، كلّه لا يمتّ إلى الإسلام ولا إلى مبادئه بأيّ صلة، فالإسلام أساسه الرحمة، وروحه العامة وأهدافه ملؤها الحكمة واللطف والتسامح والتعامل بالودِّ والبر والشفقة.

القسم الثاني: حكم التصرّف بالرأس بعد قطعه من اللعب به أو صلبه أو إهدائه. لا شك ولا خلاف في انطباق حكم المثلة المحرمة على القسم الثاني؛ لانطباق عنوان المثلة على هكذا ممارسات، فلا يقصد من اللعب بالرأس المقطوع أو صلبه أو إهدائه وترك دفنه إلّا الهتك والسخرية والاستهزاء بصاحب الرأس، وهذا هو معنى

109

⁽۱) ويستفاد ذلك مما ورد في أغلب الكتب الفقهية في كتاب القصاص، ومنها ما ذكره: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٢٤، ص ٣٤١. المرعشي، القصاص على ضوء القران الكريم والسنّة: ج٢، ص ٣٦٠. الخوئي، أبو القاسم، بحث القصاص والديات: ج٢٤، ص ٢٦٢.

⁽٢) المرتضى، الانتصار: ص٤٢٥.

⁽٣) أنظر: الحلي، تحرير الأحكام: ج٥، ص٦٣٢. والفاضل الهندي، كشف اللثام. والنجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٢٩، ص٣٢٩. والسبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام: ج٢٩، ص٣٢٩.

المثلة المحرمة التي نهى عن ارتكابها إسلامنا الحنيف(١)، بل في الشريعة الإسلامية المقدسة حتى من حكم عليه الإمام بالصلب _ كما في بعض الموارد الخاصة جداً (٢)-فإنه مع ذلك لا يجوز إبقاؤه أكثر من ثلاثة أيام.

وأما قادة الإرهاب الأموي، فقد انتهكوا في وضح النهار تلك المبادئ والأحكام الإسلاميّة، حينها رفعوا الرؤوس على أسنّة الرماح وعلّقوها في كافة البلدان المختلفة التي مرّوا بها، وبقيت من غير دفن أربعين يوماً، وهذا الفعل الإجرامي الوحشي من أوضح مظاهر التمثيل المحرم ومصاديقه، التي نهي عنها رسولنا الكريم عَلَيْكُ.

مبررات قطع الرؤوس في الفكر الإرهابي

قد يستدل جملة من أتباع مدرسة الفكر الوهابي بإطلاقات وعمومات بعض النصوص الشرعية لتصحيح ممارساتهم الإجراميّة، من قتل للأبرياء ومثلة بأجسادهم، وهتك للأعراض وتعدِّ على الحرمات، فيسوقون أدلة واهية لإخراج أفعالهم من بحبوحة الحرام والإجرام، الى دائرة الشرعيّة والجواز، بل وينعتونها بالاستحباب، وأنَّهم يهارسونها لطلب القربي ورضا الله تبارك وتعالى، وهناك مَن يتهادي في غيَّه وضلاله مدّعياً أنّ ما يقوم به من جرائم إرهابيّة من أُصول الإسلام الحنيف!! لكن لا يخفي على المسلم البصير _ فضلاً عن العالم الخبير _ أن ما من مطلق إلَّا وقُيِّد، وما من عام إلَّا وقد خُصِّص؛ ولذا كانت السنَّة النبوية مقيِّدة لإطلاقات كثير

⁽١) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث، في حديث: (أنه نهى عن المثلة): «يقال: مثّلت بالحيوان أو مثّل به مثلاً، إذا قطعت أطرافه وشوهت به، ومثّلت بالقتيل إذا جدعت أنفه أو أُذنه أو مذاكره، أو شيئاً من أطرافه...». ج٤، ص٤٩٢.

⁽٢) فقد روى عن الإمام الصادق الله: «ويُنزل المطلوب عن الخفية بعد ثلاثة أيام ويُغسل ويُدفن، ولا يجوز صلبه أكثر من ثلاثة أيام». الكاشاني، الوافي: ج٢٤، ص٤٨٦. وأُنظر: الخوئي، أبو القاسم، شرح العروة الوثقى (كتاب الطهارة): ج٩، ص٢٧٤. وهذا حكم الصلب خاص بالمحارب تطبيقاً للخيار الوارد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَرُواْ الَّذِينَ ... ﴾. المائدة، آية ٣٣. وسيأتي تفصيل البحث فيها لاحقاً.

من الآيات القرآنية الشريفة وحاكمة عليها، ومن تلك الأدلة المشمولة بهذه القوانين الأصوليّة ما يستدلون به على مشروعية جرائمهم الوحشيّة، ونستعرض فيها يلي بعض أدلتهم مع إجابة موجزة عنها:

الدليل الأوّل: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَآوُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ, وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا أَوْ يُصَالَبُوٓا أَوْ تُقَلِّعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَفٍ أَوْ يُصَالِبُوٓا أَوْ تُقَلِّعُ اللَّهُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَفٍ أَوْ يُعَالِمُ ﴾ (١). يُنفَوْأُ مِن الْأَرْضُ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْئُ فِي الدُّنْيَآ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

حيث إنّ الآية صريحة في كون مجازاة ومعاقبة المحاربين لله ورسوله ـ والذين يسعون في الأرض فساداً ـ بالقتل أو الصلب أو قطع الأطراف أو النفي من بلدانهم، وإطلاق النصّ وشموله دليل واضح على مشروعيّة هذه الأفعال في زماننا، وجواز اتباع هذه السنّة في مجازاة المعتدين، بل قد تكون هذه المارسات بحق المعتدين من الفرائض الواجبة؛ لتكون رادعة لكلّ محارب ومفسد في الأرض.

لكننا في مقام الإجابة نقول: إنّ من الخطأ الفادح والواضح بمكان أن نكتفي في مقام الإفتاء بتفسيرنا العفوي للآية الكريمة والاعتباد على ظهور أو إطلاق مضمونها بالخصوص، بل تجب ملاحظة ما ورد من النصوص والأقوال في تفسيرها، وما وقع في دائرة هذا الحكم الوارد فيها من بحوث ودراسات فقهيّة.

وعند التأمل في مضمون هذه الآية المباركة، نلاحظ أن موضع البحث والاستدلال فيها يرتكز على فكرة ثبوت الحكم (وجوب القتل والصلب وقطع الأيدي والأرجل من خلاف والنفي من الأرض والوطن)، وأنه يتعلّق بعنوانين نصّت عليها الآية الشريفة وهما: (المحارب والمفسد في الأرض)؛ ومن هنا ينبثق هذا التساؤل المهمّ في المقام: مَن هو المحارب لله ورسوله؟ ومَن هو المفسد في الأرض؟ فهل كل مقاتل ومحارب في الجبهة المقابلة ينطبق عليه عنوان محاربة الله ورسوله والسعي للإفساد في الأرض؟ وهل

(١) المائدة: آية ٣٣.

الحكم والجزاء الثابت في المقام ترتيبي يتنوع بتنوع العقوبة واختلافها، أم أن الأمر في ذلك يعود لاختيار الإمام أو نائبة، فإن شاء اختار القتل أو الصلب أو القطع أو النفي؟ وفي مقام الإجابة عن هذه التساؤلات نقول: هناك اتفاق بين المفسّرين والفقهاء من كلا الفريقين على أن عنوان المحاربة لله تعالى لا يعقل أن يكون على وجه الحقيقة، فلا يعقل لشخص أن يحارب الله تعالى حقيقة، إلّا بضرب من التصرف والمجازية، وذلك باعتبار المحاربة لما هو مرتبط به تعالى، كمحاربة أوليائه وإيذائهم، ومحاربة التعاليم الشرعية والواجبات الإلهية، فالمحارب هو الذي أعلن الحرب والقتال والوقوف بوجه رسول الله على في وبوجه التعاليم والأحكام الإلهية ونحو ذلك.

ومع ذلك؛ لا يمكن حمل هذا المضمون على إطلاقه وشموله؛ لأن سيرة الرسول الأكرم عَيْنِ جرت على التفريق بين أصناف المحاربين في تطبيق الحكم المذكور في الآية الكريمة، ما يعني أن هذا الحكم مختصّ بصنف معيّن من المحاربين، ويحتمل أن يكون هذا الصنف هو مَنْ تتمثّل فيه أعلى درجات وصور المحاربة ونصب العداء للنبي ﷺ وللإسلام، كما أن العنوان الآخر وهو عنوان المفسد في الأرض قد تمّ تطبيقه في معظم التفاسير على قطاع الطريق والمخلِّين بالأمن العام والمعتدين على المارّة بالسلاح، ما يكشف عن أن الحكم الوارد في الآية الشريفة ليس مطلقاً وشاملاً لكل محارب أو مفسد. وفي هذا المجال يذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره: بأنَّ الآية تشير لحكم بعض المحاربين لله ورسوله، كمحاربة بعض الكفار للنبي الأكرم عَلَيْكُ وكذلك تشير الآية لحكم بعض المفسدين، وهم قطاع الطرق والمخلّين بأمن الناس عامة، ولا يمكن حمل الآية على مطلق المحاربين والمفسدين؛ لأنه خلاف سيرته عَلَيْكُ، حيث لم ينقل لنا التأريخ عنه الله أنه كان يعامل المحاربين والمفسدين بهذه العقوبة والجزاء عند الظفر بهم بصورة عامة، قال في معرض بحثه في الآية الكريمة: «وهو الإفساد في الأرض، بالإخلال بالأمن وقطع الطريق دون مطلق المحاربة مع المسلمين، على أن الضرورة قاضية بأنّ النبي عَيِّا للهُ لم يعامل المحاربين من الكفار بعد الظهور عليهم والظفر بهم هذه

المعاملة من القتل والصلب والمثلة والنفي $^{(1)}$.

كما أنّ البحث قد انقسم من جهة أُخرى إلى قولين، وذلك بلحاظ أن اختلاف حكم المحارب أو المفسد في الآية الكريمة هل هو باختلاف نوع العقوبة؟ أم أن للإمام الخيار، إن شاء قتل أو صلب وإن شاء قطع أو نفى؟ جملة من الروايات الشريفة الواردة عن الأئمة الأطهار الملكي في المقام تشير إلى اختيار الإمام، وأن له الخيار المطلق في تحديد المصلحة في ذلك، وجملة أُخرى منها تشير إلى مسألة الترتيب في العقوبة على نوع الفعل ودرجات المحاربة والإفساد، وليس العقاب الوارد في الآية المباركة على إطلاقه، فليس مَن قتل وسرق كمن سرق فحسب! ما يدل على أنّ تلك العقوبات خاصة بفئة معينة. أشار إلى ذلك كلّه العلامة الطباطبائي في تفسيره، وقال في ختام بحثه: «وتمام الكلام في الفقه، غير أنّ الآية لا تخلو عن إشعار الترتيب بين الحدود بحسب اختلاف مراتب الفساد؛ فإن الترديد بين القتل والصلب والقطع والنفي وهي أُمور غير متعادلة ولا متوازنة، بل مختلفة من حيث الشدة والضعف قرينة عقلية على ذلك» (٢٠).

مضافاً إلى أنّ البحث الفقهي قد خص تطبيق هذه الأحكام والعقوبات الواردة في الآية الشريفة بمن له حق الولاية كالإمام المعصوم أو نائبه الخاص أو العام، وليس لكلّ أحد جواز تطبيقها.

ثم إنّ العقاب الوارد في حقّ المحارب والمفسد في الأرض لا يشمل الذين تابوا قبل أن يُظفر بهم ويُقبض عليهم؛ لتصريح الآية التي تليها بذلك، وأيضاً لا يصح تطبيق ذلك الحكم على الذين قُتلوا على أيدي المسلمين؛ لحرمة المثلة والتمثيل بهم (٣)،

.

⁽١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٥، ص٣٢٦.

⁽٢) المصدر السابق: ص٣٣٢.

⁽٣) أنظر: ابن إدريس، السرائر: ج٣، ص٥٠٥، وأيضاً: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٤، ص٥٦٦. وأيضاً: السبزواري، مهذب الأحكام: ج٢٨، ص١١٨. وقد أجاد الأنصاري في موسوعته الفقهية الميسرة فراجع: ج٣، ص٣٦٥.

كما أنّ للأسير أحكاماً أُخرى مختصّة به، فلو وقع بيد الإمام أو نائبه أسرى في الحرب اختلف حكمهم، ولا يصح - بل لا يجوز شرعاً - تطبيق تلك الأحكام والعقوبات الواردة في الآية الشريفة بحقّهم (١٠).

ويؤكّد المفسرون عموماً على هذه الحقيقة، وأنه لا يمكن الأخذ بمضمون الآية المباركة على إطلاقه، ومن هنا؛ وقع الخلاف بينهم في تحديد المعنى الخاص الذي قصدته الآية، يقول الطبري في تفسيره: «اختلفت أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في أهل الكتاب... وقال آخرون: نزلت في قوم من المشركين... وقال آخرون: نزلت في قوم من عرينة وعكل ارتدوا عن الإسلام وحاربوا الله ورسوله»، وفي ختام بحثه الطويل قال: «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول مَن قال: المحارب لله ورسوله من حارب في سابله المسلمين وذمتهم والمغير عليهم في أمصارهم وقراهم حرابه»(٢)، وهذا ما يؤكّد عدم الاتفاق على شمول الآية لكلّ المحاربين والمقاتلين للمسلمين بقول مطلق. وأصرح من ذلك ما ذكره الرازي في تفسيره، حيث يقول: «... إن المحاربة مع الله تعالى غير ممكنه؛ فيجب حمله على المحاربة مع أولياء الله، والمحاربة مع الرسل ممكنه، فلفظة المحاربة إذا نُسبت إلى الله تعالى كان مجازاً؛ لأن المراد منه المحاربة مع أولياء الله، وإذا نُسبت إلى الرسول كانت حقيقة...] إلى أن يقول: [والوجه الرابع: أن هذه الآية نزلت في قطّاع الطريق من المسلمين، وهذا قول أكثر الفقهاء...] ثم قال في آخر البحث: [المحاربون المذكورون في هذه الآية هم القوم الذين يجتمعون ولهم منعة ممن أرادهم بسبب أنهم يحمى بعضهم بعضاً، ويقصدون المسلمين في أوراحهم ودمائهم، وإنها اعتبرنا القوة والشوكة؛ لأن قاطع الطريق إنها يمتاز عن السارق بهذا القيد»(٣). ويقول القرطبي أيضاً في تفسيره: «وقال مالك والشافعي

⁽١) أُنظر: الأحمدي، على، الأسير في الإسلام: ص١٣٥.

⁽٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج٦، ص٠٢٨-٢٨٧.

⁽٣) الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير: ج١١، ص١١٥.

وأبو ثور وأصحاب الرأي: الآية نزلت فيمن خرج من المسلمين يقطع السبيل ويسعى في الأرض بالفساد»(١).

يضاف إلى ذلك كلّه: أن جمعاً من مفسري العامة ذهبوا إلى القول بنسخ هذه الآية الشريفة بآية السيف وضرب الرقاب^(۲)، ومؤدّى ذلك سقوط الحكم عندهم من الأساس؛ فلا يصحّ الاستدلال بها في المقام، ولو تمّ ذلك يكون من أهمّ الأجوبة وأثبتها. لكن السيد الخوئي أوضح في كتابه البيان مفصلاً بطلان القول بنسخ هذه الآية المباركة، فلاحظ^(۳).

والخلاصة: أن الحكم لا يشمل كل محارب أو مفسد، فالآية الكريمة لا تنفع أُولئك المجرمين في حملتهم الإجرامية التي طالت الأخضر واليابس.

الدليل الثاني: إطلاق بعض الآيات المباركة، حيث يظهر منها وجوب التنكيل بالكافرين وممارسة الشدة والعنف بحقهم بلا رحمة ولا شفقة، من قبيل: قوله تعالى: ﴿قُعَمَّدُ رَسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَهُ وَالسِّدَاءُ عَلَى الْكُفّارِ ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُواْ لَهُم مَا السَّطَعْتُم مِن قُوّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّ كُمْ وَاخْرِينَ مَن دُونِهِم مِن قَيْلُوهُم عِن مَن عَنْ الْفَيْلُوهُم عَن الْفَيْلُوهُم عَن اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه الله الله الله عَلَى الله عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللّه اللّه الله الله على ضرورة محاربة الكافرين وقتلهم وعدم الرأفة بهم.

وفي مقام الإجابة نقول: إن هذه المطلقات لو تمّ الاستدلال بها، فهي مقيدة

⁽١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج٦، ص ١٤٩.

⁽٢) أُنظر: ما تقدم من المصادر السابقة، وبالخصوص ما ورد في تفسير القرطبي: ج٦، ص٠٥٠.

⁽٣) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن: ص٣٦٨

⁽٤) الفتح: آية ٢٩.

⁽٥) الأنفال: آية ٦٠.

⁽٦) البقرة: آية ١٩١.

بأدلة حرمة المثلة، ولا يصح تطبيق الآيات المباركة على ما يهارَس اليوم من سفك الدماء وقطع الرؤوس والمثلى بها وإهدائها؛ فإن مثل هذه الجرائم خارجة عن متعلّق ومضمون الآيات المذكورة.

ثمّ إنّ مدلول هذه الآيات الشريفة وغيرها في مقام تشريع الجهاد الابتدائي أو الدفاعي مع المشركين والمعتدين، وهو إما في مقام الدفاع عن النفس والهويّة والوجود، أو هو كها في الجهاد الابتدائي تكون غايته نشر وإعلاء كلمة الاسلام؛ ولذا لا عدوان أو قتل بحق النساء والأطفال والشيوخ. قال العلامة الطباطبائي في الميزان: «القتال: محاولة الرجل قتل مَن يحاول قتله، وكونه في سبيل الله إنّها هو لكون الغرض منه إقامة الدين وإعلاء كلمة التوحيد، فهو عبادة يُقصد بها وجه الله تعالى دون الاستيلاء على أموال الناس وأعراضهم، فإنّها هو في الإسلام دفاع يُحفظ به حق الإنسانية عند الفطرة السليمة... فإنّ الدفاع محدود بالذات، والتعدي خروج عن الحد؛ ولذلك عقبه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَدُونَ الدُّفِ اللَّهُ لَا يُحِبُّ اللَّهُ عَيْدِينَ ﴾...»(١).

ويقول صاحب تفسير الأمثل: «فالحرب ليست للانتقام ولا للعلو في الأرض والتزعم، ولا للاستيلاء على الأراضي، ولا للحصول على الغنائم... فهذا كله مرفوض في نظر الإسلام، حمل السلاح إنّا يصحّ حينا يكون في سبيل الله، وفي سبيل نشر أحكام الإسلام، أي: نشر الحق والعدالة والتوحيد واقتلاع جذور الظلم والفساد والانحراف»(۲). فليس المنهج في الإسلام هو القيام بالسيف والتحكّم في رقاب الناس بالقتل وسفك الدماء، كما أنّ جهاد الكفار والمشركين والمحاربين لإسلامنا الحنيف لا يمثّل أصلاً وأساساً أوّل في منظومة التعاليم الإسلاميّة، كما قد يصوّر ذلك بعض الجهلة والمغرضين، بل إنّ الإسلام دين الرحمة والرأفة والسلام، وأصله وأساسه الأوّل هو الدعوة إلى التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن مع ذلك هناك طائفة

⁽١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢، ص٦١.

⁽٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٢، ص١٩.

من المعاندين والظالمين والمفسدين في الأرض لا يصح معهم إلّا الغلظة والشدّة والعقاب والتنكيل، وهو علاج وسبيل ثانوي اضطراري، لا يصحّ أن يُجعل هو الطريق والسبيل الأساس في الدين الحنيف وأهدافه السامية، يقول أمير المؤمنين الحين في معرض خطابه مع المجاهدين: «لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجة أُخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيّجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أُمراءكم...»(۱).

الدليل الثالث: قد يُستدل على شرعيّة ممارسة جريمة قطع الرؤوس بتقرير النبي عَيَّا الله وعدم معارضته لما فعله الإمام علي بن أبي طالب الشافي في معركة بدر أو خيبر أو غير هما، من قطع لرؤوس الأعداء، بل وفي بعض القصص التاريخية أنّ الرسول عَيَّا كان يأمره بقطع أعناق بعض المشركين من المحاربين؛ مما يكشف عن صحة وشرعيّة هكذا أفعال، مضافاً إلى أنّ سيرة السلف الصالح بعد واقعة كربلاء قد جرت على ذلك (٢٠).

وفي مقام الإجابة نقول: بغض النظر عن التأمل فيها يُنقل في هذا المجال، وقد ناقش البعض في تلك الحوادث مفصّلاً (٢) فإن هذه الحوادث إن صحّت فهي موارد قليلة ونادرة وفي ظروف خاصّة، ولا تشكّل سنّة يجب اتباعها، كها أنّها لم تكن مع المسلمين، بل كانت مع الكفار والمشركين واليهود والمنافقين، ولم ينقل لنا التاريخ

⁽١) خطب الإمام على الله ، نهج البلاغة: الكتب والرسائل، رقم ١٤.

⁽٢) أنظر: أغلب الكتب التاريخية في هذا المجال: كالطبري والكامل وغيرهما، ولقد أجاد السيد مرتضى العاملي في كتابيه: الصحيح من سيرة الرسول الأعظم على الله على الله على الكتاب الخامس منه وما بعده، بتوضيح ذلك مفصلاً فلاحظ. وأنظر أيضاً: الأحمدي، على، الأسير في الإسلام: ص ٢٤٩.

⁽٣) أُنظر: العاملي، مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي الله : ج٥، ص١٧. حيث ناقش في ثبوت كثير من تلك الحوادث.

وقوع المثلة بتلك الرؤوس، أو إهداءها وتناقلها من مكان لآخر، بل نقل لنا التاريخ أن علياً الله قد أوصى ابنه الحسن أن يضرب قاتله ضربة بضربة، وأن لا يُمثُل به، وحكى حديث الرسول الأكرم عَلَيْكُ بحرمة المثلى ولو بالكلب العقور(١١). والنصوص المتضافرة عن النبي الأكرم صحيحة وصريحة في حرمة المثلة والتمثيل بالإنسان بشكل مطلق، لا يسع المجال لاستعراضها(٢).

والتأمّل في حياة النبي تَتَيِّلُهُ وسيرة وصيه على النِّهِ وأبنائه المعصومين المطهّرين المِّكِّ، يرسم لنا صورة واضحة عن الأخلاق النبيلة والمثل الإنسانيّة الرفيعة في مواجهة الأعداء، حيث خلت سيرتهم المباركة من كافّة أشكال المارسات الإرهابيّة التي نراها تمارس اليوم بحقّ المخالفين في العقيدة والدين والمذهب.

وما قد نجده في بعض الموارد من مجازاة الكافر المحارب بقطع رأسه في الحرب، إنها كان يمثّل الطريقة والآلية المألوفة والمتبعة آنذاك في معاقبة الجاني والمعتدى الآثم، وليس هو إلا لتحقيق العدالة الإلهية في الأرض. ولا يصحّ أن يقارَن ذلك أبداً بجرائم بني أُمية في يوم عاشوراء، حينها سفكوا الدماء وقتلوا الأبرياء ومثَّلوا بأجسادهم ورؤوسهم الطاهرة وانتهكوا الحرمات.

وعلى الرغم من كل ما جرى، بقي النصر والخلود حليف الأتقياء، وبقيت كربلاء مناراً شامخاً لتخليد دماء الشهداء، وأُسوة حسنة لكل مجاهد حرّ شريف، وأما سفك دماء الأزكياء وقطع رؤوسهم وإهدائها وحملها في البلدان، فيبقى وصمة عار وخزي على جبين الطغاة والجبابرة كتبه التأريخ ولا يُمحى أبداً، ويبقى دليلاً حيّاً

⁽١) خطب الإمام على الله ، نهج البلاغة (تحقيق صبحى صالح): ص٤٢٢.

⁽٢) أنظر: البيهقي، أحمد بن الحسن، السنن الكبرى: ج٩، ص٦٩ ـ ٧٠. البيهقي، أحمد بن الحسن، معرفة السنن والآثار: ج٦، ص٥٥٧. والطبراني، المعجم الأوسط: ج٢، ص٧٩ وج٦، ص٤٢. والمعجم الكبير: ج١٢، ص٧٠٧ وج١٨، ص٧٥٧. وغيرها من المصادر.

على جرائمهم الوحشيّة وحقدهم الدفين على محمديَّ الله وأهل بيته الطاهرين الميّلان، وتبقى جريمة كربلاء لا تقارن بأيِّ جريمة أُخرى وقعت في التاريخ؛ إذ لابد من ملاحظة المقام السامي والرفيع لشخص المجنى عليه، فليس للأُمة ابن بنت نبي آخر غير الحسين الله الذي لا يدانيه أحد في الفضل والعظمة والمنزلة الإلهيّة، وهذا ما لم يردع القوم ولم يصر فهم عن جريمتهم النكراء، ولم يتأثر وا بخطاب أو وعظ أو معاجز إلهية وحوادث غير طبيعية وقعت في مثل ذلك اليوم وحفظها التاريخ، بل ازداد القوم طغيانا وكفراً، فكانوا يضربون الرأس الشريف كلّما شاهدوه يتلوا آيات من الذكر الحكيم، وبالرغم من كل ما شاهدوه من كسوف للشمس وخسوف للقمر ومطر السماء دماً وما رُفع حجر أو مدر إلا ورأوا تحته دماً عبيطاً، فإنهم لم يكتفوا بذلك ولا فكروا بالتوبة والإنابة، وإنها حملوا الرؤوس على الرماح وسبوا العيال ونهبوا الخيام وأحرقوها، ولو لا خوف الملعون يزيد من الفتنة وانقلاب الأمر عليه بعد خطبة مولانا زين العابدين الله المعروفة في بلاد الشام، لما أمر بإرجاع أهل بيت الوحى إلى المدينة، ولما رضخ للقبول بإرجاع الرؤوس معهم ودفنها في مستقر الأجساد الطاهرة، وذلك بعد مرور ما يقارب الأربعين يوماً من مقتلهم المأساوي. وما خفي قد يكون أعظم وأدهى، ومَن رأى ليس كمن سمع أو قرأ.

فسلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله يوم وُلِدت ويوم استُشهدت ويوم ترجع إلينا ويوم تُبعث حياً، والسلام على وُلدك وأهل بيتك وأصحابك وأنصارك، ولعن الله أعداءكم وظالميكم وقاتليكم إلى قيام يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.



الشيخ أركان التميمي*

توطئة

يبدو أن الخبرَ عندما يُعرض في ظلِّ أجواءٍ خاصة _ ويُتلقى ممزوجاً بجوانب متعددة _ قد يُلهي ذلك بعض المستمعين عن تتبُّع هفواته، والالتفات إلى عثراته، خصوصاً إذا عُرض الخبر ضمن حادثة معروفة ثابتة.

وقد يكون عدم ثبوت بعض الأخبار أو جزئياتها غيرَ مؤثر في مسير الأحداث والصورة العامة لها، فيعود الحديثُ عنها والتصدّي لها في سلّم الأولويات؛ لأنها تؤثّر سلباً على صورة عاشوراء المشرقة، وعند ذلك فمسؤوليتنا _ كمنتمين لمدرسة عاشوراء، ومؤمنين بسموِّها ورفعتها، ومعتزّين بشموخها وهيبتها _ ثُحتّم علينا التعرّض لتلك الأخبار أو جزئياتها، وبيان حقيقة الأمر فيها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

خبر قطع رأس بكر بن غانم بعد قتله

خبرٌ ـ وبعبارة أدقّ جزء خبر ـ يتداوله بعض الخطباء (وفقّهم الله) وهم يسردون وقائع قتال عليّ بن الحسين الأكبر اليّلا في يوم عاشوراء، ومؤدّاه: أنّ رجلاً فارساً

* باحث وكاتب إسلامي.

فاتكاً من جيش عمر بن سعد يُقال له: (بكر بن غانم) برز لقتال علي ً الأكبر اليلاء فتقاتلا وتمكّن علي بن الحسين الميلاط من قتل غريمه ابن غانم، ثم احتز رأسه، وأتى بالرأس إلى أبيه الحسين الميلا متفاخراً بذلك، وطالباً للجائزة على فعله وبطولته، ولم يكن يطمع بأكثر من شربة ماء.

ولعلّ كثرة تردُّد هذا الخبر على الأسماع جعل بعضنا يأنس به رغم غرابة العمل وهو قطع الرأس واستبعاد صدوره من سليل الرسالة ونجل النبوة، عليّ بن الحسين الأكبر الله فلم نتساءل كعموم مستمعين لا كأفراد : أليسَ هذا الفعل مخالفاً لما جاءت به النصوص الواردة عن النبي المصطفى المسلم وأهل بيته الأطهار المهار المحرمة المُثلة، فكيف يُستساغ هذا التمثيل من حزّ الرأس وحمله باليد؟!!

يحقّ لنا أن نضع هذا الخبرَ المُتداول على ألسنة بعض الخطباء والذاكرين على طاولة البحث والنقد، والذي ترسّخ بمرور الزمن ممزوجاً بشجاعة عليِّ الأكبر اللهِ في كربلاء، ومشوباً بصورة مثيرة للعواطف والبكاء، فقد رجع الأكبر الله الإمام الحسين الله يشكو العطش الشديد وطلب الجائزة برأس بكر بن غانم.

ولعل هذه الأجواء المشحونة عاطفةً وشجاءً تُبعدُ _ نوعاً ما _ إثارة التساؤل والاعتراض أو تجعل بعضاً يتسامح في نقده بحجّة ما يتركه نقل الخبر من تهييج للعواطف وإثارة للأشجان، ناسين أو متناسين أنه إلى جنب ذلك ستكون صورة مشوهة للحدث وللشخصيات السامية، وإظهارها بعيدةً عن روح الإسلام وساحة تعاليمه، ومؤسِّسةً للعنف والبطش وظاهرة حزّ الرؤوس المستفحلة في عالمنا اليوم، إذا ما أمعنا النظر، وأخلصنا التأمل.

وقبل نقد الخبر وطرح استبعادات صدور هذا الفعل من شبيه المصطفى علي الأكبر الله المعرض نصوص الأكبر الله المعتبرة في قتال ورجوع علي الأكبر الله من ساحة القتال، لتتشكل بعد ذلك رؤية واضحة للخبر وتفاصيله، ونصدر الحكم بعدها على الخبر.

خبر قطع رأس بكربن غانم في المصادر

بعد البحث والتتبع يُمكننا القول بثقةٍ وتثبّت: إنّ خبر قطع رأس بكر بن غانم لم يرد في مصدرٍ معتبر ولا مقتلٍ معتمَد، وهو أمرٌ يُثير الاستغراب والدهشة، فمع شهرة هذا الخبر وتداوله لا ترى له أثراً في المصادر وكتب المقاتل!!

بل الأكثر غرابةً أنّ الكتب غير المعتبرة ـ والتي اشتملت على الصحيح والضعيف من أخبار عاشوراء ـ خلت هي الأُخرى من هذا الخبر، أو ذكرت قتل الأكبر الله للكربن غانم دون الحديث عن حزّ الرأس، فضلاً عن حمله إلى أبيه الحسين الله.

فكمال الدين الحسين بن علي الواعظ الكاشفي المتوفّى سنة (٩١٠ هـ)، صاحب كتاب (روضة الشهداء)، لم يأتِ على ذكر الخبر من قريب أو بعيد (١)، مع انتهاجه للأُسلوب القَصصي في عرض الحوادث، والذي قد يصل أحياناً إلى الأُسلوب الخيالي. أما الفاضل الدربندي المتوفّى سنة (١٢٨٥ أو ١٢٨٦هـ)، فلم يورد هو الآخر قضية حزّ الرأس، مع إيراده لخبر قتال بكر بن غانم، على الرغم من منهجه التسامحي في إبراد الأخيار.

وساق الخبر في أسرار الشهادة هكذا: «... وطلب البراز، فلم يبرز إليه أحد، فهتف عمر بن سعد ببكر بن غانم وندبه فبرز إليه، فلما برز تغيّر لونُ الحسين، فقالت ليلى أُمُّ على: ممَّ تغيُّرك يا سيدي؟ لعله قد أصابه شيء؟

قال: لا، ولكن قد برز إليه مَن يُخاف عليه منه، فادع لولدك علي، فإنّي قد سمعت من جدي رسول الله عليه أن دعاء الأم مُستجاب في حقّ ولدها.

قال: فجرّدت رأسها، وهي في الفسطاط، ودعت له إلى الله عزّ وجل بالنصر عليه.

وقال: جرى بينها حرب شديد، حتى انخرق درع بكر بن غانم من تحت إبطه، فعاجله على بن الحسين بضربة قسمه نصفين لا رحمه الله»(٢).

⁽١) أُنظر: الكاشفي، حسين، روضة الشهداء: ص ٢٥٥.

⁽٢) الدربندي، آغابن عابد، إكسير العبادات في أسرار الشهادات: ج٢، ص٥١٥.

وهكذا أورده صاحب معالي السبطين نقلاً عن الفوادح للشيخ حسين البحراني، فقال: «لما برز عليّ بن الحسين في وطلب المبارز، فلم يبرز إليه أحدٌ، فدعا ابنُ سعدٍ طارقَ بن كثير، وقال له: تأخذ ما تأخذ من ابن زياد، فاخرجْ إلى هذا الغلام وجئني برأسه. فقال: أنت تأخذ مُلك الريّ وأنا أخرج إليه! فإن تضمن لي إلى الأمير إمارة الموصل أخرجْ إليه. فضمنَ وأعطاه خاتمه ميثاقاً له، فخرج وقاتل قتالاً شديداً إلى أن ضربَ علي بن الحسين في عليه ضربةً منكرةً فقتله، فخرج أخوه وضرب علي في على عينيه وقتله، فلم يخرج إليه أحدٌ، إلى أن نادى عمر: ألا رجل يخرجُ إليه. فبادر إليه بكرٌ بن غانم، فلما خرج إليه اللعين تغيّر وجهُ الحسين في نقالت أُمّهُ ليلى: يا سيدي، ولعل قد أصابه شيءٌ؟ قال: لا، ولكن قد خرج إليه من أخاف عليه؛ فادعي له؛ فإني قد سمعتُ من جدي رسول الله في أن دعاء الأمّ يُستجاب في حق الولد. فكشفت رأسها، ودعت له، ولعنت بكراً إلى أن جرى بينها ما جرى، وتعاركا معركةً شديدة، إلى أن التفت علي بن الحسين في حق إبطه وقد انخرق درعه، فضربه على ضربةً فقطعه نصفين»(۱).

وبهذا يغيب خبر قطع الرأس تماماً عن المصادر التي لا تتميّز باعتبارٍ واعتماد كافيين، فضلاً عن غيابه عن المصادر القديمة والمعتبرة.

نعم، يوجد هذا الخبر في كتبٍ غير معتمدة، خلطت بين الصحيح والضعيف من أخبار عاشوراء، وفيها أخبار أقرب للقصص وحكايات القصاصين منها إلى الأخبار التاريخية، فقد نقل السيد علي الهاشمي المتوفّى سنة (١٣٩٦هـ) في كتابه (ثمرات الأعواد) خبر حزّ الرأس والإتيان به، ومن دون ذِكر المصدر الذي نقل عنه، فضلاً عن سند الرواية.

قال صاحب الثمرات: «ثم طلب البراز، فلم يبرز إليه أحد، فحمل على القوم وجعل يضرب فيهم بسيفه، هذا والحسين الله واقف بباب الخيمة وليلى تنظر في وجه

⁽١) الحائري، محمد مهدي، معالي السبطين: ج١، ص٤١٧.

الحسين الله تراه يتلألأ نوراً وسروراً بشجاعة ولَدِه عليٍّ، فينها هو كذلك إذ تغير لون وجهه، فقالت له ليلى: سيدي، أرى لون وجهك قد تغيّر، أهل أُصيب ولدي؟

فقال لها: لا يا ليلي، ولكن برز له مَن أخاف منه عليه، يا ليلي، ادعى لولدك عليِّ.

دخلت ليلى إلى الفسطاط، نشرت شعرها، جرّدت عن ثدييها، قائلة: إلهي، بغربة أبي عبد الله، إلهي، بعطش أبي عبد الله، يا راد يوسف إلى يعقوب أردُدْ إلى ولدى علياً.

قال الراوي: فاستجاب الله دعاء ليلى، ونصر علياً على بكر، فقتله وحزّ رأسه، وجاء به إلى أبيه الحسين الله وقد قتل مائة وعشرين فارساً، وهو ينادي: أبه، العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل، أتقوّى بها على الأعداء؟...»(١٠).

روايات قتال عليِّ الأكبر ﷺ ورجوعه من ساحة الحرب

تحدثت المصادر المعتبرة والمقاتل المعتمدة عن قتال عليٍّ الأكبر الله وشجاعته وأراجيزه ورجوعه لأبيه الحسين الله واستسقائه الماءَ من أبيه، أو إخبارَ أبيه بالعطش الذي يُعانيه، وسنختصر في السرد على الأخبار التي تحدثت عن رجوعه من ساحة الحرب، ولقائه بأبيه الحسين الله ثم نزوله للميدان مجدداً؛ والسبب في ذلك أن الخبر المزعوم يدّعي أن علياً الأكبر الله عاد برأس بكر بن غانم لأبيه الحسين الله ومن خلال سرد روايات رجوع الأكبر لأبيه الله تتوضح الصورة لنا من خلال المصادر المعتبرة بها يدحض الصورة المشوّهة والمشوّهة.

الرمام جعفر الصادق على نقله عن أبيه الإمام محمد الباقر عن أماليه حديثاً عن الإمام جعفر الصادق على نقله عن أبيه الإمام محمد الباقر على عن أبيه الإمام زين العابدين على: «فلمّا بَرَزَ إِلَيْهِمْ (عليّ بن الحسين) دَمَعَتْ عَيْنُ الحُسَيْنِ عَلَى فقال: اللّهُمّ، كُنْ أَنْتَ الشّهِيدَ عليهِمْ؛ فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمُ ابْنُ رَسُولِكَ وَأَشْبَهُ النّاسِ وَجْهاً وَسَمْتاً بِهِ.

⁽١) الهاشمي، على بن الحسين، ثمرات الأعواد: ج١، ص ٢٣٣.

نَحْنُ وَ بَيْتِ اللهِ أَوْلَى بِالنَّبِي

أَمَا تَرَوْنَ كَيْفَ أَحْمِي عَنْ أَبِي

فَقَتَلَ منهُمْ عَشَرَةً، ثُمَّ رَجَعَ إلى أبيه، فقال: يَا أَبَتِ، الْعَطَشَ. فقال له الحُسينُ اللهِ: صَبْراً يَا بُنَيَّ، يَسْقِيكَ جَدُّكَ بِالْكَأْسِ الأَوْفَى. فَرَجَعَ فقاتلَ حَتَّى قَتَلَ منهُمْ أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا، ثُمَّ قُتِلَ صلى الله عليه»(١).

Y-رواية الخوارزمي: روى الخوارزمي في كتابه (مقتل الحسين الله) ما نصّه: «... فلم يزَلْ يُقاتل حتى ضجَّ أهلُ الكوفةِ لكثرةِ مَن قُتل منهم، حتى أنّه رُويَ أنّه على عطشه قتلَ مئةً وعشرينَ رجلاً، ثمَّ رجَعَ إلى أبيهِ وقد أصابته جِراحاتُ كثيرة، فقال: يا أبه، العطشُ قد قتلني، وثِقلُ الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربةٍ من ماءٍ سبيل، أتقوى بها على الأعداء؟

فبكى الحسينُ الله ، وقال: يا بُنيّ ، عزَّ على مُحمدٍ وعلى عليٍّ وعلى أبيك أن تدعوهُم فلا يُعيبونك ، وتستغيثُ بهم فلا يُعيثونك ... »(٢).

٣- رواية ابن شهر آشوب: روى الشيخ ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب، ما نصّه: «ثم تقدَّم عليٌّ بن الحسين الأكبر الله عليٌّ وهو ابنُ ثمان عشر سنة، ويقال: ابنُ خس وعشرين، وكان يُشبَّه برسول الله عليُّ خلقاً وخُلُقاً ونطقاً، وجعل يرتجز ويقول: أنا عليُّ بنُ الحسينِ بن علي من عُصبةٍ جَدُ أبيهِمُ النبي نحنُ وبيتِ اللهِ أَوْلى بالوصي واللهِ لا يحكم فينا ابنُ الدعي

طعنَ غلام هاشميِّ علوي

أطعنُكُم بالرمح حتى ينثني

(١) الصدوق، محمد بن على، الأمالي: ص١٦٢، المجلس الثلاثون.

أضر بُكُم بالسيفِ أحمي عن أبي

لعدد العاشر _ السنة الثالثة _ ١٤٣٦ هـ _ ٢٠١٥ م

⁽٢) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين الله: ج٢، ص٣٠.

فقتل سبعين مبارزاً، ثم رجَعَ إلى أبيه وقد أصابته جِراحاتٌ، فقال: يا أبه، العطشُ. فقال الحسين المنافي : يسقيك جدُّك، فكرَّ أيضاً عليهم، وهو يقول:

الحربُ قد بانتْ لها حقائقُ وظهرت من بعدِها مَصادقُ واللهِ ربِّ العرش لا نفارقُ جموعَكُمْ أو تُغمدُ البوارقُ

فطعنه مُرّةُ بنُ مُنقِذٍ العَبديُّ على ظهرِه غدراً، فضربوه بالسيف.

فقال الحسين الله: على الدنيا بعدك العَفا، وضمَّه إلى صدرِه، وأتى به إلى باب الفُسطاط، فصارت أُمُّه شهر بانويه (١) وَلهى تنظر إليه ولا تتكلم، فبقى الحسين الله وحيداً» (٢).

٤- رواية ابن طاووس: أورد السيد ابنُ طاووس في كتابه اللهوف وقائع قتاله الله كالآتي: «فلمّا لم يبقَ معه سوى أهل بيته خرج عليٌّ بنُ الحسين الله وكان من أصبح الناس وجهاً، وأحسنهم خُلقاً، فاستأذن أباه في القتال، فأذن له، ثم نظر إليه نظر آيسِ منه، وأرخى الله عينهِ وبكى.

ثم قال: اللهم اشهد، فقد برز إليهم غلامٌ أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك عَلَيْهُ، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيِّك نظرنا إليه، فصاح وقال: يا بن سعد، قطع الله رَحِمَك كما قطعت رحمى.

فتقدّم نحو القوم، فقاتل قتالاً شديداً، وقتل جمعاً كثيراً، ثم رجع إلى أبيه، وقال: يا أبت، العطشُ قد قتلني، وثِقلُ الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربةٍ من ماء سبيل؟

فبكى الحسين الله ، وقال: واغوثاه! يا بني، قاتل قليلاً، فها أسرع ما تلقى جدك محمداً عَلَيْكُ ، فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً.

فرجَع إلى موقفِ النزال، وقاتل أعظمَ القتال، فرماه مُنقذُ بنُ مُرّة العَبدي لعنه الله

⁽١) وهذا من الغرائب، ولعل ابن شهر آشوب قد تفرّد بهذا، فشهربانويه أُمّ الإمام زين العابدين السُّخ.

⁽٢) ابن شهر آشوب، محمد بن على، المناقب: ج٤، ص ١٠٩.

تعالى بسهم فصرعه، فنادى: يا أبتاه، عليك السلام، هذا جدي يقرؤك السلام، ويقول لك: عجّل القدوم علينا، ثم شهق شهقةً فهات.

فجاء الحسين الله حتى وقف عليه، ووضع خده على خده، وقال: قتل الله قوماً قتلوك، ما أجرأهم على الله! وعلى انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعدك العَفَاء»(١).

ونكتفي بهذا القدر من روايات الكتب المعتبرة والمعتمدة في سرد حادثة رجوع علي الأكبر عليه الحسين الحيه، فبه تتوضح لنا الصورة الحقيقية نقيةً من الزيادات الزائفة والمشوِّهة والتي أوردها القصّاصون بلا وازع في رعاية الأمانة العلمية في النقل، ولا وعيٍّ من إلصاق فعلِ مُشين بشبيه المصطفى خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً!!

⁽١) ابن طاووس، على بن موسى، الملهوف: ص١٦٦.

⁽٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٥، ص٥٥.

رواية قطع رأس بكر بن غانم على يد عليَّ الأكبراللَّا

بعد سرد الخبر بصورتيه، المعتبرة والملفّقة، ومع وضوح الزيف والإضافة المشينة، وتكشُّف أنَّه ينتمي إلى خيال وتساهل بعض القصّاصين والذاكرين، ولا يرقى أن يكون خبراً ضعيفاً؛ لعدم وجوده من الأساس في مصدر معتبر، مع هذا وذاك لا نجد مانعاً من طرح استبعادات لصدور هذا الفعل من سليل الرسالة عليِّ بن الحسين اللَّهَا ومؤيدات تنفى وقوع هذا الخبر عن ساحته الجليلة، تقف إلى جنب عدم وروده في مصدر معتبر، تضعّف الصدور وتعاضد الرفض.

والغياب التام للخبر وعدم إشارة المصادر والمقاتل المعتمدة والمعروفة كافٍ في رفض الخبر ونفيه، ولكن قد يقول قائل: عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، وعدم وجوده في المصادر المتوفرة لا يعني عدم وروده في المصادر المفقودة وهي كثيرة، وإن كنّا لا نقطع بوجوده في مصدر مفقود فإنّا لا نقطع بعدم وجوده كذلك.

ومن هنا؛ نسجّل بعض الاستبعادات النافية للخبر المزعوم، والتي تُجلّ ساحة الحسين السلام عن أن تلوَّث بمثل هذه الحكايات والقَصص الخيالية:

الاستبعاد الأول: سموُّ قدْرِ عليِّ الأكبر اللَّهِ وعلوَّ مكانته، وتحرّزه في دينه، وهو الناشيءُ في منازل النبوة والمترعرع في بيوتاتها، فكيف يُستساغ أن يُقدِمَ عليُّ بن الحسين الله على هذا الفعل مع وضوح النهى الشرعى عن التمثيل بالقتيل، لا بل بالكلب العقور؟! كما في وصية جدّه أمير المؤمنين على بن أبي طالب اليِّه؟ حيث أوصى بعدم التمثيل بجثة قاتله فقال: «يا بني عبدِ المطلب، لا ألفينّكم تخوضون دماءَ المسلمين خوضاً، تقولون: قُتل أميرُ المؤمنين، قُتلَ أميرُ المؤمنين، ألا لا يُقتلنّ بي إلَّا قاتلي، أنظروا " إذا أنا متَّ من ضربته هذه فاضربوه ضربةً بضربة، ولا يُمثَّلُ بالرجل؛ فإنّي سمعتُ رسولَ الله عَيَالَ يقول: إيّاكم والمثلة، ولو بالكلب العَقور»(١).

⁽١) نهج البلاغة، كتاب: ٤٨.

الاستبعاد الثاني: من أدب الحرب في الإسلام عدم التمثيل بالقتيل، وهذا ما كان يدأب النبيُّ الأكرم الإيصاء به، وتثبيته في أخلاقية المحارب في الإسلام، ففي الكافي: بإسناده عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله الله قال: «إنّ النبي الله كان إذا بعث أميراً له سرية أمره بتقوى الله عزّ وجلّ في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: اغزُ بسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا مَن كفرَ بالله، ولا تغدروا، ولا تغلّوا، ولا تُمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ... (١٠)، وأمثال ذلك الكثر.

فهل ترى ذلك كلّه كان غائباً عن عليِّ الأكبر الثَّلْا، أم تراه كان متجاهلاً لكل هذا الإرث النبوي السامى؟!

وكيف ذاك وهو كما وصفه أبوه أبو عبد الله الحسين الله عندما برز للقتال: «اللهم الشهد، فقد برز إليهم غلامٌ أشبهُ الناسِ خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولِك عَلَيْهُ، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه»(٢).

الاستبعاد الثالث: إذا فرضنا جدلاً أنّ علياً الأكبر الله قد فعل هذا الفعل، واحتزّ رأس بكر بن غانم، وجاء به إلى أبيه الحسين الله المساب الشباب واندفاعهم، أو بدافع إدخال الرعب في قلوب الأعداء، أو غيرها من الدوافع، فهل يستساغ أن يسكت الإمام الحسين الله عن هذا العمل وسكوتُه إمضاء ولا يعترض على وَلَده، ولا يُنبهه مسدِّداً له وموجِّها، بل ومحافظاً على قيمة إسلامية سامية وأدب رفيع من آداب الحرب في الإسلام، والحسين الله هو الناهض بأعباء الحفاظ على الإسلام النقى وتعاليمه؟!

وقد يُعترض على هذا الاستبعاد بأنَّ المقام لا يناسب أن ينهى الإمامُ الحسين اليَّلاِ

⁽١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٢٩.

⁽٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلي الطفوف: ص١١٣.

ولدَه عليًا الأكبر عليه عن هذا الفعل؛ لأنَّ الساحة ساحة حرب وقتال، وقد تكون للنهي هنا تداعيات سلبية كالفتِّ في عضد معنوية عليِّ الأكبر عليه واندفاعه للقتال.

ويُردّ عليه: أنّ النهي لما كان واجباً فلا وجه للقول: بأنّ المقام لا يناسب النهي، والإمام الحسين الله ملقى على عاتقه تصحيح مسار الأُمة وإصلاح ما فسد من أمر الدين بكل جزئية من جزئياته، وقد حرص الله على الأمر المستحب كصلاة الجاعة فكيف بالواجب وهو النهي عن المثلة؟! وبهذا لا نتصور إجراء قاعدة التزاحم هنا وتقديم الأهم على المهم.

وإن قيل: ربها نهى الإمامُ عن ذلك الفعل ولكن لم يصل النهيُّ إلينا.

فنقول: عدم وصول النهي بعد صدوره من الإمام الله مستبعد مع وصول تفاصيل أُخرى أقل أهميةً منه، ولو نهى الإمام الله لوصل إلينا النهي مع توفر الدواعي لنقله.

الاستبعاد الرابع: بكرُ بن غانم _ كما يدلَّ عليه خبر قتاله مع عليِّ الأكبر اليَّا _ فارسٌ مغوار، اشتُهر بشجاعته وقوته، معتمَدُّ عند عمر بن سعد، وقد وقع اختيار ابن سعدٍ عليه لقتال عليِّ الأكبر اليَّا بعد أن ضج أهل الكوفة لكثرة مَن قُتِل منهم.

وما نُسب للحسين الله من قول يكشف عن شجاعة الرجل وشراسته بوضوح وجلاء، فقد قال الله تبعاً للخبر : «برز له مَنْ أخافُ منهُ عليه»، كما أورده صاحب ثمرات الأعواد.

اكتفى الحسين الله بهذه العبارة في التعريف بالخطر الذي يداهم عليّاً الأكبر الله وكلامه الله يدلُّ على أنّ الرجلَ غنيٌّ عن التعريف، فهو في شجاعته وقوته وبطشه قد بعث الخوف في نفس الحسين الله على حياة وَلدِه وسلامة فِلْذة كبده عليِّ الأكبر الله . ولكننا سنُفاجاً بأنّ هذا الرجل وهو بهذه الشهرة والصيت لا وجود له إلا في هذا الخبر، فأحداث كربلاء لم تسجّل لنا موقفاً آخرَ له، أو ذِكراً لاسمه، ومن بعد سجلات كربلاء جهلته كتبُ التأريخ والرجال، فهو غائب تماماً عن كل هذا، فكيف سجلات كربلاء جهلته كتبُ التأريخ والرجال، فهو غائب تماماً عن كل هذا، فكيف

تتناسب هذه الشهرة التي يُصورها الخبر له مع ذلك؟!!

وقد يقول قائل: هذا الاستبعاد ينفي أصل قتال عليِّ الأكبر الثِّلا لبكر بن غانم، ولا يكتفى بنفى قطع الرأس فقط.

فنقول: الحق مع القائل هنا، فمع استبعاد و جو دبكر بن غانم أساساً سينتفي أمر قتاله، فضلاً عن قتله وحزِّ رأسه، لكن ما يهمّنا في المقام هو نفى حزِّ الرأس، وليس أمر وجوده، والاستبعاد المطروح يصلح لذلك مع سعته لنفي وجود هذه الشخصية من الأساس. الاستبعاد الخامس: صعوبة حزّ الرأس والمعركة دائرة، ولا أقول استحالة ذلك، فيا لم تضع الحربُ أوزارَها، ويُجلّى السكونُ غبارَها، فإنّ حزّ رأس القتيل والحربُ قائمة يعنى فسح المجال للعدو للانقضاض عليه، ويزيد هذا الاحتمال ويقوى مع طبيعة معركة كربلاء، فلنا أن نتصوّر النتيجة لو نزل عليٌّ الأكر الله لبكر بن غانم واحتز رأسه، والأعداء قد أحاطوا به، وهو وحيد في الميدان، ولتقريب الصورة أذكّر القارئ الكريم بمشهد القاسم بن الحسن المناهج عندما أهوى ليشدُّ شسع نعله، وهي عملية أقل مؤونة وأسرع إنجازاً من حزّ رأس، ولكنها كانت فرصةً مؤاتية للعين غادر أن ينقض على القاسم السلا بسيفه ويُرديه مضمخماً بدمه الزكي.

إِلَّا أَن يِقال: إِنَّ النزال كان فرداً لفردٍ، وهو أمرٌ متعارف في المعارك آنذاك، وحينها لا يو جد خطر كبير يهدد الأكبر الله وحينئذ ينتفي هذا الاستبعاد.

ويمكن الرد عليه بـ: أنَّ ما يُستشفُّ من أجواء المعركة لا يُساعد على هذا الاحتمال، مع عدم القطع بنفيه، فالمساحة لم تكن بهذا البعد المفترض، وأجلى من ذلك في استبعاد هذا الاحتمال أنَّ روايات رجوع عليِّ الأكبر اللَّهِ تحدّثت عن حملاته على الجيش وقتله عدداً منهم، وكل ذلك يصوّر لنا أنه لم يكن بمنأى عن جيش عمر بن سعد وبعيداً عنه، فقد روى الخوارزمي في مقتله: «ثم مَمَلَ عليُّ بن الحسين وهو يقول:

أنا على بنُ الحسين بن على

نحن وبيت الله أوْلي بالنبي



فلم يزَلْ يُقاتل حتى ضجَّ أهلُ الكوفةِ لكثرةِ مَن قُتل منهم، حتى أنّه رُويَ أنّه على عطشه قتلَ مائةً وعشرينَ رجلاً، ثمَّ رجَعَ إلى أبيهِ وقد أصابته جِراحاتٌ كثيرة، فقال: يا أبه، العطشُ قد قتلني، وثِقلُ الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربةٍ من ماءٍ سبيل، أتقوّى بها على الأعداء؟..»(١).

الاستبعاد السادس: قد تُطرح دوافع ومسوغات لهذا العمل كما مر في الاستبعاد المتعدم كاندفاع الشباب وحماستهم، أو إدخال الرعب في قلوب الأعداء، أو بث الاطمئنان في قلوب معسكر الحسين الحيلاء، وغيرها من التبريرات التي قد تكون مقبولة بمستوى ما وبنظرة سطحية، ولكن بنظرة أعمق وبموازنة بين هذه التبريرات وما يعكسه هذا الفعل من صورة بعيدة عن روح الإسلام وتعاليمه يتضح لنا أنّ هذه التبريرات ستكون هزيلةً واهية لا تصمد أمام النتيجة النهائية.

الاستبعاد السابع: خبر حزّ الرأس والإتيان به للإمام الحسين الله يرتبط بوجود ليلى أُمَّ عليٍّ الأكبر الله فمن يرويه _ مع ما في روايته من علل _ يروي وقوف ليلى عند الحسين المله وهو يراقب قتال وَلَدِه، ثم تسأله عن خبر وَلدها عندما يتغيّر لون وجهه الله ، فيخبرها أنّ بكر بن غانم قد برز له، إلى آخر الخبر.

ومعروف أنّ وجود ليلى أمِّ عليِّ الأكبر التَّلِيْ في الطفّ هو نفسه موضع حديثٍ وأخذ وردّ، ولعل صوت الشبين، فيكون الخبر ـ مع ما فيه من جهاتٍ أُخرى ـ مرتبطاً بقضية وجود ليلى بنت أبي مُرة بن عروة بن مسعود الثقفي رضوان الله عليها.

وهنا تنبيهان:

الأول: ما أُثير في الاستبعاد الرابع يُثار هنا، وهو أن هذا الاستبعاد ينفي أصل قتال وقتل بكر بن غانم، والجواب هناك نفس الجواب هنا.

⁽١) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين اليِّل: ج٢، ص٣٠.

الثاني: وجود بكر بن غانم مرتهن بوجود ليلى أُمّ علي الأكبر الله على الأكبر الله عدا الاستبعاد _ ولا عكس؛ إذ لو انتفى هذا الخبر فالمثبتون لوجودها في كربلاء لهم أدلة أُخرى على وجودها، ليس هذا مقام الحديث عنها.

إشكالات وردود

رغم ما تقدم من استبعادات تُبعد ـ بل وتنفي ـ وقوع هذا الفعل الشنيع بقي أن نشير إلى بعض الإشكالات التي ربها ترد على تلك الاستبعادات، نستعرضها فيها يلي: الإشكال الأوّل: قد يقول قائل: يمكن أن يكون عليُّ الأكبر اللهِ قد قطع رأس بكر بن غانم بضربة سيف أثناء القتال، وهذا يقع في الحروب، ولا يُعد من المُثلة في شيء. ويردّه: أنَّ الخبر المصطنع لا يفترض ذلك ولا يصوّر المشهد هكذا، بل يقول: قتله ثمّ احتزّ رأسه، والأكثر دفعاً لهذا الافتراض هو التصريح بأنه جاء برأس بكر بن غانم إلى أبيه الحسين المنها في ثنشدون شعراً على لسان عليِّ الأكبر اللهِ في تلك اللحظات حدث بقول:

وإذا برزتُ فصيدى الأبطالُ

صيدُ الملوكِ ثعالبٌ وأرانبٌ

ورواية الدربندي: «حتى انخرق درعُ بكر بن غانم من تحت إبطه، فعاجله عليٌّ بن الحسين بضربةٍ قسمه نصفين لا رحمه الله»(١)، فلا تدلُّ _ لو تمّ الاستدلال بها ولا يتمّ _ على قطع الرأس كما هو واضح، بل قطع جسمه إلى نصفين.

الإشكال الثاني: قد يقال: تداول الخبر على الألسن يدلَّ على وجودٍ ما، فقد يكون وارداً في مصدرِ فُقد، أو نُقل شفاهةً لا كتابةً، فوصلنا سماعياً لا مأثوراً.

ويردُّ هذا القول: أنَّ التداول بل الشهرة ليست دليلاً على حتمية الوجود، فكم من مشهور لا أصلَ له، ونحن لم نتوقف عند هذا الخبر لانعدام مصادره، بل أوقفتنا الاستبعادات وقادتنا المضعِّفات إلى البحث عن مصدر الخبر، فلم نعثر له على عينٍ

⁽١) الدربندي، آغابن عابد، إكسير العبادات في أسرار الشهادات: ج ٢، ص ٥١٥.

ولا أثر، فلماذا نتمسك بعد ذلك بمثل هذه القصة الخيالية، وهي خادشةٌ لمكانة عليِّ الأكبر الله ورفعته وشخصيته؟!

إنّ عطاء عليّ بن الحسين الأكبر الله في كربلاء وبطولته وشجاعته وتضحيته من أجل دينه ليست بحاجة إلى اختلاقٍ أو تزوير أو إضافة، فها ورد عنه باتفاق المؤرخين يكفيه خلوداً وشموخاً ورفعة، وقطعُ رأس رجلٍ بعد قتله هو أبعد ما يكون عن ساحة نجلِ الحسين الله وأقرب ما يكون من أعدائه، فهو بهم أليق وبنهجهم ألصق.

الإشكال الثالث: حادثة قتل بكر بن غانم وحزّ رأسه على يد علي الأكبر على والمجيء بالرأس لأبيه، لها حادثة مشابهة في زمن النبي على حيث قتل عبد الله بن مسعود أبا جهل وقطع رأسه وأتى به إلى النبي على أن وقع نظيرها في زمن رسول حادثة مذكورة معروفة. فلهاذا نستبعد حادثة بعد أن وقع نظيرها في زمن رسول الله على ولم يستنكر ذلك الفعل؟!

الرد: ويمكن جواب هذا الإشكال في نقاطٍ:

الأُولى: خبر بكر بن غانم لم يرد في مصادر تأريخية معتبرة كما ورد خبر ابن مسعود في قطعه رأس أبي جهل، والمشكلة الأُولى التي تواجهنا في قضية بكر بن غانم عدم وجودها في مصدر معتبر، فضلاً عن وجود سند لها.

الثانية: الإجابة عن قضية بكر بن غانم بقضية عبد الله بن مسعود جوابٌ نقضيٌ وليس جواباً حَليّاً، بمعنى أنّ هذا لا يحلّ القضيّة التي نحن فيها، بل يجعلها قضيتين، فكما ورد الإشكال في قضية ابن غانم يرد الإشكال نفسه في قضية أبي جهل.

الثالثة: قطع عبد الله بن مسعود رأس أبي جهل غير متفق عليه على الأقل إن لم نقل: غير ثابت، وذلك لأمور، منها:

أولاً: النقاش في سند الخبر ورجاله، كرواية أبي عبيدة، عن أبيه عبد الله بن مسعود، حيث يُختلف في صحة سماعه عن أبيه؛ لأن أباه مات وقد كان صغيراً، يقول

العسقلاني: «واختُلف في سماعه من أبيه والأكثر على أنّه لم يسمع منه، وثبت له لقاؤه وسماع كلامه فروايته عنه داخلة في التدليس» (١)، والتوسع في هذا موكولٌ لغير هذا المحل. ثانياً: تضارب الأحاديث في كيفية قتل أبي جهل وفي قاتله، وحاول ابن حجر العسقلاني الجمع بين تلك الأخبار، فقال: «فيُحْتَمل أَنْ يَكُون مُعَاذ بن عَفْرَاء شَدَّ عليه مع مُعَاذ بن عَمْرو كما في الصَّحِيح وضَرَبَهُ بعد ذلك مُعَوِّذ حتى أَثْبَته ثُمَّ حَزَّ رَأْسه ابن مَسْعُود، فَتُجْمَعُ الأقوال كُلّها» (١).

ثالثاً: تصريح بعض الأخبار أنّ عبد الله بن مسعود قطع رأس أبي جهل بالضربة التي قتله فيها، ولم يكن قتله قبل أن يحزّ رأسه، كما في الخبر الذي أورده ابن حجر العسقلاني في شرح الباري: «وأمّا ما وقع عند مُوسى بن عُقْبَة وكذا عند أبي الأسود عن عُرْوَة: أنّ ابن مَسْعُود وَجَدَ أَبَا جَهْل مَصْرُوعاً بينه وبين المعركة غَيْر كَثِير مُتَقَنِّعاً في الحُديد واضِعاً سَيْفه على فَخِذه لا يَتَحَرَّكُ مِنْهُ عُضْو، وظنَّ عبد الله أنّهُ ثَبَتَ جِرَاحاً فأتَاهُ مِنْ وَرَائِهِ، فَتَناولَ قَائِم سَيْف أبي جَهْل فاسْتلّهُ وَرَفَع بَيْضَة أبي جَهْل عن قَفَاهُ فَضَرَبه فوقعَ رَأْسه بين يَدَيْهِ، فَيُحْمَل على أَنَّ ذلك وَقعَ له بعد أَنْ خَاطَبَهُ بِمَا تقدَّم، والله أعلم»(٣).

بل يظهرُ من بعضها أنّه لم يتم قطع الرأس، كما في رواية الاستيعاب لابن عبد البر، بغض النظر عن الاختلاف في رواية أبي عُبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود: «حدثنا خلف بن قاسم، حدثنا الحسن بن رشيق الدولابي، حدثنا عثمان بن عبد الله، حدثنا يحيى الحماني، حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، فقلت: يا رسول الله، إنّي قتلت أبا جهل. قال: بالله الذي لا إله غيره، لأنت قتلته؟ قلت: نعم. فاستخفه الفرح، ثم قال:

⁽١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن على، طبقات المدلسين: ص٤٨.

⁽٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج١١، ص١٠٣.

⁽٣) المصدر السابق.

انطلق فأرنيه. قال: فانطلقت معه حتى قمت به على رأسه. فقال: الحمد لله الذي أخزاك، هذا فرعون هذه الأُمة، جرُّوه إلى القليب. قال: وقد كنت ضربته بسيفي فلم يعمل فيه فأخذت سيفه فضربته به حتى قتلته فنفلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه»(١).

ويُستبعد أنَّ عبارة «حتى قُمتُ به على رأسه» تعني على الرأس مقطوعاً، بقرينة قول النبعِ عَلَيْكُ : جرّوهُ إلى القليب. المنصرفة إلى جرّ الجسد.

نتيجة البحث

عرفنا من خلال هذا البحث أن لا صحة لما يتردد على ألسنة بعض الخطباء وغيرهم من أنّ عليّ بن الحسين الأكبر الله الشهيد بكربلاء، قد حزّ رأس بكر بن غانم بعدما قتله، وجاء إلى أبيه الحسين الله وهو يحمل ذلك الرأس، في منظر هو أليق بأعداء أهل البيت الله وأسلوبهم في قطع الرؤوس والتمثيل بالقتلى.

ويؤيد نفيَ قطع الرأس أُمورٌ:

أولاً: عدم ورود الخبر في مصدر معتبر أو مقتل موثوق.

ثانياً: عدم وروده في المصادر التي خلطت بين الصحيح والضعيف من الأخبار واتخذت منهجاً تسامحياً.

ثالثاً: لم نعثر على الخبر إلا في كتبٍ غير معتبرة، ولا تتمتع بقيمةٍ ورصانة علمية، وهي إلى كتب القصص أقرب منها إلى كتب التأريخ والوقائع، مع خالص تقديرنا لأصحابها.

رابعاً: يضاف إلى ذلك استبعادات عديدة، أهمها:

١- تعارضه مع سمو شخصية على الأكبر الله وتحرزه في الدين.

٢_منافاة هذا الفعل لأدب الحرب في الإسلام، وحرمة التمثيل بالقتلي.

⁽١) ابن عبد البّر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ١، ص٣٠٣.

٣ عدم نهي الإمام الحسين الله عن هذا الفعل، وهو الإمام الناهض بأعباء الحفاظ على الشرع وتعاليمه.

٤_مجهولية بكر بن غانم المتعارضة مع الشهرة التي يُضفيها عليه الخبر.

٥ ـ صعوبة حزّ الرأس في تلك الأجواء والمعركة قائمة والقتال محتدم.



دورمحاولات اغتيال الإمام الحسين العلاقي في صناعة الإرهاب

الشيخ صباح عباس الساعدي*

مقدمة

مفردة ومصطلح الاغتيال من المصطلحات المألوفة في التراث الديني القديم، ويُراد منه على ما في كتب التراجم اللغوية _ أن يحتال شخص على آخر يريد قتله، فيستدرجه إلى مكان بعيد عن الأنظار فيقتله فيه؛ لئلا يراه أحد (۱۱). ويُصطلح على العمليات المنظّمة والسرِّية التي يُراد منها إبادة شخص معيَّن والقضاء عليه سرَّا وتصفيته جسدياً في الاصطلاح المعاصر، وإن لم يكن باستدراجه إلى مكان معين (۱۲)، ولهذا التعريف الاصطلاحي المعاصر مستنده اللغوي في بعض المعاجم أيضاً؛ إذ ذُكر هذا المعنى في معجم مقاييس اللغة (۱۳).

وتُشكِّل عملية الاغتيال والغدر ظاهرة خطرة في كافة المجتمعات قديماً وحديثاً؛

^{*} مدير تحرير مجلة الإصلاح الحسيني.

⁽۱) قال الخليل الفراهيدي: «الاغتيال: يُقال: قتله غيلة. وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع، فإذا صار إلى عقاله». الخليل بن أحمد، العين: ج٤، ص٤٤٧. وأنظر: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٥، ص١٧٨٧.

⁽٢) أنظر: جميل ظاهر، الاغتيال سلاح غدر ومكر يهودي أُموي لكتمان الحقيقة الإلهية

http://www.southlebanon.org/archives/

⁽٣) قال ابن فارس: «(غول): الغين والواو واللام أصل صحيح، يدل على ختل وأخذ من حيث لا يدري، يقال: غاله يغوله. أخذه من حيث لم يدر». ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص٢٠٤.

ينجم عنها حالة مرعبة في المجتمع الذي يشيع فيه ذلك، ويجعل في نفوس سائر الناس _ حتى المدنيين العُزَّل _ حالة من القلق والرعب اللذين يزرعان فيهم عدم الثقة بالآخرين، فيعيشون حالة مهولة من الإرهاب النفسي والخوف المفرط على حياتهم، وقد تختلف هذه الظاهرة التي نتكلم عنها من مجتمع إلى آخر _ ومن زمان إلى آخر أيضاً _ شدةً وضعفاً؛ إذ قد تجد هذه الظاهرة متفشية في بلد من البلدان أو مجتمع من المجتمعات؛ ما يجعل من هذا البلد مكاناً لا يمكن العيش فيه إطلاقاً، وغالباً ما يوعز ذلك إلى أسباب لسنا بصدد بيانها مفصلاً، إلّا أننا نُشير إلى بعضها على عجالة، وهي:

1-الأسباب السياسية: فقد تكون طبيعة تفكير الدولة الحاكمة قائمة على إفشاء هذه الظاهرة في المجتمع الذي يخضع تحت سيطرتها؛ فتوظف لذلك أشخاصاً يقومون بتصفية من يشكِّل خطراً على مصالحهم، وقد يكون هدفهم قائماً في قتل أشخاص غير معينين، من أجل بثّ الرعب والخوف في قلوب الرعية؛ لينشغلوا بأنفسهم عن التفكير في أيّ تغيير أو إصلاح يصبّ في صالح المجتمع، وهذا النوع من الاغتيالات يُصطلح عليه الاغتيال السياسي.

نعم، قد ينعكس الأمر في الجبهة المعارضة للحكومة العادلة؛ فيستخدمون _ لأجل الوصول إلى أهدافهم وغاياتهم _ الأُسلوب نفسه.

٢- الأسباب العقائدية: ويُشكل هذا السبب دافعاً كبيراً لمن يحمل بعض الأفكار العقدية التي تُحرّكه للإقدام على قتل الآخرين الذين يختلفون معه بالمبادئ والرؤى الفكرية الدينية، سواء أكانت أُصولاً ومعتقدات أم فروعاً فقهية.

٣- الأسباب المادية أو الاقتصادية: ويكون الهدف من اغتيال الآخرين هو الحصول على شيء من المال، فيقوم منظّم هذه الجريمة بقتل شخص ونهب ممتلكاته.

٤- الأسباب الإجرامية: ويراد منها أن هناك صنفاً من الناس قد أصبح دموياً وإجرامياً إلى درجة لا يروق له العيش إلا بإراقة دماء الآخرين، والقضاء عليهم وإن

لم يكن بينه وبينهم أي خلاف أو نزاع يدعو إلى القتل.

إلى غير ذلك من الأسباب والدوافع التي تكمن وراء ظاهرة الاغتيال وإزهاق الأرواح.

رصد محاولات الاغتيال والفتك بالإمام الحسين الله من الجهاز الحاكم

تفشت ظاهرة الاغتيال ومباغتة الآخرين في الحكومة التي عاصرت حياة الإمام الحسين الخير ونهضته المباركة بشكل سافر، إلى درجة أن أفراد الجهاز الحاكم لا يراعي الكتهان والتستر على ما يقوم به من محاولات قذرة، أودت بحياة كثير من رجالات الإسلام الأصلاء الذين أفنوا أعهارهم لأجل الحفاظ على دين الله عز وجل؛ إذ راح ضحيتها عينة أصحاب أمير المؤمنين الخير من أمثال مالك الأشتر وغيره (۱۱)، ولا نريد أن نستقصي كل ما حصل في هذه الحقبة الزمنية من اعتداءات على حياة الآخرين، وإنها نجعل نقطة انطلاقنا عصر النهضة الحسينية؛ حيث سجل لنا التأريخ محاولات عديدة يُراد منها القضاء على شخص الإمام الحسين الخيرية بدم بارد ومن دون أن يكون لمقتله أيّ صدىً في الوسط الإسلامي؛ وذلك باتباع طريقة غامضة لا يمكن لأحد من الناس الوقوف على ملابسات حدوثها، فيكون في ذلك تحقيق أهدافهم والتي من أبرزها زرع الإرهاب والرعب في نفوس كل مَن تراوده أفكاره بمخالفة الحكومة الغاشمة؛ فيضمنون لأنفسهم استمرارية التسلط على رقاب المسلمين من دون منازع أو مخالف.

إلّا أن الخطط الاستباقية التي خطّط لها الإمام الحسين الله لإفشال محاولاتهم حالت دون تحقق مرادهم، وسوف نورد النصوص المثبتة لهذه الوقائع تباعاً، مع ذكر الطرق التي أفشل الله من خلالها تلك المخططات وجعلها تبوء بالفشل:

⁽١) أُنظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج١، ص٤٥٤. وأيضاً: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، اللباب في تهذيب الأنساب: ج٣، ص٤٠٣.

أولا: إيعازيزيد إلى والى المدينة بقتل الإمام الحسين اليُّلا

كانت حادثة هلاك معاوية _ وإرسال يزيد رسالة إلى والى المدينة بأخذ البيعة من أهل المدينة _ هي نقطة انطلاق النهضة الحسينيّة المباركة، وقد حمل هذا المنعطف التاريخي في طياته مؤامرات خطيرة للتخلص من الإمام الحسين الله بمباغتته واغتياله بدم بارد؛ فقد ذكر البلاذري حول ذلك: «وكتب إليه في صحيفة كأنَّها أُذن فأرة: أمَّا بعد، فخُذْ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ليست فيه رخصة ولا هوادة حتى يبايعوا، والسلام». وعندئذ أرسل الوالي إلى مروان بن الحكم واستشاره في ذلك، فأشار عليه بقوله: «أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر، فتدعوهم إلى البيعة، فإن بايعوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوه قدّمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بوفاة معاوية»(١).

إلا أن الإمام الحسين السي السياد وحين أخبره رسول الوالي بهايريده الوليد اتخذ التدابير اللازمة التي توفِّر له ضماناً وحماية من كل خطر يحول بينه وبين هدفه الذي ينشده من هذا الرفض للحاكم الغاصب، فكما هو متسالم عليه في المصادر التاريخية أنه الله أحضر ثلاثين رجلاً من أهل بيته وأوقفهم على باب قصر الوالي، وجعل بينه وبينهم كلمة سر لأيّ تحرُّك يريده النِّلا، فأمرهم بأن يقتحموا عليه القصر فيها لو علا صوته النِّلا(٢). وبهذه التدابير الأمنيّة استطاع الإمام الحسين اليلا أن يبطل أُولى محاولات الجهاز الحاكم، الذي يسعى للحيلولة دون تحقيق أهدافه الساميّة من نهضته المباركة.

ثانياً: محاولة اغتياله الله في مكة المكرمة

بعد أن فشلت محاولات الجهاز الحاكم في المدينة، ولم يتوصّلوا مع الحسين الله إلى

⁽١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٠٠٣.

⁽٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٢.

حام لتسوية الأمور وأخْذِ البيعة ليزيد بن معاوية منه ـ سواء بالقهر والقوة أو بالإقناع والإرضاء عن طريق بعض الوسطاء المنتفعين من الحكومة الأُموية _ قرّ راليُّ أن يتّجه إلى مكة المكرمة، حاملاً معه عياله وأهل بيته؛ ليبطل جميع مخططاتهم الماكرة وأهدافهم الإجراميّة، ولكي يوصل صوته الرافض للظلم والاضطهاد إلى الجاهير المتواجدة في حرم الله الآمن مكة المكرمة، فتوجه الله إلى مكة في موكب يضم مجموعة كبيرة من أهل بيته وعياله، وقد حقَّق الله في أيام قليلة إنجازات كبيرة خلال تو اجده بين الوفود القادمة لأداء مراسم الحج، وأخذت الناس تتردد عليه بشكل ملفت لأنظار الجميع؛ حينها أحسّ النظام الحاكم بالخطر _ بعد أن تفاقمت الأُمور وأخذت تجرى لغير صالحهم _ فاتخذ أزلامه تدابير إجراميّة للقضاء على الحسين الله علا يصل صوت الرفض وإرادة التغيير إلى عموم الناس؛ فأرسلوا مجموعة من رجالاتهم الاغتيال الإمام الحسين الله في مكة بيت الله الآمن، والقضاء عليه بأيّ وسيلة ومهما كان الثمن، كما ذُكر ذلك في كتب التاريخ، حيث جاء في بعض المصادر أن في: «يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذي الحجة يوم التروية كان فيه خروج الحسين (رض) من مكة إلى العراق، بعد أن طاف وسعى وأحل من إحرامه، وجعل حجه عمرة مفردة؛ لأنه لم يتمكن من إتمام الحج مخافة أن يبطش به ويقع الفساد في الموسم وفي مكة؛ لأن يزيد أرسل مع الحُجّاج ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية، وأمرهم بقتل الحسين على كل حال»(١). ولم يتضح من النص الآنف الذكر كيف استكشف الإمام اليَّلِ وأحس بذلك الخطر، ومَن هم هؤلاء الأشخاص الذين أرسلهم يزيد بن معاوية، وعن أيّ طريق وصلت إليه هذه المعلومة الخطيرة؛ الأمر الذي اضطره إلى تغيير مناسك حجّه والاكتفاء بأداء

العمرة المفردة، إلا أنه سلام الله عليه استطاع بذلك أن يُفشِل محاولتهم الثانية التي

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج٣، ص٥٥.

أرادوا منها اغتياله والقضاء عليه سراً عن طريق أفراد مجهولين.

ومما يؤكد صحة هذه المعلومات التي وُثِّقت لنا في كتب السير والتأريخ هو ممانعة السلطة المحلية وعدم السياح لقافلة الإمام الحسين الله بالخروج من مكة المكرمة، فتدافعوا مع رجال موكبه الله على وصل بهم الأمر إلى وقوع الاقتتال بينهم ولم يتمكنوا من إقناعهم أو إجبارهم على البقاء (۱).

ثَالِثاً: مراقبة الإمام الحسين الله في مسيره حتى أنزلوه في كربلاء

بعد أن أفشل الإمام الحسين الله جميع المحاولات التي قاموا بها في المراحل السابقة، وأفلت زمام الأُمور من أيدي الزمرة الحاكمة، وأخذت الأُمور تسير بمسار لم يكن في حسبانهم، أخذوا بالتخطيط لإجراءات خطيرة وصارمة بحق هذه الحركة المباركة، فقرروا القضاء عليها بأيّ شكل من الأشكال ومها كلَّف الأمر، باحثين عن الحلول التي تصب في صالحهم، ومستعينين بخبرات كل مَن كان على نسقهم؛ فاستشار يزيد مستشاره الرومي سرجون وأطلعه على مجريات الأحداث، فأشار على يزيد وبلغة إقناعية محنكة (٢٠) بأن يوليّ عبيد الله بن زياد على الكوفة، فكتب يزيد مرسوماً بذلك وبادر إلى تنصيب عبيد الله بن زياد على الكوفة، بعد أن كان والياً على البصرة، وما أن وصل الكتاب إلى عبيد الله بن زياد حتى أسرع في اتخاذ التدابير اللازمة والحلول العلاجية لتلافي الموقف الحرج الذي وقعت فيه الحكومة الصبيانيّة بأفعالها والفتيئة في تأسيسها، وكان أحد هذه الحلول إرسال قوّة عسكرية إلى الجهة التي يتواجد فيها الإمام الحسين الله لمشاغلته وتغيير مسيره إلى جهة يكون فيها نهاية المعركة لصالح الجهاز الحاكم، وهذا ما وثقته لنا النصوص التاريخية الكثيرة؛ إذ ورد

⁽١) أُنظر: الدينوري، ابن قتيبة، الأخبار الطوال: ص٢٤٤. وأيضاً: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٦٨.

⁽٢) لأن يزيد بن معاوية لم يكن راضياً عن عبيد الله بن زياد، وكان جافياً له وعاتباً عليه. أنظر: الأزدي، أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٢٢. وأيضاً: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٥. وأيضاً: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٤٢.

فيها: «وبلغ عبيد الله بن زياد (لعنه الله) الخبر، وأن الحسين الله قد نزل الرهيمة، فأسرى إليه الحربن يزيد في ألف فارس»(١). وقد استمر الحربن يزيد الرياحي بمسايرة الإمام الحسين الله بن جذب ودفع، حتى وصله كتاب من عبيد الله بن زياد يحمل في طياته أمراً بمضايقة الإمام الحسين الله وعدم السياح له بالتحرك: «فلما أصبح نزل فصلّى الغداة، ثم عجّل الركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه؛ يريد أن يُفرِّقهم، فيأتيهم الحر بن يزيد، فيرده وأصحابه، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردًّا شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، ولم يزالوا يتسايرون، وكذلك حتى انتهوا إلى نينوى، المكان الذي نزل به الحسين الله، فإذا راكب على نجيب له الله متنكّب قوساً مقبل من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلما انتهى إليهم سلّم على الحر وأصحابه، ولم يسلّم على الحسين الله وأصحابه، ودفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله بن زياد. أما بعد: فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي، ويُقدم عليك رسولي، ولا تُنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك، ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمرى، والسلام...»(٢)، وأخذ الركب في ظاهر حاله (٣) يسير على غير مرامه الله إلى جهة لم يكن قاصداً لها أساساً، حتى أنزلوه في أرض تتوافق مع مبتغى عبيد الله بن زياد وأسياده اللئام، في أرض صحراء قاحلة، وقد تمركز الجيش المعادي للإمام الميلاً بالجهة التي لا يمكن لأحد أن يصل إلى الماء إلا عن طريقهم، وأخذت الجيوش تتوالى على هذا المكان من أجل القضاء على الإمام السَّلا والتخلص منه بأسرع ما يمكن، وكانت توقعاتهم أنهم يتخلصون من الإمام اليُّلا ومَن معه فتوأد حركتهم في هذه الصحراء ولا يبقى لها أيّ صدى أو صوت، ومن دون أن يقف الشعب على ملابسات أو تفاصيل الحادثة، وهذه المحاولة هي إحدى أنهاط

⁽١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢١٨.

⁽٢) النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص١٨٠.

⁽٣) إنها قلنا: في ظاهر حاله. لأن الإمام الله كان يعلم بمصيره منذ بداية الأمر، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنّة: ص١٨٩.

الاغتيال الذي خطَّط له رجال الحكومة الغاشمة آنذاك، كما هو واضح من المعنى اللغوي الذي ذكرناه في بداية بحثنا هذا.

إلا أن الإمام الحسين الله اتخذ الإجراءات اللازمة لهذه المرحلة ووضع لها البدائل والحلول، إذ كان الله باصطحابه العيال والأطفال قد أفشل كل المخططات التي أرادها أعداؤه؛ فلم يستطيعوا إخفاء هذه الحادثة عن الجماهير التي تلقت نبأ استشهاده الله بتفاصيلها عن طريق عياله وأهل بيته، وحينها انقلب السحر على الساحر.

كلمات الإمام الحسين الدالة على إحساسه بالخطر المحدق به من قبَل الجهاز الحاكم

بحرد نظرة عابرة وسريعة في بيانات الإمام الحسين الله وكلماته مع أهل بيته وأصحابه تفيدنا بأنه الله كان يستشعر الخطورة التي تُحيط به في كل مكان؛ وتُبيِّن لنا معرفته الدقيقة بالخطر المُحْدِق به من قِبَل الجهاز الحاكم آنذاك، فحين «منعه الله محمد بن الحنفية عن الخروج إلى الكوفة. قال: والله يا أخي لو كنت في جِحر هامّة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني». وفي نص آخر ذكره جملة من المؤرخين أنه قال الله عنه خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم؛ فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت» (۱).

ولذا ذكر العلامة المجلسي _ في مقام إبداء رأيه حول موقف الإمام الحسين الله وما قام به من تكليف وأنه مأمور بذلك _ أن الحكومة الغاصبة لا تتركه الله وإن بايع وانصاع لأوامرها، فقال الله : «بل الظاهر أنه صلوات الله عليه لو كان يسالمهم ويبايعهم لا يتركونه لشدة عداوتهم، وكثرة وقاحتهم، بل كانوا يغتالونه بكل حيلة، ويدفعونه بكل وسيلة، وإنها كانوا يعرضون البيعة عليه أولاً لعلمهم بأنه لا يوافقهم في ذلك، ألا

العدد

⁽١) ابن طاووس، على بن موسى، اللهوف في قتلي الطفوف: ص٣٩.

ترى إلى مروان لعنه الله كيف كان يُشير على والي المدينة بقتله قبل عرض البيعة عليه، وكان عبيد الله بن زياد عليه لعائن الله إلى يوم التناد يقول: اعرضوا عليه، فلينزل على أمرنا ثم نرى فيه رأينا؟...»(١).

وقد ذُكر في بعض المصادر كلاماً له الله مع ابن عباس أشار فيه إلى المؤامرة التي خطط لها العدو في مكة، وأنه الله يحبِّذ أن يُقتل في أيّ مكان سوى استباحة مكة بدمه، حيث قال الله الله المكان كذا وكذا أحب إليّ من أنْ أُقتل بمكة وتُستحلّ بي. قال: فبكي ابن عباس...»(٢).

وقد بقيت هذه الحادثة راسخة وعالقة في ذهن عبد الله بن عباس، فأفصح بها إلى يزيد في رسالة احتجاجية _ تناقلتها مصادر تاريخية مختلفة _ يُذكِّره بالموبقات التي قام بها، فكتب إليه فيها كتب: «...فلست بناس اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفاً يتر قب...»(٣).

ويمكن أن نضم إلى هذه البيانات مجموعة من النصوص التي تتضمن إشارته الله عاولات الاغتيال التي تكررت ضده، وهي قوله الله: «والله، لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم مَن يُذهم حتى يكونوا أذلَّ من فرم الأمة» (١٤)؛ إذ إن كلامه الله يستبطن وضوح المحاولات التي يحييكها أعداؤه للقضاء عليه وبأيّ طريقة كانت، وإن استوجب ذلك قتله سرّاً وغيلة. وأيضاً يظهر لنا ذلك بوضوح في قوله لأبي هرة: «يا أبا هرة، إن بني أُمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا

⁽١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٤، ص٩٩.

⁽٢) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٨.

⁽٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٤٩ ٢. وأُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٢٨.

⁽٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢١٦. وأيضاً: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٦.

عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت...» (۱)، وكذلك قوله في رواية الرياشي حين سئل عن سبب خروجه فقال الله الله الله الكوفة، وهم قاتلي، فإذا فعلوا ذلك _ ولم يدعوا لله محرماً إلا انتهكوه _ بعث الله إليهم مَن يقتلهم (۱). ففي هذه المحاورة وإن كان الضمير في قوله الله الله الله الله ومن مكة المكرمة على أهل الكوفة، إلا أن الإخافة التي أدّت إلى إخراجه من موطنه ومن مكة المكرمة _ والتي جاءت في بداية الحديث _ كان المسبب فيها هُمْ بنو أُمية وأذنابهم. وكذا ما جاء في جوابه عن سؤال الفرزدق في محاورة طويلة جرت بينها، كانت إحدى فقراتها قول الفرزدق: «...بأبي أنت وأُمي يا بن رسول الله، ما أعجلك عن الحج؟ فقال: لو لم أعْحَلُ لأُخذت...» (۱).

وتشترك النصوص الواردة في هذه الفترة الزمنية في عدة مداليل مهمة ، نشير إلى أبرزها: أولاً: يظهر من هذه النصوص استغراب وتفاجئ كل مَن علم بنيَّة الإمام الله وتغيير وجهة نظره حول استقراره في مكّة المكرِّمة ، فتساءل الجميع بتعجب ودهشة عن السبب الذي دعاه إلى تغيير نسكه ، وإعلانه عن مغادرة حرم الله الآمن .

ثانياً: لم يختلف الأمر بالنسبة للإمام بين أن يكون السائل أو المشير عليه من أقربائه وأرحامه أو من خاصته وبين أن يكون غريباً ومجهول الهوية، فالكل يُستقبَل من قبَله الله بطلاقة وجه وسهاحة وتحمُّل في الإجابة؛ ولعل أحد الأسباب في ذلك هو أن نهضته المباركة وإرادته للتغيير تعتمد وتقوم على جميع شرائح المجتمع البشري، فالباب مفتوح أمام كل مَن أراد أن يستفهم عن الدواعي من وراء إرادة هذا التغيير في المجتمع الإسلامي.

⁽١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٧١.

⁽٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٨.

⁽٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٦٧.

ثالثاً: تقصَّد الإمام الله _ في كلامه مع كل مَن تساءل عن سبب مغادرته مكة المكرمة _ التركيز وتسليط الضوء على أن السبب الذي اضطره إلى تغيير نسكه ومغادرة مكة المكرمة هو مخافة اغتياله في هذا المكان والحرم الآمن، مع أن خارطة الطريق في نهضته المباركة واضحة له الله مرسومة أمام عينيه، ومع أن أهدافه من وراء هذا التحرك المفاجئ كثيرة جداً.

رابعاً: لقد سعى الإمام الله إلى الحيلولة دون وقوع أيّ عائق أمام تحقيق غرضه المنشود من نهضته المباركة، وبها أن استشهاده الله في مكة وبطريقة سرّية وخافية على الجميع يتقاطع مع تحقيق أهدافه السامية سارع إلى إبطال هذا المخطط الذي بُنيت عليه أسس وقواعد الحكومة الأموية.

ومن المحاورات التي حملت في طياتها نصاً توثيقياً لمحاولة اغتيال الإمام الحسين الحيلا هو ما جرى بينه الحيلا وبين أُخته الحوراء زينب الميلا وعيث إنها لما سمعت كلاماً له فهمت منه أنه الحيلا قرّر المضيّ قُدماً نحو الموت حزنت حزناً شديداً واعتراها من الغمِّ ما يعجز الكلام عن وصفه: «فقال لها الحسين: يا أُختي، لو تُرك القطا لنام. قالت: فإنها تغتصب نفسك اغتصاباً! فذاك أطول لحزني وأشجى لقلبي. وخرّت مغشياً عليها، فلم يزل يناشدها واحتملها حتى أدخلها الخباء»(۱). فإن قوله الحيلا: «لو تُرك القطا لنام». يدل على أن الجهاز الحاكم وأزلامه مستمرون على هذه الطريقة للتخلص من الإمام الحسين الحيلا، ولم يتركوه إطلاقاً.

الأهداف الكامنة وراء اغتيال الإمام الحسين الله

بعد أن أشرنا فيها تقدم إلى بعض الأهداف والدوافع التي تكمن وراء ظاهرة الاغتيال، وبعد أن أحصينا المحاولات التي أُريد منها التصفية الجسدية للإمام

⁽١) الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين: ص٥٧.

الحسين النَّالا ، نود الإشارة إلى بعض الدوافع الكامنة وراء اغتياله النَّلا وما هي الأهداف التي أُريدت من وراء ذلك، فالذي يقرأ ما ورائيات الأحداث التي حصلت آنذاك يجد أن الذي دعا الجهاز الحاكم في ذلك الوقت لاغتيال الإمام الحسين الله كان أكثر من سبب، وكل واحد من هذه الأسباب يصلح أن يكون هدفاً ومبرراً للتخلص منه والقضاء عليه، ونوجز فيما يلي تلك الأهداف في النقاط التالية:

أولا: الهدف السياسي

إذ يُراد من اغتيال الإمام الحسين الله مع ما له من مكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي، إيصال رسالة إلى الآخرين بأن كل مَن يقف في وجه السلطان فسوف تكون عاقبته ونهايته الموت والهلاك كائناً مَن كان، وهذا ما ينجم عنه تكميم الأفواه وإخراس الأصوات التي تدعو إلى الإصلاح والتغيير؛ الأمر الذي يزرع إرهاباً وخوفاً نفسياً في قلوب كل مَن علم بها جرى على الحسين الله ، ويتضح ذلك لنا من خلال مجريات الأحداث التي جرت في إرهاصات النهضة الحسينيّة؛ انطلاقاً من المراسلات التي جرت بين يزيد وواليه في المدينة ومروراً باقتراح مروان على الوليد بضرب عنقه التيالا(١)، وإرسال جماعة من رجالات الزمرة الحاكمة لقتله التي في مكة المكرمة وحرم الله الآمن، وختاماً بها جرى في واقعة كربلاء؛ إذ إنهم أرادوا من ذلك كله إخافة الآخرين من سطوة النظام الحاكم.

ومن المعلوم أن هذا السبب هو من أهم الأسباب التي دعتهم للتخطيط لاغتياله الله والتخلص منه؛ لأن ديدن بعض السياسيين وحكام الجور هو التشبث بكلّ ما يحافظ على ديمومة واستمرارية حكمهم.

وتبرز لنا أهمية هذا الهدف وخطورته فيها لو أخذنا بنظر الاعتبار الأُمور التالية

⁽١) أُنظر: الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٤. والحلي، ابن نها، مثير الأحزان: ص١٤.

والتي تمتاز بها شخصية الإمام الحسين اليلا:

الأمر الأول: إن الشخص الذي يُراد اغتياله هو الشخصية الأُولى بين المسلمين في عصره؛ حيث المكانة التي يحظى بها بين الأُمّة والمقام السامي الذي يتحلّى به؛ وقد حقّق ذلك كله بفضل العناية التي حصل عليها من قِبل جده المصطفى على من جهة من أجل الحفاظ على الإسلام من جهة أُخرى؛ الأمر وما قام به من مواقف مشرّفة من أجل الحفاظ على الإسلام من جهة أُخرى؛ الأمر الذي جعله مؤهلاً لتولّي الزعامة الإسلامية في نظر الأُمة جمعاء. فأراد الجهاز الحاكم القضاء عليه والتخلص منه بالاغتيال والغدر؛ لإزاحة أكبر عائق عن طريقهم؛ ولكي يُبينوا للناس أن الحسين بن بنت رسول الله على الخصانة الإلهية المصرح بها من قِبَل النبي عَلَيْ في بيانات سهاوية كثيرة ما لم يحصل لغيره من بين الموجودين في زمانه إطلاقاً عندما نازع الأمر أهله وهم بنو أُمية كان مصيره القتل والهلاك؛ مما يعني بالأولوية أن أيّ شخص معارض للحكومة الأُموية فسوف يكون مصيره الهلاك والموت كها هو مصير الحسين بن على المناس نبى الأُمة.

الأمر الثاني: كون الإمام الله أحد الرموز الدينية التي تشخص إليها أبصار الأُمة في تولي الحكم الإسلامي؛ بل إنه يفوق كل مَن بقي من أمثال: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس وغيرهم، وقد كان المخطط الأُموي ناويا القضاء على جميع هؤلاء _ كها مرّ علينا في رسالة يزيد إلى والي المدينة _ ليوصلوا رسالة إلى المجتمع بأن الرموز الاجتماعية التي تمتد إليها أنظار الأُمّة قد أُزيلت عن الطريق وتم القضاء عليها، ولم يبقَ للأُمة مَن يُتطلّع إليه في ذلك.

الأمر الثالث: تبوّؤ الإمام الله الزعامة الدينية لدى شريحة كبيرة من المسلمين في كافة البلدان الإسلامية؛ إذ كان بنظر ومعتقد الشيعة إماماً منصوباً من قِبل الله ورسوله. فكان القضاء عليه والتخلص منه بوسيلة سرية يحمل رسالة تحذيرية واضحة إلى مَن هو أقل من الإمام شأناً من الجهة الاجتهاعية والدينية

بأن لا يفكر بأمر يكون مصيره كمصير الإمام اليلا.

وكل هذه الأُمور وغيرها تحقق الغرض والهدف السياسي الذي ينشده الحاكم الأموى فيها لو تمت عملية الاغتيال لشخصية الإمام الحسين العلام.

ثانياً: الهدف الانتقامي

مجرد نظرة عابرة في تاريخ بني أُمية ومكائدهم ضد الدين الذي حافظ عليه بنو هاشم أباً عن جد يتجلّى لنا أن أحد أهم الأهداف الكامنة وراء محاولات الاغتيال التي خُطِّط لها للقضاء على الإمام الحسين الله هو الأخذ بالثأر من البيت الهاشمي والانتقام منهم بقتل زعيمهم وكبيرهم الإمام الحسين الثِّلا، بعد أن انتقموا منهم بقتل حمزة بن عبد المطلب ثأراً لقتلاهم في معركة بدر؛ ولا حاجة إلى مزيد عناء لإثبات هذه النقطة والتدليل عليها؛ إذ بعد معرفة العداء الذي يُكنّه البيت الأُموى لبني هاشم، والصراع الذي ترأسه أبو سفيان وحزبه ضد رسالة النبي الأكرم عَيَا في والمعارك التي خاضها ضد الدين، كما أنه يكفي ما أظهره يزيد في قوله أمام الملأ من المسلمين ومن دون حياء _ متمثلاً بأبيات عبد الله بن الزبعري _ :

جزع الخزرج من وقع الأسل ثم قالوا يا يزيد لا تُشل من بنى أحمد ما كان فعل(١). ليت أشياخي ببدر شهدوا لأهلوا واستهلوا فرحا لست من خندف إن لم أنتقم

ثالثاً: الهدف الإجرامي

ويمكن أن يكون أحد الأهداف التي حملت هذا الجهاز الحاكم والسلطان المستبد

(١) أنظر: الصدوق، محمد بن على، الأمالي: ص٢٣١. وأيضاً: النيسابوري، الحسن بن الفتال، روضة الواعظين: ص١٩١. وأيضاً: الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين: ص٠٨. والطبري، ابن جرير، المسترشد: ص١١٥.

على محاولة اغتيال الإمام الحسين الله والتخلص منه _ بعد أن خالفهم واعترض عليهم _ هو التشفّي به الله فقد عُرف التغطرس والتوغل بدماء الأبرياء من قبل تلك الحكومة الغاشمة، ويكفي للتدليل على ذلك أن نقرأ ما حدث مع ميثم التهار ورشيد الهجري وغيرهما من أعيان شيعة أهل البيت الله أذ أمعنوا وتفننوا في قتلهم بأبشع الطرق الوحشية التي لم يكن لها سابقة في المسلمين (۱).

رابعاً: الهدف الاعتقادي

ومن بين الأهداف التي دعت بالجهاز الحاكم إلى محاولة اغتيال الإمام الله هو الهدف الاعتقادي، فقد كان ديدنهم في التعامل مع كل مَن خالفهم في الرأي أو عارضهم في الفكر أن يحكموا عليه بالقتل والإبادة بأي وسيلة؛ وقد سجل لنا التاريخ خروقات كثيرة من قبلهم لمجرد اعتراض أو مخالفة في الرأي، كما في عبد الله بن عفيف الأزدى وغيره (٢).

نحن نرى أن هذه الأسباب وهذه الأهداف قد اجتمعت لديهم بأعلى مرتبة؛ الأمر الذي جعلهم يسعون جاهدين للقضاء على الإمام الله وبأي وسيلة تيسرت لهم.

التأطير الفقهى لظاهرة الاغتيال

كلما أراد بعض أصحاب المطامع والأغراض الدنيوية الحصول على غطاء شرعي لبعض المهارسات التي يقومون بها هم وأتباعهم التجأوا إلى تأطيرها بإطار ديني، من خلال ليّ عنق بعض النصوص الشرعية التي ليس لها أيّ علاقة ومساس بمهارساتهم الدنيئة، فترى أنهم يُجهدون أنفسهم لإضفاء السمة الشرعية على بعض الأفعال التي

⁽١) أُنظر: الكوفي، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج٢، ص٩٩٧.

⁽٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٥٥١. وأيضاً: الكوفي، ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١١٧. وأيضاً: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٧.

لا تمت إلى الإنسانية بصلة، فضلاً عن ارتباطها بالدين، ونظائر ذلك كثيرة جداً، ومنها ما رأيناه في عصرنا الحاضر من إحراق للأبرياء العزَّل من المسلمين وغيرهم، حيث حاول بعض المتلبسين بلباس الدين أن يُبرّروا لهذا الفعل الإجرامي الشنيع بأن هناك مَن كان في صدر الإسلام ومن عِلية الصحابة ورموزهم قد قام بهذا الفعل بمرأى ومسمع من الناس(۱).

وحينها يدور الحديث عن ظاهرة الاغتيال نجد مَن يبرهن على شرعية هذا الفعل بمجموعة من النصوص، التي يدّعي أصحاب هذا الرأي أنها وقعت في العصر النبوي، وأن الأحداث التي تحكيها الوثائق التاريخية كان أغلبها بأمر من النبي عَلَيْهُ أو بقبول منه، ولنا أن نُقسِّم القائلين بمشروعية الاغتيال على نمطين:

النمط الأول: الإفراط في تبنِّي مشروعية الاغتيال في الإسلام

لقد تبنّى هذا الرأي _ وبشكل مُبالَغ فيه _ بعض الباحثين حول هذه المسألة في كتابه (الاغتيال السياسي في الإسلام)(٢)، وذكر جملة من الحوادث التي يعتقد بوقوعها في زمن النبي عَلَيْ مستدلًا بها على مشر وعية هذه الظاهرة، وأن الاغتيال هو الحل الأمثل والدواء الأنجع لمعالجة بعض الأزمات السياسية، ونحن نكتفي بذكر عناوين بعضها؛ لئلا نطيل على القارئ الكريم:

١_حادثة اغتيال كعب بن الأشرف.

٧_ حادثة اغتيال سلام بن أبي الحقيق.

٣_ حادثة اغتيال ابن سنينة.

⁽١) فقد حاول بعض السلفية بأن يستدل لذلك بفعل أبي بكر، إذ أحرق الفجاءة السلمي، وقد ورد ذلك في كتبهم الروائية وغيرها. أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٧٧٦. وهذا ما نجده بكثرة في مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية.

⁽٢) أُنظر: العلوي، هادي، الفصل الأول من كتابه الاغتيال السياسي في الإسلام.

٤_ حادثة اغتيال أبي عفك.

٥_اغتيال خالد بن سفيان.

٦- اغتيال عَبْهَلة (الأسود العنسي).

٧_ خطة فاشلة لاغتيال أبي سفيان.

وغير ذلك من الموارد التي ذكرها هذا الباحث في الفصل الأول من كتابه دفاعاً عن مشر وعية الاغتيال(١).

وقد ذكر أن جميع النواهي التي كان يتقيد بها النبي الله في مكة لم يكن منشأها والسبب الرئيسي فيها هو الارتداع عن المحرم، بقدر ما كان خوفه على أتباعه من الإبادة الجهاعية، بعد أن يصبح المبرر العرفي بيد مشركي مكة، كها أنه يرفض الحديث الذي ينهى عن الفتك ويتبنى القول بأن الحديث الذي اعتذر به مسلم بن عقيل لم يكن هو المانع الأساسي من القيام بقتل عبيد الله بن زياد، وإنها اعتذر بذلك بعد إخفاقه وعدم استطاعته القيام بهذه المهمة الخطيرة فلم يكن موفقاً لأدائها.

إلا أن بعض الباحثين قد سلّط الضوء على هذه الحوادث التي ذُكرت في زمن النبي النبي الله وحاول الإجابة عنها وتوجيه هذه الوقائع بأجوبة كثيرة من قِبل علماء المسلمين، كان بعضها وافياً للرد على ذلك، لكن المقام لا يسع لذكرها، فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها في موردها(٢).

النمط الثاني: مشروعية الاغتيال بالحكم الأوَّلي وحرمته بالحكم الثانوي

لسنا في صدد تصنيف النمط الثاني من القائلين بمشروعية الاغتيال في قائمة المتعصبين لهذه الظاهرة المتفشية في زماننا، وإنها نودٌ بيان ما وقفنا عليه من وجهة نظر بعض محققي الإمامية حول الأحاديث الناهية عن الفتك والاغتيال؛ إذ يرى أنها كانت

⁽١) أُنظر: العلوي، هادي، الفصل الأول من كتابه الاغتيال السياسي في الإسلام.

⁽٢) أُنظر: الميانجي، أحمد، مكاتيب الرسول: ج٣، ص ١٤.

مراعية للحالة والظروف التي يمرُّ مها المعصومون وأتباعهم في ذلك الزمان، فأصدروا هذا النهى تقيةً للحفاظ على أتباعهم؛ مستدلاً بوجود أخبار أُخرى آمرة بذلك(١). هذا فيما يخص الشرعنة والترير لظاهرة الاغتيال بصورة عامة.

وأما التبرير لما فعله يزيد بن معاوية وأزلامه من محاولات لاغتيال الإمام الحسين السلام والقضاء عليه بطريقة سرِّيّة، فلم أجد مَن دافع بصريح قوله عن ذلك؛ ولعل السر في ذلك هو عدم انطباق أي إطار شرعى أو قانوني لتلك الأفعال الشنيعة التي مارسها يزيد وأزلامه.

الاتجاه الرافض لهذه الظاهرة

سبق وأن ذكرنا بأن هناك اتجاهاً يرِّر ويؤطِّر لظاهرة الاغتيال ويتبنَّى القول بمشر وعيتها، وأنها طريقة متبعة في بداية العصر النبوي، بينها يرى آخرون أنها طريقة تنمُّ عن دناءة كل مَن يهارسها، وتدل على عجزه عن المواجهة، فيلتجئ إلى هذه الطريقة التي تأباها كل نفس أبية وشجاعة، والتي تعود في واقعها إلى الغدر، وهي من الصفات المذمومة شرعاً وعقلاً، وأنها طريقة يُراد منها تصفية الرموز الدينية لأجل القضاء على الدين (٢)، بل حتى في العصر الجاهلي كانت ممارساتهم وأفعالهم ترفض ممارسة الغدر والاغتيال، فكان الفارس إذا أراد قتل أحد ناداه بصوت عالٍ:

«خذ حذرك فإني قاتلك»(م).

⁽١) قال العلامة المجلسي: «وقال: فيه (الإيمان قيد الفتك). الفتك: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارّ غافل فيشد عليه فيقتله، والفتكة أن يخدعه ثم يقتله في موضع خفي... أقول: هذا أيضاً محمول على الاتقاء وخوف ثوران الفتنة، لورود الأمر به في بعض الأخبار». ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: ج١٦، ص١٥٥.

⁽٢) أنظر: ظاهري، جميل، الاغتيال سلاح غدر ومكريهودي أُموي لكتمان الحقائق الإلهية. مقال منشور في مواقع الإنترنت.

⁽٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٨٦.

وقد مورست هذه الظاهرة الخطيرة من قِبَل أعداء الرسول عَلَيْهُ في محاولات كثيرة لاغتياله ذُكِرت في كتب السير والتاريخ، وقد أحصاها بعض الباحثين في كتاب مستقل، تضمن المحاولات التي قامت بها أطراف متعددة للقضاء على النبي عَلَيْهُ(١) وثَقتها كتب الفريقين، ومن أشهرها محاولة اغتياله في فراشه ليلة خروجه من مكة قاصداً المدينة، بعد أن أمر علياً أمير المؤمنين أن ينام في فراشه (١)، وهي حادثة غنية عن التوثيق والتخريج.

ولهذا الاتجاه أدلته الكثيرة التي يستند إليها في رفضه نجملها في النقاط التالية:

الدليل الأول: نهي الأدلة الكثيرة عن هذه الظاهرة

إن ظاهرة الاغتيال والمباغتة تتقاطع مع أدلة كثيرة بعضها جاءت مانعة عن هذا الفعل بالخصوص، وأُخرى ناهية عن الأفعال التي تتّحد معه في النتيجة، كالأحاديث الناهية عن الغدر والحيلة، ونحن نكتفى بذكر نهاذج منها:

أ. الأدلة الناهية عن الفتك والاغتيال

يرى علماء الحديث وشراحه أن المراد من مفردة الفتك هو عين المعنى الذي يراد من الاغتيال؛ استناداً إلى تفسير علماء اللغة لمعنى الفتك^(٣)، بل إن في بعض الروايات تصريحاً من قِبَل الإمام نفسه يصلح لأن يكون شرحاً واضحاً لهذا المعنى، وهو يدل على اتحاد الفتك مع بعض معانى الاغتيال المتقدمة في اللغة.

⁽١) فقد جمعها الشيخ نجاح الطائى في كتاب أسماه اغتيال النبي عَيْلاً.

⁽٢) أنظر: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج١، ص٣٤٨. وأيضاً: المفيد، محمد بن محمد، الفصول المختارة: ص٦١.

⁽٣) أُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٤، ص١٦٠٢. وأيضاً: ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص٤٧١. وأيضاً: ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٣، ص٩٠٤.

وقد وردت هذه المفردة في روايات كثيرة ناهية عن ارتكاب هذا الفعل، ومبيِّنة أنه يتنافى مع روح الشريعة الإسلامية، نذكر منها:

1 عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبد الله الله النا جاراً من همدان يُقال له: الجعد بن عبد الله، وهو يجلس إلينا فنذكر علياً أمير المؤمنين في وفضله فيقع فيه، أفتأذن لي فيه؟ فقال لي: يا أبا الصباح، أفكنت فاعلاً؟ فقلت: إي والله، لئن أذنت لي فيه لأرصدنه، فإذا صار فيها اقتحمت عليه بسيفي فخبطته، حتى أقتله. قال: يا أبا الصباح، هذا الفتك، وقد نهى رسول الله عليه عن الفتك، يا أبا الصباح، إن الإسلام قيد الفتك، ولكن دعه فستُكفى بغيرك... (١).

٢ ما رواه علماء السير والتأريخ في حادثة مسلم بن عقيل مع عبيد الله بن زياد، لما دخل إلى بيت هاني بن عروة لعيادته، وكان مسلم بن عقيل مختبئاً في إحدى غرف هذا البيت فاقتر حوا عليه أن يقتل عبيد الله بن زياد، ولم يفعل ذلك، ولما سُئل عن سبب ذلك أجاب: «إن الإيمان قيد الفتك؛ فلا يفتك مؤمن» (٢).

٣ـ ما رواه الكشي عن إسحاق الأنباري، عن الإمام الجواد الله أوصاه بقوله: «وإياك والفتك؛ فإن الإسلام قد قيَّد الفتك» (٣) وغير ذلك من الروايات الكثيرة التي جاءت تنهى المؤمن من هذه الصفة التي لا تتهاشى مع روح الإسلام والإيهان، بل لا تنسجم مع إنسانية الإنسان و فطرته.

إلا أن الذي يقرأ الرواية المذكورة في آخر هذه الطائفة من الأحاديث ـ بتمامها ـ يحد أن الإمام يأمر إسحاق الأنباري باغتيال هؤلاء الأشخاص الذين منعه عن الفتك بهم؛ إذ إنه الله بعد أن منعه عن الفتك وبيّن له أنه يتنافى مع روح الإسلام قال له: «عليكم بالاغتيال. قال محمد بن عيسى: فها زال إسحاق يطلب ذلك أن يجد السبيل

⁽١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٧، ص٣٧٦.

⁽٢) الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين: ص٥٥.

⁽٣) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي (اختيار معرفة الرجال): ج٢، ص١١٨.

إلى أن يغتالها بقتل، وكانا قد حذراه لعنها الله». مما يُبين لنا أن معنى الاغتيال مختلف عن معنى الفتك؛ الأمر الذي يستدعي الباحث لأن يدقق في معنى الفتك، ومدى صحة دعوى اتحاده مع الاغتيال.

ولعل مراد الإمام من الاغتيال هو المعنى اللغوي الذي يعني أن يستدرج الرجل الذي يريد قتله إلى مكان بعيد عن الأنظار فيقتله هناك، وهذا المعنى أحفظ لشيعته وأتباعه، وهو ينسجم تماماً مع ما ذكره العلامة المجلسي آنفاً من كون الروايات الناهية عن الفتك واردة على نحو التقية.

ب الأدلة الناهية عن الخيانة

ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهُ يُكَافِعُ عَنِ ٱلنِّينَ عَامَنُواً إِنَّ ٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانِ كَفُورٍ ﴾(١)، أن سياق الآية يتكلم عن حال المسلمين في مكة وأنهم محميين من قِبَل الله عز وجل: «هذا حين أمر المؤمنين بالكفِّ عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في قتلهم سراً فنهاهم»(١). والخيانة بهذا المعنى تتحد مع عملية الاغتيال في النتيجة؛ إذ كلاهما يؤدي إلى القتل سراً بعد أن كان الشخص المغدور آمناً من أيّ محاولة تودي بحياته.

جـ الأدلة الناهية عن الغدر

والروايات في هذا المعنى كثيرة جداً نكتفي بذكر بعضها:

١ ـ ما رواه الصدوق بسنده عن الإمام الباقر الله أنه قال: «مَن أمن رجلاً على دمه ثم قتله جاء يوم القيامة يحمل لواء غدره» (٣).

٢_روى الكليني بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: «قال أمير المؤمنين الله ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة: يا أيها الناس، لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس،

⁽١) الحج: آية ٣٨.

⁽٢) أُنظر: الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير: ج٣٣، ص٣٨.

⁽٣) الصدوق، محمد بن على، ثواب الأعمال: ص٢٥٦.

ألا إن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة، ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار»(١). ٣ ما روى عن أمر المؤمنين الله أنه قال: «لكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة» (٢). ٤_ ما رواه الكليني بسنده عن أبي عبد الله الله الله عنه الله عَلَيْهُ إذا أراد أن يبعث سريَّةً دعاهم فأجلسهم بين يديه ثمَّ يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلُّوا ولا تُمثِّلُوا ولا تغدروا...»(٣). وقد استدل فقهاؤنا الأعلام_المتقدمون والمعاصرون منهم_بهذه الرواية المعتمدة لديهم على حرمة الغدر بالكفار بعد إعطائهم الأمان(٤).

الدليل الثاني: السماح بالاغتيال من قبَل الشرع يستلزم وقوع الفوضى

إن الأحكام الإسلامية وفي جميع الأبواب الفقهية التي تقضى بعقوبة الأشخاص المتجاوزين والمعتدين قتلاً أو قطع بعض أعضائهم ـ كالحد والقصاص وغيرهما(٥) _ اشترطت أن تكون مباشرة القتل بإذن الإمام أو نائبه المتمثل بالحاكم الشرعى، ولعل الحكمة والفائدة من توقف تنفيذ هذه الأحكام الجزائية على الاستئذان من الحاكم الشرعي هو التحاشي من لزوم الفوضي وعدم الحفاظ على أرواح الأبرياء

⁽١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٣٣٨.

⁽٢) خطب الإمام على، نهج البلاغة: ص٨٠٤.

⁽٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٧٧.

⁽٤) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط: ج٢، ص١٩. وأيضاً: المحقق الحلي، النهاية ونكاتها: ج٢، ص١٤. وأيضاً: الحلي، ابن إدريس، السرائر: ج٢، ص٢١. وأيضاً: العلامة الحلي، الحسن بن المطهر، تحرير الأحكام: ج٢، ص١٤٤. وأيضاً: الشهيد الثاني، مسالك الأفهام: ج٣، ص٢٧. وغيرهم من

⁽٥) إن هـذا الـرأي هو أحد قولين في المسألة، وقد ذكر النراقي أن مَن تبنَّى هذا الرأي مجموعة من فقهائنا المتقدمين والمتأخرين، وهم: الطوسي في أحد أقواله في المبسوط وقد تبناه في الخلاف، والشيخ المفيد في المقنعة، وابن البراج في المهذب، وأبو الصلاح الحلبي في الكافي، والعلامة الحلى في القواعد، وابن زهرة في غنية النزوع. أنظر: النراقي، مستند الشيعة: ج١٧، ص٤٤٣.

الذين يذهب دمهم ضحية بهكذا ذريعة شرعية، وهو ما يصطلح عليه في الموسوعات الفقهية بـ (لزوم الهرج والمرج) الذي يُراعى لأجله كثير من الأحكام في مختلف الأبواب الفقهية (۱۱) بل حتى لو اقتصر الأمر على قتل الشخص الجاني فقط مع ذلك سوف يشيع الخوف والرعب بين الناس؛ إذ إنه ليس واضحاً لدى الجميع الأسباب التي قتل من أجلها هؤلاء الضحايا فيها لو كانت ملابسات الجريمة غامضة وغير مباح بها لعامة الناس؛ وهذا الأمر يؤدي بالنتيجة إلى انتشار الإرهاب والرعب بين الناس في البلاد، وهذا ما نلمسه واضحاً في عصرنا الحاضر من انتشار للرعب والإرهاب في كثير من بلداننا الإسلامية التي يذهب فيها ضحايا كثيرة وبملابسات غامضة، فتتضارب الآراء في الأسباب والدوافع من وراء ذلك؛ حتى وصل الأمر إلى أن يخشى الأبرياء على أنفسهم أكثر من غيرهم.

تطبيق الأدلة على محاولة اغتيال الإمام الحسين الله

اتضح لنا أن هناك اتجاهين متعاكسين حول مسألة الاغتيال والمباغتة، يتبنَّى الأول مشروعية ذلك الفعل وأنه الخيار الأمثل في أحيان كثيرة، وفي قباله مَن يقول بحرمة وقبح هذا الفعل، للأدلة التي سقناها فيها تقدم، وهذا كله بالنسبة إلى ظاهرة الاغتيال بصورة عامة، وأما إذا أردنا أن نُسلط الضوء على محاولات الاغتيال التي نفَّذها الجهاز الحاكم ضد الإمام الحسين الله فإن المسألة والخطورة تتفاقم أمام مَن يريد التنظير والتبرير لها؛ إذ لم يكن هناك أي غطاء شرعي لذلك إطلاقاً؛ وذلك للأسباب التالية:

الأول: إن أقصى ما تثبته أدلة جواز الاغتيال على فرض التسليم بها هو قتل المحاربين بطريقة سرّية، وهو أمر لا ينطبق على ما قامت به الحكومة الجائرة في حق

⁽١) أُنظر: المدني الكاشاني، كتاب القصاص للفقهاء والخواص: ص٨٤.

الإمام الحسين الله ؛ إذ _ مع الغضّ عن مكانته ومنزلته عند الله _ لم يكن تحركه سوى حركة سلمية رافضة لما قام به بنو أُمية من نقض للعهود والمواثيق، وتحويل الخلافة إلى مُلك يتداولونه بينهم. وهذا بحد ذاته لا يبرر لأن يقوم هؤلاء بعملية الاغتيال والتصفية الجسدية للإمام الله.

الثاني: على فرض التسليم بأن الإمام قام بعملية انقلاب عسكري ضد الجهاز الحاكم، لكنه لم يكن خروجه الله على إمام أو خليفة شرعي لكي يُهدر دمه، ولا يمكن أن يُشرعَن لذلك بها نُسب إلى النبي الله من ممارسات من هذا القبيل، مع غض النظر عن أن محاولات الاغتيال التي مارسوها كانت قبل تحرُّك الإمام بأيِّ خطوة.

الثالث: بها أننا عرفنا أن تطبيق الأحكام الجزائية متوقف على إذن الإمام أو الحاكم الشرعي كها هو أحد القولين في المسألة، فلم ينطبق ذلك على ما قامت به هذه الحكومة الجائرة؛ إذ لم يكن قد تم الاعتراف بيزيد بن معاوية كإمام أو خليفة للمسلمين؛ لكي يكون أخذ الإذن منه كافياً في مشروعية قتل الحسين على غيلة.

وبذلك يتضح أن المحاولات التي قام بها أعداء الدين ضد الإمام الحسين الله له يكن لها أيُّ مبرِّر أو غطاء شرعي، بل إنها طريقة متبعة لدى حكام الجور المتجبرين لزرع الرعب وبث الخوف والإرهاب في نفوس الرعية؛ لكي يتسنى لهم البقاء على عروشهم الفانية.

الأُصول الأخلاقيّة للثورة في ضوء النّهضة الحسينيّة

محمد نصر الأصفهاني* ترجمة: علي الفيلي

مقدّمة

الثورة أو النضال: استعمال القوّة، ويجري هذا عادةً إمّا بغية الإصلاح وإرغام السلطة على القبول بمطالب المناضلين، أو يكون له طابع ثوري مسلّح يهدف إلى إضعاف وتدمير السلطة الحاكمة، التي يعتقد المناضلون أنّها تسلّطت بغير حقّ أو بشكل غير شرعي.

يهدف موضوع (خُلُق الثورة) إلى معرفة التعامل المناسب والإنساني مع كرامة الموالين والمناوئين وأرواحهم وأموالهم على أساس الإنصاف والتقوى، بحيث لا يشكّل العداء ضغطاً نفسيّاً على المناضلين يؤدِّي بهم إلى ارتكاب جرائم حرب بدلاً من إقامة العدالة، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: { يَتَأَيُّهَا اللَّينَ ءَامَنُوا كُونُوا وَوَيَمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَكُمُ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٓ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُو الله عَلَى الله عَمْدُونَ } (١).

^{*} باحث وكاتب إسلامي.

⁽١) المائدة: آية ٨.

أخلاق المواجهة والثورة مهارة أو معرفة تشترك فيها جهود من مجالات معرفيّة متعدّدة، كالأخلاق، والكلام، والفلسفة، وعلم الإنسان، وعلم النّفس، وعلم الاجتماع، والفقه، والحقوق، والتاريخ، والسياسة.

النضال والثورة فرع من الأخلاق المهنيّة أو العمليّة، والتي تنضوي بدورها تحت قسم الأخلاق العامة، هذا لو قسّمنا المباني الفلسفيّة للأخلاق مثلها هي مشهورة - إلى ثلاثة أقسام، وهي: أخلاق النتيجة، وأخلاق الوظيفة، وأخلاق الفضيلة. وعلى أساس هذه النهاذج الثلاثة يمكن تأسيس خُلُق الثورة والنضال أيضاً.

في الأنموذج الأوّل ومن خلال الدراسات الميدانيّة فإنّ تجربة كفاح الشعوب هي أفضل الأساليب النضاليّة التي تلفت أنظار علماء الأخلاق، وتستقطب اهتمامهم.

وفي الأُنموذج الثاني فإنّ من واجب الإنسان لكونه إنساناً مواجهة كُلّ مَن يريد أن يتّخذه وسيلة يصل من خلالها إلى مقاصده ومنافعه، وهذه الواجبات هي محل اتّفاق الضهائر الإنسانيّة الحيّة اليقظة على مرّ التاريخ وتعدُّ أساساً لِخُلُق الثورة.

وفي الأُنموذج الثالث فإنّ أُسلوب نضال إنسان فاضل، أو عدّة من الفضلاء الحكاء الذين حظوا بالتأييد يُعدّ مثلاً أعلى لأُسس الثورة وخُلُقها.

فإنّ الأساليب التي مُورِست من قِبَل الأنبياء _ في هذا المجال والأئمّة، كالإمام الحسين الله الذين ناضلوا من أجل الإنسانيّة، مثل نلسون ماندلّا وغاندي _ يمكن أن تكون منهجاً عامّاً لأخلاق النضال.

ومرادنا من هذه المقالة هو الأُنموذج الثالث؛ لأنّ أُسلوب نضال الإمام الحسين الله هو أفضل أُنموذج لتدوين خُلُق الثورة والمواجهة في رأي الشيعة. إنّ هذا النوع من الخُلُق ليس رأياً نظرياً في الأخلاق فحسب، ولا يريد أن يضع مباني أُصولية تأتي بأفضل نتيجة خلال فترة قصيرة أو طويلة، أو قواعد يتقبّلها الجميع، بل هو تجربة عملية إنسانية أثبتت قيمتها في ساحة المواجهة. ونظراً إلى أنّنا نعيش في مجتمع ديني، فالإمام الحسين المنظ - كشخصية دينية ومناضل سياسي - يؤدي فيه دور

القدوة للجميع، والإمام نفسه، قال: «فلكم فيّ أُسوة»(١).

ونتيجة لحضور الإمام الحسين الله _ كإنسان فاضل وحكيم _ في ساحة المواجهة السياسيّة فإنّ خُلُق الثورة والنضال يُقَنَّن وفقاً لسيرة الإمام الله في هذا المجال. وأُصوله الخُلُقية في المواجهة هي منهاج عمليّ لكُلّ ناشط سياسي ملتزم بالنضال السياسيّ.

الأُصول الأخلاقيّة للثورة عند الإمام الحسين العلا

أخلاق الثورة عند الإمام الحسين الله مظهر لمشروعيّة المواجهة وضهانة لسلامتها، من المنظار الإنساني والدينيّ، وتستطيع أن تكون أساساً للنضال الثوري، كما أنّها تنسجم مع المواجهة السلميّة والإصلاحيّة.

نقدِّم فيها يلي أهم الأُصول الأخلاقيَّة التي يمكن استخراجها من واقع سيرة الإمام الحسين اللهُ الجهاديّة:

١- المواجهة القائمة على المبادئ

أهم أساس من أسس الثورة الحسينية هو أنّ ثورته الله قائمة على أصول وترتكز على أساس وثيق. وتتجلّى أهميّة ذلك في التزام الإمام الحسين الله بالأصول الإنسانية والإسلاميّة، سواء نظرنا إليه كإمام، كما هو فعلاً كذلك عند الشيعة، أو كعالم دين كما هو عند بعض أهل السنّة، أو كإنسان حكيم مناضل كما هو عند أمثال غاندي وكلسرخي.

وأهم المرتكزات في ثورة الإمام الله: القرآن والسنة والقيم الإنسانيّة. فكان الإمام الله يتحرّى الاستناد إلى إحدى هذه الأصول في جميع مراحل تحركاته.

⁽١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٥٥٥.

ويوضّح لنا الإمام رؤية القرآن الكريم عن النضال في إطاره العام بأنّه أمر يشخّصه علماء الدين ويقع على عاتقهم، وأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنقد الاجتماعي مسألة معرفيّة، وعلى كلّ مَن لا يملك العلم والقدرة فيها أن يصبح عالماً قادراً، والناس جميعاً مسؤولون عمّا يجري في مجتمعاتهم كُلٌّ حسب علمه واستطاعته، ومسؤولية العلماء في هذا المجال أكبر؛ وذلك لعلمهم ونفوذهم في المجتمع.

قال أمير المؤمنين المثيلا: «والذي فَلَقَ الحبّة وبرأ النسمة، لو لا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألّا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيتُ حبلها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس أوّها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عفطة عنز»(٥).

ا (١) القصص: آية ٢٠.

⁽٢) القصص: آية ٢٢.

⁽٣) المائدة: آية ٦٣.

⁽٤) ابن شعبة الحراني، الحسن بن على، تحف العقول: ص٠٧٠.

⁽٥) خطب أمير المؤمنين علّي الله البلاغة: خطبة ٣.

ب_ سنة النبي عَيَّا وهي الأساس الثاني في نضال الإمام الحسين الله وثورته، لقد خاطب الله أهل الكوفة قائلاً: «أيها الناس، إنّ رسول الله عَلَى قال: مَن رأى سلطانا جائراً مستحلًا لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله»(٢).

جــالقِيَم الإنسانية والضمير الإنساني: وهي الأساس الثالث في أخلاق المواجهة عند الإمام الحسين الله وهذا الأساس أوسع وأشمل من الدين، وله طابع عام ويشمل غير المسلمين والذين ليس لهم دين. إنّ الإنسان ـ لإنسانيته ـ في مدرسة الإمام الحسين الله عليه أن لا يرضخ للظلم والإذلال.

وكان ردّه الله على طلب معسكر عمر بن سعد بالاستسلام، أن قال: «فهل هو إلّا الموت فمرحباً به» (٣). وقال كذلك: «والله، لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد» (٤). وعندما أرسل إليه ابن زياد طالباً منه أن ينزل على حكمه، أجاب قائلاً: «لا والله، لا أفعل، الموت دون ذلك وأحلى» (٥).

وقال أيضاً: «ألا وإنّ الدّعي ابن الدّعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، أبي

⁽١) المائدة: آية ٧٨_٧٩.

⁽٢) الطبري، محمد بن جريس، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٤ ٣٠. الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين الله: ج١، ص٢٣٤.

⁽٣) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٥٤ ٢٠.

⁽٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٢٣.

⁽٥) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ص١٨٥.

اللهُ ذلك لنا ورسولُه والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، هيهات منّا الذلّة»(١).

وفضّل الموت على الحياة مع الظالمين، قائلاً: «فإتّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما»(٢).

وأنشدِ السَّلِّا:

الموتُ أَوْلَى من ركوب العارِ والعارُ أَوْلَى من دخول النّارِ (٣)

وخاطب معسكر عمر بن سعد، قائلاً: «ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم»(٤).

٧_ الكَشُورَة

الشورة من الأُمور المتعلِّقة بحياة الناس، وقد أمر الله تعالى نبيّه الكريم الله أن يُدير أُمور الناس من خلال المشورة؛ لأنّها من منظار القرآن والسنَّة _استراتيجية وتكتيك.

إنّ مَن يريد أن يواجه سلطة مُستَبِدّة عليه أن لا يكون مُستَبِدّاً، بل عليه أن يستشير دائهاً ذوي الرأي والخبرة.

لقد استشار الإمام الله أخاه محمد بن الحنفيّة عندما صمّم على الهجرة من المدينة، فأشار عليه، قائلاً: «تنع ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثمّ ابعث رُسُلَك إلى الناس فادعُهم إلى نفسك، فإن تابعك الناس وبايعوا حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم يُنقص الله بذلك دينَك ولا عقلك، ولا تذهب به

⁽١) الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٧٥.

⁽٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٥٠٣. الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٧٩.

⁽٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين الله: ص٥٥٣.

⁽٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٤٤٣.

مروءتُك ولا فضلُك، إنّى أخاف أن تدخل مِصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك وأُخرى عليك. فقال له الحسين الله فأين أذهب يا أخي؟ قال: انزل مكّة فإن اطمأنّت بك الدار بها فسبيل ذلك، وإن نَبَتْ بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد. فقال الحسين الله على أخي، قد نصحت وأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً»(١).

والتقى الإمام الله في مسيره إلى المدينة بعبد الله بن مطيع وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عبد وعبد الله بن عباس، وهم أصحاب تجربة ونفوذ، واستشارهم الله فأشار عليه عبد الله بن عمر أن لا ينازع الله بن مطيع بأن لا يذهب إلى الكوفة، وأشار عليه عبد الله بن عمر أن لا ينازع السلطة الحاكمة؛ لأنّه يؤدّي إلى سفك الدماء والاختلاف بين المسلمين.

وبعد استقرار الإمام الله في مكّة أقبل أهلُها ومَن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق يختلفون إليه، وكان عبد الله بن الزبير فيها وهو لم يبايع يزيد، وكان يرى في الإمام الله نه وكان ساخطاً ومتضجِّراً من إقبال الناس على الحسين الله فكان يأتي الإمام الله بين كلّ يومين مرّة ويرغّبه في الذهاب إلى الكوفة، قائلاً له: «أما لو أنّ ليّ بها مثل أنصارك ما عدلت عنها» (٢).

وأشار عليه ابن عباس، قائلاً: «يا بن عمّ، قد بلغني أنّك تريد العراق وإنّه الهل غدر، وإنّا يدعونك للحرب فلا تعجل، وإن أبيت إلّا محاربة هذا الجبّار وكرهت المقام بمكّة، فأشخص إلى اليمن، فإنّها في عزلة ولك فيها أنصار وإخوان، فأقم بها وبثّ دُعاتَك، واكتب إلى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق فيخرجوا أميرهم. فقال الله كتب إلى مسلم بن عقيل باجتماع أهل الحِصر على بيعتي ونصري. فقال ابن عباس: هم أصحاب أبيك وأخيك وقتَلَتُك غداً مع أميرهم، فإن عصيتني وأبيت إلّا الخروج فلا

⁽١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٥.

⁽٢) المسعودي، على بن الحسين، مروج الذهب: ج٢، ص٥٩ - ٦٠.

تُخرج نساءَك وولدَك معك. فقال الحسين اليُّه: ما أرى إلَّا الخروج بالأهل والولْد»(١).

وفي طريق الكوفة سمع الإمام اليَّلا بخبر شهادة مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وقيس بن مسهر، فاجتمع بأصحابه وأهل بيته وأخبرهم بها جرى في الكوفة، ونظر إلى بنبي عقيل وقال: «ما ترون؟ فقد قُتِل مسلم، فقالوا: والله، لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق. فقال الله : لا خير في العيش بعد هؤ لاء. فقال له بعض أصحابه: إنَّك والله، ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع... وقال له رجل من بني أسد تلقّاه في الطريق: انصرف إلى موضعك ودع المسير إلى الكوفة، فو الله، ما لك بها ناصر $(T)^{(T)}$.

٣- الالتزام بالعهود والمواثيق

الالتزام بالعهود والمواثيق والعمل بها من المستلزمات الهامّة في أخلاق الثورة، فقـد ظلَّ الإمام اللَّهِ متمسِّكاً بعهوده ومواثيقه في جميع مراحل المواجهة؛ لأنَّ نكث العهود والمواثيق هو الحدّ الفاصل بين الإمام الله وبني أُميّة، بل إنّ أحد الأسباب التبي من أجلها قاتل الإمامُ النِّلا يزيدَ بن معاوية هو عدم التزام معاوية بالعهو د التي ذُكرت في وثيقة الصلح مع الإمام الحسن التيلا، ومنها أن يجعل معاوية الخلافة بعد وفاته شوري بين المسلمين، لذا كان الحسين السِّلا يرى في بني أُميّة مصداقاً للسلطة الجائرة الناكثة للعهد.

وقد وصف الإمام الحسين الميلا في خطابه لأهل الكوفة بني أُميّة بأنّهم مصداق لحكومة الجور، ومخالِفة للعهود: «أيّها الناس، إنّ رسول الله عَلَيْ قال: مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلًا لحرم الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقًّا على الله أن يُدخله مُدخَله» (٣).



⁽١) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٤٣_٢٤٤.

⁽٢) المصدر السابق: ص٢٤٨_٢٤٨.

⁽٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٤٠٣.

ولمّا استُشهد الإمام الحسن الله وبلغ الشيعة ذلك اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن صرد وفيهم جعدة بن هبيرة، فكتبوا إلى الإمام الحسين الله يعزّونه بمصابه بالحسن الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليّ، من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين، سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد، فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي، سلام عليه يوم وُلِد ويـوم يموت ويوم يُبعث حيّاً، غفر الله ذنبه وتقبّل حسناته وألحقه بنبيّه، وضاعف لـك الأجر في المصاب به وجبر بك المصيبة من بعده فعند الله نحتسبه، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ما أعظم ما أُصيبت به هذه الأُمة عامّة، وأنت وهذه الشيعة خاصّة بهلاك ابن الوصيّ وابن بنت النبيّ، علم الهدى ونور البلاد المرجوّ لإقامة الدين وإعادة سِير الصالحين، فاصبر رحمك الله على ما أصابك إنّ ذلك لمن عزم الأُمور، فإنّ فيك خلفاً ممّن كان قبلك، وإنّ الله يؤتي رُشكه من يُهدى بهديك، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، السائرة بسيرتك، المنتظرة لأمرك، شرح الله صدرك، ورفع ذكرك، وأعظم أجرك، وغفر ذنبك، وردّ عليك حقّك»(۱)، فكان جواب الإمام على على رسالة أهل الكوفة، أن قال: «إنّا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا»(۱).

وكتب إليه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب: «أمّا بعد، فإنّ مَن قِبَلِنا من شيعتك متطلّعة أنفسهم إليك لا يعدلون بك أحداً، فإن كنت تحبّ أن تطلب هذا الأمر فأقدم علينا، فقد وطنّنا أنفسنا على الموت معك» (٣). فكتب إليه الإمام على: «وأمّا أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنّة ما دام معاوية حيّاً، فإن يُحدِث الله به حَدَثاً وأنا حيّ كتبت إليكم برأيي. والسلام» (٤).

⁽١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٢٨.

⁽٢) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٢٠.

⁽٣) المصدر السابق: ص٢٢١.

⁽٤) المصدر السابق: ص٢٢٢.

٤ ـ الثورة مع مراعاة الظروف الأمنيّة

إنّ الاهتهام بالظروف الأمنيّة للمحافظة على القوى المناضلة من الأُصول المهمّة في الخُلُق الثوري، فأرواح الناس محترمة ويجب الاهتهام بها والمحافظة عليها حتى أثناء المواجهات المسلّحة، فيجب العمل على تقليل الخسائر في الأرواح إلى أقصى حدّ ممكن، الأمر الذي يلفت النظر في سيرة الإمام الحسين النظر في جميع مراحل مواجهته النظر.

قال الإمام على في معرض جوابه عن رسالة شيعته في الكوفة: «أمّا أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنّة ما دام معاوية حيّاً، فإن يُحِدِث اللهُ به حَدَثاً وأنا حيّ كتبت إليكم برأيي. والسلام»(١).

إنّ عدم العمل بهذه الوصية هو ما أدّى إلى اعتقال كثير من القوى المؤثّرة، ومن ثمّ استشهادهم، كجِجْر بن عَدِي وعمرو بن حمق الخزاعي، وكان بإمكانهما أن يلعبا دوراً مؤثّراً في نهضة الإمام الحسين الميلا فيها لو لم يُستشهدا. وإن كانت شهادة هؤلاء قد ساهمت في الحفاظ على نور الحقّ في قلوب الناس.

وبعدموت معاوية بعث والي المدينة الوليدبن عتبة إلى الحسين الله ليأخذ منه البيعة ليزيد، وعلى أساس الأصل المذكور _ قبل أن يذهب إلى دار الإمارة بالمدينة _ جمع الله نفراً من مواليه وغلمانه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: «إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت ولست آمن أن يُكلّفني فيه أمراً لا أُجيبه إليه، وهو غير مأمون فكونوا معى، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه» (٢).

لقد أدّى فرار عمرو بن حمق الخزاعي وأصحابه إلى جبال الموصل إلى اعتقال الأُمويين لزوجته واتّخذوها رهينة وزجّوا بها في السجن، ومن ثَمَّ قَتل عامل معاوية



⁽١) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٢٢.

⁽٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٣.

على الموصل عمرو بن حمق الخزاعي، وأرسل رأسه على رأس رمح إلى دمشق، فأمر معاوية أن يُلقوا برأسه في أحضان زوجته المسجونة (١).

أثبتت التجارب السابقة لحكم بني أُميّة أنّ عوائل المجاهدين لم يكونوا بمأمن من السلطة الحاكمة؛ فلذا خرج الحسين الله متوجّها إلى مكّة ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه، وجُلّ أهل بيته إلّا محمد بن الحنفيّة (٢).

وعلى أساس ذلك لم يرضَ الإمام الله من ناحية شرعيّة وأخلاقيّة - أن يُسفَك دمه ويذهب هدراً، أو يُقتل خِفيَة دون علم أحد؛ لذا سلك الطريق العام أثناء رحيله إلى مكّة ليتمكّن من الاستنصار بالنّاس في حال حدوث مشكلة ما، وليطّلع الجميع على ما حصل له إذا ما ألمّ به حادث فظيع، لا أن يُقتل ويُسفك دمه في الصحاري والقفار بيد السلطة الحاكمة، ثمّ تقوم بمصادرة دمه الزكيّ لنفعها، وتُقيم له مجالس العزاء وتدّعي أنّها ستنتقم له الله المعالية الحاكمة على المعالية الحاكمة على المعالية الحاكمة المعلقة الحاكمة على المعالية المحاري والقفار بيد السلطة الحاكمة المعلقة المعلقة المعلقة المعلقة المحادرة دمه الزكيّ لنفعها، وتُقيم له مجالس العزاء وتدّعي أنّها ستنتقم له المعلقة المعالية المعلقة المعلقة

هناك عوامل محتلفة تدفع طبقات المجتمع المختلفة إلى أن تميل لموضوع أو شخصية ما، بعض هذه العوامل معقولة وراسخة، وبعضها قائمة على الانفعالات الناتجة من إثارة مشاعر الجهاهير وأحاسيسهم، وفي هذه الحالة لا يمكن الاعتهاد عليهم؛ لأنّه يمكن إثارة مشاعرهم وأحاسيسهم مرّة أُخرى فينقلبون إلى مناوئين، ومن هذا المنطلق فإنّ الإمام الله لم يخاطر بحياته الشريفة وحياة أصحابه ومواليه لمجرّد تلقيه بعض الرسائل.

وحين جاءت رسائل الكوفيين بعث الإمام الله مسلم بن عقل الله إلى الكوفة ليستطلع الأمر، وبعث معه رسالة إلى كبار وأشراف الكوفة جاء فيها: «أمّا بعد، فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتُبِكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة جُلّكم: أنّه ليس علينا إمام، فأقْبِل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ. وإنّي باعث

⁽١) ابن عساكر، على بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩، ص٠٤.

⁽٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٥٥.

إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأيُ مَلَئِكُم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قَدِمَتْ به رُسُلُكم وقرأت في كتُبِكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله»(١).

وفي الثامن من ذي الحجّة _أي: في اليوم الذي يُحرِم فيه الحجّاج للحجّ _ خرج الإمام الله من مكّة ، ويرى كثيرون أنّ خروج الإمام الله في مثل ذلك اليوم من مكّة لأنّه كان يتوقّع أن يغتاله أعوان السلطة في الحرّم الإلهي وهو بين الحجّاج، ويختفي القاتل بينهم، فيذهب دم الإمام الله هدراً، فلذا خرج الإمام الحسين الله من مكّة حفاظاً على حياته، وصوناً لحرمة الحرّم الإلهي من الانتهاك.

٥ ـ الشفّافيّة

لقد كان الإمام الله واضحاً في جميع مراحل حياته وسارت نشاطاته النضالية بشفّافية، فلمّا قُتل حِجْر بن عَدِي وأصحابه، ذهب بعض الشيعة في الكوفة إلى الإمام الحسين الله في المدينة فأخبروه، فكتب مروان بن الحكم إلى معاوية يُعلمه، فكتب معاوية إلى الإمام الحسين الله في المدين الله الإمام الحسين الله في المدين الله الإمام الحسين الله بكل وضوح: «... ما أُريد حربك ولا الخلاف عليك» (٢).

وتعامل الله بشفّافية مع والي معاوية على المدينة الوليد بن عتبة ولم يرضخ لضغوطه. فعندما أراد الوليد أن يأخذ منه البيعة أجابه الحسين الله ، قائلاً: «مثلي لا يُعطي بيعته سرّاً، ولا أراك تجتزئ بها منّي سرّاً دون أن نُظهرها على رؤوس الناس علانية. قال: أجل. قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً. فقال له الوليد: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس» (٣).

⁽١) المصدر السابق: ج٢، ص٣٩.

⁽٢) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٢٤_٢٣٥.

⁽٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٥١.

خرج الإمام الله من المدينة متوجّها إلى مكّة ولزم الطريق الأعظم، وعلى مرأى ومسمع من الرأي العام، فقال له أهل بيته: «لو تنكّبت الطريق الأعظم كما صنع ابن الزبير لئلّا يلحقك الطلب»، فقال: «لا والله، لا أُفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ»(١).

ولمّا أراد الحسين الله التوجّه من مكّة إلى العراق طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة، وخرج أمام أنظار الناس.

لم يترك الإمام الحسين الله محاورة العدو في جميع مراحل نهضته المباركة؛ لأنّ عدم الحوارية في إلى إضفاء العنف على طابع المواجهة، فبعد قتل حِجْر بن عَدِي وأصحابه أتى نفرٌ من شيعته في الكوفة إلى المدينة، وكانوا يختلفون إليه، فكتب والي المدينة مروان بن الحكم إلى معاوية بالموضوع، فكتب معاوية رسالة إلى الحسين الله يقول فيها: «فلا يستفرّنك السفهاءُ الذين يحبّون الفتنة». فلم يقل الإمام: إنّ معاوية لا يستحق أن أرد عليه، بل كتب إليه: «ما أُريدُ حربَك ولا الخلاف عليك»(٢).

فلو لم يتصرّف الإمام الله بهذا الشكل لكان من المحتمَل أن تتوتّر أجواء المدينة أمنيّاً، وتحدث فيها اضطرابات واشتباكات لا يريدها الإمام الله أن تحدث في تلك الظروف. وإن نقل بعضهم أنّ الحسين الله ردّ على كتاب معاوية ردّاً قاسياً، منه: «لا أعلم فتنة أعظم من ولايتك، ولا أعلم لنفسي ولديني ولأُمّة محمد عَلَيْ فضل من أن أجاهدك، فإن فعلتُ فإنّه قربة إلى الله، وإن تركته فإنّي استغفر الله لديني»(٣).

لقد تحدّث معاوية لأكثر من مرّة مع الحسين الله يطالبه بالبيعة ليزيد، لكنّ الإمام الله كان يرفض طلبه في كلّ مرّة، وبعد وفاة معاوية أرسل والي المدينة الوليد بن عتبة إلى الحسين الله أن يأتيه _ ومع أنّ الحسين الله كان يتوقّع أن الوليد يريد بيعته

⁽١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٦.

⁽٢) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ٢٢٥.

⁽٣) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣،ص٢٩٥.

ليزيد _ فإنه الله وحاوره، بخلاف ابن الزبير الذي رفض مقابلة الوليد، وكان الإمام الله قد حاور مروان كذلك وهو عند الوليد بن عتبة، وكان الإمام الله دقيقاً في حواره ويتكلم بلغة دبلوماسية، وكان سعيه أن لا يثيرهم بكلامه الصريح لئلا يقوموا بأعمال عنف، فعندما طلب الوليد من الإمام الله البيعة قال الله في سرّاً دون أن ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يُعطي بيعته سرّاً ولا أراك تجتزئ بها منّي سرّاً دون أن نظهرها على رؤس الناس علانية (١٠).

قال الوليد: أجل. فقال الإمام الحسين الله : «فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً»، وكان مروان حاضراً وتكلّم بحدِّة مع الإمام الحسين الله طالباً إثارته، ولكنّ الإمام الله ردّ على مروان ردّاً مناسباً من غير أن يُزيد الأوضاع سوءاً، وقال مروان للوليد: «والله، لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه»، فو ثب الحسين الله وقال: «أنت تقتلني أو هو؟ كذبت والله وأثمت». ولم يُطِل الحسين الله الموضوع، وغادر المجلس مع أصحابه إلى بيته (٢).

⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٥١.

⁽٢) المصدر السابق: ج٤، ص٥٥٠.

مُنصر فاً نحو الحجاز، فحال القوم بينه وبين ذلك. فلمّا كثر الجدال بينهما، قال الحرّ: «إنّي لم أُومر بقتالك، وإنّما أُمرت ألّا أُفارقك، وقد رأيت رأياً فيه السلامة من حربك، وهو أن تجعل بيني وبينك طريقاً لا تُدخلك الكوفة، ولا تردّك إلى الحجاز تكون نَصَفاً بيني وبينك حتى يأتينا رأي الأمير»(۱).

وتصرّف الحسين عليه مع ابن سعد تصرّفاً أثار إعجاب الأخير، فكتب ابن سعد إلى ابن زياد يخبره أنّ المسألة انتهت وحلّ النزاع(٢).

٦. الحزم وعدم اليأس

إنَّ الذي يشعر بالخوف ويسيطر عليه اليأس، ولا قدرة له على المخاطرة عليه أن لا يدخل معترك الثورة.

بعد أن فقد الإمام الله الأمل من علماء جميع البلدان والمدن وساكنيها، وأدرك أن لا استعداد لمكة ولا المدينة ولا البصرة، ولا علماء وأشراف سائر المدن والأمصار الإسلامية للقيام بالواجب والعمل على نصرته، وأنّ أهل الكوفة فقط هم الذين عرضوا عليه نصرتهم ومؤازرتهم، عندها قرّر الله الذهاب إلى الكوفة.

ومن الطبيعي وحسب العادة فإنّ ذوي المصالح الذين سيطر اليأس والقنوط عليهم كانوا ينصحون الإمام الله دائماً أن لا يجازف ولا يخاطر، ومن هؤلاء: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مطيع، وأبو بكر بن حارث، إذ طلبوا من الإمام الله أن لا يذهب إلى الكوفة، وكان الإمام الله يجيب: «مَهْما يَقْضِي اللهُ مِنْ أَمْر يَكُنْ» (٣). وعندما رأى أبو بكر بن الحارث أنّ الحسين الله لا يتراجع عن قراره، قال:

_

⁽١) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

⁽٢) المصدر السابق.

⁽٣) ابن عساكر، على بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين الله: ص٥٩٥.

«إنّا لله وعند الله نحتسب أبا عبد الله»(١).

ولا يعني هذا أنّ الإمام الله لم يحتمل ما كان يحتمله هؤلاء الأشخاص، بل إنّ هؤلاء لم يروا الوجه الآخر للموضوع، وهو وجود نسبة نجاح لا تقل عن ثلاثين بالمائة، مثلها نجح عبد الله بن الزبير والمختار الثقفي في هذا الأمر بعد استشهاد الحسين الله في فنتيجة المواجهة إمّا الانتصار أو الهزيمة. لقد خاطب الله تعالى في القرآن الكريم المجاهدين الذين كانوا يعتقدون أنّ نتيجة الجهاد والقتال في سبيله تعالى لا ينبغي أن تكون إلّا النصر بقوله: {إِن يَمْسَسُكُمْ قَرْحٌ فَقَدُ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّ مُنَالًهُ لا يَنْ النّاسِ وَلِيعًلَمَ اللهُ الذّين عَامَنُوا وَيَتَخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءً وَاللّهُ لا يُغِبُ الظّلِمِين } (١٠).

فليس من الضرورة أن يكون النصر دليلاً على الأحقّيّة، بل إنّ نتيجة القتال هي إمّا النصر أو الهزيمة.

وقد استمرّ الإمام الله بمسيره حتى بعد شهادة مسلم وهانئ وقيس، فمَن لا يقدر على تحمّل الهزيمة، ويتراجع عن قراراته بسهاع مثل هذه الأخبار؛ وعليه أن لا يشرع بالمواجهة.

إنّ الإمام في الوقت الذي يراعي فيه الخُلُق الإنساني وينأى بنفسه عن التعامل بعنف وقسوة مع عدوّه - لا نظير له في القتال بشجاعة ورباطة جأش.

قال حميد بن مسلم: «فو الله، ما رأيت مكثوراً قط قد قُتِل وُلْدُه وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه الله ان كانت الرجّالة لتَشُدّ عليه فيَشُدّ عليها بسيفه، فتنكشف عن يمينه وشهاله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب»(٣).



⁽١) المسعودي، على بن الحسين، مروج الذهب: ج٢، ص٠٦.

⁽٢) آل عمران: آية ١٤٠.

⁽٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٦٦ _١٦٧.

٧ ـ سلامة المناضلين

إنّ مَن يريد إصلاح المجتمع لابدّ أن يكون إنساناً صالحاً، وإلّا فعليه أن لا يقحم نفسه في المواجهة؛ لأنّه سوف يُحمِّل الناس عبئاً ثقيلاً ويُكلِّفهم الكثير الكثير، وتكون نتيجة المواجهة بعد الانتصار والاستيلاء على السلطة هو ظهور الحقيقة المخالفة للصلاح، وفي النهاية لا يطرأ تغيير كبير على أوضاع المجتمع إذا ما قورنت بها قَبْل المواجهة.

وعليه، فللحصول على النتيجة المطلوبة من النضال لابد للقادة والقوى الفاعلة أن يكونوا أفراداً صالحين أبراراً لا يعتريهم الضعف والوهن، وحينها سيدفع العدو ثمناً باهضاً إذا ما أراد مواجهتهم ومحاربتهم، بل إنّ العدو نفسه سيعتقد أنّ هؤلاء أشخاص صالحون، وعندها تصحوا ضمائر الأعداء ولا يرون مبرراً لإلحاق الأذى بهم.

قال مروان بن الحكم لوالي المدينة الوليد بن عتبة: «والله، لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. قال الوليد: وبّخ غيرك يا مروان، إنّك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله، ما أحبّ أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا ومُلكها وإنّي قتلتُ حسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال: لا أُبايع. والله، إنّي لا أظنّ امرءاً يُحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة»(۱).

٨. الاستنصار

الشورة بطبيعتها عمل اجتماعي، وبدون مساندة الرأي العام والقوى الداعمة لن تعطي النتيجة المطلوبة، ولا تصل إلى غايتها المنشودة، والإمام الحسين الله ومنذ أن اتّخذ قراره بمواجهة السلطة الجائرة دعا لنصرته كُلّ مَن كان يتوقّع أن يسانده

⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٢٥٠.

ويعاضده في نهضته، ولم يدعُ الإمام الله أهل الشام لعلمه بأنِّهم لا يستجيبون له، لأنَّهم عاشوا في ظل الأُمويين وتحت إمرتهم، ومع أنَّ أهل مكَّة والمدينة يعيشون في حاضرة الإسلام وفي ظل أجواء إسلاميّة، إلّا أنّ زخارف الدنيا ملأت عيون كبار السن منهم وملكت قلوبهم، ولم يعيروا الإمامَ للسِّلا أهميّةً، وشبّانهم ليس لهم أيّة معرفة وعلم بتضحيات أمير المؤمنين الميلا في سبيل الإسلام، ولا يعرفون شيئاً عن شخصيّة الحسين اليَّلا، وأهل البصرة وحدهم الذين كانوا يعرفون أُسلوب أمير المؤمنين اليَّلا وطريقتـه في الحكـم، ولكون مدينتهم ذات بنية جديدة فقلَّـما كانوا يقعون تحت تأثير الميول والنزعات القوميّة والقبليّة، فقد وقف أهل البصرة إلى جانب أمر المؤمنين اليُّلا في حربي صفِّين والنهروان، وكان لهم معرفة بسياسات الإمام عليِّ السَّلا وضحّوا بأنفسهم وأبنائهم في سبيله، ولأنَّ الإمام الحسين الله كان يحتمل منهم قبول دعوته ونصرته أكثر من غيرهم، فلذا كتب إليهم قائلاً: «إنّ الله اصطفى محمّداً عَيَّا الله على خلقه وأكرمه بنبوَّته، واختاره لرسالته، ثمَّ قبضه اللهُ إليه وقد نصح لعباده وبلّغ ما أُرسل به عَيَّاللهُ وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممّن تولّاه، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه عَيْنَا الله الله عَلَيْ الله عَ الله عَلَيْ عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلِيْ الله عَلَيْ الله عَلِيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ عَلَيْ الله عَلَيْ عَلَيْ الله عَلَيْ عَلِيْ عَلَيْ عَلِي عَلَيْ عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ عَلِيْ عَلَيْ عَلِيْ عَلِيْ عَلِ أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»(١).

لقد خاطب الإمام الله العلماء ودعاهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يعملوا بحاكميتهم كعلماء، ولكن أفعالهم كانت تُظهر بأنّهم ليسوا أهل عمل ولا يتحمّلون مسؤولياتهم، فقال الله أن القد خشيت عليكم أيّها المتمنّون على الله أن تحلّ بكم نقمة من نقاته؛ لأنّكم بلغتم من كرامة الله منزلة فُضِّلتم بها، ومَن يعرف بالله لا

⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٢، ص٢٦٦.

تُكرِمون، وأنتم بالله في عباده تُكرَمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم بلله في عباده تُكرَمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون وذمة رسول الله عقورة، والعُميُ والبُّكمُ والزمنى في المدائن مُهملة لا تَرجون، ولا في منزلتكم تعملون، لا مَن عمل فيها تُعينون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلَمة تأمنون، كلّ ذلك عمّا أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غَلِبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون ذلك بأنّ مجاري الأُمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأُمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سُلِبتُم ذلك إلّا بتفرُّ قتكم عن الحقّ واختلافكم في السنة بعد البيّنة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحمّلتم المؤونة في ذات الله كانت أُمور الله عليكم تَرِدُ وعنكم تصدُرُ وإليكم تَرجعُ، ولكنكم مَكَنتُمُ الظَلَمةَ مِن منزلتكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات، سلّطهم على ذلك فرارُكم من الموت وإعجابُكم بالحياة التي هي مفارقتكم... فإن لم تنصرونا وتنصفونا وتنصفونا قوي الظلّمةُ عليكم وعَمِلوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله وعليه توكّلنا وإليه أنبنا والله المصر ه\('').

وفي طريق الكوفة دعا الإمام الله بعض الأشخاص الذين كان يتوسَّم فيهم خيراً وكانوا ذوي نفوذ وقدرة، فمنهم مَن لبّى دعوته كزهير بن القين، ومنهم مَن فضّل الدنيا على السعادة الأبديّة كعبيد الله بن الحرّ الجعفى (٢).

٩ ـ رفض مقولة الغاية تبرّر الوسيلة

ربها تسنح فرص أثناء المواجهة إذا استُغلت بطريقة لا أخلاقية وغير إنسانيّة المخالفة للمروءة ويمكن بلوغ الهدف حينئذٍ بأسرع وقت وأقلّ تكلفة، لكن مَن يرى

⁽١) الحراني، الحسن بن على، تحف العقول: ص٧٧١.

⁽٢) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٧٤٧، وص٥٥٠.

النضال أمراً أخلاقياً فإنّه غير مستعد أن يتنصّل عن القيم الإنسانيّة خلال مسيرته النضالية وأثناء القتال؛ لأنّه يعتقد أنّه إذا فعل هذا فليس بالإمكان الحصول على مجتمع تسوده الأخلاق والقيم الإنسانيّة، فعندما اقترح زهير بن القين على الإمام الله أن يقاتل الحرّ قبل أن تأتيه الإمدادات، قال الحسين الله (أكره أن أبدأهم بقتال حتى يبدأوا» (١). أي لا قصاص قبل الجناية.

عندما دعا أهل الكوفة الإمام الله ولبّى دعوتهم، ووصلت رسالة مسلم بن عقيل إلى مكّة يذكر فيها أنّه قد بايع الإمام الله ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة، وتوجّه الحسين الله إلى الكوفة خرج الكثيرون مع الإمام الله على أمل أن ينالوا نصيبهم من مائدة الحكومة المبسوطة، ولمّا سمع الحسين الله بخبر شهادة مسلم وهانئ والتغيير الذي طرأ على أوضاع الكوفة؛ جمع أصحابه ليخبرهم بها حدث في الكوفة لأنّ خُلُق الإمام الله يأبى عليه أن يستغل الناس لمصالحه الشخصية وتحقيق أهدافه الذاتية، لذا خاطبهم قائلاً: «قد أتانا خبر فضيع قُتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمَن أحبّ منكم الانصراف فلينصر ف غير حرج، ليس عليه ذمام» (٢)، فتفرق الناس عنه وأخذوا يميناً وشهالاً حتى بقي أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة ونفر يسير ممّن التحقوا به الله.

وفي ليلة عاشوراء كرّر الحسين الله عمله هذا مع أهله وأصحابه، وقال لهم: «قد أذنت لكم فانطلِقوا جميعاً في حلِّ ليس عليكم منّي ذمام»(٣)، لكن أحداً منهم لم يترك الإمام الله.

وفي يوم عاشوراء لم يأذن الإمام الله لكل مَن جاء يستأذنه في البراز إلَّا إذا كان

⁽١) المصدر السابق: ص٢٥٢.

⁽٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٥.

⁽٣) المصدر السابق: ص٩١.

راغباً في القتال ومصرًا عليه بطيب خاطر، لأنّ الإمام الله لم يقاتل من أجل السلطة والشروة، ولا دعا الناس لأجل ذلك، ولا أراد أن يتّخذ من الناس وسيلة ليحقق آماله وأهدافه. إنّ الله تعالى وحده العالم بسرائر الإنسان وتبقى الدوافع غير معروفة للناس، وعليه فلا يمكن لأحد أن يكذب على الله ويخادعه.

وفي أحد أدعية الإمام المن نراه يخاطب ربّه، فيقول: «اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التهاساً من فضول الحطام، ولكن لنري المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمَل بفرائضك وسننك وأحكامك»(۱).

١٠ ـ جَمْع المعلومات والتبصُّر في الأُمور

قال تعالى: { قُلُ هَا فِي عَسَبِيلِي أَدْعُوٓ أَ إِلَى ٱللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ } (٢).

على أساس هذه الآية الشريفة سعى الإمام الله إلى اتّخاذ القرارات القائمة على المعلومات الدقيقة ليعمل وهو على بصيرة من أمره وعلم تام، فالتحليل الصحيح هو التحليل الذي يستند إلى المعلومات الصحيحة.

وقبل أن يتوجّه الإمام الله إلى الكوفة أرسل مسلم بن عقيل ليستطلع أحوال أهل الكوفة، ويعرف ما يجري فيها ويحصل على معلومات عن شيعته وأنصاره، وقال له: «يا بن عمّ، قد رأيتُ أن تسير إلى الكوفة فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها، فإن كانوا على ما أتتني به كتبهم فعجّل عليّ بكتابك لأُسرع القدوم عليك، وإن تكن الأخرى فعجّل الانصراف» (٣)، كان أكثر أهل الكوفة من الموالي، ولديهم ذكريات طيّبة من حكومة الإمام على الله وما عادوا يطيقون حكومة بني أُميّة، ولا راغبين في طيّبة من حكومة الإمام على الله على الله وما عادوا يطيقون حكومة بني أُميّة، ولا راغبين في

⁽١) الحراني، الحسن بن على، تحف العقول: ص٢٧٢.

⁽٢) يوسف: آية ١٠٨.

⁽٣) الدينوري، أحمد بن داود،، الأخبار الطوال: ص٢٣٠.

العيش تحت ظل سلطتهم الجائرة، فلذا أرسلوا إلى الحسين المن خلال يومين ما يقرب من مائة وخمسين رسالة، وفي كُل واحدة منها يقولون: «أقبِل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ»(١).

و في هذا المجال قال الإمام الله : «إنّ أهل الكوفة كتبوا إليّ أن أقدم عليهم لما رجوا من إحياء معالم الحقّ وإماتة البدع»(٢).

إنّ سابقة الكوفيين تبيّن بوضوح أنّهم يتّخذون قراراتهم على عجل وسرعان ما يتراجعون عنها، فكتب الحسين الخيلا إليهم: «من الحسين بن عليّ إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين، أمّا بعد، فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر مَن قَدِم عليّ من رُسُلِكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جُلّكم: أنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهلي مسلم بن عقيل ليعلم لي كُنه أمركم ويكتب إليّ بها يتبيّن له من اجتهاعكم، فإن كان أمركم على ما أتتني به كتبكم وأخبرتني به رُسُلُكم أسرعت القدوم عليكم إن شاء الله، والسلام»(٣). وللها بايع أهل الكوفة مسلماً، كتب إلى الحسين الله: «إنّ الرائد لا يكذبُ أهلَه، وقد بايعني من أهل الكوفة ثهانية عشر ألف رجل، فأقدم فإنّ جميع الناس معك و لا رأى لهم في آل أبي سفيان»(٤).

تحرّك الإمام الحسين الله نحو الكوفة ولكنه لم يزل يراقب الوضع، وكان يسأل كُلَّ مَن يلتقيه في الطريق عن أحوال الكوفة وأهلها، والتقى الفرزدق فسأله، فقال الفرزدق: «قلوب الناس معك وأسيافهم عليك»(٥).

⁽١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٧.

⁽٢) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٤٦.

⁽٣) المصدر السابق: ص٢٤٥.

⁽٤) االدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٤٢.

⁽٥) المصدر السابق: ص٥٤٦. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٦٩.

وسأل الحسين الله عبد الله العائذي عن خبر الناس في الكوفة، فقال: «أمّا أشراف الكوفة فقد أُعظِمت رشوتهم، ومُلِئَت غرائرهم، يُستهال ودّهم، ويُستخلص به نصيحتهم، فهم ألب واحد عليك، وأمّا سائر الناس بعد فإنّ أفئدتهم تهوي إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك»(۱).

١١ـ تكريم الأنصار وتشجيعهم

يب أن يرى الناس آثار ونتائج أعالهم في النظام الإداري، سيّم المكافأة على أعمالهم الصحيحة التي قاموا بها، ويذوقوا طعم التكريم والتقدير ليزداد تفانيهم ورغبتهم في العمل، لذا فقد سُرّ الإمام الله بخبر مبايعة مسلم بن عقيل، وشكر الناس على موقفهم هذا، وسعى الإمام بعمله هذا إلى الحفاظ على علاقته الحميمة بالناس وتعزيزها وتقويتها، ليهيئ الناس ويعدّهم للقيام بالخطوات الآتية بأفضل شكل.

أرسل الإمام الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين بالكوفة وفيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين بالكوفة، سلام عليكم، أمّا بعد فإنّ كتاب مسلم بن عقيل ورد عليّ باجتماعكم لي، وتشوّقكم إلى قدومي، وما أنتم عليه منطوون من نصرنا والطلب بحقّنا، فأحسن الله لنا ولكم الصنيع، وأثابكم على ذلك بأفضل الذخر، وكتابي إليكم من بطن الرمة، وأنا قادم عليكم وحثيث السير إليكم، والسلام»(٢).

١٢ـ تعبئة الرأي العامر

يجب على قادة الثورة أن يهتمّوا بأفكار عامّة الناس وينالوا تأييدهم، ويعملوا

⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٦. الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٤٨.

⁽٢) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٥٤٦.

على تنوير أذهانهم تجاه ما يعملون ليزداد وعيهم السياسي، ويواكبوا المناضلين بأفضل شكل. إنّ عدم تنوير أذهان عامّة الناس يُتيح الفرصة للأعداء ليقوموا بإضلال الناس وتشويش أذهانهم، ويفتح الباب أمامهم على مصر اعيه ليكيلو االتّهم ويفتر واكما يشتهون.

لذلك فإن أوّل لقاء للإمام الحسين الله بأهل الكوفة (أصحاب الحرّ) كان عندما حان وقت صلاة الظهر، وقد خرج الإمام الله من خيمته بعد الأذان وقبيل الصلاة ليتحدّث إلى معسكر الحرّ ويشرح لهم سبب قدومه إلى الكوفة، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: «أثّما الناس، إنّها معذرة إلى الله (عزّ وجلّ) وإليكم، إنّي لم آتكم حتى أتتني كُتُبُكم، وقَدِمَت عليّ رُسُلُكم: أن أقدِم علينا، فإنّه ليس لنا إمام، ولعلّ الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدِم مِصرَكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدّمي كارهين أنصر فت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم» ((). فسكت الحرّ وأصحابه، ثمّ صلى الحسين الله بين معالمية والمحابه معاً.

وبعد أن استراح الجميع، وحان موعد صلاة العصر صلّى بهم الحسين النيا أيضاً، ثمَّ انصرف بوجهه إلى معسكر الحرّ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: «أيُّها الناس، فإنّكم إن تتقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أوْلى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أنتم كرهتمونا، وجهلتم حقّنا، وكان رأيكم غير ما أتتني به كُتُبُكم وقدمت به علي رسُلُكم انصر فت عنكم».

وفي منطقة ذي حسم قام الإمام الحسين الله بتحليل الأوضاع وبيّن دوافع نهضته، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها واستمرّت جدّاً، فلم يبقَ منها إلّا صُبابة كصُبابة

⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٦.

الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً»(١).

وفي منطقة البيضة تحدّث الإمام الحسين الله مرّة أُخرى إلى معسكر الحرّ ليُفهّمهم ويُطلَعَهم على الأوضاع، ويُغيِّر الظروف لصالحه قَبْل أن تَصل القوى المساندة لمعسكر الحرّ، فقال الله الناس، إن رسول الله الله الله عمل ألى سلطانا جائراً مستحلاً فَحِرَم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيِّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يُدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ مَن غيّر، قد أتتني كُتُبكم، وقَدِمَت عليّ رُسُلكم ببيعتكم، أنكم لا تُسلموني ولا تخذلوني، فإن تمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله الله الله على بيعتي من أعناقكم، فلعمري، ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم، والمغرور مَن اغترّ بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومَن نكث فإنّا مسلم، والمغرور مَن اغترّ بكم، والسلام عليكم ورحة الله وبركاته "".

١٣ ـ التغيير على أساس رأي الشعب

السلطة حقّ الشعب، فلهم الحقّ أن يفوّضوها إلى مَن يشاؤون، ولهم الحقّ أن يدعوا مَن يشاؤون ليقودهم، ليس لأحد أن يحكمهم بالقوّة، وإذا حكمهم أحدُّ ما بالقوّة فإنّ حكومته تفتقد الشرعيّة، وعلى خلاف الثقافة العامّة آنذاك فإنّ الإمام

⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٥٠٥.

⁽٢) المصدر السابق: ج٤، ص٢٦٦، وج٤، ص٤٠٣.

الحسين الناس بقوة، وأن يتعامل مع أحد بقوة وقسوة، ولم يُرد أن يحكم الناس بقوة، وأن يقمع مخالفيه من أجل الحكم، والشواهد على هذا في نهضة الإمام كثيرة، فكان النالا يؤمن بحق الحياة لعدوة.

التقى الإمام الله بالحرّ وأصحابه - البالغ عددهم ألف مقاتل - في أوّل يوم من شهر محرّم سنة إحدى وستين من الهجرة، فقال لفتيانه: «اسقوا القوم وأرووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً». وعن عليّ بن الطعّان المحاربي، قال: «كنت مع الحرّ بن يزيد، فجئت في آخر مَن جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين ما بيَّ وبفرسي من العطش، قال: يا بن أخي، أنخ الجمل، فأنخته، فقال: اشرب فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين: اخنث السقاء - أي: أعطفه - قال: فجعلت لا أدري كيف أفعل، قال: فقام الحسين الله فخنثه فشربت وسقيت فرسي»(۱).

أراد الإمام الله أن يقوم بعملية التغيير من خلال سلطة الشعب وتأييدهم المسبق، وكان الله ينتقد غطرسة حكومة بني أُميّة المتسلّطة بالقوّة.

وخاطب الإمام على معسكر الحرّ قائلاً: «ونحن أهل بيت محمّد أَوْلى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان»(٢).

الإمام الله لا يريد الحرب وسفك الدماء، ولا يريد أن يفرض نفسه على الناس بالقوّة؛ فلذا قال للحرّ وأصحابه: «وإن أبيتم إلّا كراهية لنا والجهل بحقّنا، فكان رأيّكم الآن غير ما أتتنى به كُتُبُكم وقَدِمَت به على رُسُلُكم، انصر فت عنكم»(٣).

كان الإمام الله يرى أنّه من حقّ الناس أن يرضوا به أو يرفضوه، لذا فقد تحدّث مرّتين مع أصحاب الحرّ، ومرّة مع أصحاب عمر بن سعد، وقال لهم: «إن كرهتموني انصرفت عنكم».

⁽١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٢.

⁽٢) المصدر السابق: ج٤، ص٣٠٣.

⁽٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٦٤.

في الثالث من محرّم أقبل عمر بن سعد بن أبي وقاص بأربعة آلاف من الكوفة إلى كربلاء واستقرّ إزاء معسكر الحسين الله وأرسل رسولاً إلى الإمام الله يقول له: «ما أقدمك إلى العراق»، فقال الإمام الحسين الله للرسول: «أبلغه عني: أنّ أهل هذا الحصر كتبوا إليّ يذكرون أن لا إمام لهم ويسألونني القدوم عليهم، فوثقت بهم فغدروا بي بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر ألف رجل، فلمّ ادنوت علمت غرور ما كتبوا به إليّ، فأردت الانصراف إلى حيث أقبلت فمنعنى الحرّ بن يزيد»(۱).

لقد حاور الحسين النه ابن سعد بطريقة سلميّة ولغة مرنة، الأمر الذي جعل ابن سعد يكتب إلى ابن زياد: «أمّا بعد، فإنّ الله أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأُمّة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه، أو أن يسير إلى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فيرى فيها بينه وبين رأيه، وفي هذا لكم رضيً وللأُمّة صلاح»(٢).

والظاهر أنّ عمر بن سعد أضاف موضوع البيعة ليزيد إلى ما اتّفق عليه مع الإمام الحسين الله ليُسِرَّ بذلك ابن زياد؛ لأنّ هذا الأمر يتناقض بوضوح وبصورة جذرية مع جميع مراحل حركة الإمام الحسين الله فلمّا قرأ ابن زياد كتاب ابن سعد، أنشد يقول:

الآن إذ علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناص

وكتب إلى عمر بن سعد: «قد فهمت كتابك فاعرض على الحسين البيعة ليزيد، فإذا بايع في جميع مَن معه فأعلمني ذلك ليأتيك رأيي».

فأرسل ابن سعد بكتاب ابن زياد إلى الحسين، فقال الحسين للرسول: «لا أُجيب ابن زياد إلى ذلك أبداً، فهل هو إلّا الموت فمرحباً به»(٣).

⁽١) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٥٣.

⁽٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٦٤.

⁽٣) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٥٤.

14- النضال عبادة كسائر العبادات

الإسلام يعني التسليم لله، ويجب أن تكون جميع حركات وسكنات المسلم عبادة لله، وعليه فإنّ الثورة في رأي الإمام الحسين المليلة هي عبادة، وفي حالة عدم إمكانية الجمع بين عبادتين يجب أن لا تُترك سائر العبادات، فالإمام المليلة لم يستطع أن يستمرّ في أداء مناسك الحجّ وفي الوقت ذاته يحافظ على حياته من خطر الاغتيال، ولذا رجّح الأهمّ على المهمّ، فترك الحجّ وذهب إلى الكوفة.

لقد كان اهتهام الإمام الحسين الله بسائر العبادات كبيراً وملفتاً للأنظار عندما كان يستطيع الجمع بين العبادات، فعندما التقى الإمام الله بالحرّ وأصحابه وحان وقت صلاة الظهر صلّى الإمام الحسين الله بأصحابه وأصحاب الحرّ جميعاً، وبعد أن استراح الجميع وحان وقت صلاة العصر أمّ أبو عبد الله الله المعسكرين معاً، وفي ليلة عاشوراء طلب عمر بن سعد من الإمام الله البيعة أو القتال، فقال الحسين الله لأخيه العباس: «ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى الغدوة وتدفعهم عنّا العشيّة؛ لعلّنا نصليّ لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد أحبُّ الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار»(۱).

•

⁽١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩١٠.

⁽٢) المصدر السابق: ج٢، ص١٦٥.

وفي ظهيرة يـوم عاشـوراء_والقتال على أَشَّـدُه_صلّى الحسين اللهِ بأصحابه صلاة الخوف ومن ثُمَّ واصل القتال.

النتيجة

أهم ميزة لخُلُقُ الثورة عند الإمام الحسين الله هو أنّ النضال والمواجهة ينطلق من أُسس ومبادئ، مستوحاة من القرآن والسنّة القطعيّة والأُصول الإنسانيّة.

المواجهة والنضال من الأُمور المتعلِّقة بحياة الناس، والله تعالى أمر نبيّه الكريم على في القرآن الحكيم أن يستشير الناس في إدارة أُمورهم، والمشورة في الفكر القرآني هي استراتيجيّة وتكتيك أيضاً.

ومَن يناهض سلطة مُستبِدَّة عليه أن لا يكون مستبِدَّاً، بل عليه أن يستشير الآخرين، وهذا ما فعله الإمام الله بالتأكيد.

إنّ الالتزام بالعهود والمواثيق والعمل بها من المستلزمات الهامّة لحُلُق الثورة والنضال، والاهتهام بالظروف الأمنيّة من أجل المحافظة على القوى النضالية من الأُصول الهامّة الأُخرى لأخلاقيّة المواجهة؛ لأنّ أرواح الناس محترمة ويجب تركيز الاهتهام على سلامتها، وحتى أثناء القتال يجب العمل على أن تكون الخسائر في الأرواح قليلة جدّاً.

الخصومة وعدم الحواريضفي طابعاً عنيفاً على المواجهة؛ ولذلك فإنّ الإمام الحسين الله تعامل بشفّافية في جميع مراحل حياته وجهاده، وبعمله هذا منع من تفشي القسوّة والانحراف في الرأي العام؛ لذا لم يترك الله محاورة العدو في جميع مراحل خضته.

إنّ الذي يشعر بالخوف ويسيطر عليه اليأس ولا قدرة له على المجازفة عليه أن لا يدخل المعترك السياسي والمواجهة. إن قَدَاسة الثورة والنضال ترتبط بمدى طهارة وسلامة القادة والقوى الرئيسة أو النشطاء السياسيين، وإلّا لا يُعوَّل على المنظومة التي أسسوها بعد تحقّق النصر أبداً، ولنّ يمرّ وقت طويل حتى يقوموا بمارسة نفس الأعمال التي مارسها أُولئك الذين واجهوهم وثاروا عليهم.

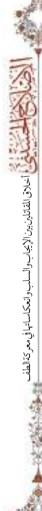
ويدون معاضدة ومناصرة الأفكار العامّة والقوى المساندة لا تنجح الثورة ولا يحقُّق النضال أهدافه المنشودة. لقد دعا الإمام الحسين الله كُلُّ مَن كان يتوقّع منه المعونة والتأييد في نهضته ونضاله عندما قرّر مواجهة السلطة الجائرة، وقد تسنح فرص أثناء المواجهة يمكن الاقتراب كثيراً بها من بلوغ الهدف إذا استُغلت بطريقة لا أخلاقيّة وغير إنسانيّة ومخالفة للمروءة.

إنَّ مَن يؤمن بالقيم الأخلاقيَّة في الحرب والمواجهة، يجب عليه اكتساب المعلومات الدقيقة، واتِّخاذ القرار الصائب عن بصيرة وعلم خلال مسيرتة النضالية؛ لأنّ جميع المساعي والجهود تذهب سدى بأقل تصرّف غير مدروس وتُراق دماء كثيرة عبثاً. لابد أن يرى الناس نتائج أعمالهم، وأن يُكافؤوا على أعمالهم الصالحة ليز دادوا رغبة فيها ويُشجّعوا عليها ليتفانوا في أدائها.

يجب على قادة الثورة أن يهتمّوا بأفكار عامّة الناس وينالوا تأييدهم، ويعملوا على تنوير أذهانهم تجاه ما يعملون، وإن عدم تنوير أذهان عامّة الناس يتيح الفرصة للأعداء ليقوموا بإضلالهم وتشويش أذهانهم، ويفتح الباب أمامهم على مصراعيه ليكيلوا التّهم ويفتروا كيفها شاؤوا.

إنّ ممارسة العنف لا تنسجم مع الأخلاق الرحمانيّة، بل إنّ مراعاة القيم الأخلاقيّة تقلُّل من العنف، وليس النضال أمراً هجوميّاً ملازماً للقسوّة، بل القسوّة غير جائزة إِلَّا عند الدفاع، وفي رأي الإمام الحسين اللَّهِ فإنَّ النضال عبادة، ولا تترك عبادة أثناء المواجهة إلّا في حالة عدم أمكانية الجمع بينهما.





أخلاق المقاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف (القسم الأول)

د. طلال الحسن*

القدمة

طالما لعبت أخلاق المقاتل دوراً عظيماً في تحديد اتجاه بوصلة الانتصار أو الهزيمة، فربَّ لحظة صمود واحدة اقتلعت الخوف من قلوب المقاتلين فانتصروا، وربَّ لحظة خوف رهيبة جعلتهم يُولون الأدبار.

نعم، بكلمة واحدة من أبي عبد الله الحسين الله عندما رشقهم جيش عمر بن سعد بسيل من النبل، نادى بأصحابه: «هي رُسُل القوم إليكم، فقوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه»(۱)، فصنعوا ملحمة الانتصار الأبدي.

فالقادة الأفذاذ يحرصون كثيراً على تنقية قواعدهم من نقاط الضعف على مستوى أخلاق المقاتلين؛ ليقينهم الراسخ بأنَّ كلمة عابرة من ضعاف النفوس وقليلي الإيهان يُمكن لها أن تفتّ عضد الجيش بأسره، كما أنهم كانوا يحرصون بشكل أكبر على حصر

^{*} دكتور متخصص في علوم القرآن، أُستاذ في جامعة آل البيت المُهَلِّ العالمية.

⁽١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣ص ٢٥٠. وابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلي الطفوف: ص ٦٠.

قيادات الجيش وحملة الألوية بيد قادة أفذاذ، قلوبهم كزُبر الحديد، لا يُمكن أن يقع منهم تخاذل ولو بحساب الاحتمالات، وهذا ما نلمحه في قادة الطف، حيث جعل الإمام الحسين الله زهير بن القين على الميمنة، وحبيب بن مظاهر في الميسرة، وأعطى رايته إلى العباس بن علي الله أفذاذ، وتراجع أيّ واحد منهم ضرب من المحال.

وهذا ما يجعلنا نتفحص في شخصية المقاتل وأخلاقياته في جانبيها الإيجابي والسلبي معاً، ونقف على كيفية تعامل المقاتل مع القيادة العليا، وما هي أهدافه في القتال، وكيف تكون أخلاقه أثناء المعركة، في إطاريها الإيجابي والسلبي، وسيكون نموذجنا الإيجابي هو (أخلاق المقاتلين في جبهة الإمام الحسين اليلا)، وسيكون نموذجنا السلبي هو (أخلاق المقاتلين في جبهة يزيد وأعوانه)، ومن خلال هذين النموذجين التاريخيين سيتسنّى لنا قراءة واقع سوح القتال في عصرنا هذا المليء بالفتن، والحافل بورثة الفريقين معاً.

ومقالنا ككل ينقسم على قسمين رئيسيين يتناول القسم الأول مقومات الجانب الإيجابي من أخلاق المقاتلين، بينها يتناول القسم الثاني أخلاق المقاتلين في جانبها السلبى.

وسوف نقف في هذا القسم الأول على محورين أساسيين هما:

المحور الأول: مقوّمات الجنبة الايجابية في أخلاق المقاتلين

المحور الثاني: معسكر الإمام الحسين الله تجسيد عملي لما ينبغي أن تكون عليه أخلاق المقاتلين.

ويتضمّن كلا المحورين عدّة نقاط تستوفي البحث عن ذلك المحور بعون الله تعالى:

(١) أُنظر: ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٠٥٠.

711

المحور الأول: مقوّمات الجنبة الإيجابية في أخلاق المقاتلين

ويتضمّن هذا المحور البحث عن نقاط مهمّة هي:

أولاً: الجنديّة الصحيحة

للجندية الصحيحة مقوّمات كثيرة، سنقف عند الأهم منها، والتي لا يُمكن للجندية أن تكون بدونها، فهي أشبه ما تكون بذاتيات الماهية المشتملة على الجنس والفصل(١)، وهي:

١- الصحّة البدنية أو سلامة البدن

فلابد للمقاتل من صحَّة بدنية تُكنّه من أداء واجبه، فالشجاعة والإقدام لا يكفلان وحدهما أداء الواجب بالشكل المطلوب؛ إذ لابد من وجود مقتضيات أُخرى، ومنها الصحّة البدنية.

٢. الصحّة النفسيّة

لا ريب في أنَّ عدم الاستقرار النفسي يُولِّد قرارات سريعة وأزمات تُفقد المقاتل صوابه، ومن جملة الأُمور المتعلقة بالصحة النفسية هو الخلو من مرض الشكّ والحيرة والتردّد، وهذا ما اصطلح عليه القرآن الكريم (مرض القلب)، حتى يصل الأمر بهؤلاء إلى مودَّة الأعداء والتقرب إليهم؛ لأنّهم يخشون الهزيمة والوقوع بيد الأعداء، وقد عبّر عنهم قوله تعالى: { فَتَرَى ٱلّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَثُ يُسَرِعُونَ فِيمْ يَقُولُونَ فَخَشَى آن تُصِيبَنَا دَآبِرَةٌ فَعَسَى ٱللّهُ أَن يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرِ مِنْ عِندِهِ وَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي آنفُسِهِمْ فَرَث يُدِمِينَ ؟ (٢)، فلسان حالهم يقول: إنها نواد أعداء الله خشية أن يظفروا بالمسلمين في فَدُومِينَ ؟ (٢)، فلسان حالهم يقول: إنها نواد أعداء الله خشية أن يظفروا بالمسلمين

⁽١) تتكوَّن الماهية من جزأين، وهما: الجنس والفصل، فعند تعريفنا للإنسان تعريفاً حقيقيًا لابد أن يكون بجنسه وهو الحيوان، وبفصله وهو الناطق، فنقول: (الإنسان حيوان ناطق)، والجنس هو الجزء المشترك، والفصل هو الجزء المختصّ.

⁽٢) المائدة: آية ٢٥.

فيصيبونا معهم، ولكنّ الله تعالى يرجو النصر للمسلمين، وعندئذِ سيندم ضعاف النفوس ومرضى القلوب على ما أضمروا في أنفسهم من موالاتهم للأعداء.

إنَّ البدن أشبه ما يكون بالجبهة الخارجية، والقلب هو أشبه ما يكون بالجبهة الداخلية، وإذا ما اهتزّ ت الجبهة الداخلية وقعت الهزيمة، فمرضى القلوب منهز مون داخلياً، ولذلك تجد هؤ لاء أبطالاً في وقت السلم، ومتخاذلين في وقت الحرب، فإذا ما قرعت الحرب طبولها يصبحون كالخشبة اليابسة لا حراك فيها من شدّة الخوف، قال تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينِ ءَامَنُواْ لَوَلَا نُزَّلِتَ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتَ سُورَةٌ ثُمَّكُمَةٌ وَذُكِرَ فِهَا الْقِتَالُ ۗ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِي عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ }(١).

٣- التدريب والخبرة والمهارات الفردية

إنَّ كثرة التدريب وزيادة الخبرة الميدانية والمهارات القتالية تُقلِّل من الخسائر في المعركة، فلا ينبغي الاعتماد على الدعم الغيبي وحده دون توفير أسباب النصر، قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رَّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرَّهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }(٢)، ولا ريب في أنَّ الخبرة والمهارات من أبرز مصاديق القوة.

٤. الشجاعة والتضحية والفدائية والإقدام

عند مواجهة العدو وتوقّع الموت والشهادة في كل آنٍ، لابد حنيذاك من أرضية صلبة يقف عليها المقاتل، فالشجاعة والإقدام يمنحانه قوّة التقدّم والمواجهة، والفدائية والتضحية تمنحانه قوّة الصمود، وهذا ما نلاحظه بأروع معانيه في أصحاب الإمام الحسين الله في سجَّل التاريخ وأرباب المقاتل حالة جبن وتخاذل واحدة، بل لم يكن هنالك أوضح من معاني الشجاعة والتضحية والفدائية والإقدام والتفاني فيهم رضوان الله تعالى عليهم، رغم كثرة العدو وقلّة الناصر، ولعلَّ من أروع صور

⁽١) محمد: آية ٢٠.

⁽٢) الأنفال: آبة ٦٠

الشجاعة والإقدام فيهم هو تقدّمهم فرداً فرداً أمام جموع لا تملك أيسر أخلاقيات الجنديّة، ولو لاحظنا معسكر ابن سعد سنجد العكس تماماً؛ إذ كانوا يستمدّون شجاعتهم من الكثرة، فسجّلوا أبشع صور المنازلة برمي الخصم بالنبال عن بُعد؛ تفادياً عن المقابلة وجهاً لوجه.

٥ التزود بروح الانتصار وعدم الانهزامية

لابد للجندي الحقيقي من طاقة وقوة متجددة فيه، وهذا ما يتمثل بروح النصر، فهو منتصر في قوله وعمله، وفي جميع سلوكياته، دون أن يُصاب بالكبر والغرور، وما لم يكن الجندي منتصراً في عمقه فإنه سيكون مهدداً بالهزيمة والتخاذل؛ ولذا فإن الانهزاميين عندما يدخلون المعركة لا يفكرون إلا بالبحث عن فرصة الفرار، ويصطنعون الأعذار الواهية لذلك، كما هو حال المنافقين ومرضى القلوب في معركة الأحزاب (الخندق)، قال تعالى: {وَيَسُتَعُذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النِّيِّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَاهِى بِعَوْرَةً إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ بُرُورَاً } (١٠).

إنَّ روح الانتصار هي الوقود الحقيقي الذي يُحفِّز المقاتل لمواصلة المواجهة والصمود بوجه الصعوبات، وقد كان أصحاب الإمام الحسين الله ينطلقون في تفانيهم من هذه الروح العظيمة، وقد ترجموا هذا النصر بتضحيتهم وتفانيهم، فالنصر لا يعني بالضرورة القضاء على العدو بعدّته وعدده، وإنّا له معاني أُخرى أعظم وأجلّ، منها أن يتحقق الانتصار للمبادئ، ولذلك خرج أصحاب الإمام الحسين الله من الدنيا وهم يرتدون أوشحة انتصار المبادئ السامية على مبادئ الظلم والطغيان، فهم المنتصرون أبداً، كما أنَّ كل واحد من جيش ابن سعد كان يُدرك في قرارة نفسه، ويشعر في عمق وجدانه أنه مهزوم المبادئ ومهزوم الضمير، بل ومهزوم في القضية والوسيلة والهدف.

(١) الأحزاب: آية ١٣.

727

٦. انحصار الخياريين الشهادة والانتصار

إنَّ لغة المقاتل الحقيقي الممتثل لقو اعد الجندية الصحيحة عند خوض المعركة تدور بين مفر دتين لا غير، وهما: النصر أو الشهادة، فالشهادة مفادها شر ف الدنيا والآخرة، قال تعالى: { يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْهَلَ ٱذَٰكُمُ عَلَى تِعَزَوَ نُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيم * ثُوِّمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجُهُ فِهُدُونَ فِ سَبِيلِٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيُّ لَكُمْ إِنكُنتُمْ فَعَلَمُونَ * يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدُخِلُكُمْ جَنَّتٍ تَعْرِي مِن تَحْيِّهَا ٱلْأَنْهَرُ وَمُسَكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍّ ذَلِكَ ٱلْفَوْرُ ٱلْعَظِيمُ } (١١)، فإن نال النصر فهي الْأخرى التي يُحبها المؤمن، قال تعالى: { وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَ أَنْصَرُ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَنْحٌ قَرِيبٌ وَيَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ } (٢).

وقد كان أصحاب الإمام الحسين الله أكثر شوقاً للشهادة منهم للنصر الخارجي؛ لأنهم يرون بشهادتهم انتصارهم الحقيقي، وهو انتصار المبادئ الحقّة على مبادئ الظلم والطغيان، فنحروا بدمهم سيوف الأعادي، ومحقوا بمبادئهم مبادئ الجبت و الطاغوت.

٧. الحب والمودّة للقائد

حتُّ المقاتل لقائده ومودّته له من أولويات تحقيق النصر والغلبة؛ لأنَّ هذا الحبُّ هو جذوة كامنة في قلب المقاتل تزيح عنه الهمّ والغمّ، وقد كان أصحاب الإمام الحسين ذائبين ومتفانيين في شخصية الإمام الثِّلا، وكان هذا الذوبان والتفاني يُشعرانهم بالفخر والانتصار، وقد منحاهم من القوة والطاقة ما جعل كل واحد منهم بألف من جنود الأعداء، حتى أنَّ عمرو بن الحجاج الزبيدي ـ وهو من قادة جيش عمر بن سعد ـ لمَّا هاله ما رأى من كثرة قتلاه صاح بهم: «يا حمقي، أتدرون مَن تقاتلون؟ فرسان المصر، قوماً مستميتين، لا يبرزن فم منكم أحد»(٣).



⁽١) الصف: آبة ١٠ ـ ١٢.

⁽٢) الصف: آبة ١٣.

⁽٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص ٢٤٩.

٨. بذل قصاري الوسع والجهد

وهذا هو مقتضى الجنديّة الصحيحة، فلا يألو الجندي جهداً، ولا يدّخر وسعاً إلّا وبذله في خدمة المعركة، فتجده مضحّياً بهاله ونفسه وما تطاله يده، وقد ضرب لنا زهير بن القين أروع الأمثلة في ذلك، لما بعث له أبو عبد الله الحسين الله ليأتيه، فتباطأ قليلاً"، ثم لما جاءه ذكّره الإمام الحسين الله بحديث أسرّه له سلمان الفارسي رضوان الله عليه يوم حقّقوا نصراً في بلاد الروم، فرجع زهير من عند الحسين الله «مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فقُوض ومحمل إلى الحسين الله على قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فقُوض ومحمل إلى الحسين الله غير. ثم قال لامرأته ديلم: أنت طالق، الحقي بأهلك؛ فإتي لا أُحبّ أن يُصيبك بسببي إلا خير. ثم قال لأصحابه: مَن أحبّ منكم أن يتبعني، وإلا فهو آخر العهد، إني سأُحدثكم حديثاً: إنّا غزونا البحر، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي رضي الله عنه: أفرحتم بها فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم مما أصبتم اليوم من الغنائم. فأمّا أنا فأستودعكم الله. قالوا: ثم والله عليه ما ذال في القوم مع الحسين الله حتى قُتل رحمة الله عليه» (**).

وهكذا صيَّر زهير بن القين كل ما عنده من مال ونفس وإمكانات في خدمة نهضة الإمام الحسين الله وما ذلك إلّا لأنّه آمن بقضيته وتفانى في قائده وسخَّر كل وجوده لذلك؛ ولأنّه كان من الذين إذا ذُكِّروا بالحقّ اتعظوا ولم تأخذهم العزة بالإثم.

729

⁽۱) لما أحسَّت السيّدة ديلم بنت عمرو زوجة زهير أنَّ زوجها قد تباطأ بالاستجابة لدعوة الإمام إليه قالت الله متعجّبة: «سبحان الله! أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟! لو أتيته فسمعت من كلامه». أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢ ص ٧٣. وأبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين الله : ص ١٦١. (٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص ٧٣. الطبري، محمد بن جرير ، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥

⁽٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج٥ ص٣٩٦. أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين الله : ص٧٥. وغيرها من المصادر.

ثانياً: تعامل المقاتلين مع القيادة

اتّضح أنّ من مقتضيات الجندية الصحيحة هو تحقيق الطاعة للقادة في القول والعمل، فلا ينبغي للمقاتلين أن يخالفوا قادتهم في قول، ولا يتخلّفوا عنهم في عمل، وهذه الطاعة القولية والعملية هي من أهم علل تحقيق الانتصار، ومن دونها يفقد الجيش فرصته في التفوِّق، فالقائد وحده لا يمكنه أن يُحقِّق انتصاراً ميدانياً من دون قاعدة تشدّ من أزره وتنفّذ أوامره.

ولذلك؛ فالجندية الصحيحة تقتضي الطاعة في القول والعمل، وهذه الطاعة تكليف شرعى لا يجوز التنصّل عنه.

ثَالثاً: أهداف المقاتلين في القتال

إنَّ المقاتل في سبيل الله ليس بيدقاً يُساق كما تُساق البهائم، وإنّما هو كيان مفعم بالحياة الكريمة والنبيلة، فروحه توَّاقة للشهادة ولقاء الله تعالى، وفكره مشغول بدحر الأعداء، وبدنه في شغل دؤوب لتحقيق النصر.

هذا هو المقاتل المؤمن؛ ولذلك لابد أن تكون للمقاتل الحقيقي أهداف عظيمة يُكرِّس طاقاته لتحقيقها، وهي أهداف العزّة والرفعة وإعلاء كلمة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وهكذا أهداف نبيلة تستحق التضحية بالغالي والنفيس، فلا يصح من المقاتل أن يُقدم إلى المعركة وهو مُعبًا بأهداف صغيرة أو رخيصة، كطلب الغنائم، أو الشهادة له بالقوة والبطولة؛ فإنَّ النفوس السامية الرفيعة لا تنزع نحو الذات والأنا، وإنها تقفز بصاحبها دائهاً وأبداً نحو القمم الشاهقة، وليس هنالك أعظم من إعلاء كلمة الحق وإذلال كلمة الباطل، قال تعالى: {وَجَعَلَ كُلُمَةُ ٱللَّهِ هِي ٱلْعُلُكُ وَٱللَّهُ عَنْ يَرْحَكِيمٌ } (١).

(١) التوبة: آية ٠ ٤.

ومن هنا؛ لابد للمقاتل أن يراجع نفسه كثيراً، ويُكاشفها في واقعية الأهداف التي يُقاتل من أجلها، وكلما كانت المكاشفة سريعة وجريئة كلما تمكن المقاتل من تلافي الخطأ ومعالجته، ونُقِل أن رجلاً يُدعى قزمان، كان من أبطال العرب، وكان يُقاتل في معركة (أُحد) مع المسلمين، فكان أول مَن رمى بسهم من المسلمين، ولقوة ساعده كان يرمي النبل وكأنها رماح، ففعل الأفاعيل، وقد كان رسول الله على إذا ذكره قال: من أهل النار.

فيتعجَّب المسلمون، فلم انكسر المسلمون، كسر جفن سيفه وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار، فيدخل بالسيف وسط المشركين، حتى يقال: قد قُتل. ثم يطلع فيقول: أنا الغلام الظفري، حتى قتل منهم سبعة، وأصابته الجراحة، وكثرت فيه، فوقع فمرَّ به قتادة بن النعمان، فقال له: هنيئاً لك الشهادة. قال قزمان: إني والله ما قاتلت على دين، وإنها قاتلت لأمنع قريش من أن تسير إلينا فتطأ سعفنا. قال: فآذته الجراحة فقتل نفسه، فقال النبي على الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر(۱).

ولذلك ينبغي للمقاتل الحقيقي أن يتحقّق من أهداف مشاركته وقتاله للأعداء، وكما قلنا لابدَّ أنَّ يُكاشف نفسه في واقعية الأهداف التي يُقاتل من أجلها، وكلما كانت المكاشفة سريعة وجريئة كلما تمكّن المقاتل من تلافي الموقف ومعالجته، ولا ينبغي التغافل عن الحديث النبوي الشريف: «إنها الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى»(۱)، وقوله عَلَيْ (نية المؤمن خير من عمله، ونيّة الكافر شرٌّ من عمله. وكل عامل يعمل على نيّته»(۱).

⁽۱) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٤، ص٢٣٤. الواقدي، محمد بن عمر، المغازى: ج١، ص٢٦٣.

⁽٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٤، ص١٨٦، ح١٥٩.

⁽٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٨٤، ح٢.

رابعاً: أخلاق المقاتلين أثناء المعركة

هنالك أخلاق خاصة بالمقاتل المسلم لابد من الاتِّصاف بها والعمل على ضوئها، منها:

١- الإيشار والحرص على سلامة إخوته المقاتلين كحرصه على نفسه، وصور الإيشار كثيرة جداً، فعلى سبيل المثال عليه ألا يترك جريحاً يُكابد الألم من إخوانه المقاتلين إلا وأسعفه وعمل على إخلائه من ساحة المعركة بقدر المستطاع.

٢- أن لا يُجهز على جريح من العدو، بل ينبغي أن يعمل على إسعافه إن أمكنه ذلك، ولا يُقصِّر في ذلك؛ فإنّه يؤدي بذلك أبلغ وأجلّ رسالة لإعلاء صوت الحق وإيصاله إلى وجدان العدو، كما أنَّ عليه أن لا يُرهب امرأة أو طفلاً، ولا يُسيء إلى أسير، فهذه هي قيم الإسلام وتعاليمه السمحة التي بها سيُحقّق المقاتل العقائدي نصراً عظيماً على أهواء النفس الآمرة بالانتقام؛ فإنَّ قوّة الصبر وكظم الغيض وعدم الاستجابة للرغبة بالانتقام لهي من أهم عناصر النصر الحقيقي.

٣- أن لا يُفصح عن أسرار المعركة حتى لزملائه فيها إذا اختصه القائد بذلك فضلاً عن غير زملائه؛ فحفظ السرِّ من مقوِّ مات تحقيق النصر.

٤ ـ تنفيذ الأوامر بحذافيرها، فلا يتقاعس في شيء منها أبداً؛ لأنّه ما جاء ليقضي أوقات فراغ، وما جاء ليلهو، وعليه أن يُدرك بأنَّ أروع صور شرف الجندية تكمن في أخلاقيات الالتزام بالأوامر، فيُقدم لأداء مهامه باسلاً مغواراً، مُردِّداً في سرِّه قوله تعالى: {وعَجِلْتُ إِلْيَكَ رَبِّ لِنَرْضَىٰ } (١)، وينبغي أن يتعظ بها وقع في معركة أُحد؛ فإنَّ تعلى: السبب المباشر في انكسار المسلمين فيها ـ بعد أن كانوا منتصرين ـ هو عدم انصياع بعض الصحابة لأوامر النبي على المروث على جبل الرماة، فكشفوا ظهر المقاتلين المسلمين للعدو بعد نزوهم من الجبل طمعاً بالغنائم، فلم ينالوا نصراً ولا

(١) طه: آية ٨٤.

العدد العاشر _

غنائم، بل لم يُبقوا على حياتهم إذ طالتهم سيوف الأعداء.

٥- أن يتجنَّب إصدار كلمات تؤدّي إلى إضعاف همم المقاتلين، ولو عن غير قصد، بل عليه أن يكون متفائلاً مستبشراً على الدوام، ولابد من التسلّح دائماً بالكلمات التي تذكّر المقاتلين بدورهم والأجر الذي أُعدّ لهم، والتي ترفع من الحالة المعنوية لهم، وإذا لم يمكنه ذلك فلابد له من السكوت.

7 ـ أن لا يظهر منه سلوك ـ في قول أو عمل ـ يدلّ على استهزاء أو استخفاف بمقاتل من زملائه، فضلاً عن قائدٍ من قادته، بل عليه أن يحرص كثيراً على تقدير جهد كل مقاتل ولو كان صغيراً جداً.

٧- أن يتجلَّى حرصه عملياً على الالتزام بالعبادات، لا سيّما الصلاة، بل عليه أن يكون قدوة في ذلك، فيُعجِّل في صلاته في أول وقتها، كما فعل الإمام الحسين اليَّة في كربلاء، فقد روى أرباب المقاتل أنَّ أبا ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي لما رأى أنَّ أصحاب الإمام الحسين اليَّة قد قُتل منهم الرجل والرجلان، وقد تبيَّن فيهم ما يُقتل منهم، وأنَّ الأعداء كثيرون فلا يتبيَّن فيهم ما يُقتل منهم، وأنَّ الأعداء زاحفون إليهم، اقترب من الإمام الحسين اليَّة وقال له: «يا أبا عبدالله، نفسي لك الفداء! إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله، لا تُقتل حتى أُقتل دونك إن شاء الله، وأُحب أن ألقى ربي وقد صليتُ هذه الصلاة التي قد دنا وقتها. فرفع الإمام الحسين رأسه، ثم قال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها» (١٠).

المحور الثاني: معسكر الإمام الحسين الله التجسيد العملي والمثالي لأخلاق المقاتلين

وسنتناول في هذا المحور نقاط مهمّة أسهمت بشكل فاعل في جعل معسكر

المحساب وانعكاساتها في معركة الطف

⁽١) أُنظر: الأزدي، أبو مخنف، وقعة الطف (مقتل الحسين اللِّيني): ص١٤٢.

الإمام الحسين الله في كربلاء المصداق الأتم لما ينبغي أن تكون عليه أخلاق كل مقاتل في سبيل الله، ومن هذه النقاط:

أولاً: شخصية القائد (الإمام الحسين الله)

هو ابن بيئة العصمة، ولادة ورضاعة وتربية، وهو أبو العترة المعصومة المحتومة المعتومة المعتومة المعتوف على وجه الأرض نسب أشرف وأزكى من نسبه، ولا حسب أرفع من حسبه، تربّى في حجر الرسالة، وارتوى من ينبوع الولاية والإمامة، وكان لفرط حبّ جدّه الله يُركبه هو وأخاه الحسن على ظهره ويقول: «نِعمَ الجمل جملكما، ونِعم العدلان أنتما» (۱)، وقد اختصّه رسول الله يَلِيُّ بشيء تجلّت فيه جميع معالم الانتهاء الجسدي والروحي والمعنوي والفكري والرسالي، حيث قال فيه يَلِيُّ: «حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط» (۱).

كان الإمام الحسين الله قد ملك القلوب، فها ذُكر عند قوم إلّا وامتد حوه وأثنوا عليه؛ لما حباه الله تعالى بالحسب العالي، والنسب الزاكي، والخُلق الرفيع، والطهارة النبوية، والشجاعة الحيدرية، والوسامة والملاحة، فكان يقطر حُسناً، ويفيض حناناً، وكان لشدّه حُسنه سمّاً ورسول الله عَمَان الله عَمَانُ الله عَمَانُ عَمَانُ الله عَمَانُ الله عَمَانُ عَمَانُ الله عَمَانُ عَمَانُ عَمَانُ عَمَانُ عَمَان

وكان الكرم والعطاء من ذاتياته بنحوٍ يُثير العجب! فكان من خصائصه في العطاء أنه يشتد حياؤه من حياء السائل له(٤)، وذات يوم وفد أعرابي إلى المدينة فسأل عن أكرم

Y0£

⁽١) الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الإمام أمير المؤمنين: ج٢، ص٠٢٧، ح٧٣٨.

⁽۲) ابن قولویه، جعفر بن محمد، کامل الزیارات: ص۱۱، ح۱۱.

⁽٣) إذ ورد عنه عَنَّ هذا التعبير في روايات كثيرة. أنظر: الطبري، محمد بن جرير (الشيعي)، نوادر المعجزات: ص٨١. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٩٠١. وغيرها من المصادر الكثيرة.

⁽٤) أُنظر: التسترى، جعفر بن الحسين، الخصائص الحسينيّة: ص٢١.

الناس بها، فدلُّوه على الإمام الحسين الله ف فدخل فوجده مُصلياً، فوقف بإزائه وأنشأ:

«لم يخب اليوم مَن رجاك ومَن حرَّك من دون بابك الحلقة أنت جواد وأنت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقة لولا الذي كان من أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقة

فسلم الإمام الحسين وقال: يا قنبر، هل بقي من مال الحجاز شيء؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار.

قال: هاتها، فقد جاء مَن هو أحقّ بها منّا.

ثم نزع الله بُرديه ولفَّ الدنانير فيها، وأخرج يده من شقّ الباب حياءً من الأعرابي، وأنشأ:

خذها فإني إليك معتذر واعلم بأني عليك ذو شفقة لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سانا عليك مندفقة لكن ريب الزمان ذو غير والكفُّ منّي قليلة النفقة

فأخذها الأعرابي وبكي.

فقال له الإمام الحسين العلا: لعلُّك استقللت ما أعطيناك؟

قال: $extbf{K}$ ، ولكن كيف يأكل التراب جودك $extbf{L}$! $extbf{M}$.

وللّا رأى أن بعض أتباعه لا طاقة لهم بالقتال معه يوم عاشوراء، وكانوا قد بايعوه، فخرج إليهم ثم مسح جبينه وقال لهم ما معناه: لكل منكم زوجة وأولاد ولم تودعوهم، أو أب وأُمّ، أو مال لم تسلموه، أرجو أن لا يمنعكم حضوري من الرحيل، فهذا فرض عليّ وليس على غيري، سوى المنقطعين عن الدنيا، كلكم أحرار

(١) أُنظر: ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٢.

أقول: بكى الأعرابي لمجرَّد احتهاله أن يأكل التراب جود الحسين الله فكيف به في يوم اجتمع فيه اللئام على الكريم ابن الكرام، فتركوه مرمَّلاً بدمائه الزكية في عرصة كربلاء، مُلقىً على رمضائها مقطوع الرأس، ذبُلت شفاهه وتخشَّب لسانه من شدَّة العطش؟

اعلاق المقاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف

إذ رفعت عنكم البيعة. ثمّ أغمض عينيه واكتسى بالعباءة واختفى لكي لا يرى أحداً. إنَّ شخصية الإمام الحسين الله المتفانية العارفة بمبادئها الإلهية، لا تملك سوى الإقدام على تحقيق أهدافها؛ ولذلك كان الإمام الحسين الله مستعداً لمواجهة الأعداء ولو بقي وحيداً فريداً، وهذا ما أثبته قو لا وعملاً في كربلاء، فنراه يقف اله في أصحابه خطيباً قائلاً لهم: «اللهم، إنّي لا أعرف أهل بيتٍ أبرّ ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حلّ من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمّة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وتفرّقوا في سواده، فإنّ القوم إنّا يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري»(١).

ولذلك قال في رسالته لمحمد بن الحنفية وعموم بني هاشم: «بسم الله الرحمن الرحيم: من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومَن قِبَله من بني هاشم، أمّا بعد: فإنّ مَن لحق بي استُشهد، ومَن لم يلحق بي لم يُدرك الفتح، والسلام»(٢).

ولعلّ من أروع نهاذج القيادة الحكيمة للإمام الحسين الله نجاحه إلى حدّ لا نظير له في تطهير جيشه من الانتهازيين وضعاف النفوس والانهزاميين، وقد كان إعلانه صريحاً في ذلك في خطبة له في مكّة وقبل التوجّه للعراق؛ إذ خطب في أتباعه قائلاً: «مَن كان باذلاً فينا مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإنّني راحل مُصبحاً إن شاء الله تعالى»(٣).

ولمَّا حان وقت القتال استعلمت منه بطلة كربلاء السيَّدة زينب اللَّهُ قائلة: «أخي، هل استعلمت من أصحابك نيَّاتهم؛ فإنّي أخشى أن يُسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنّة؟ فبكى الله وقال: أما والله، لقد بلوتهم، فها رأيت فيهم إلّا الأشوس الأقعس،

⁽١) الصدوق، محمّد بن على، الأمالي: ص٠٢٢.

⁽٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٥٧.

⁽٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلي الطفوف: ص٣٨.

يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أُمّه »(١).

وكانت من ملامح شخصية القائد الفذّ فيه هو علوّ همّته وعظيم معنوياته، فكان الأصحاب إذا ما عصف بهم عاصف يستقون من صموده وبطولته فيغدون كالليوث الغضبي، ويغدو الأعداء بين أيديهم كالنعاج الخائفة جبناً منهم، وكان الشاخ اذا ما كرَّ بأعدائه يكرّ كالليث الغضبان، فلا يشدُّ على أحد إلا بعجه بسيفه فقتله، فلا يصمد أحد أمامه، وإذا ما أرادوا ردّه رموه بالنبال، فتسقط عليه وكأنها المطر، فيتقيها بصدره ونحره.

ثانياً: أخلاق المقاتلين في جبهة الإمام الحسين السَّا

إنَّ جميع ما تقدَّم من ملامح الجندية الصحيحة قد تجلَّت في أصحاب الإمام الحسين المعام المعام المعام المعام الحسين المعام المعام

ولكننا _ فيها يأتي _ علاوة على ما تقدم نريد أن نفتح ملفات جديدة تتعلَّق بأخلاقيات أصحاب الإمام الحسين الله فقد كان كل واحد منهم قدوة في تدينه وصدقه مع ربّه، فهلم إلى معسكر الإمام الحسين نستقرئ بعض ملامح أخلاقيات

⁽١) العاملي، عبد الحسين شرف الدين، المجالس الفاخرة: ص ٢٣٠. الشريفي، محمود، كلمات الإمام الحسين الله: ص ٤٠٠. الأشوس هو المقاتل الشديد الجريء في القتال، والأقعس هو الثابت الذي لا يلن.

⁽٢) الصدوق، محمّد بن على، الأمالي: ص٠٢٢.

مقاتليه على شكل صور نصوغها بها نستطيع من أحرف.

الصورة الأُولى: رهبان بالليل لهم دويٌّ كدويّ النحل بتلاوة الكتاب والدعاء

لو تجوَّ لنا بين خيمات معسكر الإمام الحسين الله فإننا لا نلمح فيها إلَّا مَن هو قائم يصلِّي أو تـال للقرآن، حتَّى أصبحت ليلة عاشـوراء ليلة التبتّل وليلـة القرآن، وكأنَّ القرآن قد أُختتم في عاشوراء، وكأنَّ عاشوراء غاية القرآن؛ فكلاهما مجلى للأسياء والصفات، وكلاهما قلعة يتحصَّن مها الإنسان.

وكأبّهم هم المقصودون سلفاً في كلمة الإمام الصادق الله وهو يصف كنوز الطالقان من أنصار الإمام صاحب الزمان اليلا، إذ قال: «يتمسّحون بسرج الإمام اليلا، يطلبون بذلك البركة ويحفّون به، يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم، رجال لا ينامون الليل، لهم دويٌّ في صلاتهم كدويِّ النحل، يبيتون قياماً على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأَمَة لسيّدها، كالمصابيح كأنّ قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون يدعون بالشهادة» $^{(1)}$.

الصورة الثانية: الشوق لملاقاة الله واليقين بالمبدأ

في ليلة العاشر من محرم كان معسكر الإمام الحسين الله قد ضمّ صحابياً جليلاً في مطلع العقد الثامن من عمره، وهو حبيب بن مظاهر الأسدي، وكان يُهازح رفيقاً له يُدعى يزيد بن الحصين الهمداني، وكان من الزهَّاد، فقال الهمداني الزاهد: يا أخي، ليس هذه بساعة ضحك. قال حبيب متعجَّباً: فأي موضع أحق من هذا بالسرور؟! والله، ما هو إلاَّ أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين (٢).

⁽١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥١، ص٥٠٨. اليزدي الحائري، على، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب: ج٢، ص٢٥٨.

⁽٢) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج١، ص٢٩٣. المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليَّةِ: ص٢١٦.

وفي صباح يوم العاشر من محرم يتكرَّر ذلك الموقف، ولكن بين سيّد القرَّاء برير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري، عندما وقفا على باب خيمة الإمام الحسين اللهِ ، فجعل برير يُضاحك عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن: يا برير، أتضحك؟! ما هذه ساعة ضحك ولا باطل. فقال برير: لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، وإنها أفعل ذلك استبشاراً بها نصير إليه، فوالله، ما هو إلّا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة ثم نعانق الحور العين (٢).

الصورة الثالثة: رفض أمان العدو

جاء شمر بن ذي الجوشن حتى وقف على أصحاب الحسين الله فقال: أين بنو أُختنا؟ فخرج إليه العبّاس وإخوته من أُمّه، فقالوا: ما تريد؟ فقال: أنتم يا بني أُختي آمنون. فقالت له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك! أتؤ مننا وابن رسول الله لا أمان له؟! (٣).

وفي خبر آخر أنَّ أبا الفضل العبّاس قال للشمر: لعنك الله ولعن أمانك! أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له، وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء؟! فلمَّا عاد العباس قال له زهير بن القين: لما أراد أبوك أن يتزوج طلب من أخيه عقيل أن يختار له امرأة ولدتها الفحولة ليتزوجها فتلد غلاماً شجاعاً، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فقال العباس: والله، لأرينك شيئاً ما رأيتَه (٤).

الصورة الرابعة: تواصى بعضهم لبعض بالإمام الحسين العَلا

لما صُرع مسلم بن عوسجة مشى إليه الإمام الحسين الله ومعه حبيب، فقال

المحتاج المستلج أعلاق القاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف

⁽١) شرف الدين، عبد الحسين، المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: ص٢٣١.

⁽٢) أُنظر: ابن طاووس، على بن موسى، اللهوف في قتلي الطفوف: ص٥٧.

⁽٣) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨٩.

⁽٤) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين الله : ص٧٠٩.

حبيب: عزَّ عليَّ مصرعُك يا مسلم، أبشر بالجنة. فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشَّرك الله بخير. فقال حبيب: لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه لأحببت أن توصي إليَّ بكل ما أهمك، حتى أحفظك في كل ذلك بها أنت له أهل من الدين والقرابة. فقال ابن عوسجة له: بلى أُوصيك بهذا رحمك الله. وأوماً بيده إلى الإمام الحسين الحيال أن تموت دونه، فقال حبيب: أفعل ورب الكعبة (۱).

الصورة الخامسة: طلب القربة إلى الله في أصعب المواقف وأحرجها

لّا انتهت السيدة زينب الله عندة لواء النسوة في الطف _ إلى جسد أبي عبد الله الحسين الله _ وهي المرأة المثكولة بإخوتها وابنيها _ بسطت يديها تحت جسده المقدس ورفعته نحو السهاء، ثم رمقت السهاء بعيون دامعة، وهي تقول: «إلهي، تقبّل منّا هذا القربان» (۲)، لتقدّم بذلك السيدة زينب الله أروع فصول الصبر والصمود في ملحمة كربلاء.

ثالثاً: نماذج خالدة من الطف

ارتأينا في السطور الآتية عرض قبس من سيرة نهاذج خالدة شاركت في رسم لوحة كربلاء وصنع ملحمة ستبقى ما بقي الدهر، ولا ريب في أنه لا مجال لتقدم أيّ أحد من أبطال كربلاء على شخصية الإمام الحسين الله الذي غطّى بشمسه أقهار الطفوف، ولا مجال لتقدم أيّ امرأة كذلك على السيدة زينب التي تحرَّكت النسوة بأنفاسها، إلا أننّا وجدنا من المناسب عرض نهاذج أُخرى عن القادة والنسوة في الطف؛ نظراً لكون الإمام الحسين والسيدة زينب الله هما محور معركة الطف، وقد مرّ ذكرهما ـ لا سيها الإمام الحسين في معظم هذه السطور، فوقع منا هذا الاختيار.

⁽١) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٦٢. والسماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين: ص ١٠٤.

⁽٢) أُنظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين الله: ج٢، ص ٣٠١.

النموذج الأول: القادة في الطف (أبو الفضل العباس الله)

القائد الحقيقي هو أول المضحّين، وهكذا كان سليل الدوحة العلوية أبو الفضل العباس، شاب في ريعان شبابه، كله فتوّة وقوّة، وكله عزيمة وشكيمة، بل ما عُرف في معسكر الإمام الحسين الله مَن هو أشدّ منه شكيمة ولا أمضى منه عزيمة؛ ولذلك كان الإمام الحسين الله يرى فيه زبدة المعسكر بأسره، فلمّا سقط صريعاً نادى: «الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي، الآن تبدّد عسكري، وشمُت بي عدوي» (١)، ثم بكى بكاءً شديداً.

إنَّ أبا الفضل العباس الله قد بيَّن شخصية القائد الفذ وبيَّن شخصية الجندي المطيع، فإذا مثُل أمام قائده ناداه: سيدي ومولاي. وإذا مضى لقتال القوم يجول فيهم وكأنّه الجيش بأسره، حتى تناهت ذكريات أهل الكوفة وسرحت بهم الذاكرة إلى تلك الضربات الحيدرية لأبيه أمير المؤمنين علي الله في بدر وأُحد والحندق وخيبر، وما كانوا ببعيدين عن صولاته في الجمل والنهروان وصفيّن.

وكان لشدّة بسالته قد ملأ معسكر ابن سعد رعباً، وظنّ البعض أنَّ علياً المرتضى قد بُعث حباً.

ثم لمَّا خلى المعسكر من كل ناصر، والصبية يبكون من شدّة العطش، لم يكن هنالك مَن يسعه كشف الطغام عن ضفة النهر سواه، فانتُدب للسقاية تمثّلاً منه بساقى الكوثر.

فلمًا رآه القوم حطّ بساحتهم كالصقر، وصال بركبهم كالليث، وشتَّت شملهم وأرغم أُنوفهم، كفّوا عنه وتحايلوا عليه، وكانوا يترصّدونه من وراء نخيلات أخجلها جبنهم فكان ما كان.

الحمال المحالم أعلاق القاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف

⁽١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٤، ص٤٣. وأيضاً: شرف الدين، عبد الحسين، المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: ص٢٩٧.

النموذج الثاني: شيبة الطف (الصحابي أنس بن الحارث الكاهلي)

كان الصحابي الجليل أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي شيخاً كبيراً، رأى النبي ﷺ وسمع حديثه، وشهد معه بدراً وحُنيناً، فاستأذن من الإمام الحسين للقتال، فبرز وهو شادّ وسطه بالعمامة، رافع حاجبيه بالعصابة، ولما نظر إليه الإمام الحسين بكي وقال: «شكر الله لك يا شيخ». ثم برز للقتال، فقتل على كبر سنّه ثمانية عشر رجلاً، ثم نال الشهادة رضوان الله عليه(١).

النموذج الثالث: الكلبي وزوجته (أُمروهب) في الطف

السيدة أُم وهب بنت عبد من بني النمر بن قاسط، زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، وكان زوجها عبد الله بطلاً شجاعاً شريفاً، لمَّا رأى القوم بالنخيلة يتجمّعون لقتال الإمام الحسين الله ، قال: «والله، لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً، وإنى لأرجو ألّا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيّهم أيسر ثواباً عندالله من ثوابه إياى في جهاد المشركين. فدخل إلى امرأته فأخبرها بها سمع... فقالت له: أصبت! أصاب الله بك أرشد أمورك، افعل وأخرجني معك. فخرجا ليلاً حتى أتى حسيناً فأقام معه»^(۲).

ولمّا أصبح يوم العاشر قام عبد الله بن عمير فقال: أبا عبد الله، رحمك الله ائذن لى لأخرج للقوم. فرأى الإمام الحسين رجلاً آدم طوالاً شديد الساعدين بعيداً ما بين المنكبين، فقال الحسين: إنى لأحسبه للأقران قتّالاً، اخرج إن شئت. فخرج فقتل يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله، ثم عاد وقد قُطعت أصابع كفه اليسرى، فأخذت أم وهب امرأته عموداً، ثم أقبلت نحو زوجها تقول: فداك أبي وأُمَّى! قاتل دون الطيّبين ذرية محمد عَيَّالله ، فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه،



⁽١) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين الله: ص٥١ ٥٠.

⁽٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٢٦.

وتقول: إنّي لن أدعك دون أن أموت معك. فلم يستطع ردّها، فجاء إليها الإمام الحسين الله وقال: جزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي رحمكِ الله إلى النساء فاجلسي معهن؛ فإنه ليس على النساء قتال. فانصر فت إليهن.

ثم برز زوجها مرة أُخرى فقتل من القوم رجالاً حتى أُثخن بالجراح واستُشهد، ولمّا انجلت الغبرة خرجت أُم وهب تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح التراب عنه وتقول: هنيئاً لك الجنة! أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك. فقال شمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود. فضرب رأسها فشدخه، فهاتت مكانها(۱).

إنَّ هذه الزوجة الصالحة كانت خير عون لزوجها في تلبية الواجب، فلما عاد وهو جريح لم يشغلها جرحه ولم تسأله عن حاجته، وإنّها امتلأ فمها بكلمة الولاء: فداك أبي وأُمّي! قاتل دون الطيّبين. ولمّا استشهد لم تنكسر قامتها، فمضت لرفيق دربها وأخذت رأسه تمسح التراب عنه وتبارك له ثمن الشهادة: هنيئاً لك الجنة! ولشدّة يقينها بذلك تمنّ أن تكون معه: أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك. فاستجاب الله تعالى دعوتها المباركة.

النموذج الرابع: الأُمر الصالحة وفتاها المطيع (فتي قُتل أبوه في المعركة)

عمرو بن جنادة، كان هو الفتى الذي استشهد وعمره إحدى عشرة سنة، كان قد استشهد أبوه في الطف، وكانت أُمه معه، فقالت لولدها: اخرج _ يا بني _ وقاتل بين يدي ابن رسول الله. فخرج، فقال الحسين: هذا غلامٌ قُتِل أبوه ولعل أُمه تكره خروجه.

فقال الشاب: أُمي أمرتني بذلك.

⁽١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٢٦. وأيضاً: السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين الثالة: ص١٧٩.

ثم برز وهو يقول: أميري حسين ونعم الأمير

على وفاطمة والداه له طلعة مثل شمس الضحى

سرور فــؤاد البشير النذير فهل تعلمون له مـن نظير؟ لــه غـــرّةٌ مـثـل بـــدر منير

فقاتل حتى قُتل وحُزَّ رأسُه ورمُي به إلى عسكر الإمام الحسين اللهِ فحملت أُمه رأسه، وقالت: أحسنت! يا بُني، يا سرور قلبي ويا قرة عيني. ثم رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته وأخذت عمود الخيمة، وحملت عليهم وهي تقول:

أنا عجوز سيدةٌ ضعيفة خاوياً بالية نحيفة أضربكم بضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة

فضربت رجلين فقتلتها، فأمر الإمام الحسين الله بصرفها ودعا لها(١).

هذه المرأة الصالحة ترمي بآخر نبلة في كنانتها، وهي فلذة كبدها، ولم يَدُر في خُلدها سوى نصرة الإمام الحسين الله ، مضى زوجها ولم يهدأ غضبها الثوري، وقدّمت ولدها ولم تهدأ ثورتها، وكانوا قد رموا برأس ابنها ليحرقوا قلبها به، لكنّها ما التفتت لمصابها بقدر التفاتتها لنصرة الحسين الله ، فأخذت رأس ولدها، ولسان حالها يقول: ما أعطيناه لا نستردّه. فرمت رجلاً من الأعداء برأس ولدها فقتله الله بذلك؛ عسى أن يشفي غليلها ويُمدِّئ روعها ويميط عنها غضبها، ولكنّها ثائرة أصيلة لا تنطفئ نائرة غيظها، فأخذت عموداً وقتلت به رجلين من الأعداء، وكأنّها بحرهائج من الغضب، معتذرة من الإمام الحسين الله بأنّها عجوز لا تقدر على شيء، ولكنها قدَّمت كل شيء، وكادت أن تنال الشهادة لولا أنّ الإمام الله على الله على الله على الله على النسوة، وكادت أن تنال الشهادة الولا أنّ الإمام الحيل الله على الأعداء والمنا الشهادة الحادي المطبع لقائده، ولعلّه الله خيّم النسوة، فاستجابت له استجابة الجندي المطبع لقائده، ولعلّه الله خيّم عليها من الأعداء فاستجابت له استجابة الجندي المطبع لقائده، ولعلّه الله خيّم عليها من الأعداء فاستجابت له استجابة الجندي المطبع لقائده، ولعلّه الله خيّم عليها من الأعداء فاستجابت له استجابة الجندي المطبع لقائده، ولعلّه الله خيّم عليها من الأعداء السيورة المناه الله الستجابة الجندي المطبع لقائده العداء السيورة المناه الله الستجابة الجندي المطبع لقائده المناه الله الستجابة الجندي المليع لقائده المناه الشهادة المناه الشهادة المناه المناء المناه المن

⁽١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٥، ص٢٧-٢٨. وأيضاً: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين الله: ص١٥١.

رابعاً: نماذج لفرصة التحوّل الإيجابي

وهنا سيقع اختيارنا على النهاذج الثلاثة التي انتقلت إلى معسكر الإمام الحسين الله وسوف نرتبها بحسب السبق الزمني، وإن كان هذا الترتيب قد ناسب مقامهم وأشر فيتهم أيضاً، وهي:

النموذج الأول: زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي

بطل من أبطال العراق، كان نازلاً في الكوفة، ومن شخصياتها البارزة، وله في المغازي مواقف مشهورة ومواطن مشهودة، وقد مرَّت بنا جولة يسيرة حول كيفية تحوّل زهير بن القين إلى معسكر الإمام الحسين الله وأنّه ترك دنياه وطلّق زوجته ديلم بنت عمرو وراح فرحاً مستبشراً للإمام الحسين؛ ليكون جندياً مخلصاً ذائداً عنه. وما نريد الإشارة له في المقام عدة أُمور، هي:

١-إنَّ الرجوع إلى الحقّ فضيلة؛ ولذا لم تمنع زهير عزّته ومكانته في قومه من بيان أنّه لم يكن على حق في اعتقاده السابق، من ميل عن العترة وقرب من بعض الخصوم.

٢-إنَّ استجابته لم تكن خجولة أو متواضعة، وإنها ذهب إليه بكل وجوده، فأخلى
 عهدته من كل شيء، وراح لمعركة المصير بكلِّه.

٣-إنّه رضوان الله عليه قد أثبت ولاء بالقول والعمل، أما العمل فالطفوف تُنبئك عن ذلك، وأما في القول فإنّه قال مقالة ملا بها قلب الإمام الله بهجة وسروراً، وملا بها قلوب الأنصار زخماً وإقداماً، وذلك لما أخبرهم الإمام الله بها سيكون عليه الحال في يوم العاشر وأحلّهم من بيعته وأذن لهم بتركه لمصيره مع الأعداء، فنهض زهير وكله شجاعة وحكمة وإقداماً فقال مفتدياً إمام زمانه: «يا بن رسول الله، وددت أني قُتلت ثم نُشرت، ثم قُتلت ثم نُشرت، ثم قُتلت ثم نُشرت فيك وفي الذين معك

الحمال المحالب أعلاق القاتلين من الاعاب والسلب وانعكاساتها في معه كة الطف

مائة قتلة، وإنّ الله دفع بي عنكم أهل البيت. فقال الإمام له ولأصحابه: جُزيتم خيراً» $^{(1)}$.

٤ - إنّه على بطولته وشهامته كان ذا بصيرة ثاقبة، فقد نقل الرواة أنّه لمّا هجمت خيول ابن سعد يقودهم شمر، أرسل الإمام الحسين الله بعض أنصاره ليستفهموا منهم عمّا جاء بهم، فوقع كلام بين عزرة بن قيس (٢) وبين حبيب بن مظاهر الأسدي، فردّ عليه زهير بن القين، فقال له عَزَرة: «يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت! إنها كنت عثمانياً. قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أنّي منهم؟! أما والله، ما كتبت إليه كتاباً قطّ ولا أرسلت إليه رسولاً قطّ، ولا وعدته نصرتي قطّ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه، وعرفت ما يُقدم عليه من عدوه وحزبكم فرأيت أن أنصره وأن أكون في حزبه وأن أجعل نفسي دون نفسه؛ حفظاً لما ضيّعتم من حق الله وحق رسوله عليه السلام»(٣).

وقال مخاطباً أهل الكوفة في مورد آخر: «عبادالله، إنّ وُلْد فاطمة رضوان الله عليها أحقّ بالودّ والنصر من ابن سميّة، فإن لم تنصر وهم فأُعيذكم بالله أن تقتلوهم» (٤).

فهو _ رضوان الله عليه _ لم تكن بينه وبين الإمام الله مكاتبة أو مواعدة ليلتزم بها، ولكنّه رأى الحق حقّاً فاتّبعه، كما أنّه رأى الباطل باطلاً فاجتنبه، وهذا خير مثال على التحوّل الإيجابي.

٥ _ لما قام الإمام الحسين على خطيباً في أصحابه، فكان عمَّا قاله: «فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً»، فقام زهير بن القين ليكشف عن يقينه

⁽١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٢٠.

⁽٢) عَزَرة بن قيس الأحمسي، من قادة عمر بن سعد، أمره ابن سعد بالسير إلى الإمام الحسين الله الساله عمّا جاء به، فاستحيا عَزَرة ؟ لأنّه كان ممّن كاتبه وبايعه، فسأل مَن معه من الرؤساء أن يلقوه فأبوا ؟ لأنّه مكان عمّا كاتبوه، فلم يجد غير الحرّ الرياحي ليرسله ؟ لأنّه لم يكاتب الإمام الله .

⁽٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأَمم والملوك: ج٤، ص٣١٦

⁽٤) المصدر السابق: ص٣٢٤.

بين الإيجباب والسلب وانعكاساتها في معر كة الطؤ

بقضيته، وعن بصيرته بهدفه، وعن تفانيه بشخصية قائده الإمام الحسين الله فقال له: «سمعنا _ يا بن رسول الله _ مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنّا فيها مخلّدين، لآثرنا النهوض معك على الإقامة»(١).

فهو يُفضل الشهادة مع الإمام الحسين الله على الخلود في الدنيا، وأما الأعداء فلخبث سريرتهم كانوا يفضّلون خسيس العيش الزائل على حياة النعيم الخالدة في الجنة.

7- إنه لبطولته وشهامته وإقدامه قد انتخبه الإمام الحسين الله هو وسعيد بن عبد الله الحنفي عند حلول الصلاة في ظهيرة يوم العاشر ليقيا الإمام من السهام حتى يُنهي صلاته، وقد كان من روائع بطولته التي أدهش بها الجميع هو أنّه كان يمسك النبال القادمة صوبه بيده.

٧ ـ مؤمن آل فرعون: لما هدّده الشمر بالموت أجابه زهير: «أفبالموت تخوّفني؟! والله، للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم، ثم صاح بالناس: عباد الله، لا يغرنّكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله، لا تنال شفاعة محمد قطا قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا مَن نصرهم وذبّ عن حريمهم.

فناداه رجل من خلفه: يا زهير، إنَّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري، لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ»(٢).

وهذه شهادة عظيمة نالها زهير من أبي عبد الله الحسين الله فبعدما كان زهير عثمانياً صار علوياً حسينياً، ثم صار جندياً ملتزماً بجميع سهات الجندية، ولم يقتصر جهاده على سيفه، فجاهد بلسانه ليكون في الطّف شبيهاً بمؤمن آل فرعون، بل لنا أن نقول بالمقايسة في التسمية فنُسمّيه بمؤمن أهل الكوفة.

⁽١) أُنظر: شرف الدين، عبد الحسين، المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: ص٢٢٦.

⁽٢) أُنظر: السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين: ص١٦٦.

النموذج الثاني: الحرّبن يزيد الرياحي

لما اشتد العطش بالإمام الحسين التلا ومَن معه وقد منعهم الأعداء من ماء الفرات، ولم تنفع فيهم المواعظ، كان الحرّ يرقب الأمر وينتظر الفرصة للالتحاق بالركب الحسيني، فخرج الإمام الحسين الله ماسكاً بطرف لحيته، مخاطباً الناس: «اشتد غضب الله على اليهود حين قالوا: عزير ابن الله. واشتد غضب الله على النصاري حين قالوا: المسيح ابن الله. واشتدَّ غضب الله على المجوس حين عبدوا النار من دون الله، واشتد غضب الله على قوم قتلوا نبيهم، واشتدَّ غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيهم».

فضرب الحرّ بن يزيد فرسه قاصداً الالتحاق بمعسكر الحسين، فقدِم له منكَّساً رمحه، قالباً ترسه، وقد طأطأ برأسه حياءً من آل الرسول، رافعاً صوته: «يا أبا عبد الله، إنّى تائب، فهل لى من توبة؟ فقال الحسين الله عليك "(١).

فحمل هذا الوسام على صدره، وطلب الإذن من قائده الحسين الله في أن يكلم القوم، فأذِنَ له، فخطب بهم، ولكنَّهم طغاة ختم الله على قلوبهم، فصاروا صُمَّا بُكماً عُمياً، وكان جوابهم أن رشقوه بالنبل.

وشعر الحرّ الرياحي أنَّ السيف هو كلمة الفصل بينه وبينهم، فمضى لإمامه الحسين السلاط طالباً منه الإذن بالقتال، فأذِنَ له، ومضى يصول ويجول بهم، وهو القائد الشجاع، حتى قتل منهم أربعين شخصاً، فضُربت فرسه وعُقرت، فترجَّل عنها كالليث وهو يقول:

ولبانه حتى تسربل بالدم(٢)

ولم يتمكَّنوا منه، بل كانوا يفرّون منه فرار القطيع من الأسد، فقابلوه بالنبال غدراً

(١) الصدوق، محمد بن على، الأمالي: ص٢٢٣.

ما زلت أرميهم بثغرة نحره

⁽٢) السياوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين: ص ٢٠٩.

الكالكاكم

فصرعته (۱)، ولمّا انجلت الغبرة جيء به إلى الإمام الحسين الله فوسّدوه بين الشهداء، وكان الإمام الله في قد كان الإمام الله في النبيين وآل الإمام الله في في يضع الشهداء بعضهم على بعض ويقول: «قتلانا قتلى النبيين وآل النبيين» (۱)، ثم طرّز على صدر الحرّ أوسمة البطولة والوفاء، وقد كان في الحرّ رمق من الحياة، فمسح الدم عنه وقال: «أنت الحرّ كها سمّتك أُمّك، وأنت الحر في الدنيا، وأنت الحرُّ في الآخرة» (۱).

ثم انبرى فتى كربلاء على الأكبر ليرثي الحر الشهيد قائلاً: لنعم الحرّ حرّ بني رياح صبور عند مشتبك الرماح ونعم الحرّ إذ فادى حسيناً وجاد بنفسه عند الصباح(1)

بعد هذه الجولة اليسيرة في سيرة الحر الرياحي ينبغي علينا أن نُسلِّط الضوء على بعض المواقف الخالدة للحر، والتي عبَّرت عن طيب معدنه، وقد اخترنا من ذلك ثلاثة مواقف، وهي:

١ الحرّ مَن يختار الجنّة على النار

لما رأى الحرّ الرياحي أنَّ القوم قد صمّموا على قتال الحسين اللهِ قال لعمر بن سعد: أي عمر، أمُقاتل أنت هذا الرجل؟

قال: إي والله، قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي.

فتركه الحر، وأخذ يدنو من الإمام الله قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟

⁽۱) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج ٦، ص ٢٤٨ وص٠٥. وأيضاً: ابن شهر آشوب، محمد بن على، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٥٠.

⁽٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٤، ص٠٨.

⁽٣) المصدر السابق.

⁽٤) المصدر السابق. وقيل: إنّ الإمام الحسين الله هو الذي رثاه بذلك. أنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٣

فلم يجبه وأخذته رعدة، فقال له المهاجر: إنَّ أمرك لمريب، والله، لو قيل لي: مَن أشجع أهل الكوفة؟ ما عدوتك. فما هذا الذي أرى منك؟!

فقال له الحر: إني ـ والله ـ أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار، فوالله، لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطّعت وحُرقت.

ثم ضرب فرسه ملتحقاً بمعسكر الإمام الحسين الإالان.

٢. التوبة عمَّا سلف

ورد أنّ الحرّ لما جاء إلى الإمام الحسين الميلا قال: «جُعلت فداك يا بن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أنَّ القوم يردّون عليك ما عرضته عليهم، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، والله، لو علمت أنَّهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت منك الذي ركبت، وإنَّي تائب إلى الله تعالى مما صنعت، فترى لي من ذلك توبة؟». فقال له الحسين اليُّلا: «نعم، يتو ب الله عليك» (٢).

وبذلك تحرَّر الحرّ من نزعات النفس، وطهّر نفسه من نزغ الشيطان، بتلك التوبة النصوح؛ ولأنها نصوح كان لابد له من الاعتذار عمَّا بدر منه يوم جعجع بالحسين اليلا، ويوم وقف في قباله في جيش ابن سعد.

٣ـ المسارعة في النصرة

قال: «يا بن رسول الله، أتأذن لي فأقاتل عنك؟ فأذن له، فبرز وهو يقول: عن خير من حل بلاد الخيف»(٣) أضرب في أعناقكم بالسيف

لَّا قبل الإمام الحسين اللَّه توبة الحر الذي جعجع به بالأمس، طلب منه الإمام اللَّه النزول من فرسه ليأخذ موضعه في المعسكر، فقال له الحرّ قولته التي تحكي بطولته



⁽١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٩.

⁽٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٢، ص٩٩هـ٠١٠.

⁽٣) الصدوق، محمد بن على، الأمالي: ص٢٢٣.

وصدقه في توبته: «أنا لك فارساً خير مني راجلاً، أُقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري. فقال له الحسين الله في : فاصنع يرحمك الله ما بدا لك »(١).

فها كان يسع الحرّ وقد قُبلت توبته أن يترجّل عن جواده، فمضى وهو نقي الثوب ليغمد سيفه في أجساد الطغاة، ويغتسل غسل التوبة بدماء كربلاء ويُكفّن جسده برمالها.

النموذج الثالث: الأنصاريان سعد بن الحرث وأبو الحتوف

سعد بن الحرث الأنصاري وأخوه أبو الحتوف (٢) كانا من أهل الكوفة وهما من مُحكّمة الخوارج، فخرجا مع عمر بن سعد إلى قتال الإمام الحسين المالية.

فلمّا كان اليوم العاشر وقُتل أصحاب الحسين جعل الإمام الله ينادي: «ألامن ناصر فينصرني»، فسمعته النساء والأطفال، فتصارخن وسمع سعد وأخوه أبو الحتوف النداء من الحسين على أعدائه، فالا بسيفيها مع الحسين على أعدائه، فجعلا يقاتلان حتى قتلا جماعة وجرحا آخرين، ثم قُتلا معاً في مكان واحد (٣).

وقد شاء الله تعالى أن يختم لهما بالسعادة الأبدية بعد أن كانا من أهل الباطل، وإنّم الأُمور بخواتيمها، وبذلك قد ضربا مثلاً عظيماً في الرجوع من الباطل إلى الحق، وأيّ باطل كانا عليه، إنه الباطل القائم على إعلان حرب لا هوادة فيها على أمير المؤمنين على الله وأولاده وشيعته، ليتحوّلا إلى ولايته ونصرته والاستشهاد بين يدي ابن بنت رسول الله صلوات الله عليه.

⁽١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٠٠٠.

⁽٢) وهو غير أبي الحتوف الجعفي الشقيّ الملعون الذي رمى الإمام الحسين الله بذلك السهم المشؤوم فوقع في جبهته الشريفة، فنزعه وسالت الدماء على وجهه ولحيته، فقال صلوات الله عليه: «اللّهم، إنّك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة، اللّهم، أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذرعلي وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً. ثم حمل عليهم كالليث المغضب، فجعل لا يلحق منهم أحداً إلا بعجه بسيفه». أنظر: البحران، عبد الله، عوالم العوالم: ص٢٩٤.

⁽٣) أُنظر: السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين: ص ١٥٩.

خامساً: مواقف استثنائية لا نظير لها

الموقف الأول: يا نفس من بعد الحسين هوني

لما رأى أبو الفضل العباس وحدة أخيه الحسين الله بعد قتل أصحابه وجملة من أهل بيته، قال لإخوته من أُمه: تقدّموا لأحتسبكم عند الله تعالى. فتقدّموا حتى قتلوا، فجاء إلى الحسين الله واستأذنه في القتال. فقال له: أنت حامل لوائي. فقال أبو الفضل: لقد ضاق صدري وسئمت الحياة. فقال له الحسين: إن عزمت فاستسق لنا ماءً. فأخذ قربته وحمل على القوم حتى ملأ القربة، واغترف من الماء غرفة ثم ذكر عطش الحسين المله فرمي مها وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني هـ ذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

إنَّ لوعة العطش لم تُنسه عطش قائده وسيده، فمنعته غيرته، ومنعه وفاؤه، ومنعته جنديته المُخلصة والخالصة عن أن يُقدَّم نفسه على مولاه، فيا نفس من بعد الحسين هوني.

الموقف الثاني: يا سيدي يا بن رسول الله هل وفيت؟

لما حضر وقت صلاة الظهر أمر الإمام الحسين صلوات الله عليه زهير بن القين، وسعيد بن عبد الله الحنفي أن يتقدّما أمامه مع نصف مَن تخلّف معه، ثم صلّى بهم صلاة الخوف، وتقدّم سعيد بن عبد الله فوقف يقيه السهام بنفسه، فها زال عنه وما تخطّى قيد أنملة حتى سقط إلى الأرض مضرَّ جاً بدمائه الزكية وهو يقول: اللّهم، العنهم لعن عادٍ وثمود، اللّهم، أبلغ نبيّك عنّي السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم

(١) أُنظر: السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين: ص ١٦٢.

العدد العاشر _ السنا

الجراح، فإني أردت ثوابك في نصرة ابن بنت نبيِّك، ثم قضى نحبه رضوان الله عليه (۱). وفي رواية: «إنّه لمّا سقط قال: يا سيدي يا بن رسول الله، هل وفيت؟ فاستعبر الإمام الحسين الله باكياً وقال: نعم، رحمك الله! وأنت أمامي في الجنّة»(۲).

⁽١) أُنظر: شرف الدين، عبد الحسين، المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: ص١٨٣.

⁽٢) المصدر السابق.



♦ مقتل الحسين ﴿ إِلَيْ بِرُواية الفضيل بِنِ الزبيرِ الأسدي الكوفي

توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين التالي المام الشعر القسم الثاني)

د. عادل لعيبي

تقدّم في القسم الأول من هذه الدراسة محاولة توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين الله ولم يشاركه فيه أحد.

وفي هذا القسم الثاني سنتناول الشعر المنسوب إليه وإلى غيره، وتبيّن أنّه ليس له، أو توقفنا في نسبته إليه.

ونذكّر بالمعايير المتّخذة من قبلنا في نسبة الشعر أو عدم نسبته إلى الإمام الله وهي: معيار الزمن: فيُؤخذ بالأسبق زمناً، فيُنسب الشعر إلى قائله بحسب أقدمية المصدر ووروده فيه، إذا لم توجد قرائن تدلّ على خلاف ذلك؛ إذ الغموض ينشأ من ابتعادنا عن عصر النص وصدوره، وبناءً على هذا الضابط، يُقدَّم كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في نسبة الشعر مثلاً على كتاب العمدة لابن رشيق (ت٢٦٦هـ). معيار التواتر: فهو يستلزم صدور الشعر ممَّن نُسب إليه.

معيار العصمة: وما يناسب مقام الإمامة، فكلّ ما ينافي العصمة ومقام الإمامة،

^{*} دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، متخصص في الأدب الإسلامي، الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف.

١ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال (١) _ من الخفيف _ :

لا ذَعَرتُ السَّوامَ في فلق الصُب حِ مُغيراً وَلا دُعيتُ يَزيدا يُومَ أُعطي من المهابة ضَيماً وَ المَنايا يَرصُدنَني أَن أَحيدا

التخريج والتوثيق

نسبهما إلى الإمام الحسين الله: القاضي النعمان المغربي (ت٣٦٣هـ)(٢) بلفظ التمثّل، وابن الشجري (ت٢٥هـ)(٤)، وابن عساكر (ت٧١هـ)(٥)، وابن كثير (ت٤٧٤هـ)(١).

وهما في شعر يزيد بن مفرغ الحميري (ت٦٩هـ)(٧) ونسبهما إليه: ابن هشام (ت٢٩٦هـ)(٨)، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)(٩)، وابن أبي الحديد (ت٢٥٦هـ)(١٠).

العدد العاشر _ السنة الثالثة _ ١٤٣٦ ه_ _ ٢٠١٥

⁽١) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٧٤.

⁽٢) أُنظر: القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٣، ص١٤٤.

⁽٣) أُنظر: ابن الشجري، هبة الله بن علي، الأمالي الشجرية: ص٧٠٧، وص٧٣٧.

⁽٤) أُنظر: الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين الله: ج١، ص١٨٦.

⁽٥) أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢٠٤.

⁽٦) أنظر: ابن كثير، إسهاعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٩.

⁽٧) سلوم، داؤد، شعر ابن مفرغ الحميري: ص٧٢.

⁽٨) أنظر: ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية: ج٣، ص٧٧١.

⁽٩) أُنظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار: ج٣، ص٢٠. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء: ص٠٩٣.

⁽١٠) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٣٤٨.

وممَّن نسبهما إلى يزيد بن مفرغ الحميري، وأنَّ الإمام الحسين اللهِ تَشَّل بهما: الطبري (ت ٠ ٣٦هـ)(١)، وابن الأثير (ت ٠ ٦٣هـ)(١)،

والبيتان ليزيد بن مفرغ الحميري؛ لقرينة السبق الزمني، ووجودهما في شعره، وشهادة المصادر بأنّ الإمام الحسين الله تمثّل بها.

٢ ـ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال (١) ـ من المتقارب ـ :

وَكُلًّا أَراهُ طَعاماً وَبِيلًا فَسيري إلى المَوتِ سَيراً جَمِيلاً

أَذلُّ الحَياةِ وَذلُّ المَاتِ فَإِن كَانَ لا بُدَّ إحداهُما

التخريج والتوثيق

نسبه إلى بشامة بن الغدير المرّي (ت ١٤ق هـ) كل من: المفضل الضبّي (ت ١٦٨هـ) (٥)، وابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ) (١)، وقدامة بن جعفر (ت ٢٣٣هـ) والخالديان سعيد (ت ٢٧١هـ)، ومحمد (ت ٣٨٠هـ) وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، وابن سنان الخفاجي (ت ٢٦٦هـ) (١١)، وابن الشجري

⁽١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٥٣.

⁽٢) أُنظر: ابن الأثير، على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧.

⁽٣) أُنظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان: ج٦، ص٣٥٣.

⁽٤) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص١٣٥.

⁽٥) أبو العباس، المفضل بن محمد، المفضليات: ص٢٩.

⁽٦) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعر: ص٥٣١.

⁽٧) أُنظر: ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر: ص٣٢، البيت الأوّل فقط.

⁽٨) الخالديان، محمد وسعيد، الأشباه والنظائر في أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضر مين: ص٢٦٩.

⁽٩) أنظر: العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين: ص٧٣٧، البيت الأوّل فقط.

⁽١٠) أُنظر: ابن سنان، عبد الله بن محمد، سّر الفصاحة: ص٣١، البيت الأوّل فقط.

(ت٢٤٥هـ)(۱)، ومحمد بن المبارك (ت٥٨٩هـ)(٢)، والحموي (ت٢٦٦هـ)(٣)، والحديد (ت٢٥٦هـ)(٤).

ونسبهم إلى ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان: عزّ الدين بن الأثير (ت ٢٥٠هـ) وضياء الدين بن الأثير (ت ٢٥٦هـ) وابن أبي الحديد (ت ٢٥٦هـ) (٧).

ونسبهما ابن حمدون (ت٥٦٢هـ) (١) إلى عقيل بن علفة المرّي (ت١٠٠هـ).

وتردَّد أبو فرج الأصفهاني (ت٢٥٥هـ) في نسبتها، فمرَّةُ (١) نسبها إلى ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان، وأُخرى (١٠) نسبها إلى عقيل بن علفة المرّي، قال ما نصه: «نظر عبد الله بن علي إلى فتًى عليه أُبّهة الشرف، وهو يُقاتل مستنتلاً، فناداه: يا فتى، لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد. فقال: إلّا أكنه فلست بدونه. قال: فلك الأمان من كنت؟ فأطرق، ثمّ قال: ... الأبيات، ثمّ قاتل حتى قُتل. قال: فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان» (١٠).

ونسبهما الوطواط (ت١٨٧هـ)(١١٢) إلى زيد بن علي الله ، وهما ليساله ، بل تمثّل بهما،

⁽١) أُنظر: ابن الشجري، هبة الله، مختارات شعراء العرب: ص٣٤.

⁽٢) أُنظر: المبارك، محمد، منتهى الطلب في أشعار العرب: ص٤٤٤.

⁽٣) أنظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٣، ص٧٤.

⁽٤) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٢٥٧.

⁽٥) أُنظر: ابن الأثير، على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٥، ص ٤٢١.

⁽٦) أُنظر: ابن الأثير، على بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ج٣، ص٠٥٠.

⁽٧) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٧، ص١٢٤.

⁽٨) أنظر: ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية: ص٣٢٢، وص٦٦٨.

⁽٩) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج٩، ص١٣٠.

⁽١٠) المصدر السابق: ج١، ص٢٣.

⁽١١) المصدر السابق: ج٩، ص١٣٠.

⁽١٢) أُنظر: الوطواط، محمد بن إبراهيم، غرر الخصائص الواضحة: ص١١١٩.

والبيتان لبشامة بن الغدير المرّي، وليسا للإمام الحسين الله النبق الزمني، وتواتر شهادات مَن نسبهما لغيره الله ، بل ذكر الخالديان سعيد (ت٣٧١هـ)، ومحمد (ت٣٨٠هـ) أنّه الله تمثّل بهما.

والبيتان ليسا لابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان؛ لأنّه تمثّل بهما كما أشار إلى ذلك ابن حمدون (ت٢٦٥هـ)؛ إذ قال ما نصه: «... نظر إلى هذا المعنى بعض فتيان بني أُمية، وهم يحاربون عبد الله بن علي، ورآه عبد الله مُجدّاً في الحرب فأعطاه الأمان فلم يقبله، وتقدّم يُقاتل ويقول: ... الأبيات»(٤٠).

ونسبهما المعافي بن زكريا (ت·٣٩هـ)(٥) إلى امرأة.

وذكرهما أُسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ)(٦) من دون نسبة.

٣ ـ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال (٧) ـ من الطويل ـ :

إذَا مَا نَوَى حَقَّاً وَجَاهَدَ مُسلِمَا وَفَارَقَ مَثبُوراً وَخَالَفَ مجرمَا كَفَى بِكَ مَوتَاً أَن تَذلَّ وَتُرغَمَا

سَأَمضِي وَمَا بِالمَوتِ عَارٌ عَلَى الفَتَى وَوَاسَى الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ بِنَفسِهِ فَإِن عشتُ لَمَ أُلمَ

一大 قويق الشعر النسوب إلى الإهام الحسين ﷺ (القسم الثاني)

⁽١) أُنظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار: ج٢، ص٥٠٠.

⁽٢) أُنظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان: ج٦، ص١١٠.

⁽٣) الخالديان، محمد وسعيد، الأشباه والنظائر في أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضر مين: ص ٨٤٢.

⁽٤) ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية: ص٣٢٢، وص٦٦٨.

⁽٥) ابن زكريا، المعافى، الجليس الصالح: ص١٩.

⁽٦) ابن منقذ، أُسامة، البديع في نقد الشعر: ص١٩٣.

⁽٧) اللحجي، مسلم بن محمد، تاريخ مسلم اللحجي (مخطوط): ج٤، ص٤٩.

نسبها جعفر بن محمد بن قولویه (ت٣٦٧هـ) (۱) والشیخ الصدوق (ت٣٨هـ) (۲) والی الإمام الحسین الحظیا، وهي لیست له الحظیا، بل لأحد شعراء الأوس، إلّا أن الإمام الحظیا تمثّل بها، وقد ذکر ذلك: أبو مخنف الأزدي (ت٢٥١هـ) (۳)، والطبري (ت٢١هـ) والشیخ المفید (ت٢١٩هـ) (۱۵)، والبکري (ت٢٨٩هـ) والنیسابوري (ت٢٠٥هـ) والشیخ الطبرسي (ت٢٤٥هـ) وابن نها الحلّي (ت٢٤٥هـ) وابن کثیر (ت٢٧٥هـ) (۱۰).

٤ ـ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال(١١) ـ من الطويل ـ :

فَذي خطَّة لَيسَت لَنَا بملائِمَة فَكَم وَنَاقِمَة فَكَم وَنَاقِمَة فَكَم وَنَاقِمَة إلى فِئة زَاغَت عَنِ الحقِّ ظَالِمَة وَمَوقف ضَنك تَقصمُ الظَّهرَ قَاصِمَة

أَتَقتلهُم ظُلماً وَتَرجُو ودَادَنَا لَعَمرِي لَقَد رَاغمتُمُونَا بِقَتلِهِم أَهُم مرَارًا أَن أسير بِجَحفَلٍ فَيَا بِنَ زِيَّاد استَعِد لحربنَا العدد العاشر _ السنة الثالثة _ ١٤٣٦ هـ _ ٢٠١٥ م

⁽١) ابن قولوية، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٩٤

⁽٢) الصدوق، محمد بن على، الأمالي: ص١٩٠.

⁽٣) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين الله : ص٨٧، البيت ١، ٢.

⁽٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٥٠٥، البيت ١،٢.

⁽٥) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨١، البيت ١،٢،٣.

⁽٦) البكري، عبدالله بن عبد العزيز، معجم ما استُعجم: ج١، ص٢٧٦، البيت ١،٣٠.

⁽٧) الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص١٨٠، البيت ١،٢،٣.

⁽٨) الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى: ج١، ص ٤٥، البيت ١، ٢.

⁽٩) ابن نها، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٣٢.

⁽١٠) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٨٧، البيت ١ و٢.

⁽١١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٢٠.

نسبها أبو مخنف الأزدي (ت١٥٧هـ)(١)، وابن سعد (ت ٢٣٠هـ)(١)، والطبري (ت ٢٦هـ)(١)، والطبري (ت ٣١هـ)(١)، وابن عساكر (ت ٥٧١هـ)(١)، وابن الأثير (ت ٢٣هـ)(١)، وابن كثير (ت ٤٧٧هـ)(١)، وابن الدمشقي (ت ٨٧١هـ)(١) إلى عبيد الله بن الحرّ بن يزيد، فهي له.

٥ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال (^) _ من الوافر _:

بُغاثُ الطّبِرِ أَكثَرُها فِراخاً وَأُمُّ الصَقرِ مِقلاتٌ نَزورُ

التخريج والتوثيق

نسبه ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)(٩) إلى الإمام الحسين التَّلاِ.

ونسبه إلى معاوية بن أبي سفيان (لعنه الله): أبو الفرج الأصفهاني (ت٥٦هـ) (١٠٠)، وابن أبي الحديد (ت٥٦هـ) (١٠٠).

⁽١) أبو مخنف، لوط بن يحيي، مقتل الإمام الحسين الثيلا: ص ٢٤٥، البيت ١ و٢و٣.

⁽٢) ابن سعد، محمد، ترجمة الإمام الحسين الله (من الطبقات الكبرى): ص٩٤، البيت ١ و٢ و٣.

⁽٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ص٤، ص٣٦٠، البيت ١ و٢ و٣٠.

⁽٤) ابن عساكر، على بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٣٧، ص٤٢١، البيت ١ و٢ و٣.

⁽٥) ابن الأثير، على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٨٩، البيت ١ و٢ و٣.

⁽٦) ابن كثير، إسهاعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٩-٢٣٠.

⁽٧) الدمشقى، محمد بن أحمد، جو اهر المطالب في مناقب على بن أبي طالب: ج٢، ص ٢٠٣، البيت ١ و ٢ و٣٠.

⁽٨) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص٠٨٨.

⁽٩) أنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن على، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٣.

⁽١٠) أُنظر: أبو الفرج الأصفهاني، على بن الحسين، الأغاني: ج١٣، ص٢٥.

⁽١١) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٦، ص٥٥١.

ونسبه أبو الفرج الأصفهاني (ت٢٥٦هـ) في موضع آخر (١) إلى ابن مناذر (ت ١٩٨٨هـ) بلفظ الإنشاد، وهو ليس له؛ لقرينة الإنشاد، وقرينة ما نسبه أبو الفرج الأصفهاني إلى معاوية بن أبي سفيان، وما ذكره الفراهيدي الذي مات قبل ابن مناذر.

ونسبه القالي (ت٣٥٦هـ)^(۲)، والمعافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ)^(۳)، والحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)^(٤)، وابن الشجري (ت ٤٥هـ)^(٥)، إلى كثير عزّة (ت ١٠٥هـ).

ونسبه المرزباني (ت٣٨٤هـ)(٦) إلى معوّد الحكماء العامري واسمُه معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب، وهو عمّ لبيد بن ربيعة الشاعر.

ونسبه ابن عساكر (ت٥٧١هـ)(٧) إلى عامر بن الطفيل.

والبيت في شعر العبّاس بن مرداس (١٠)، ونسبه إليه: البصري (ت٢٥٩هـ) (١٠)، والوطواط (ت٧١٨هـ) (١١)، والعبيدي (من أعلام القرن الثامن الهجري) (١١).

ونسبه العباسي (ت٩٦٣هـ)(١٢) إلى مروان بن الحكم (لعنه الله).

ذكره الفراهيدي (ت١٧٠هـــ)(١٣)، والجوهري (ت٣٩٣هـــ)(١٤)، وابن

⁽١) أبو الفرج الأصفهاني، على بن الحسين، الأغاني: ج١٧، ص٢٧.

⁽٢) الصدوق، محمد بن على، الأمالي: ص٥١١.

⁽٣) ابن زكريا، المعافي، الجليس الصالح: ص٠٥٠.

⁽٤) القيرواني، إبراهيم بن على، زهر الآداب وثمر الألباب: ص٧١٧.

⁽٥) ابن الشجري، هبة الله بن على، الأمالي الشجرية: ص١١٩٥.

⁽٦) المرزباني، محمد بن عمران، معجم الشعراء: ص٥٩٥.

⁽٧) ابن عساكر، على بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٤٩.

⁽٨) بسبح، أحمد حسن، العباس بن مرداس السلمي شاعر الفخر والحاسة: ص٩٧.

⁽٩) البصري، صدر الدين، الحماسة البصرية: ج١، ص١٦٦

^{* (}١٠) الوطواط، محمد بن إبراهيم، غرر الخصائص الواضحة: ص٥٠٦.

⁽١١) العبيدي، محمد، التذكرة السعدية: ص١٦٠.

⁽١٢) العباسي، عبد الرحيم، معاهد التنصيص: ص٢٣٣٤.

⁽۱۳) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج٧، ص٠٦٣.

⁽١٤) الجوهري، إسهاعيل بن حماد، الصحاح: ٢٠، ص٢٦٨.

فارس (ت٣٩٥هـــ)(١)، وأبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـــ)(٢)، والمرزوقي (ت٤٢١هـ)(٣)، والثعالبي (ت٤٢٩هـ)(٤)، وابن إدريس الحلي (ت٩٨٨هـ)(٥)، وابن أبي الحديد (ت٦٥٦هــ)(١)، ومحيى الدين النووي (ت٦٧٦هــ)(١)من دون

واعتماداً على معيار السبق الزمني، تنحصر النسبة بين معاوية بن أبي سفيان وكثير عزّة، وبقرينة تواتر الشهادات التي تُؤيد نسبته لكثير عزّة، ونسبة بعض المصادر لشاعر _وهو وصف أقرب لكثير عزّة من معاوية _ يكون البيت له.

٦ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين والإمام الصادق الما الصادق الما الما المام الحسين والإمام الصادق الما المام المام الحسين

وَكَانَتِ النَّعِلُ لَهَا حَاضَرَة إن عادَت العَقرَبُ عُدنَا لَهَا

أَن لا هَا دُنيا وَلا آخِرة قَد عَلِمَت العَقرَبُ وَإِستَيقَنَت

التخريج والتوثيق

نسبها الشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ)(٩)، وابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)(١٠) إلى الإمام الحسين عليَّة.

- (١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص١٩.
- (٢) العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين: ص١٩٢ وص ٣٨٤.
 - (٣) المرزوقي، أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة: ص١٨٨٠.
- (٤) الثعالبي، عبد الملك، التمثيل و المحاضرة: ص ٤٨٨. الثعالبي، عبد الملك، ثمار القلوب: ص ٩٤٥ لشاعر.
 - (٥) ابن إدريس الحلي، محمد، السرائر: ج٢، ص٢٢٢.
 - (٦) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٣، ص٢٢.
 - (٧) النووي، محى الدين، المجموع: ج١٣، ص٥٥٣.
 - (٨) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٨٢ وص ٥٠٨.
 - (٩) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٢٦، البيت الأوّل فقط.
 - (١٠) أُنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن على، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٣.



والبيتان في شعر الأخضر اللهبي^(۱)، ونسبهها إليه: البيهقي (ت ٣٢٠هـ)^(۲)، وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)^(۱)، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ)⁽¹⁾، ورضي الأسترابادي (ت ٢٨٦هـ)^(٥)، وابن منظور (ت ٢١١هـ)^(١).

ونسبها أبو القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ) (١) إلى رجل من العرب اسمُه الفضل بن عباس اللهبي كما ذكر الأصفهاني (ت٥٦هـ)، والجاحظ (ت٥٥٥هـ) كانت له معاملة مع رجل اسمُه عقرب؛ إذ قال الأصفهاني: «...كان رجل من بني كنانة يقال له: عقرب حناط. قد داين الفضل اللهبي فمطله، ثم مرّ به الفضل وهو يبيع حنطة له ويقول:

جاءت بها ضابطة التجار صافية كقطع الأوتار

فقال الفضل:... البيتين» (^)، وقال الجاحظ (ت٥٥٥هـ): قال الفضلُ بن عباس حين راهنه عقرب بالشّعر، وقيل لكلِّ واحدٍ منهها: لسْتَ في شيءٍ حتى تغلِبَ صاحبك، فقال الفضل: ...البيتين (٩). ونسب ابن عطية الأندلسي (ت٤٦هـ) (١٠٠) البيت الأوّل فقط لشاعر.

وهما للفضل اللهبي؛ لقرينة السبق الزمني، وتواتر الشهادات، ووصف الشاعرية، ووجودهما في شعره.

⁽١) أُنظر: الأخضر اللهبي، الفضل بن العباس، شعر الأخضر اللهبي: ص٦٣.

⁽٢) أُنظر: البيهقي، إبراهيم بن محمد، المحاسن والمساوئ: ص٦٢٦.

⁽٣) العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين: ص ٤٦٣، البيت الأوّل فقط.

⁽٤) أُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، المستقصى في أمثال العرب: ص٥٥.

⁽٥) الأستربادي، رضي الدين، شرح شافية ابن الحاجب: ج٤، ص٦٥، البيت الأوّل فقط.

[&]quot; (٦) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص ٦٢٥، البيت الأوّل فقط.

⁽٧) أُنظر: الزجاجي، عبد الرحمن، أخبار أبي القاسم الزجاجي: ص١٩.

⁽٨) أنظر: أبو الفرج الأصفهاني، على بن الحسين، الأغاني: ج١٥، ص٧.

⁽٩) أنظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان: ج٤، ص٢١٨_٢١٩.

⁽١٠) أُنظر: الأندلسي، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج٢، ص٤٢٧.

٧ ـ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنّه قال(١) ـ من الطويل ـ:

تَرَكتُ الخَلقَ طُرَّا فِي رِضَاكا وَأَيتَمتُ العِيالَ لِكي أَرَاكا فَلَو قَطَّعتَنِي فِي الْحُب إِربَاً لَمَا حَنَّ الفؤادُ إلى سِوَاكا

التخريج والتوثيق

نسبهما ابن عساكر (ت٥٧١هـ)(٢) واليافعي (ت٧٦٨هـ)(٣) إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أدهم (ت١٦١هـ)(٤)، فهما له؛ اعتماداً على نسبة ابن عساكر واليافعي، ولا يوجد مصدر ينسبهما إلى الإمام الحسين الميلا.

٨ ـ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله قال (٥) ـ من الوافر ـ:

فَإِن نَهزِم فَهَزَّامونَ قِدماً وَمَا إِن طَبِّنا جُبْنٌ وَلَكِن إِذَا مَا المَوتُ رَفَعَ عَن أُنَاس فَأْفنَى ذَلكُم سروات قوم فَلُو خَلَدَ المُلُوكُ إِذَن خَلدنا فَقُل لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا

وَإِن نُعْلِب فَغَيرُ مُعْلَّبِينَا مَنَايَانَا وَدُولَة آخرينَا كَلاكِلَه أَنَاخَ بآخرينَا كَمَا أَفْنَى القُرُونَ الأَوَّلِينَا وَلَو بَقِي الكِرَامُ إِذَا بَقِينَا مَيَلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا مَيَلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٠٣.

(٢) أُنظر: ابن عساكر، على بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦، ص٥٠٦.

(٣) أُنظر: اليافعي، عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان: ص٧٠٨.

(٤) إبراهيم بن أدهم بن منصور، زاهد مشهور، تفقّه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علياء الأقطار الثلاثة. مات ودُفن في سوفنن (حصن من بلاد الروم). أنظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام: ج١، ص٣١.

(٥) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص٠٤٢.

توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين ﷺ (القسم الثاني)

التخريج والتوثيق

الأبيات تمثّل بها الإمام الحسين الله وليست من نظمه، فقد ذكرت المصادر إنّ قائل الأبيات هو فَروة بن مُسَيك المُراديّ(۱) من الشعراء المخضر مين وقد أشار إلى ذلك: ابن هشام (ت٢١٣هـ) (۲)، والخالديان سعيد (ت٢٧١هـ) ومحمد (ت ٢٨٠هـ) (۳)، والمعافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ) (٤)، وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٠هـ) والأسود الغندجاني (ت ٣٩٠هـ) وأبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) والحموي الغندجاني (ت ٢٦٤هـ) (١)، وأبو العلاء المعري (ت ٢٤٤هـ) وابن والحموي والصفدي (ت ٢٦٢هـ) وابن نها الحلي (ت ٢٥٤هـ) وابن طاووس (ت ٢٦٤هـ) والممين والصفدي (ت ٢٦٤هـ) (١١)، والبغدادي (ت ٢٩٠هـ) (١١)، ومحسن الأمين والصفدي (ت ٢٦٤هـ)

⁽١) المرادي اليمني، فروة بن مسيك الغطيفي ثمّ المرادي، شاعر أنشد له ابن إسحاق في السِّيرَ شعراً. أُنظر: الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات: ج٢٣، ص٧.

⁽٢) أُنظر: ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية: ج٤، ص٣٠٠، الأبيات: ١ و٢ و٤ و٥ مع اختلاف يسير في ألفاظها.

⁽٣) الخالديان، محمد وسعيد، الأشباه والنظائر في أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين: ص٥٥٥، الأبيات: ١ و٢ و٤ و٥.

⁽٤) ابن زكريا، المعافى، الجليس الصالح: ص١٩٩٢، البيت الأوّل والثاني.

⁽٥) العسكري، أبو هلال، ديوان المعاني: ج٢، ص٥٧٥، البيت الأوّل والثاني.

⁽٦) أُنظر: الأسود الغند جاني، أبو محمد الأعرابي، فرحة الأديب: ص٩٤.

⁽٧) أبو العلاء المعرّى، أحمد، رسالة الصاهل والشاحج: ص٥٥٧، البيت الثاني فقط.

⁽٨) الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج٥، ص١٩، البيت الأوّل والثاني.

⁽٩) ابن نها، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٠٤.

⁽١٠) ابن طاووس، على بن موسى، اللهوف في قتلي الطفوف: ص١٥٧.

⁽١١) الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات: ج٢٤، ص٧، الأبيات: ١و٢و٦.

⁽١٢) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب: ج٤، ص٥٠، الأبيات: ١ و٢ و٥ و٦ مع تغيّر بسيط في ألفاظها.

 $(-17 \, 17 \,)^{(1)}$. وابن عساكر $(-17 \, 0 \,)^{(7)}$ ، والصفدى $(-17 \, 0 \,)^{(7)}$.

ومما يدلّ على أنّ الأبيات ليست للإمام الحسين اللهذ: هو أنّ ابن عبد ربه (ت٨٣٨هـ)(٤) ذكر أنّ عائشة كانت تتمثّل بهذين البيتين:

إِذَا مَا الدَّه رُ جَرَّ عَلَى أُنَاس حَوَادتَه أَنَاخَ بِآخَرِينَا فَيُعُل الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا فَقُل لِلشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

أمّا الكتب التي ذكرت أنّ الإمام الحسين الله قال هذه الأبيات مضافاً إلى تأخّرها من الناحية الزمنية عن المصادر التي نسبتها إلى غيره الله في ذكرت قوله الله بلفظ القول من دون الإشارة إلى أنّها له أو ليست له، والقول يعمّ الإنشاء والإنشاد والتمثّل، وبها أنّ الأدلّة دلّت على أنّ قائل الأبيات هو فَروة المُراديّ، فالإمام الحسين الله تمثّل بها.

نعم، ورد البيت الآتي في معلَّقة عمرو بن كلثوم (ت٣٩ ق هـ): فَإِن نَغلِب فَغَلَّابـونَ قِدماً وَإِن نُـغـلَـب فَـغَـيرُ مُغَلَّبينا

وذكره أبو زيد القرشي (ت٠١٧هـ)(٥) ضمن ذكره لمعلّقة عمرو بن كلثوم.

ويظهر من صاحب الأغاني لأوّل وهلة أنّ البيت لفروة، فقد قال «... وفي ذلك يقول فروة بن مسيك المرادى:

وَإِن نُهـزم فَغَـيرُ مُهزَّميـنا »(١).

فَإِن نَعْلِب فَغَلَّابِونَ قِدُّماً

توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين ﷺ (القسم الثاني)

⁽١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص١٣١.

⁽٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢١٩.

⁽٣) الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات: ج٢٤، ص٧.

⁽٤) ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد، العقد الفريد: ج٢، ص٢٧٣.

⁽٥) أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب: ص٥٠٠.

⁽٦) أبو الفرج الأصفهاني، على بن الحسين، الأغاني: ج١١، ص٢٥.

لكن إذا تتبعنا قوله نجد عَقب هذا القول مباشرةً عبارة: «فلمّ توجه فروة إلى النبي الله أنشأ يقول:

لَّا رَأْيتُ مُلُوكَ كِندَة أَعرَضَت كَالرَّجلِ خَانَ الرِّجلَ عِرقُ نِسَاهَا يَمَّمتُ رَاحلَتِي أَمَامَ مُحَمَّد أرجُو فَوَاضلهَا وَحُسنَ ثَرَاهَا»(١).

الذي يبدو أنّ الأصفهاني فرّق بين القولين، فقد عبّر عن الأوّل بجملة: «يقول فروة...» وعن الثاني بجملة: «فروة... أنشأ»، وفي ذلك دلالة واضحة على أنّ البيت الأوّل لغير فروة بخلاف الأخيرين؛ ويؤيّد هذا: قول ابن قتيبة (٣٦٠هـ)(٢)، وقال الفرزدق:

إِذَا مَا الدَّهِرُ جَرَّ عَلَى أُنَاس حَوَادثَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا فَقُل لِلشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا('').

وتذكر المصادر _ التي سنُشير إليها قريباً _ أنّ الفرزدق يروي البيتين لخاله العلاء بن قرظة، ومع ذلك يُعبِّر المرزوقي وابن قتيبة بـ « قال الفرزدق..»؛ ممّاً يدلُّ على أنّ القول يعمُّ الإنشاء والإنشاد والتمثّل.

نعم، إذا لم تدلّ القرائن على الإنشاد والتمثّل ينصرف الذهن إلى الإنشاء.

فالبيت يعود إلى عمرو بن كلثوم، ويمكن القول: إنّ فروة استعمل التناصّ اللفظى في جميع مفردات البيت إلّا لفظ «نهزم... مهزّمينا».

وذكر ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)(٥)، وأبو الفرج الأصفهاني (ت٥٦٦هـ)(٢)، وابن

⁽١) المصدر السابق.

⁽٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار: ج٧، ص١١٤.

⁽٣) المرزوقي، أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة: ص١٩٧١.

⁽٤) لا يوجد البيتان في ديوانه.

⁽٥) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء: ص١٨٧.

⁽٦) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١٩، ص٤٩.

عبد البر القرطبي (ت٢٦٥هـ)(١)، وابن عساكر (ت٧١هـ)(٢): أنّ الفرزدق (ت١١٠هـ) نسب البيتين الآتيين إلى خاله العلاء بن قرظة(٣)، وهما:

إِذَا مَا الدَّهِ رُجَرَّ عَلَى أُنَاس بَكَلكُلُهُ أَنَاخَ بآخَرِينَا فَقُل لِلشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا فَقُل لِلشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

وذكر السيد المرتضى (ت٤٣٦هـ)(٤)، والبغدادي (ت١٠٩٣هـ)(٥)، أنهًا لذي الإصبع العدواني (ت٢٦ ق هـ)(٢)، وهما موجودان في ديوانه(٧)، ولم يُشر البغدادي إلى المصدر الذي نقل منه هذه النسبة.

وذكر الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ)(٨) أنهم من إنشاء بديع الزمان الهمذاني (ت٣٩٨هـ)(٩)، ولم أعثر عليهما في ديوانه، ومن خلال ما ذكرناه سابقاً يتضح أنهمًا

ويقول جريرٌ في هجاء الفرزدق:

كَأَنَ الفَرَزْدَقَ إِذْ يَعُوذ بخاله مِثْلُ الذَّليلِ يَعُوذُ تحتَ القَرْمَلِ والقرمل: شجر ضعيفٌ تقول العرب: ذليلٌ عاذ بقرملة. أنظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء: ص٥٣٣.

⁽١) القرطبي، ابن عبد البر، بهجة المجالس وأُنس المجالس: ص١٠١٢.

⁽٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق: ج٦٩، ص٢٦٥.

⁽٣) العلاء بن قرظة الضبّي، كان شاعراً، وكان الفرزدق يقول: إنَّها أتاني الشعر من قِبل خالي.

⁽٤) الصدوق، محمد بن على، الأمالي: ج١، ص١٨١.

⁽٥) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب: ج٥، ص ٢٨١.

⁽٦) ذو الإصبع العدواني، حرثان بن الحارث بن محرث، شاعر جاهلي، وقيل: له ذو الإصبع؛ لأنَّ أفعى ضربت إبهام رجله فقطعتها. وقيل: لأنّ له إصبعاً زائدةً في رجله. وله شعر مليء بالحكمة والعِظة والفخر. أنظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء: ص١٠٨. الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام: ج٢، ص١٧٣.

⁽٧) ذو الإصبع العدواني، حرثان بن محرث، ديوان ذي الإصبع العدواني: ص٨٣.

⁽٨) القيرواني، إبراهيم بن على، زهر الآداب وثمر الألباب: ص٩٣٨.

⁽٩) أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، له مقامات، أخذ الحريري أُسلوب مقاماته عنها، وكان شاعراً، ◄

فالبيتان لخال الفرزدق العلاء بن قرظة؛ لقرينة ذكر المصادر القديمة للبيتين منسوبةً له، وخلوّ شعر غيره منه.

٩ ـ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنّه قال (١) ـ من الوافر ـ :

فَتى أبكى الحُسَينَ بكربَلاءِ أبُو الفَضلِ المَضَّرجُ بالدِّمَاءِ وَجَادَ لَهُ عَلَى عَطَش بمَاءِ أَحَقُّ النَّاسِ أَن يُبكى عَلَيهِ أَخُوهُ وَابنُ والدِهِ عَليِّ وَمَن وَاسَاهُ لا يثنيه شَيء

التخريج والتوثيق

إنّ سياق الأبيات يقتضي كونها ليست للإمام الحسين الله الذلك لم أظفر بمصدر ينسبها لما الله الله إلاّ صاحب ناسخ التواريخ محمد تقي (ت١٢٩٧هـ)(٢)، وهو متأخر زمناً عمّن نسبها إلى غير الإمام الحسين الله .

فقد نسبها أبو الفرج الأصفهاني (ت٥٦هـ)(٣)، وابن طاووس (ت٦٦٤هـ)(٤) وابن طاووس (ت٦٦٤هـ)(٤) إلى شاعر ولم يذكرا اسمه، وهذا يؤيد أنّ الأبيات ليست للإمام الحسين الثّية، وإلّا لصرّحا باسم الإمام أو أحد أوصافه وألقابه، ولم نعهد من الأُدباء والعلماء إذا أرادوا ذكر شيء من نظمه أن يقولوا: قال الشاعر الحسين مثلاً.

لعدد العاشر _ السنة الثالثة _ ٢٠١٥ هـ _ ٢٠١٥ م

[﴿] ويُذكر أَنَّ أكثر مقاماته ارتجال، توقِي في هراة مسموماً، وله (ديوان شعر _ ط) صغير و (رسائل _ ط) عدتها ٢٣٣ رسالة، و (مقامات _ ط). الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام: ج١، ص ١١٥.

⁽١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٥٥٥.

⁽٢) لسان الملك، محمد تقى، ناسخ التواريخ: ج٢، ص٧٤٧.

⁽٣) أبو الفرج الأصفهاني، على بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٥٥.

⁽٤) ابن طاووس، على بن موسى، اللهوف في قتلي الطفوف: ص٠٧.

ونسبها القاضي النعمان المغربي (ت٣٦٣هـ)(١)، والخطيب (ت٤٦٣هـ)(٢)، إلى الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على الله.

ونسبها الشيخ الأميني النجفي (ت١٣٩٢هـ) (٢) إلى الفضل بن الحسن بن عبيد الله. فالأبيات ليست للإمام الحسين الله ، بل للفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على الله ؟ لأنّ المصادر القديمة نسبتها إليه.

وأبو الفرج الأصفهاني وابن طاووس وإن لم يصرّحا باسم الشاعر إلّا أنّ المقصود هو الفضل بن محمد، وليس الفضل بن الحسن؛ يؤيد ذلك: التصريح باسم الفضل بن محمد في تلك المصادر القديمة.

١٠ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال (٤) _ من الطويل _ :

فَهَا سَاءَنِي شَيءٌ كَهَا سَاءَنِي أَخِي وَلَكِن إِذَا مَا اللهُ أَمْضَى قَضَاءَهُ وَلَو أَنَّنِي شُووِرتُ فيه لَمَا رَأُوا وَلَم أَكُ أَرضَى بِالَّذي قَد رَضَوا بِه وَلَو حُزَّ أَنفى قَبلَ ذَلِكَ حَـرَّزةً

وَلَم أَرضَ لله الَّذِي كَانَ صَانِعًا فَلا بُدَّيُوماً أَن تَرى الأَمرَ واقِعًا قَريبَهُم إِلَّا عَنِ الأَمرِ شَاسِعًا وَلَو جَمَعَت كُلِّ إِلَيَّ المَجامِعًا فِلَو جَمَعَت كُلِّ إِلَيَّ المَجامِعًا بِموسى لَا أَلقَيتُ لِلصُّلَحِ تَابِعًا

التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي (ت٦٩٣هـ)(٥)، وابن الصباغ (ت٥٥٥هـ)(١) إلى الإمام

⁽١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٣، ص١٩٣ الهامش.

⁽٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن على، تاريخ بغداد: ج١٢، ص١٣٦.

⁽٣) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج٣، ص٣.

⁽٤) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٩٢.

⁽٥) الإربلي، على بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٥٤٠.

⁽٦) ابن الصباغ، على بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٧٧٦.

ولأنّ هذا الاعتراض ينافي العصمة ومقام الإمامة بحسب الظاهر، فلا يمكن صدورها منه الله.

١١ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنّه قال(١) _ من الطويل _:

مِنَ الجَدِّ مَنسُوباً إلى القَائِم المَهدِي أيا شمرُ خَاف (٢) الله وَاحفَظ قَرَابَتِي وَجَدِّي رَسولُ اللهِ أكرَم مُهتَدِي أيا شمرُ تَقتلني وَحَيدَرةُ أبي وَعَمِّى هُوَ الطيَّارُ فِي جَنةِ الْخُلدِ وَفَاطمةُ أُمِّي وَالزَّكِيُّ ابنُ وَالدِي أُنَادى ألا يَا زَينبُ يَا سكَينةُ أيا وُلدِي مَن ذَا يَكونُ لَكُم بَعدِي وَديعَةُ رَبِّي اليومَ قَد قَربَ الوَعد ألا يَا رقيَّةُ يَا أُمّ كُلثوم أنتُم حَرياً بلا كفل يَلِي أمرَهم بَعدِي أيا شمرُ ارحَم ذَا العَليل وَبَعدهُ سَيَبِكِي لَكُم جَدِّي وَأَسعَدُ مَن بَكَي عَلَى رزئِكم وَالفَوزُ في جنةِ الخُلدِ سَلام عَليكم مَا أمَرَّ فراقَكُم فقُ ومُوا لتَودِيعِي فَذَا آخرُ العَهدِ

التخريج والتوثيق

وردت في كتاب أدب الحسين الله وحماسته (٣) وكتاب أسرار الشهادة (١) منسوبة إلى الإمام الحسين الله ومؤلفيهما من المتأخرين، ولم يُشاركه الله فيها أحد، ولم أعثر على مصدر قديم ينسبها إليه الله فلم يترجّح عند الباحث نسبة الأبيات، بل النّفَس

العدد العاشر _ السنة الثالثة _ ١٤٣٦ هـ _ ٢٠١٥ م

⁽١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٧٧.

⁽٢) الصحيح أن يقال: (خف الله)؛ لأن فعل الأمر من (خاف) هو (خف)، إلا أن يقال: حدوث خطأ من النساخ لذلك الشعر.

⁽٣) الهمداني، أحمد صابر، أدب الحسين الله وحماسته: ص٤٦.

⁽٤) الرشتي، كاظم، أسرار الشهادة: ص٢٦٦.

الشعري فيها يُنافي النهضة الحسينيّة وعزّتها، إذ الانكسار والتوسّل في هذه الأبيات يُنافي شِعار الإمام الحسين الله «هيهات منّا الذلّة» الذي رفعه في كربلاء. إضافة إلى ركاكة الشعر وضعف بنيته التي تجعله بعيداً كل البعد عن الإمام الحسين الله الذي كان إماماً في البلاغة والفصاحة.

١٢ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال (١) _ من الوافر _ :

نَحمدُهُ في سَائِر الشَّدَائدِ قَد قَتلُونَا قَتلَةَ المَناكدِ وَأنتَ بالمرصَادِ غَير خَائدِ الحَمدُ للهِ العَلتِي الوَاحِدِ يَا رَبِّ لا تَغفَل عَنِ المُعَانِدِ فَأُصلِهِ يَا رَبِّ نَارَ السَّرِمَدِ

التخريج والتوثيق

وردت في كتاب أدب الحسين اللهِ وحماسته (٢) منسوبة إلى الإمام الحسين اللهِ، وموافقه من المتأخرين، ولم أعثر على مصدر قديم ينسبها له اللهِ، فلم يترجّح عند الباحث نسبة الأبيات.

١٣ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال (٣) _ من الطويل _:

تَنوحُ عَليهم فِي البرَادِي وحُوشُها سُيوفُ الأَعَادِي فِي البرَادِي تَنُوشُها عَاسِنُهَا تربُ الفلاةِ تَعوشُها

غَرِيبُونَ عَن أُوطَانِهِم وَديَارِهِم وَكيفَ لا تَبكِي العيونُ لمَعشر بِدُورٌ تَوارَى نُورُهَا فَتَغَيَّرَت

⁽١) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٧٨.

⁽٢) الهمداني، أحمد صابري، أدب الحسين اليُّلِّ وحماسته: ص٣٩.

⁽٣) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤٣٧.

التخريج والتوثيق

ذكرت المراجع الحديثة أنّ الحسين الله قالها في رثائه ابن أخيه القاسم بن الحسن الله الله عند الباحث نسبتها.

١٤ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال _ من الطويل _:

سَمَوتُ بِهِ فخراً عَلَى كلَّ أَفخر وَذِي المَنبِر العَالي عَلَى كلَّ منبر أَنا إِبنُ رَسولِ اللهِ لا فَخرَ بَعدَه نَدَى التَّاجِ وَالإكلِيلِ وَالحَوضِ وَاللِوى

التخريج والتوثيق

ذكرهما السيد محمود الغريفي _ وهو من المتأخرين _ نقلاً عن تاريخ مسلم اللحجي (٢)، ولم أعثر عليهما في المصادر القديمة؛ فلم يترجّح عند الباحث نسبة البيتين.

١٥ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله قال (٣) _ من الوافر _:

فَلِي قَد كُنتَ كَالرُّكنِ الوَثِيتِ سَقَاكَ اللهُ كَأْسَا مِن رَحِيتِ عَلَى كُلِّ النَّوَائِب فِي المَضِيقِ سَنُجمَعُ فِي الغَدَاةِ عَلَى الحَقِيقِ وَمَا أَلْقَاهُ مِن ظَمَأ وَضِيقِ أخِي يَا نُورَ عَينِي يَا شَقِيقِي السَّقِيقِي السَّقِيقِي السَّقِيقِي الْمَالِكَ حَتَّى أَيا بِنَ أَبِي نَصَحتَ أَخَاكَ حَتَّى أَيا قَمَراً مُنِيراً كُنتَ عَونِي فَبَعدَكَ لا تَطِيبُ لَنا حَيَاة ألا لله شَكواي وَصَبرِي ألا لله شَكواي وَصَبرِي

العدد العاشر _ السنة الثالثة _ ٢٣٦ هـ _ ٢٠١٥ م

⁽۱) البهبهاني، محمد باقر، الدمعة الساكبة: ج٤، ص١٥٥. الحائري، محمد مهدي، معالي السبطين: ج٢، ص٢٢.

⁽٢) اللحجي، مسلم بن محمد، تاريخ مسلم اللحجي (مخطوط): ج٤، ص٤٥.

⁽٣) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص٩٩٦.

التخريج والتوثيق

ذكرها محمد مهدي الحائري(١) _ وهو من المتأخرين _ نقلًا عن مقتل أبي مخنف الأزدي (ت١٥٧هـ) منسوبةً إلى الإمام الحسين الله ، ولم أعثر عليها فيه ؛ فلم يترجّح عند الباحث نسبة الأبيات.

١٦ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله قال (٢) _ من الوافر _:

لَقَد كَانَ القَطَاءُ بِأَرض نَجِد قُريرَ العَين لَم يَجِد الغَرَامَا

تَولَّتُ البزَاةُ فَهَيَّمَته وَلَو تُرِكَ القَطا لَغَفا وَنَامَا

التخريج والتوثيق

ورد هذا البيتان في كتاب ناسخ التواريخ (٣) منسوبين إلى الإمام الحسين الله ، ومؤلفها من المتأخرين، ولم يُشاركه الله فيها أحد؛ فلم يترجّح عند الباحث نسبة البيين.

١٧ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال _ من الهزج _:

جَاءَ إلينَا ابنُ سَعد بالكُمَاةِ المُعَلِّمِينَا جَاءَ إلينَا ابنُ سَعد بِجِيوش ثَائِرِينَا لا لذَنب كَانَ مِنَّا غَيرَ فَضل السَّابِقِينَا ضَارَ أُعلَى في المَعَالي مِن بُدُور قَد عَلِينَا صَارَ أُعلَى في المَعَالي مِن بُدُور قَد عَلِينَا

توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين ﷺ (القسم الثاني)

⁽١) الحائري، محمد مهدي، معالى السبطين: ص ١٤٤١.

⁽٢) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص٤١٧.

⁽٣) لسان الملك، محمد تقي، ناسخ التواريخ: ج٦، ص٢٩٦.

فَليَقُل قَولاً مُبِينَا خَاتِم للمُرسَلِينَا مِن جُمُوعِ الظَّالمِينَا يَومَ مَا جلّا حِنينَا تَنَاهَى الفَضلُ فِينَا وَقعة في المارقِينَا وَقعة في المارقِينَا

مَن لَهُ جَد كَمَجدي مَن لَهُ جَد كَمَجدي مَن لَهُ جَد كَجَدِّي وَأَبِي نَصر لجدِّدي يَومَ أُحد يَومَ أُحد يَومَ الأحزابِ وَبالفَتحِ وَلَهُ فِي كُلُّ يَومَ وَلَهُ فِي كُلُّ يَومَ وَلَهُ فِي كُلُّ يَومَ

التخريج والتوثيق

ذكرها السيد محمود الغريفي في تحقيقه لديوان الإمام الحسين الله نقلاً عن تاريخ مسلم اللحجي (١)، منسوبة إلى الإمام الحسين الله ولم أعثر على ترجمة له، أو أيّ تعريف به؛ فلم يترجّح عند الباحث نسبة الأبيات.

١٨ _ ما نُسب إلى الإمام الحسين الله أنَّه قال (٢) _ من بحر الكامل _:

صَلّى عَلَيكَ اللهُ يا قَبرُ أَن لا يَمرّ بأرضِهِ القَطرُ

يا قَبرَ سَيّدِنا المجنّ سَاحه ما ضَرَّ قَبراً أَنَت ساكِنهُ

التخريج والتوثيق

ذكرهما السيد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ) (٣) _ وهو من المتأخرين _ ونسبها إلى أبي الأسود الدؤلي، وهما غير موجودين في ديوانه، ولم أعثر عليها في المصادر القديمة؛ فلم يترجّح عند الباحث نسبة البيتين.

⁽١) اللحجي، مسلم بن محمد، تاريخ مسلم اللحجي (مخطوط): ج٤، ص٤٥.

⁽٢) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٨١.

⁽٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٧، ص٤٠٤.

جَدِّي رَسولُ الله مَا فِيهِ فُحش

يَا نَفْسُ صَبِراً فَالمُنى بَعدَ العَطَش وَأَنَّ رُوحِي فِي الجِهَادِ مُنكَمِش لا أرهَ بالموت إذ الموت وحش

التخريج والتوثيق

ورد هذان البيتان في كتاب أدب الحسين الله وحماسته (٢) منسوبين إلى الإمام الحسين الله ومؤلفهم من المتأخرين؛ فلم يترجّح عند الباحث نسبة البيتين.

(١) المؤيد، على حيدر، ديوان أهل البيت: ص٣٨٩.

⁽٢) الهمداني، أحمد صابري، أدب الحسين الله وحماسته: ص٣٩، وص ٢١٩.

مقتل الحسين الله مقتل الكوفي الكوفي أنه الفضيل بن الزبير الأسدي الكوفي

(ت بين ١٢٢ـ ١٤٨هـ)

الشيخ عامر الجابري*

تقديم

كان الفضيل بن الزبير على صلة وثيقة بزيد الشهيد الشهيد وقد حاول أن يتعرّف من خلاله على (تسمية مَن قُتل مع الحسين بن عليّ المِيْلِيُّ من وُلْده وإخوته وأهله وشيعته)، ثمَّ أضاف إلى ذلك ما توصّل إليه من مصادر أُخرى أهمّها:

١- يحيى بن أمّ طويل، أخو الإمام زين العابدين الله من الرضاعة.

٢ عبد الله بن شريك العامري، من حواريي الإمامين السجاد والباقر التلكال.

ثمَّ ألَّف من كلَّ ذلك نصّاً يُعدِّ من أهم النصوص التاريخيَّة وأقدمها التي ذكرت أسهاء مَن قُتل مع الحسين المُلِّ من الهاشميين وغيرهم.

وقد كان هذا النصّ ولقرون متطاولة غائباً عن أوساطنا العلميّة، إلى أن وفّق الله سبحانه وتعالى العلّامة والمحقق الكبير السيد محمد رضا الحسيني الجلالي لاستخراج

* باحث وكاتب إسلامي.

هذا النصّ من بعض مصادر التراث الزيديّ، وتحقيقه ونشره ووضعه بين يدي الباحثين والمؤرِّخين.

وقد وضعتُ في هذه السطور غاية ما توصّلت إليه من بحث وتنقيب وتحقيق حول شخصية الفضيل وكتابه في المقتل، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب.

المبحث الأوّل: ترجمة الفضيل بن الزبير

١- اسمه ونسبه وأسرته

هو الفضيل (۱) بالألف واللام. أو فضيل (۲)، بدونها بن الزبير، بضمّ الزاي وفتح الباء على زنة (رُجَيل) مصغراً على ما هو المألوف والظاهر من علماء الأنساب (۳)، بن عمر بن درهم (٤) الأسدى الرسّان.

والأُسَدي _ بفتح الألف والسين _ نسبة إلى أسد، وهو اسم عدّة من القبائل العربيّة، منهم:

١_أسد بن عبد العزّى من قبائل قريش.

٧_ أسد بن خزيمة.

٣_ أسد بن ربيعة بن نزار.

٤_أسد بن دودان.

⁽١) أنظر _مشلاً _: الطوسي، محمّد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج٢، ص٦٢٨. الطوسي، محمّد بن الحسن، رجال الطوسي: ص٢٦٩.

⁽٢) أُنظر مشلاً .: الطوسي، محمّد بن الحسن، رجال الطوسي: ص١٤٣ ، البرقي، أحمد بن محمد، الرجال: ص٣٥.

⁽٣) أُنظر: الجلالي، محمد رضا الحسيني، تسمية مَن قُتل مع الحسين الميلاء مجلة تراثنا، العدد الثاني: ص١٢٩.

⁽٤) أنظر: السمعاني، عبد الكريم بن محمّد، الأنساب: ص٢٦٨ ـ ٢٦٩، عند ترجمة: (أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيري).

٥_أسد بن شريك، بطن من الأزد(١).

ويظهر من بعض النسّابين أنّ الفضيل بن الزبير ينتسب إلى أسد بن خزيمة (٢)، وهي قبيلة عظيمة من العدنانيّة، تنتسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. وهي ذات بطون كثيرة يطول ذكرها.

كانت بلادهم فيها يلي الكرخ من أرض نجد، وفي مجاورة طيء، ويُقال: إنّ بلاد طيء كانت لبني أسد، فلمّ خرجوا من اليمن غلبوهم على أجأ وسلمى، وجاءوا واصطلحوا، وتجاوروا لبني أسد، ثمّ تفرّقوا من بلاد الحجاز على الأقطار وذلك بعد الإسلام، فنزلوا العراق، وسكنوا الكوفة منذ سنة ١٩هـ وملكوا الحلّة وجهاتها حتى سنة ٥٨٨هـ(٣).

وعلى أيّة حال، فإنّ الفضيل بن الزبير-على ما يبدو-لم يكن من صميم بني أسد، بل كان ينتسب إليهم بالولاء، كما صرّح بذلك الشيخ الطوسي، قائلاً: «الفضيل بن الزبير الأسدي مولاهم»(٤).

والرَّسّان: بفتح الراء وتشديد السين هو صانع الرسن أو بائعه، والرسن: هو زمام البعير ونحوه (٥٠).

ويبدو لي أنّ هذا الوصف كان في الأصل للزبير، والد الفضيل، فهو صاحب هذه المهنة على ما يبدو، ثمّ عُمِّم الوصف على أفراد أُسرته، والدليل على ذلك: أنّ هذا الوصف لم يكن خاصًا بالفضيل، بل يُطلق على أخيه عبد الله أيضاً (٢).

⁽١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢١٤.

⁽٢) أنظر: البري، محمد بن أبي بكر، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: ج١، ص١٨٠. قال هناك: «ففي ذلك يقول عبدالله بن الزبير الأسدي؛ أسد خزيمة...»، وعبدالله هذا هو أخو الفضيل، كما سيأتي. (٣) أنظر: عمر كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ج١، ص٢٤.

⁽٤) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي: ص٢٦٩.

⁽٥) أُنظر: المامقاني، عبدالله، تنقيح المقال: ج٢، ص١٨٢. البروجردي، على، طرائف المقال: ج٢، ص٢١١.

⁽٦) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج٢، ص٦٢٩.

من أعلام أسرة آل الزيس

تعدّ أُسرة آل الزبير من الأُسَر الشيعيّة الكوفيّة التي أنجبت عدّة من الأعلام، منهم الفضيل بن الزبير صاحب الترجمة، ومنهم:

أعبد الله بن الزبير الأسدى الرّسان

ذكره الشيخ الطوسي في أصحاب الإمام الصادق الله و عبد الله بن الزبير والد أبي أحمد الزبيري»(١).

أقول: أبو أحمد الزبيري هو محمّد بن عبد الله بن الزبير الآتي، وكلام الشيخ يدلّ بظاهره على كونه أشهر من والده.

دنانير، وأمرنى أن أُقسمها في عيالات مَن أُصيب مع عمّه زيد، فقسمتها، قال: فأصاب عيال عبد الله بن الزبير الرسّان أربعة دنانير»(١). وقد علَّق العلَّامة الحلِّي على هذه الرواية بقوله: «وهذه الرواية تُعطى أنّه كان زيديّاً»(٣).

أقول: الدليل أعمّ من المدّعي، فليس كلّ مَن خرج مع زيد الله كان ـ بالضرورة ـ زيديّاً، نعم، لا شكّ في أنّ الخروج يعدّ قرينة مهمّة على ذلك، وعلينا أن نبحث عن قرائن أخرى نضمّها إليها.

وعلى أيّة حال، فظاهر رواية الكشي أنّ عبد الله من المُستَشهدِين مع زيد الله سنة ١٢٢هـ، ولكن بعض النقولات قد دلّت على بقائه حيّاً إلى أيام محمّد بن عبد الله ذي النفس الزكيّة المُستشهَد سنة ١٤٥هـ، فقد قال أبو الفرج الأصفهاني: حدَّثنا عليّ بن العباس، قال: حدَّثنا بكار بن أحمد، قال: حدَّثنا الحسن بن الحسين، قال: حدَّثنا عبد



⁽١) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي: ص٢٣٤.

⁽٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج٢، ص٦٢٩.

⁽٣) العلّامة الحلّى، الحسن بن يوسف، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال: ص٣٧٢.

الله بن الزبير الأسدي، وكان في صحابة محمّد بن عبد الله، قال: «رأيت محمّد بن عبد الله عليه سيف محلّى يوم خرج، فقلت له: أتلبس سيفاً محلّى؟! فقال: أيّ بأس بذلك؟! قد كان أصحاب رسول الله عليه يلبسون السيوف المحلّاة»(١).

ورواية المقاتل صريحة الدلالة على بقائه حيّاً إلى أيام محمّد بن عبد الله، فلابدّ من حَمْل رواية الكشي على الجرح دون القتل، وهذا ما تحتمله رواية الكشي من غير تكلّف، حيث قالت: «من أُصيب مع عمّه زيد». ومن المعلوم أنّ الإصابة أعمّ مفهوماً من القتل.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرى ربها تصلح هذه الرواية قرينة أُخرى على زيديّة عبد الله بن الزبير، أو على ابتعاده عن خطِّ الاثنى عشريّة على الأقل.

وقد كان عبد الله بن الزبير شاعراً، وله في رثاء مسلم وهانئ قصيدة مشهورة بين خطباء المنر الحسيني، يقول في مطلعها(٢):

إذا كنتِ لا تدرين ما الموت فأنظري إلى هانئ في السوق وابن عقيل

ب. محمد بن عبد الله بن الزبير (أبو أحمد الزبيري)

وهو أبو أحمد، محمّد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم الأسدي الزبيري، من أهل الكوفة، محدِّث كبر مكثر، كان يبيع القت بزبالة (٣).

قال عنه الذهبي: «الحافظ الكبير، المجود، أبو أحمد الزبيري، الكوفي، مولى بني أسد، حدَّث عن مالك بن مغول، وفطر بن خليفة، وعيسى بن طهمان ـ صاحب أنس _ وعمر بن سعيد بن أبي حسين، ومسعر، وسعد بن أوس العبسي، وأيمن بن نابل، ورباح بن أبي معروف، وحمزة بن حبيب، والوليد بن عبد الله بن جميع، وسفيان،

⁽١) الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين: ص٥٥٦.

⁽٢) المصدر السابق: ص١٠٩.

⁽٣) أنظر: السمعاني، عبد الكريم بن محمّد، الأنساب: ص٢٦٩.

وشيبان النحوي، وسعيد بن حسان المخزومي، ويونس بن أبي إسحاق، وخلق كثير. حدّث عنه ابنه طاهر، وأحمد، والقواريري، وأبو بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، وابن نمير، وابن مثنى، ومحمود بن غيلان، ونصر بن عليّ، وأحمد بن سنان القطان، وبندار، ومحمّد بن رافع، ويحيى بن أبي طالب، والكديمي، وخلق سواهم»(۱).

وذكره العجلي في تاريخ الثقات بقوله: «محمّد بن عبد الله بن الزبير الأسدي، يكنّى أبا أحمد، كوفي، ثقة، يتشيّع»(٢).

وعدّه ابن حبّان في كتاب الثقات قائلاً: «أبو أحمد الزبيري اسمه محمّد بن عبد الله بن الزبير الأسدي، من أهل الكوفة، يروى عن الثوري وإسرائيل، روى عنه أحمد بن حنبل وأهل العراق، مات سنة ثلاث ومائتين بالأهواز» (٣).

٢. ولادته ونشأته

لم نقف على ما يحدِّد لنا مولد الفضيل تحديداً دقيقاً، إلّا كونه من دعاة زيد (ت سنة ١٢٢هـ) كما سنشير، وكونه _ كما سيأتي أيضاً _ ممَّن روى عن الإمام الباقر الله التحديث (ت سنة ١١٤هـ)، وعدم روايته عن الإمام السجاد الله الله على ولادته قبل مطلع القرن الثاني الهجري.

ونحن لا نمتلك ما يساعدنا على معرفة نشأة الفضيل ومسيرة حياته بشكل دقيق ومفصّل؛ فالنصوص في هذا المجال شحيحة، بل تكاد أن تكون منعدمة.

وغاية ما نستطيع استشفافه من النصوص، هو أنّه قد نشأ وترعرع في الكوفة، وقد نُسب إليها في بعض المصادر⁽³⁾، وأخذ العلم عن أهلها، وأخذه عنه أهلها، كما يستفاد هذا الأمر من خلال النظر في تراجم شيوخه وتلامذته والراوين عنه.

⁽١) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج١٨، ص٦٣.

⁽٢) العجلي، أحمد بن عبد الله، تاريخ الثقات: ص٥٠٦.

⁽٣) ابن حبان، محمّد بن حبّان، الثقات: ج٩، ص٥٨.

⁽٤) أنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، رجال الطوسي: ص٢٦٩.

وحينها نزل زيد في الكوفة سنة ١٢١هـ، وقام بنشر دعوته بين أهلها، كان الفضيل بن الزبير من أوائل المبادرين إلى نصرته، بل كان من قياديي هذه الدعوة، كها يستفاد من بعض الروايات التي سنشير إليها لاحقاً.

كها يُستشفّ من خلال مرويات الفضيل أنّه قد سافر إلى المدينة المنوّرة، في حياة الإمام الباقر الله منين الله الله عنه معجزة لأمير المؤمنين الله الإمام الباقر الله عنه عنه معجزة الأمير المؤمنين الله عنه عنه حديث: «يا فضيل، أما علمت أنّ رسول الله على قال: إنّا أهل بيت...»(٢)، وسيأتي ما يشير إلى سفره بعد مقتل زيد الله المدينة للقاء الإمام الصادق الله.

٣ مكانته العلمية وطبقته، من مصنفاته

قال ابن النديم: «ومَن متكلميّ الزيديّة: فضيل الرساف، وهو ابن الزبير»(٣). أقول: (الرساف) تصحيف (الرسّان)، كها هو واضح.

وقد اعتبره سعد بن عبد الله الأشعري أحد رؤساء فرق الزيديّة القويّة، إذ قال: «وأمّا الأقوياء منهم، فهم: أصحاب أبي الجارود، وأصحاب أبي خالد الواسطي، وأصحاب فضيل الرسان»(٤).

ويمكن أن نتلمّس المكانة العلميّة التي كان يتمتّع بها الفضيل بن الزبير، من خلال التأمّل برواياته المنقولة في أبواب: التفسير والعقيدة والأخلاق والعرفان والتاريخ، وغيرها.

وقد لاحظنا: أنَّ أكثر رواياته ترتبط بأحقيّة أهل البيت المَّكِ في الخلافة، وتفضيلهم على غيرهم، وهو ما يؤكِّد كون الرجل من المهتمّين بالجانب الكلامي والعقائدي، كما دلّ على ذلك كلام ابن النديم والأشعري، ولم أجده يتعرّض إلى نقل الروايات

⁽١) الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح: ج٢، ص٣٧٧.

⁽٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥، ص ٢٤٩.

⁽٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، الفهرست: ص٢٢١.

⁽٤) القمى، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق: ص٧٤.

أمّا طبقته: فقد عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الباقر الله قائلاً: «فضيل بن الزبير الرسّان» (۱)، ثمّ عدّه في أصحاب الإمام الصادق الله قائلاً: «الفضيل بن الزبير الأسدي، مولاهم، كوفي، الرسّان» (۱).
وقد روى أيضاً - كها يأتي في سند مقتله - عن زيد الشهيد الله ويحيى بن أُمّ طويل،

وقد روى أيضاً - كها يأتي في سند مقتله - عن زيد الشهيد الله ويحيى بن أُمّ طويل، وعبد الله بن شريك العامري، وروى أيضاً عن أبي سعيد عقيصا^(٣)، وأبي عبد الله مولى بني هاشم^(١)، وأبي داود السبيعي^(٥)، وأبي عمر مولى ابن الحنفية^(٢)، وفروة بن مجاشع^(٧)، ويحيى بن عقيل^(٨)، وغيرهم.

وروى عنه أبو حفص الأعشى الكاهلي^(۱)، وإسماعيل بن أبان^(۱۱)، ومخول بن إبراهيم^(۱۱)، وعاصم بن حميد الحناط^(۱۲)، وغيرهم.

وهو عادة ما يقع في نصوص كتب الحديث والتاريخ بعنوان: (الفضيل بن الزبير) أو (فضيل بن الرسّان)، وقد يقع في بعض النصوص بعنوان:

(الفضل بن الزبير) وهو تصحيف.

د العاشر _ السنة الثالثة _ ١٤٣٦ هـ _ ١٠١٥ م

⁽١) الطوسي، محمّد بن الحسن، رجال الطوسي: ص١٣٢.

⁽٢) المصدر السابق: ص٢٦٩.

⁽٣) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص١٥١.

⁽٤) أُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص١٤٨.

⁽٥) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٨٩.

⁽٦) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٥٩.

⁽٧) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص١٢٥.

[&]quot; (٨) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٠٧.

⁽٩) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٣٢.

⁽١٠) أنظر: المصدر السابق: ص١٤٨.

⁽١١) أنظر: المصدر السابق: ص٢٨٩.

⁽١٢) أنظر: المصدر السابق: ص٤٩٣.

ولم أجد من ذكر الفضيل بن الزبير في عداد المصنفين، ولم يُنسب إليه أيُّ كتاب في أيً علم من العلوم أو فنِّ من الفنون، وأمّا كتابه في المقتل فهو في ظاهره ليس كتاباً مدوّناً في قرطاس، ولم تذكره كتب الفهارس، وإن كنت أرى أنّ عمله في هذا المقتل في واقعه لا يختلف عن عمل المؤلّفين، بل إنّ انطباق مفهوم التأليف عليه أشدّ بكثير من انطباقه على العديد من الآثار المنقولة عن تلك الفترة الزمنيّة، فمن سات التأليف فيه: الحديد من الآثار المنقولة عن تلك الفترة الزمنيّة، فمن سات التأليف فيه: الحديد من الآثار المنقولة عن تلك الفترة الزمنيّة، فمن سات التأليف فيه:

٢- تبوبيه للهادّة، حيث قسّم الشهداء على قسمين: شهداء أهل البيت المليق، وقسّم شهداء وشهداء الأصحاب، وقدّم شهداء أهل البيت اللها على غيرهم، وقسّم شهداء الأصحاب بحسب القبائل التي ينتمون إليها، وهو المنهج الذي سار عليه جلُّ مَن كتب في هذا الموضوع، كعبد المجيد الحسيني الحائري في ذخيرة الدارين، والسهاوي في إبصار العين، وشمس الدين في أنصار الحسين اللها وغيرهم.

والخلاصة: إنّني أظنّ: أنّ هذا العمل كان في واقعه كتاباً من حيث المحتوى والمضمون، وإن لم ينتشر بين الناس بهذه الصفة إلّا في وقتنا الحاضر على يد السيّد الجلالي.

٤ مذهبه ومعتقده

نقلنا _ فيها مرّ _ أنّ ابن النديم عدّ الفضيل بن الزبير من متكلمي الزيديّة، بل عدّه عبد الله بن سعد الأشعري _ كها مرّ أيضاً _ من رؤساء الفرق القويّة المنبثقة عن المذهب الزيديّ، ويمكن أن نضيف إلى ذلك قرينتين تؤكّدان هذا المعنى:

الفرج الأصفهاني، عن الفضيل بن الزبير، قال: قال أبو حنيفة: «مَن يأتي زيداً في هذا الفرج الأصفهاني، عن الفضيل بن الزبير، قال: قال أبو حنيفة: «مَن يأتي زيداً في هذا الشأن من فقهاء الناس؟ قال: قلت سليمة بن كهيل، ويزيد بن أبي زياد، وهارون بن سعد، وهاشم بن البريد، وأبو هاشم الرماني، والحجاج بن دينار، وغيرهم. فقال لي:

قل لزيدٍ: لك عندي معونة وقوّة على جهاد عدوك، فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح. ثمَّ بعث ذلك معى إلى زيد، فأخذه زيد»(١).

ويمكن أن يستدلّ على ارتباطه بزيد الله وثورته أيضاً ما رواه الكشي عن فضيل الرسّان، قال: «دخلت على أبي عبد الله الله بعد ما قُتل زيد بن على الله فأدخلت بيتاً جوف بيت، فقال لي: يا فضيل، قُتل عمّي زيد؟ قلت: نعم جُعلت فداك. قال: رحمه الله إنّه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صادقاً، أما إنّه لو ظفر لوفى، أما إنّه لو ملك لعرف كيف يضعها...»(٢).

٢- اختصاصه بزيد وأخذه عنه، وهذا ما يمكن الاستدلال عليه بعدة أُمور: منها: كونه أحدالمصادر الأساسية التي اغترف منها الفضيل في هذا المقتل، كهاسيأتي. ومنها: ما روي عن الفضيل بن الزبير، قال: قلت لزيد بن علي الله القول في أبي بكر وعمر؟ قال: قل فيهها ما قال عليّ: كفّ كها كفّ لا تجاوز قوله. قلت: أخبرني عن قلبي أنا خلقته؟ قال: لا. قلت: فإنّي أشهد على الذي خلقه أنّه وضع في قلبي بغضهها، فكيف لي بإخراج ذلك من قلبي؟ فجلس جالساً، وقال: أنا والله الذي لا إله إلّا هو، وي عنه أيضاً أنّه قال: «سمعت زيد بن علي الله يقول: المنتظر من وُلد الحسين بن روي عنه أيضاً أنّه قال: «سمعت زيد بن علي الله يقول: المنتظر من وُلد الحسين بن علي، في ذرّية الحسين وفي عقب الحسين الله الفكرية علي، في ذرّية الحسين وفي عقب الحسين الله الني كان يرجع إليها في مسائله الفكرية والعقدية.

⁽١) الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين: ص١٤١.

⁽٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج٣، ص٠٧٥.

⁽٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٠٣، ص٥٨٥.

⁽٤) المصدر السابق: ج١٥، ص٣٥.

٥. وثاقته وعدالته

يمكننا أن نحاول إثبات اعتبار الفضيل بن الزبير بأكثر من أُسلوب:

الأُسلوب الأوّل: أن نستدلّ على وثاقته أو مدحه على أقل تقدير من خلال نصّ المعصوم اليّلا، كالرواية التي نقلناها سابقاً عن الكشي، عن الفضيل بن الزبير، قال: «دخلتُ على أبي عبد الله الله الله بعد ما قُتل زيد بن على الله فأدخلت بيتاً جوف بيت...» فإنّ هذه الرواية تكشف عن وجود نوع من أنواع العلاقة الخاصّة بين الإمام اللي والفضيل، وأقلّ ما يستفاد من جوّ هذه الرواية: هو أنّ الرجل من الممدوحين، ولعلّ هذه الرواية هي التي دعت ابن داود إلى ذكره في القسم المخصص للرواة الممدوحين، وهي التي دعته إلى نسبة مدحه إلى الكشي (۱).

ولكن أقل ما يُعترض به على هذه الرواية: هو أنّ الراوي لهذه الرواية هو الفضيل نفسه، فيكون الاستدلال بها _ حينئذ _ على مدح الفضيل أشبه بالدور.

الأُسلوب الثاني: أن نستدل على وثاقته من خلال التوثيقات العامّة، فقد وقع اسمه في بعض أسانيد كتاب كامل الزيارات(٢)، وكتاب تفسير القمّي(٣)، فيكون بذلك موثقاً على المبنى القائل بوثاقة جميع مَن ورد اسمه في أسانيد هذين الكتابين.

نعم، بناءً على القول بانحصار التوثيق بشيوخ ابن قولويه والقمّي المباشرين، لا يكون الفضيل مشمو لاً مذين التوثيقين.

الأُسلوب الثالث: أن نستدلّ على وثاقته بعدم ورود ما يقدح به.

وتوضيح ذلك: أنَّ الفضيل قد عنونه الرجاليون ولم يضعفوه، وهذا ما يجعله

مقتل الحسين ﷺ برواية الفضيل بن الزبير الأسدي الكوفي

⁽١) أُنظر: الحلّي، ابن داود، رجال ابن داود: ص٥١٥.

⁽٢) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص١٥١، الباب(٢٣) قول أمير المؤمنين الله في قتل الحسين الله وقول الحسين الله له في ذلك، الحديث رقم (٧).

⁽٣) أُنظر: القمي، على بن إبراهم، تفسير القمي: ج٢، ص٣٨٨، سورة نوح، في تفسير قوله تعالى: { إِنَّكَ إِنَّكَ إِنَّكَ إِنَّكَ إِنَّكَ إِنَّكَ الرَّسَام)، والتصحيف فيه واضح.

في عداد المهملين، والمهمل عند القدماء عند المجهول الذي صرَّح علماء الرجال بضعفه، فالأخير تُردّروايته دون الأوّل، وقد كان ابن داو ديعمل بخبر المهمل كما يعمل بخبر الممدوح؛ ولذا خصّص الجزء الأوّل من كتابه للممدوحين ومَن لم يضعفهم الأصحاب، وبهذا يكون الفضيل معتبر الرواية عند أصحاب هذا المبنى. الأسلوب الرابع: أُسلوب جمع القرائن والشواهد المفيدة للاطمئنان، وهو ما سلكه السيِّد محمّد رضا الجلالي لتوثيق الفضيل، قال: «والذي أراه أنّ الرجل معتبر الحديث، لما يبدو من مجموع أخباره وأحواله من انقطاعه إلى أهل البيت الميهية، وكونه مأموناً على أسرارهم، وكذلك

وقوعه في طريق كثير من الروايات _ وكلُّها خالية ممَّا يوجب القدح فيه _ فهذا كلُّه

٦.وفاته

مدعاة إلى الاطمئنان به...»(١).

من المؤكّد أنّ الفضيل قد كان حيّاً بعد عام ١٢٢هـ، وهو العام الذي استُشهد فيه زيد الله عيث أشرنا إلى لقائه بالإمام الصادق الله بعد هذا التاريخ، كما أنّ عدم روايته عن الإمام الكاظم الله قد تدلّ على وفاته في أيام الإمام الصادق الله المتوفّى عام ١٤٨هـ، وبالتالي نستطيع أن نحصر وفاته بين عامي (١٢٢هـ).

المبحث الثاني: مقتل الحسين الله لفضيل بن الزبير الأسدي

قبل أن نقوم بنقل النصّ الكامل لهذا المقتل من كتاب الأمالي الخميسيّة، توجد عدّة نقاط ينبغي الوقوف عندها:

(١) الجلالي، محمّد رضا، تسمية مَن قُتل مع الحسين الله ، مجلة تراثنا، العدد الثاني: ص١٤٥.

الحسين الله برواية الفضيل بن الزبير الأسدي الكوا

إنّ أقدم نصّ احتوى على هذا المقتل هو كتاب الأمالي الخميسيّة ليحيى بن الحسين الشجري (ت٤٧٩هـ) المشهور بـ (المرشد بالله) أحد أئمّة الزيديّة؛ من هنا كان لا بدّ لنا من وقفة قصرة للتعريف بالكاتب والكتاب.

أمّا الكاتب، فهو أبو الحسين يحيى بن الحسين (الموفق بالله) صاحب كتاب (الاعتبار وسلوة العارفين) ـ بن إسهاعيل بن زيد الحسني الرازي، عرف يحيى بـ (المرشد بالله) و(الشجري) و(إلْكيًا)(۱)، وكان مفتي الزيديّة ومرجعهم، وكانت دعوته في بلاد الجبل والديلم والرّي وجرجان في القرن الخامس الهجري.

قال ابن الجوزي: «يحيى بن الحسين بن إسهاعيل بن زيد، أبو الحسين الحسني وكان مفتي طائفته على مذهب زيد بن علي الله معرفة بالأصول والحديث» (٢).

وقال ابن حجر _ بعد ما أشار إلى نسبه ومذهبه وسكناه _: «سمع الصوري والعتيقي وابن غيلان وابن زيده بأصبهان وغيرهم، روى عنه محمّد بن عبد الواحد الدقاق ونصر بن مهدي وأبو سعد يحيى بن طاهر السمان، وكان ممّن عُني بالحديث، إلّا أنّه مبتدع، كان مفتي الزيديّة ومقدّمهم وعالمهم، توفّي بالرّي سنة تسع وسبعين وأربع مائة» (٣٠).

أمّا الكتاب، فيعرف بـ(الأمالي الخميسيّة)، والأمالي: هو «عنوان لبعض كتب الحديث غالباً، وهو الكتاب الذي أُدرج فيه الأحاديث المسموعة من إملاء الشيخ عن ظهر قلبه وعن كتابه، والغالب عليها ترتيبه على مجالس الساع، ولذا يطلق عليه المجالس أو عرض المجالس أيضاً، وهو نظير الأصل في قوّة الاعتبار وقلّة تطرّق

⁽١) (إِلْكيَا): هذه المفردة تعني (الحبر) . أُنظر: السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: ج٢، ص٥٨٤.

⁽٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج١٦، ص٢٦٦.

⁽٣) ابن حجر، أحمد بن على، لسان الميزان: ج٨، ص٤٢٧.

احتمال السهو والغلط والنسيان، ولا سيما إذا كان إملاء الشيخ عن كتابه المصحّح، أو عن ظهر القلب مع الوثوق والاطمئنان بكونه حافظاً ضابطاً متقناً»(١).

وسُميت (الأمالي الخميسيّة) بهذا الاسم، لأنّ الشجري كان يمليها على طلابه كلّ يوم خميس، وللمصنّف كتاب آخر اسمه كتاب (الأنوار) يعرف بـ(الأمالي الإثنينيّة) أملاه يوم الإثنين.

ويُعرف هذا الكتاب أيضاً باسم (ترتيب الأمالي الخميسيّة)، بعدما رتبه العلّامة محيي الدين محمّد بن أحمد بن عليّ بن الوليد القرشي العبشمي، وهو الآن على ترتيبه، وكان قبل ذلك رتبه القاضي العلّامة شمس الدين جعفر بن أحمد بن أبي يحيى في سبعة وعشرين باباً.

٢ ـ سند الكتاب واسمه

قال الشجري: «أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمّد بن عليّ (٢) بن الحسن البطحاني، بقراءتي عليه بالكوفة، قال: أخبرنا محمّد بن جعفر التميمي ـ قراءةً ـ قال: أخبرنا أحمد بن محمّد بن سعيد، قال: أخبرني الحسن بن جعفر التميمي ـ قراءةً ـ قال: حدّثني عمّي طاهر بن مدرار، قال: حدَّثني فضيل بن الزبير، قال: سمعت الإمام أبا الحسين زيد بن علي الله وعيى بن أمّ طويل، وعبد الله بن شريك العامري يذكرون تسمية مَن قُتل مع الحسين بن علي المنافق من وُلْده وإخوته وأهله وشيعته، وسمعته أيضاً من آخرين سواهم» (٣).

⁽١) الطهراني، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٢، ص٣٠٥-٣٠٦.

⁽٢) في الأصل: (عبدالله) بدل (علي)، وهو غلط، كما نبّه عليه الجلالي. أُنظر: الجلالي، محمّد رضا، تسمية مَن قُتل مع الحسين الله ، مجلة تراثنا، العدد الثاني: هامش ص ٢٦.

⁽٣) الشجري، يحيى بن الحسين، ترتيب الأمالي الخميسيّة: ج١، ص٢٢٤.

وقد اشتمل هذا النصّ على أمرين أساسيين:

أولاً: طريق صاحب الأمالي إلى الفضيل بن الزبير.

ثانياً: مصادر الفضيل بن الزبير في هذا الكتاب.

وهذا ما سنبحثه فيها يلي:

أولاً: طريق صاحب الأمالي إلى الفضيل بن الزبير

روى صاحب الأمالي هذا الكتاب عن الفضيل بن الزبير بوسائط خمس:

ا _ الشريف أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن الحسن البطحاني (ت ٤٤هـ): قال عنه الذهبي: «الإمام، المحدِّث، الثقة، العالم، الفقيه، مسند الكوفة، أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي الكوفي. انتقى عليه الحافظ أبو عبد الله الصورى، وغيره»(۱).

وذكره ابن الجوزي في ترجمة (أبو الغنائم النرسي)، حيث قال: «ولقي [يعني النرسي] أبا عبد الله العلوي العلّامة، وهو محمّد بن عليّ بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي، وكان هذا العلوي يعرف الحديث...»(٢).

٢- محمّد بن جعفر التميمي: وهو أبو الحسن محمّد بن جعفر بن محمّد بن هارون بن فروة التميمي، النحوي، الكوفي، المعروف بـ (ابن النجار)، كان مولده عام ٣٠٣هـ، ووفاته عام ٤٠٢هـ.

قال الزركلي: «محمّد بن جعفر بن محمّد بن هارون التميمي، أبو الحسن، المعروف بابن النجّار: عالم بالعربية، له اشتغال بالتأريخ، معمِّر، من أهل الكوفة، مولده ووفاته فيها، من كتبه (تاريخ الكوفة) رآه ياقوت، و(التحف والطرف) و(روضة الأخبار) و(القراءات)»(٤).

⁽١) الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣٤، ص١٤٦.

⁽٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج١٧، ص١٥١.

⁽٣) أنظر: الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣٣، ص٩١.

⁽٤) الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج٦، ص٧١.

٣- أحمد بن محمّد بن سعيد: وهو الحافظ المعروف به (ابن عقدة) (٢٤٩هـ - ٣٣٣هـ) والموتّق عند الإماميّة والزيديّة والعامّة.

3- الحسن بن جعفر التميمي: من شيوخ ابن عقدة، ومن تلامذة عمّه طاهر بن مدرار الآتي، وأكثر رواياته عنه، ولم ترد له ترجمة خاصّة في رجالنا، ذكره الخطيب البغدادي في كتاب غنية الملتمس إيضاح الملتبس، قائلاً: «الحسن بن جعفر بن مدرار الكوفي، حدَّث عن عمّه طاهر بن مدرار، روى عنه أبو العباس بن عقدة الحافظ»(۱).

٥ طاهر بن مدرار: وهو طاهر بن مدرار التميمي الطنافسي الكوفي، عمّ الحسن بن جعفر وشيخه، ومن تلامذة الفضيل بن الزبير، وراوي كتابه في المقتل.

قال الجلالي فيه وفي ابن أخيه: «...ويظهر حُسْن حالهما عند الدارقطني؛ حيث لم يتعرّض لهما بشيء في الروايات التي وقعا في طُرُقِها مع أنّه تعرّض للحسن بن عمارة مكرراً، وقال: إنّه متروك. أو إذا لاحظنا ما ذكره الذهبي في حقّ الدارقطني من أنّه: حافظ العصر الذي لم يأتِ بعد النسائي مثله، ولاحظنا أنّ كتابه (السنن) من مظانّ الحديث الحسن، كما قال السيوطي، بل من مظانّ الحديث الصحيح، كما قال ابن حجر، اتضح عدم مجهوليّة الرجلين، بل حُسْن حالهما والاعتماد عليهما»(٢).

ثانياً: مصادر الفضيل بن الزبير في هذا الكتاب

لقد اعتمد الفضيل بن الزبير في هذا الكتاب _ كها صرّح في النصِّ أعلاه _ على ثلاثة مصادر أساسية: (أبو الحسين زيد بن علي الله ويحيى بن أُم طويل، وعبد الله بن شريك العامري)، فهؤ لاء يمثّلون المآخذ الأساسية والمنابع الرئيسيّة التي استقى منها الفضيل مادّة كتابه، وفيها يلى تعريف مقتضب لكلّ واحد منهم:

١- أبو الحسين زيد بن على الله الله الله الله الذي يُنسب إليه المذهب

⁽١) الخطيب البغدادي، أحمد بن على، غنية الملتمس إيضاح الملتبس: ص٥٦٠.

⁽٢) الجلالي، محمّد رضا، تسمية مَن قُتل مع الحسين الله على العدد الثاني: ص١٤٦.

الزيدي، وهو أشهر من نار على علم.

قال الشيخ المفيد: «كان زيد بن عليّ بن الحسين على عين إخوته بعد أبي جعفر الله وأفضلهم، وكان عابداً ورعاً فقيها سخيّاً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين الله .

أخبرني الشريف أبو محمّد الحسن بن محمّد، عن جدِّه عن الحسن بن يحيى، قال: حدَّثنا الحسن بن الحسين، عن يحيى بن مساور عن أبي الجارود زياد بن المنذر، قال: قدمت المدينة فجعلت كلّما سألت عن زيد بن علي الله قيل لي: ذاك حليف القرآن! وروى هشام بن هشام، قال: سألت خالد بن صفوان، عن زيد بن علي الله وكان يحدِّثنا عنه، فقلت: أي رجل كان؟ فقال: كان كما علمت يبكى من خشية الله حتى يختلط دموعه بمخاطه. واعتقد كثير من الشيعة فيه علمت يبكى من خشية الله حتى يختلط دموعه بمخاطه. واعتقد كثير من الشيعة فيه الإمامة، وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف، يدعو إلى الرضا من آل محمد الله فظنو، يريد بذلك نفسه، ولم يكن يريدها به لمعرفته باستحقاق أخيه الله الإمامة من قبله، ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله الله الله من قبله، ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله الله الله الله الله من قبله، ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله الله الله المن قبله، ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله الله المنه الله الله الله المنه الله المنه الله المنه الله المنه الله الله المنه الله الله المنه المنه المنه الله المنه الله المنه المنه الله المنه المنه الله المنه المنه الله المنه الله المنه الله المنه الله المنه المنه الله المنه الله المنه المنه المنه المنه المنه المنه المنه المنه الله المنه الله المنه اله

وعده الشيخ الطوسي في أصحاب الإمام زين العابدين الله ، قائلاً: «زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب الله الله الله الإمام الباقر الله قائلاً بعد أن عنونه: «أبو الحسين أخوه الله الله الله الله الصادق الله ، وقال: «أبو الحسين أخوه الله الله إحدى وعشرين ومائة وله اثنتان وأربعون سنة» (أبو الحسين مدني تابعي، قُتل سنة إحدى وعشرين ومائة وله اثنتان وأربعون سنة» (أبو الحسين مدني تابعي) .

٢- يحيى بن أُمّ طويل: هذا هو يحيى بن أُمّ الطويل أخو الإمام زين العابدين السلام من الرضاعة وبابه وخاصّته وبطانته، عدّه الشيخ الطوسي في أصحاب الإمام زين

⁽١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص١٧١.

⁽٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، رجال الطوسي: ص١١٣.

⁽٣) المصدر السابق: ص١٣٥.

⁽٤) المصدر السابق: ص٢٠٦.

العابدين التلامع توصيفه بـ (المطعمي)(١).

٣- عبد الله بن شريك العامري: هذا هو أبو المحجل عبد الله بن شريك بن عدي العامري الكلابي الوحيدي، الكوفي، من وجوه الشيعة، ومن حواريي الإمامين السجّاد والباقر المنها في ترجمة حفيد حفيد حفيد، (عبيد بن كثير بن محمد)، فقال: «روى عن عليّ بن الحسين وأبي جعفر النجاليّ ، وكان يُكنّى أبا المحجل، وكان عندهما وجيهاً مقدّماً»(٣).

٣. الجلالي أوّل مَن أحيى هذا المقتل

ممّا ينبغي أن يُشار إليه هو أنّ أوّل مَن أحيى هذا الأثر، ونشره في حواضرنا العلميّة، هو العلّامة والمحقق الكبير المعاصر السيّد محمّد رضا الحسيني الجلالي، حيث قام باستخراج متنه من كتاب الأمالي الخميسيّة، وقام بتحقيق النصّ وتقويمه، وقدّم له بمقدّمة إضافية اشتملت على: (التعريف بالكتاب، ترجمة الفضيل بن الزبير، سند الكتاب) وقد نُشر _ لأوّل مرّة _ بعنوان (تسمية مَن قُتل مع الحسين اليّ من وُلْده وإخوته وأهل بيته وشيعته) في العدد الثاني من فصليّة تراثنا (٢٠١٦هـ) التي تصدر في قم عن مؤسسة آل البيت اليّ لأحياء التراث.

وقد تعرّض السيِّد الجلالي _ في مستهل مقدّمة التحقيق _ إلى نقاط القوّة التي اشتمل عليها هذا النصّ، والتي حفّزته على تحقيقه ونشره، وهي كما يلي:

⁽١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٢٢.

⁽٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج١، ص٣٣٨.

⁽٣) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٢٣٤.

١-إن روايته مسندة عن رجال معروفين، يتمتّعون بمكانة عند المحدّثين والعلماء،
 وهذا ما لم تحض به أكثر الروايات التي يتداولها المؤرّخون وأرباب المقاتل وغيرهم
 من المؤلّفين هذا الصدد.

٢ ـ إن جامعه (فضيل بن الزبير) قصد إلى استيعاب ما توفّر له من النقول في هذا المجال، فلقي أكثر من شخص، وجمع ما ذكروه في هذه الرواية؛ ممّا يدلّ على عنايته الفائقة بها جمعه فيه.

٣ ـ احتواؤه على أسماء لشهداء لم يُذكروا في موضع آخر.

٤ _ احتواؤه على آثار وروايات وتفصيلات، ممّا يرفع من قيمته العلميّة والتاريخيّة.

٥ _ إنّي لم أجد (والكلام للجلالي) فيها قرأت من الكتب المعنيّة بهذا الموضوع ذكراً لهذا الأثر، ولا نقلاً عنه (١).

أقول: وبعد هذا أخذ هذا الأثر بالانتشار في حواضرنا العلميّة، وأخذت الكتب المعنية بواقعة كربلاء تعتمد عليه، فممَّن اعتمد عليه _ بحسب تتبّعي لما صدر في هذا الشأن في السنوات الماضية _: الطبسي في كتابه الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، وفوزي آل سيف في كتابه من قضايا النهضة الحسينيّة، وجواد محدّثي في كتابه موسوعة عاشوراء، وحسين الشاكري في كتابه سيرة الإمام الحسين الشاكري في كتابه سيرة الإمام الحسين الطووس.

متن المقتل براوية صاحب الأمالي

أشرنا فيها سبق إلى أنّ أقدم نصِّ مكتوب من هذا المقتل هو ما نقله الشجري في الأمالي الخميسيّة، وسننقل فيها يأتي النصّ الكامل لهذا المقتل برواية صاحب الأمالي، عم الأخذ بعين الاعتبار التصحيحات التي أجراها السيِّد الجلالي بعد تحقيقه للنصّ، فهذه هي النسخة المحققة من هذا المقتل بتحقيق السيِّد الجلالي، والمنشورة في العدد

⁽١) الجلالي، محمّد رضا، تسمية مَن قُتل مع الحسين الثِّلاء مجلة تراثنا، العدد الثاني: ص٢٨.

الثاني من فصليّة تراثنا بعنوان: (تسمية مَن قُتل مع الحسين بن عليّ الله من وُلْده وإخوته وأهله وشيعته)، الصفحات: (١٤٩_ ١٥٧)، ولم نغيّر من هذه النسخة سوى حذف التعليقات التي يضعها المحقّق أحياناً للتنبيه على المواضع المصحّحة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تسمية مَن قُتل مع الحسين بن على المُلِي من وُلده وإخوته وأهله وشيعته

شهداء أهل البيت المليلة

- (١) الحسين بن عليّ، ابن رسول الله (صلوات الله عليهم)، قتله سنان بن أنس النخعي، وحمل رأسه، فجاء به خولي بن يزيد الأصبحي.
- (٢) والعباس بن عليّ بن أبي طالب المنتين أمّ أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد العامري، قتله زيد بن رقاد الجنبي، وحكيم بن الطفيل الطائف السنبسي، وكلاهما ابتُلى في بدنه.
- (٣) وجعفر بن عليّ بن أبي طالب المُهَالِكُ وأُمّه _ أيضاً _ أُمّ البنين بنت حزام، قتله هانئ بن ثبيت الحضرمي.
- (٤) وعبد الله بن علي الله وأُمّه _ أيضاً _ أُمّ البنين، رماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم، وأجهز عليه رجل من بني تميم بن أبان بن دارم.
- (٥) ومحمّد بن عليّ بن أبي طالب اللَّهِ الأصغر، قتله رجل من أبان بن دارم، وليس بقاتل عبد الله بن عليّ، وأُمّه أُمّ وَلَد.
- (٦) وأبو بكر بن عليّ بن أبي طالب المَيْكُ ، وأُمّه ليلي بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلم بن جندل بن نهشل بن دارم التميمي.
- (٧) وعثمان بن عليّ عليميّ الله أمّ البنين بنت حزام، أخو العباس وجعفر وعبد الله أبناء على لأُمّ.

(٨) وعليّ بن الحسين، الأكبر، وأُمّه ليلى بنت (أبي) مرّة بن عروة بن مسعود بن مغيث الثقفي، وأُمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، قتله مرّة بن منقذ بن النعمان الكندى، وكان يحمل عليهم، ويقول:

نحن وبيت الله أوْلي بالنبي

أنا علي بن الحسين بن علي

حتى قُتل عاليَّالْإِ.

(٩) وعبد الله بن الحسين الماسية وأمّه الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن حكيم الكلبي، قتله حرملة بن الكاهل الأسدي الوالبي، وكان وُلِدَ للحسين بن علي الله في الحرب، فأتي به وهو قاعد، وأخذه في حجره ولبأه بريقه، وسيّاه عبد الله، فبينها هو كذلك إذ رماه حرملة بن الكاهل بسهم فنحره، فأخذ الحسين الله دمه، فجمعه ورمى به نحو السياء، فها وقعت منه قطرة إلى الأرض. قال فضيل: وحدَّ ثني أبو الورد: أنّه سمع أبا جعفر يقول: لو وقعت منه إلى الأرض قطرة لنزل العذاب. وهو الذي يقول الشاعر فيه:

وفي أسد أُخرى تُعدُّ وتُذكر

وعند غنى قطرة من دمائنا

- (۱۰) وقُتل أبو بكر بن الحسن بن عليّ، وأُمّه أُمّ ولد، قتله عبد الله بن عقبة الغنوي. (۱۱) وعبد الله بن الحسن بن عليّ اللها وأُمّه أُمّ ولد، رماه حرملة بن الكاهل الأسدى بسهم فقتله.
- (١٢) والقاسم بن الحسن بن عليّ، وأُمّه أُمّ ولد، قتله عمرو بن سعيد بن نفيل

⁽١) الارتشاث: أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج٢، ص١٩٥.

(١٣) وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأُمّه جمانة بنت المسيب بن نجية بن رباح الفزاري، قتله عبد الله بن قطنة الطائي النبهاني.

(١٤) ومحمّد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأُمّه الخوصاء بنت حفصة بنت ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل، قتله عامر بن نهشل التيمي. قال: ولمّا أتى أهل المدينة مصابهم، دخل الناس على عبد الله بن جعفر يعزونه، فدخل عليه بعض مواليه، فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين! قال: فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله، وقال: «يا بن اللخناء! أللحسين تقول هذا؟! والله، لو شهدته ما فارقته حتى أُقتل معه. والله، ما تسخى نفسي عنها وعن أبي عبد الله الله إلا أنها أصيبا مع أخي وكبيري وابن عمّي مواسين، مضاربين معه»، ثمّ أقبل على جلسائه، فقال: «الحمد لله على كلّ محبوب ومكروه، أعزز عليّ بمصرع أبي عبد الله الله على كلّ حال، قد آساه ولداي».

(١٥) جعفر بن عقيل بن أبي طالب، أُمّه أُمّ البنين بنت الشقر بن الهضاب الكلابي، قتله عبد الله بن عمر و الخثعمي.

(١٦) وعبد الرحمن بن عقيل، أُمّه أُمّ ولد، قتله عثمان بن خالد بن أسير الجهني، وبشر بن حرب الهمداني القانصي، اشتركا في قتله.

(١٧) وعبد الله بن عقيل بن أبي طالب، وأُمّه أُمّ ولد رماه عمرو بن صبيح الصيداوي، فقتله.

(١٨) ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، قُتل بالكوفة، وأُمّه حبلة أُمّ ولد.

(١٩) وعبد الله بن مسلم بن عقيل، وأُمّه رقية بنت عليّ بن أبي طالب، وأُمّها أُمّ ولد، قتله عمرو بن صبيح الصيداوي، ويُقال: قتله أسد بن مالك الحضرمي.

العدد العاشر _ السنة الثالثة _ ١٤٣٦ هـ _ ٢٠١٥ م

(٢٠) ومحمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب، وأُمّه أُمّ ولد، قتله ابن زهير الأزدي، ولقيط بن ياسر الجهني، اشتركا في قتله.

ولمّا أتى الناس بالمدينة مقتل الحسين بن عليّ المَيْكُلا، خرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب، وهي تقول:

ماذا صنعتم وأنتم آخر الأُمم منهم أُسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم أن تخلفوني بسوء في ذوي رَحمي ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم بعتري أهل بيتي بعد مفتقدي ماكان هذا جزائى إذ نصحت لكم

شهداء الأصحاب رضوان الله عليهم

- (٢١) وقُتل سليمان، مولى الحسين بن على المناه الله العالم عنه الحضرمي.
 - (٢٢) وقُتل منجح، مولى الحسين بن عليّ النِّكام ، قتله حسّان بن بكر الحنظلي.
 - (٢٣) وقُتل قارب الديلمي، مولى الحسين بن عليّ المِيَكِا.
- (٢٤) وقُتل الحارث بن نبهان، مولى حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله.
- (٢٥) وقُتل عبد الله بن يقطر، رضيع الحسين بن علي الله بالكوفة، رُمي به من فوق القصر فتكسّر، فقام إليه عبد الملك بن عمير اللخمي فقتله واحتزّ رأسه.

وقُتل من بني أسد بن خزيمة:

- (٢٦) حبيب بن مظاهر، قتله بديل بن صريم الغفقاني، وكان يأخذ البيعة للحسين بن علي الميالية الله الميانية الميانية
 - (٢٧) وأنس بن الحارث، وكانت له صحبة من رسول الله عَيَّاللهُ.
 - (٢٨) وقيس بن مسهّر الصيداوي.
 - (۲۹) وسليان بن ربيعة.
- (٣٠) ومسلم بن عوسجة السعدي، من بني سعد بن ثعلبة، قتله مسلم بن عبد

الله، وعبيد الله بن أبي خشكاره.

وقُتل من بني غفار بن مليل بن ضمرة:

(٣١) و (٣٢) عبد الله، وعبيد الله، ابنا قيس بن أبي عروة.

(٣٣) و (جو نبن) حوى، مولى لأبي ذرّ الغفاري.

وقُتل من بني تميم:

(٣٤) الحرّ بن يزيد، وكان لِحَق بالحسين بن عليّ عليَّكُ بعدُ.

(٣٥) وشبيب بن عبد الله، من بني نفيل بن دارم.

وقُتل من بني سعد بن بكر:

(٣٦) الحجّاج بن بدر.

وقُتل من بني تغلب:

(٣٧) و(٣٨) قاسط، وكردوس، ابنا زهير بن الحارث.

(٣٩) وكنانة بن عتىق.

(٤٠) والضر غامة بن مالك.

وقُتل من قيس بن ثعلبة:

(٤١) (جوين) بن مالك.

(٤٢) وعمرو بن ضبيعة.

وقُتل من عبد القيس، من أهل البصرة:

(٤٣) و(٤٤) و(٥٥) يزيد بن ثبيط، وابناه: عبد الله، وعبيد الله، ابنا يزيد.

(٤٦)و(٤٧) وعامر بن مسلم وسالم مولاه.

(٤٨) وسيف بن مالك.

(٤٩) والأدهم بن أُميّة.

وقُتل من الأنصار:



ربّاه وعلّمه القرآن.

(٥٢) ونعيم بن العجلان الأنصاري.

(٥٣) وعمران بن كعب الأنصاري.

(٥٤) و(٥٥) وسعد بن الحارث، وأخوه: (أبو) الحتوف بن الحارث، وكانا من المحكمة، فلم السمعا أصوات النساء والصبيان من آل رسول الله على محكما، ثم حملا بأسيافها، فقاتلا مع الحسين المناهجة حتى قُتلا، وقد أصابا في أصحاب عمر بن سعد ثلاثة نفر.

وقُتل من بني الحارث بن كعب:

(٥٦) الضباب بن عامر.

وقُتل من بني خثعم:

(٥٧) عبد الله بن بشر الأكلة.

(٥٨) وسويد بن عمرو بن المطاع، قتله هانئ بن ثبيت الحضرمي.

وقُتل:

(٥٩) بكر بن حيّ التيملي، من بني تيم الله بن ثعلبة.

(٦٠) وجابر بن الحجاج، مولى عامر بن نهشل من بني تيم الله.

(٦١) ومسعود بن الحجاج.

(٦٢) وابنه: عبد الرحمن بن مسعود.

وقُتل من عبد الله:

(٦٣) مجمع بن عبد الله.

(٦٤) وعائذ بن مجمع.

تل الحسين ﷺ برواية الفضيل بن الزبير الأسدي الكوفي

وقُتل من طي:

(٦٥) عامر بن حسان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لام.

(٦٦) وأُميّة بن سعد.

وقُتل من مراد:

(٦٨) و(٦٩) وجنادة بن الحارث السلماني، وغلامه: واضح الرومي.

وقُتل من بني شيبان بن ثعلبة:

(۷۰) جبلة بن عليّ.

وقُتل من بني حنيفة:

(۷۱) سعيد بن عبد الله.

وقُتل من جواب:

(۷۲) و (۷۳) جندب بن حجير، وابنه: حجير بن جندب.

وقُتل من صيدا:

(٧٤) و(٧٥) عمرو بن خالد الصيداوي، وسعد، مولاه.

وقُتل من كلب:

(٧٦) و(٧٧) عبد الله بن عمرو بن عياش بن عبد قيس، وألم مولى لهم.

وقُتل من كندة:

(٧٨) الحارث بن امرئ القيس.

(٧٩) ويزيد بن زيد بن المهاصر.

(۸۰) وزاهر، صاحب عمرو بن الحمق، وكان صاحبه حين طلبه معاوية.

وقُتل من بجيلة:

(٨١) كثير بن عبد الله الشعبي.



(۸۲) و (۸۳) ومهاجر بن أوس، وابن عمّه: سلمان بن مضارب.

و قُتل:

(٨٤) و (٨٥) النعمان بن عمرو، والحلاس بن عمرو الراسبيّان.

وقُتل من خرقة جهينة:

(٨٦) مجمع بن زياد.

(۸۷) وعباد بن أبي المهاجر الجهني.

(٨٨) وعقبة بن الصلت.

وقُتل من الأزد:

(۸۹) مسلم بن كثير.

(۹۰) والقاسم بن بشر.

(۹۱) وزهير بن سليم.

(٩٢) ومولى لأهل شندة يُدعى رافعاً.

و قُتل من همدان:

(٩٣) أبو ثمامة، عمرو بن عبد الله الصائدي، وكان من أصحاب أمير المؤمنين الله،

قتله قيس بن عبد الله.

(٩٤) ويزيد بن عبد الله المشرقي.

(٩٥) وحنظلة بن أسعد الشبامي.

(٩٦) وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي.

(٩٧) وعمار بن سلامة الدالاني.

(٩٨) وعابس بن أبي شبيب الشاكري.

(٩٩) وشوذب، مولى شاكر، وكان متقدّماً في الشيعة.

(۱۰۰) وسيف بن الحارث بن سريع.



(۱۰۱) ومالك بن عبد الله بن سريع.

(١٠٢) وهمام بن سلمة القانصي.

وارتت من همدان:

(١٠٣) سوار بن حمير الجابري فهات لستَّة أشهُر من جراحته.

(١٠٤) وعمرو بن عبد الله الجندعي، مات من جراحة كانت به، على رأس سنة. و قُتل:

(١٠٥) هانئ بن عروة المرادي، بالكوفة، قتله عبيد الله بن زياد.

وقُتل من حضر موت:

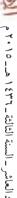
(۱۰۶) بشیر بن عمر.

(١٠٧) وخرج الهفهاف بن المهنّد الراسبي، من البصرة، حين سمع بخروج الحسين النِّلا، فسار حتى انتهى إلى العسكر بعد قتله، فدخل عسكر عمر بن سعد، ثمَّ انتضى سيفه، وقال: «ياأَيها الجند المجند، أنا الهفهاف بن المهند، أبغس عيال محمّد». ثمّ شدّ فيهم.

قال على بن الحسين الله الله على بن الحسين الله عمدا على بن الحسين الله عمدا على بن الحسين الله على الل عليّ بن أبي طالب المُنْكِيُّ _ قتل بيده ما قتل، فتداعوا عليه خمسة نفر، فاحتوشوه، حتى قتلوه، رحمه الله تعالى. ولمَّا وصلوا إلى سرادقات الحسين بن عليَّ اللَّهِ أصابوا عليَّ بن الحسين عليلاً مدنفاً، ووجدوا الحسن جريحاً، وأُمّه خولة بنت منظور الفزاري، ووجدوا محمّد بن عمرو بن الحسن بن على غلاماً مراهقاً، فضموهم مع العيال، وعافاهم الله تعالى فأنقذهم من القتل.

فلمّا أتى جم عبيد الله بن زياد همَّ بعليّ بن الحسين، فقال له: إنّ لك جؤ لاء حرمة، فأرسل معهن مَن يكفلهن ويحوطهن. فقال: لا يكون أحد غيرك، فحملهم جميعاً.

واجتمع أهل الكوفة ونساء همدان حين خرج بهم، فجعلوا يبكون، فقال عليّ بن الحسين المُتَلِيناً: هذا أنتم تبكون! فأخبروني مَن قتلنا؟! فلمَّا أتى بهم مسجد دمشق،



أتاهم مروان، فقال للوفد: كيف صنعتم بهم؟! قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً، فأتينا على آخرهم! فقال أخوه عبد الرحمن بن الحكم: حُجبتم عن محمّد على يوم القيامة، والله، لا أجامعكم أبداً. ثمّ قام وانصرف، فلمّا أن دخلوا على يزيد، فقال: إيه يا عليّ! أجزرتم أنفسكم عبيد أهل العراق؟! فقال عليّ بن الحسين: {مَا أَصَابَمِن مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي آنفُسِكُم إلّا فِي كِتنبِ مِن قَبْلِ أَن نَبْراً هَا أَن ذَلِك عَلى الله يمير من مُصِيبةٍ فِي الله يعلى الله على الله على الله ينها على الله ينها على الله على الله

ومَن يبكي على الشهداء بعدي إلى متجِّبر في مُلك عبد

ألا يـا عـين فاحتفــلي بجهــد

على رهط تقودهم المنايا

تكملة مقتل الفضيل بن الزبير

يبدو أنّ الفضيل بن الزبير كان من المهتمين بحفظ وتسجيل النصّ الكربلائي، وقد عثرت على عدّة روايات مسندة إلى الفضيل ترتبط بكربلاء غير رواية الأمالي الخميسيّة، نقدمها هنا لتكون بمثابة التكملة لرواية الأمالي.

ا_ في تاريخ دمشق لابن عساكر (ت٥٧١هـ) بسنده إلى الفضيل () بن الزبير، قال: «كنت جالساً عند شخص ()، فأقبل رجل فجلس إليه رائحته رائحة القطران، فقال له: يا هذا، أتبيع القطران؟ قال: ما بعته قط. قال: فها هذه الرائحة؟ قال: كنت ممّن شهد عسكر عمر بن سعد، وكنت أبيعهم أوتاد الحديد، فلمّا جنّ عليّ الليل رقدت

⁽١) في المطبوعة (الفضل) وهو تصحيف، وما أثبتناه هو الصحيح. أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق: ج٧، ص١٥٧.

⁽٢) أُنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق: ج٧، ص١٥٧. (السدي) بدل كلمة (شخص).

فرأيت في نومي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه عليّ، وعليٌّ يسقي القتلى من أصحاب الحسين، فقلت له: اسقني. فأبى، فقلت: يا رسول الله، مُره يسقيني. فقال: ألست ممّن عاون علينا؟! فقلت: يا رسول الله، والله، ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، ولكنّي كنت أبيعهم أوتاد الحديد، فقال: يا عليّ، اسقه فناولني قعباً مملوءاً قطراناً فشربت منه قطران، ولم أزل أبول القطران أياماً، ثمّ انقطع ذلك البول عنّي وبقيت الرائحة في جسمي. فقال له السدي: يا عبد الله، كُل من برّ العراق واشرب من ماء الفرات فيا أراك تعاين محمّداً أبداً» (۱).

٢ ـ وفيه أيضاً: بسنده عن فضيل بن الزبير، عن عبد الرحيم بن ميمون، عن محمّد بن عمرو بن حسن، قال: «كنّا مع الحسين رضي الله عنه بنهري كربلاء، فنظر إلى شمر بن ذي الجوشن، فقال: صدق الله ورسوله، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): كأنّي أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتى»(٢).

وقد رواه بطريق آخر ينتهى للفضيل أيضاً، وبلفظ متقارب(٣).

٣- وفي كامل الزيارات: بسنده عن فضيل الرسّان، عن أبي سعيد عقيصا، قال: «سمعت الحسين بن علي المحلّ وخلا به عبد الله بن الزبير وناجاه طويلاً، قال: ثمّ أقبل الحسين الله بوجهه إليهم، وقال: إنّ هذا يقول لي: كن حماماً من حمام الحرم. ولأن أُقتل وبيني وبينه شبر، ولأن أُقتل ولأن أُقتل وبيني وبينه شبر، ولأن أُقتل بالطفّ أحبّ إليّ من أن أُقتل بالحرم»(٤).

٤ وفي علل الشرائع: بسنده عن فضيل الرسّان عن جبلة المكيّة، قالت: «سمعت ميثم التيّار (قدّس الله روحه) يقول: والله، لتَقتُل هذه الأُمّة ابن نبيّها في المحرّم لعشر

⁽١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢٥٨_ ٢٥٩.

⁽٢) المصدر السابق: ج٢٣، ص١٩٠.

⁽٣) المصدر السابق: ج٥٥، ص١٦.

⁽٤) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص١٥١.

يمضين منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهدٍ عهده إليَّ مولاي أمير المؤمنين اللهِ ولقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحر والطير في السماء، ويبكى عليه الشمس والقمر والنجوم، والسماء والأرض، ومؤمنو الإنس والجنّ، وجميع ملائكة السماوات والأرضين، ورضوان ومالك وحملة العرش، وتمطر السماء دماً ورماداً.

ثمّ قال: وجبت لعنة الله على قتلة الحسين الله على المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس.

قالت جبلة: فقلت له: يا ميثم، فكيف يتّخذ الناس ذلك اليوم الذي قُتل فيه الحسين على يوم بركة؟ فبكى ميثم (رضى الله عنه) ثمّ قال: يزعمون لحديث يضعونه أنّه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم على إلى الله على آدم على إلى الله في ذي الحجّة، ويزعمون أنّه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود على إلى الله (عزّ وجلّ) توبته في ذي الحجّة، ويزعمون أنّه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس على من بطن الحوت! وإنّا أخرج الله (عزّ وجلّ) يونس على من بطن الحوت في ذي الحجّة، ويزعمون أنّه اليوم الذي المتوت فيه سفينة نوح على الجودي! وإنّا استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجّة، ويزعمون أنّه اليوم الذي فلق الله تعالى فيه البحر لبنى إسرائيل! وإنّا كان ذلك في ربيع الأوّل. ثمّ قال ميثم: يا جبلة، اعلمي أنّ الحسين بن علي الميتما السهداء يوم القيامة، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة، يا جبلة إذا نظرتِ السهداء يوم القيامة، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة، يا جبلة إذا نظرتِ السهداء عمراء كأنّا دم عبيط فاعلمي أنّ سيّد الشهداء الحسين الميلا قد قُتل.

قالت جبلة: فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس على الحيطان كأنَّها الملاحف المصفرّة؛ فصحت حينئذٍ وبكيت وقلت: قد_والله _ قُتل سيِّدنا الحسين الله ١٠٠٠.

⁽١) الصدوق، محمّد بن على، علل الشرائع: ص٢٢٩.

خاتمة بأهم النتائج

١- يُعتبر الفضيل بن الزبير من الشخصيات الكوفيّة التي برزت في بدايات القرن الهجري الثاني، ولم نستطع تحديد تاريخ دقيق لو لادته أو وفاته، إلَّا أنَّ المعطيات المتوفرة تشير إلى ولادته قبل مطلع القرن الهجري الثاني، ووفاته بين عامي (١٢٢هـ١٤٨هـ).

٢_انحدر الفضيل من أُسرة من الأُسّر التي تنتمي إلى بني أسد بالولاء، وهي أُسرة الزبير بن عمر بن درهم التي أنجبت عدّة من الأعلام، كالفضيل بن الزبير، وأخيه عبد الله بن الزبير، وولده محمّد بن عبد الله بن الزبير المعروف بـ (أبي أحمد الزبيري).

٣_ كان الفضيل من الشخصيات العلميّة التي ركّزت على الجانب الكلامي والعقائدي، كما كان له اهتمام حديثيّ وتاريخيّ، والتأمّل في أسلوبه وصياغته لكتابه في المقتل، والمصادر التي اعتمد عليها في ذلك يدلُّ على حسٍّ علمي، وبراعة في التأليف يجعلانه في مصاف الأخباريين من الطراز الأوّل.

٤ - كان الفضيل على مذهب الزيديّة، بل هو من متكلِّميهم وكبرائهم، وكان من أبرز مساعدي زيد الشهيد الله في دعوته وثورته.

٥-كان الفضيل على صلة طيبة بالإمامين الباقر والصادق المنظم، وكان يفد عليها، ويروى عنهما.

٦-والفضيل معتبر الحديث بحسب المبنى القائل بوثاقة جميع رواة كامل الزيارات، والمبنى القائل بوثاقة جميع رواة تفسير القمّى، والمبنى القائل بكفاية عنونة الراوى في الأُصول الرجاليّة وعدم القدح فيه، وأيضاً يمكن اعتبار حديثه عن طريق التأمّل في القرائن والشواهد الدالّة بمجموعها على وثاقته كما صنع السيّد الجلالي.

٧ ـ وكتابه في المقتل موجود في كتاب الأمالي الخميسيّة للشجري، ويعود فضل انتشاره في أوساطنا العلميّة إلى العلّامة والمحقق الكبير السيّد محمّد رضا الجلالي كما نبَّهنا.

٨ - كان الفضيل من المهتمين بحفظ وتدوين النصّ الكربلائي، وهو ما لمسناه في مقتله، وفي نصوص أُخرى مرويّة عنه في هذا الشأن، جمعناها تحت عنوان (تكملة مقتل الفضيل بن الزبير).





الإرهاب الوثني والأُموي (تأمّلات في الجذور والرؤى والتحالفات)

د. الشيخ عبد الجيد فرج الله *

تمهيد

في انطلاقنا المعرفي والحضاري أمام الأُمم الأُخرى بمُنجَزها المعرفي ومُنتَجها الحضاري، نعيش وبنقد موضوعي مُنصف بين قوّتين متضادّتين، تجعلنا الأُولى في غاية الزهو والسمو، وفي قِمّة نجاح التحدّي وكسب المضار، بينا تهبط بنا الثانية إلى حضيض الإخلاد إلى الأرض، وإلى أليم فشل التجربة، وخسارة الميدان!

أمّا القوّة الأُولى، فهي قوّة العمق العلمي، ودقّة الباصر الفكري، وغزارة النتاج المعرفي، وروعة الحضور الثقافي، المستلهمة من القرآن المجيد، ومن العطاء المحمّدي؛ أقوالاً، وأفعالاً، وإمضاءً، وطريقة إدارة، وإتقانَ حركة، وبناءَ حاضر، واستشراف مستقبل، وتجييلَ عقيدة وسلوك... تتلقّاها الأجيال الموقنة والمؤمنة والمسلمة جيلاً بعد جيل، وأُمّة إثر أُمّة. والجميل المبهر في هذا العطاء المحمّديّ أنّه لم ينته بموته أو شهادته على الستمرّ مع آله الطاهرين، ومَن يؤازرهم من أصحابه المنتجبين المقرّبين. وكان لموقف الإمام الحسين الله واستشهاده المدوّي، في مطلع سنة إحدى

^{*} باحث إسلامي، من النجف الأشرف.

وستين للهجرة قوة هائلة تفجّرت من دمائه الزكية، إذ أبقت على هذا الخط، ودلّت عليه، ودعت إليه، ونفت عنه كل ما هو دخيل عليه.

وأما القوّة الثانية، المحرجة لنا كأُمّة مسلمة، لا كأتباع للقوّة الأُولى، فهي قوّة الجرّ إلى الوراء الجاهلي، والجري خلف بريق السلطة أو المال أو الامتيازات التي سرقت ثمار الفتوح، لتصبّ في جيوب المتنفّذين والأتباع وتجّار المواقف والدماء! وهذه القوّة المدجّجة بالبطش والتنكيل، والمصادرة والإلغاء - هبطت بنا إلى أقصى حدود الإعياء والإخزاء، حتى بات الفرد المسلم المعاصر في حضيض فشل الخطاب مع الآخر المختلف عنه، حضاراتٍ، وتوجّهاتٍ، وإسهاماتٍ، على صعيد مسيرة الإنسان الطويلة في هذه الأرض... وهذه القوّة تمثلها أظفار الشرك الوثني العلني، وأنياب النفاق الشادّ إلى (حمية الجاهلية الأُولي)، أو الصادّ عن (سبيل الله)، أو الرادّ إلى (الانقلاب على الأعقاب) حسب التوصيفات القرآنية. وهذا الخطّ الصنمي الجاهلي، والنفاقي الانقلابي، مثّله أقطاب الـشرك والوثنية، وأزّهم وآزرهم اليهود بكل ما أوتوا من قوى هدم وردم، كما مثَّله أيضاً رؤوس الاستحواذ على التراث النبوي، وتحالفَ معهم (منافقو المدينة) و(ما حولها من الأعراب)... ووقفت الدولة الرومية القيصرية بكل كيدها وجهدها السرّي والعلني مع هذا التجييش الشركي المتصحّر، المعادي للخط المحمّدي الأبلج السابق الذكر. وهنا يبرز موقف الإمام الحسين الله بوصفه أشمخ قمّة في مقاومة هذه القوّة المدمّرة، وبأنصع وقفة قطعت الطريق أمام هذا الوباء السرطاني، الذي أراد ابتلاع كلِّ المنجزات المحمّدية، واقتلاع كلِّ القيم الراسخة التي شادها دين الله الخاتم. وبذا كان الفصل الذي لابد منه؛ بين رسول الله محمد عَيَّا الله وأهل بيته الميكا وخالصي صحابته، من جهة. وأبي سفيان وشجرته الملعونة في القرآن وحزبه وأتباعه من جهة أُخرى!

حتى أصبحت كلّ قراءة للتاريخ الإسلامي ناقصةً، إذا لم تأخذ بنظر الاعتبار هذا التقاطع التام بين هاتين القوّتين المتصارعتين! وحتى بات كلّ رأي علمي متهافتاً إذا لم يُفرِق بينها تفريقاً ينفي أيّ رابطة انتهاء بين هاتين القوّتين المتضادّتين المتنافرتين!

وبتحليل نقدي محايد يمكن البتّ أنّ رسول الله عَيَّالُهُ قد نجح في التخلّص من أكابر الخط المعادي، خاصة في معارك بدر وأُحد، والخندق وقريظة، وخيبر وحُنين، وباقي المواجهات الفاصلة التي أسقطت الشرك الوثني، وكبّلت معاول الهدم النفاقي.

أبو سفيان والمواجهة الجديدة

انتقل أبو سفيان بعد أن أرغم أنفه انتصار الرسول الأعظم الله و الكنتصار النبوي السلمي في فتح مكة المكرمة، انتقل إلى تخطيط جديد في المواجهة، و (تكتيك) أخطر في الالتفاف على المسار المحمدي النبوي! وكانت أهم نقاط قوة أبي سفيان المادية؛ شراسة الطباع الوثنية الشركية في الانتقام من الآخر، وإراقة دم الخصوم!.. تقابلها رحمة النبوة، وحرص سيدرسل الله على هداية الناس جميعاً، هداية هادئة رحيمة؛ بتحفيز العقل على التفكير حتى يؤمن بالإسلام المحرّر، وبتطهير الضمير حتى يركن للإيهان النبيل، وبتزكية النفس حتى ترتاح للهدى المنير..

ولقد نجح الأُمويون في التكتّل والتمترس وراء شخصيات خادعوها وعاضدوها، لتكون تلك الشخصيات في الواجهة، بينها يبقى أبو سفيان وقبيله يعمل ويعملون بكلّ طاقاتهم في الخفاء، كطابور مقوّض للبناء المحمّدي من جهة، وكطابور خامس للدولة الرومية التي تحالفوا معها تحالفاً استراتيجياً، تراوح بين السرّية والإعلان ردحاً من الزمن، وكحلفاء أيضاً لليهود الذين تظاهروا مع الأُمويين بالدخول إلى الإسلام صورياً، أو أظهروا نبذ مناجزة الإسلام ومحاربته علناً، لكنهم كانوا يكيدون له بكلّ ضراوة وعدوانية في السرّ والخفاء.

والغريب أنّهم بعد وفاة الرسول الأكرم الله مباشرة، استطاعوا أن يجعلوا لهم موطئ القدم الأرسخ في جهاز الدولة! ولم تمض أيام قلائل حتى أعطى أبو بكر بن أبي قحافة أبا سفيان من أموال الزكاة وخُس بعض معارك الحروب التي سُمّيت بحروب الردّة، كما حصل أبو سفيان على امتياز مهم جداً، وهو أن يولّى أحد أبنائه حكم شهال البلاد الإسلامية مها امتدّت رقعة الفتح واتسعت باتجاه دولة الروم! عندها هدأت ثائرته، حتى قال عن خليفة الدولة: (وصلته رحم)، بعد أن كان يكنّيه استهزاء به: (أبا فصيل)، وليس (أبا بكر)! كما أنّه سعى بكلّ طاقته لتحريض الإمام على الله وعمّه العباس لإعلان أحدهما خليفة ثانياً من أجل الاحتراب والاقتتال، وأبدى وهو يرى الإمام علياً الله يتحرّك بمنتهى الحكمة، وبأقصى درجات مراعاة المصلحة العليا للإسلام، فراح يقذف هم كلهاته السامّة في وجه الإمام بأحطّ كلهات التحريض والسخرية والفتنة ... حتى ليندى الجبين خجلاً ويتقطّع القلب ألماً من صفاقته وخبثه وهو يشبّه الصابرين الحكيميّين بها جاء في أبيات الشاعر المتلمّس النابية! (۱۰).

لكن الأُمويين لم يكتفوا بكل هذه الامتيازات والمواقع، كما لم يكتفوا بأن كان أحد رجالاتهم وأبناء عمومتهم (٢) هو الذي يُصدر أخطر قرار، وأعلى مرسوم بدلاً من الحاكم العام!! وبأُسلوب مريب يدعو إلى كثير من التمحيص الموضوعي لإعادة قراءة أحداث تلك الفترة الضبابية، في بنائها التأريخي، الذي تحاصره الأسئلة الكثيرة، وعلامات التعجّب الهائلة، قبل علامات الاستفهام. أجل لم يكتفوا بذلك كلّه حتى أُقرّ رجل منهم ليكون هو (خليفة المسلمين).

⁽١) الطبري؛ محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٢، ص١٢٠.

⁽٢) إنّه عثمان بن عفّان الأُموي. وقد روى ابن أبي شبة في كتابه (تاريخ المدينة: ج٢، ص٢٦٧) عن عائشة، قالت: «كان عثمان يكتب وصيّة أبي بكر، فأُغمي على أبي بكر، فجعل عثمان يكتب فكتب: عمر، فلمّا أفاق قال: ما كتبت؟ قال: كتبتُ عمر. قال: كتبتَ الذي أردت أن آمرك به، ولو كتبتَ نفسك لكنتَ لها أهلاً». وقد ذكر ابن الجوزي هذا في كتابه (مناقب عمر: ص٤٩-٥٠) ما يشابه ذلك.

يُضاف إلى ما سبق أنّ الخط الصنمي الوثني قد نجح في إحداث الشرخ الأكبر في أمّة الإسلام! والأغرب والأنكى إنّنا ونحن أبناء القرن الحادي والعشرين لا زلنا نعيش تداعياته وتأثيراته حتى اليوم، وما بعد اليوم! بل نحن في خضم تيّاره مصابون بالدوار، فلا يكاد أحد يتحدّث ببعض الموضوعية حتى يُتهَم بأنّه رافضي!! ولذا بقيت عقول المؤرّخين والمفكّرين المسلمين في أتون استعارة تحترق بالشرر والنار، أو ترتمي في أحضان العلمانية التي ترفض الدين وتعاديه، أو على الأقل لا تعترف بعطاءاته، بل تقصيه!

هذا الشرخ الأكبر الأُموي الوثني قد قطع كل أسباب التواصل مع ورثة الخط المحمدي، وهم أئمة آل رسول الله، بل حاربهم أشد أنواع المحاربة، وتتبع أنصارهم وأعوانهم ومريديهم حتى قُتلوا وراء كل حجر ومدر!!

ويبدو أنّ هذا الخط الصنمي الأموي الخارج من كهوف الجاهلية الجهلاء، ومسارب الليل الأليل، ما كان يمتلك كل هذا الدهاء في التخريب والهدم لخط العطاء المحمّدي، إلّا إذا سلّمنا بنظرية (المؤامرة الدولية الكبرى) المخطَّط لها بـ(استراتيجية قيصرية روميّة) في المحاربة والتصدّي والتفكيك والتحطيم، يقودها قيصر الروم بنفسه وباستنفار دوائره السرية، ويُنفّذها على الأرض الإسلامية المستشار الأوّل لمعاوية الأُموي سرجون الرومي(۱) وأضرابه وأمثاله، وبكل دقة ودهاء! هذا من جهة.

⁽۱) من الشائع المعروف في كتب التاريخ أنّ سرجون الرومي كان هو المقرَّب من معاوية وصاحب سّره ومستشاره، أو وزيره الأول، وإن لم يوسم بهذه السمة رسمياً، فهذا الطبري في تاريخه: (ج٣، ص٢٦٤) يقول في «ذكر بعض ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره: حدَّثني أحمد بن زهير، عن علي قال: لمّا بويع لمعاوية بالخلافة صيّر على شرطته قيس بن حمزة الهمداني، ثمّ عزله واستعمل زميل بن عمرو العذري، ويقال: السكسكي، وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومي». وكذا كان هذا أوّل ما ذكره ابن الأثير في كتابه (الكامل: ج٢، ص٤١) عن بعض سيرة معاوية وأخباره وقضاته وكتّابه: «لمّا بويع معاوية بالخلافة استعمل على شرطته قيس بن حمزة الهمداني... وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون الرومي».

ومن جهة ثانية، فإنّ اليهود قد وضعوا كل ثقلهم في هذه المواجهة المصيرية، التي هي مواجهة الوجود؛ أن يكونوا أو لا يكونوا...

واليهود لهم تحالف طويل مع الإمبراطورية الغربية، كما عندهم الخبرة في محاربة نبي الله السيد عيسى المسيح الله على حتى قاد رجال من اليهود الإمبراطورية الغاشمة إلى قتله كما يؤكد المسيحيون أنفسهم، ولو لا أن رفعه الله إليه كما يشير القرآن الكريم (١) لقُتل أبشع قتلة!

كها أنّ لليهود الخبرة في تحريف توراتهم، والافتراء على أنبيائهم! ولهم أيضاً الخبرة والدهاء في التصدّي للديانة المسيحية، ومحاربتها، وتفكيكها، وتفريغها من محتواها بعد أن سرّب إليها عقيدة التثليث رجل يُسمى: (بولس) اليهودي الذي أوغل سابقاً في إجرامه بحق المسيحين قتلاً وتنكيلاً، وليّا لم يستطع محق الدين المسيحي، لجأ إلى مناغاة مشاعر المسيحيين المضطهدين، فأسّس باسم السيد المسيح الضدَّ النوعيَّ لديانة السيّد المسيح التوحيدية، فجعلها ديانة التشريك والتثليث، واستطاع أن يُسبغ على إجرامه السابق، وتحريف اللاحق، ثوب القداسة، حتى بات يُعرف وإلى يوم النّاس هذا بـ (القديس بولس)!!! وهذا كلّه يؤكّده المسيحيون تصريحاً أو تلميحاً، وعلى أنّ (مايكل هارت) جعل لبولس المرتبة السادسة في كتابه (الخالدون المائة)، بعد أن كانت المرتبة الأولى لسيّدنا رسول الله محمد الله عمد المؤسّد، بينها جعل المرتبة الثالثة للسيّد المسيح الله ويعطي تعليلاً لذلك بأنّ «المسيحية لم يؤسّسها شخص واحد، وإنّها أقامها اثنان: المسيح والقديس بولس؛ ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذان الرجلان. فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظراتها هذان الرجلان. فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظراتها هذان الرجلان. فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظراتها هذان الرجلان. فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظراتها

الروحية وكل ما يتعلّق بالسلوك الإنساني. وأمّا مبادئ اللاهوت فهي من صنع القديس بولس». ويضيف ما يكل هارت قائلاً: «المسيح لم يبشّر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يُعتبر المسؤول الأوّل عن تأليه المسيح»(١).

إرهاب المُلك الأُموي وأدواته

كيف كان تحرّك الإرهاب الأُموي الجاهلي الصنمي؟ وما هي أدواته؟

تحرّك جاهلي بلبوس الـمُلك العضوض، وهو يتظاهر بالدين المهَلهَل، ويوزع بسخاء السلطنة أدوات السرطنة الدينية المحرّفة! الصادمة، أو المخدّرة، أو المؤثرة أثرها بالهدم البطيء، على غرار الموت البطيء؛ كما في نشر المغنيات كهدايا يُتحَف بها الصحابة وأبناؤهم تحت مسمّى الإماء أو الجواري أو مِلك اليمين، وهن في الواقع عميلات في الطابور الخامس العامل لحساب القيصر.

ولم تمض فترة نصف قرن بعد وفاة سيّد الثقلين الرسول الأكرم على الله متى فرغت عاصمته المدينة المنوّرة من كلّ الثقل الديني للصحابة وأبنائهم، ولم يتبقّ إلّا رجلان يُخاف منها الخوف الحقيقي أوّلها الإمام الحسين المنه ورجل ثالث يُعالَج أمرُه بأيسر علاج وخداع، كما نصّ على ذلك معاوية في كتابه الخطير الصريح لولده يزيد، ذلك الكتاب الذي كان بمشورة سرجون ومعونته! كما كان كتاب آخر من معاوية إلى ولده يزيد يأمره بأن يولي عبيد الله بن زياد على الكوفة والمحرّك الأول لهذه الطبخة هو سرجون الرومي (٢). وكان الهدف من ذلك إفشال خطّة التغيير الشامل

721

⁽١) هارت، مايكل، الخالدون المائة: ص٢٣.

⁽٢) ذكر ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ: ج٢، ص١٤٩) وكذا غيره من المؤرّخين : «لمّا اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سر جون مولى معاوية، فأقرأه الكتب، واستشاره فيمن يولّيه الكوفة، وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال له سر جون: أرأيت لو نُشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه؟ قال: نعم. قال: فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة. فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب. فأخذ برأيه، وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله، وكتب إليه بعهده، وسيّره إليه مع مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة، فأمره بطلب مسلم بن عقيل وبقتله أو نفيه. فلمّا وصل كتابه إلى عبيد الله أمر بالتجهز ليبرز من الغد».

التي قادها الإمام الحسين الله ، فالتف حوله أبرز قادة لأهم مصرين نابضين في الأُمّة الإسلامية، وهما: البصرة، والكوفة.. ولو لا سرعة تحرّك عبيد الله بن زياد وإجرامه العنيف لما استطاع الأُمويون الحؤول بين الإمام الحسين الله وأبناء الكوفة الذين جنّدهم ابن عمّه مسلم بن عقيل، وأبناء البصرة الذين جنّدهم أعيانها المحبّون له، بعد أن راسلهم الإمام الحسين الله ، وعلى رأسهم يزيد بن مسعود النهشلي، الذي جيّش جيشاً لنصرة الإمام من قبيلة بني تميم، وانطلق بهم من البصرة باتجاه الكوفة وكربلاء، لكن خبر استشهاد الإمام وصل إليهم وهم في الطريق إليه قبل أن يصلوه.

وبإنصاف الباحثين أقول: إنّ هذا كله نجاح دنيوي منقطع النظير يُحسب للأُمويين في ضرب الخطّ الأوّل، خطّ العطاء المحمّدي! نجاح لم يكن ليتحقّق لولا تظافر جهود الدولة الرومية وعلى رأسها القيصر، واليهود في داخل الدولة الإسلامية وخارجها. وللتدليل على تواطؤ دولة الروم مع الأُمويين ضدّ الخطّ المحمّدي؛ ننفض غبار التاريخ عن حادثة من أهم حوادث محاربة دين الإسلام، حادثة هي حقاً من أخطر الحوادث على الإطلاق.. حدثت حين نادى النّاس باسم الإمام على الله ليكون هو الخليفة على الأُمّة، فوصل الأمر بالدولة الرومية أن تُجيّش أضخم جيش بحري، قوامه أكثر من ألف مركب ضخم، بعد أن تصاعدت وتيرة الأحداث، وحوصر عثان بن عفان الأُموي في المدينة المنورة سنة (٣٥هـ)، وكان العمل مكثّفاً من قِبل الروم والأُمويين والمنافقين واليهود، في محاولة لتفادي وصول الإمام علي الله إلى سدّة الحكم. ولو لا التدخّل الإلهي الغيبي لاحتل ملك الروم قسطنطين بن هرقل عاصمة الإسلام وأرض العرب، ولاستباحوا هم وحلفاؤهم الأُمويون المدينة المنورة، كما فعل الأُمويون ذلك سنة (٢٦هـ)، في واقعة الحرة المعروفة بكل تفاصيلها المأساوية.

ومع الأسف الشديد، فإنّ حادثة الغزو الرومي بقيادة قسطنطين وهي الحادثة الكبرى الخطيرة تقصّد المتقصّدون طمس فشلها، وارتكبوا التعتيم عليها، حتّى لا تُحسب معجزةً للإمام علي الله أو كرامةً لدين الإسلام الخاتم.. بل لم يتعرّض لها

الطبري وابن الأثير، أشهر مؤرِّ خَيْن في أوساط المسلمين، إلَّا بأسطر يسيرة باهتة، ضمن حوادث سنة خمس وثلاثين هجرية! ومع ذلك، فقد حملت من الدلالة والترميز الشيء الكثير والمثير(١).

قراءة تاريخية في بعض مفردات ذلك الإرهاب

ونحن نقرأ صفحات التاريخ تطاردنا أحداث مؤلمة جداً ومروّعة، تجعلنا نتشبُّث بالانتهاء إلى خط العطاء المحمدي، الذي نشعر في أفيائه بإنسانيتنا الإسلامية، وبآدميتنا الإيمانية.. وفي الوقت نفسه نرفض ذلك الخط الدّموي الوثني الأُموي، الـذي بدأ شركياً جاهلياً، وإسـتمرّ كذلك بكل دمويّته الإجرامية، وعنفه الإرهابي، وهو يتلبّس لبوس المملك العضوض المتسمّى بالإسلام تسمية زور وبهتان وكيد، وإلَّا فهو في أشد درجات الإيغال في العسف والطغيان، وفي أرذل مستويات الولوغ بالدماء وانتهاك الحرمات والمقدسات.

ونحن _ مراعاةً للاختصار _ سنشـ بر إشـارات سريعة، إلى بعض تلك الأحداث المريعة.

حادثة مقتل ياسر وامرأته سمية

يا لها من حادثة مروّعة حقاً؛ إذ يُعذَّب شاب مع أبيه وأُمّه وأخيه، تحت لهيب شمس مكة المكرَّمة، وفوق رمضاء رمالها الملتهبة، ويشتدّ التعذيب الجسدي والنفسي حتى يموت الأب، ثمّ تُطعن الأُمّ في قلبها، أو في أغمض مكان من جسدها المدمى،

⁽١) قال الطبري في تاريخ الأُمم والملوك: ج٢، ص٧٤: «مسير قسطنطين ملك الروم يريد المسلمين: وفي هذه السَّنة؛ أعنى: سنة خمس وثلاثين: سار قسطنطين بن هر قل فيها ذكر محمد بن عمر الواقدي، عن هشام بن الغاز، عن عبادة بن نسى في ألف مركب يريد أرض المسلمين، فسلَّط الله عليهم قاصفاً من الريح فغرقهم، ونجا قسطنطين بن هرقل، فأتى صقلية، فصنعوا له حماماً فدخله، فقتلوه فيه، وقالوا: قتلت رجالنا». وأنظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٢٦.

فتسقط شهيدة بمُدية الجريمة، وربها كانت حاملاً بجنين تُقطّع أحشاءه تلك المُدية الظالمة، ليختلط دمه البريء بدمها المؤمن الصبور.. ويبقى الشاب عـ "ربن ياسر مذه ولاً، لا يجد محيصاً عن الموت إلا بالتقية. يقول المؤرّخون: «وكانت بنو مخزوم يخرجون بعهار بن ياسر وبأبيه وأُمّه وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة. فيمرّ بهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيقول: صبراً آل ياسر، موعدكم الجنّة ... وروى البلاذري عنه أيضاً، قال: كان عمّار يُعذّب حتى لا يدري ما يقول. وروى البلاذري عن أُم هانئ (رضي الله عنها) أنّ عمّار بن ياسر وأباه ياسراً وأخاه عبد الله بن ياسر وسمية أُم عهار كانوا يُعذّبون في الله، فمرَّ بهم رسول الله عنها أن عبد الله فقال: صبراً آل ياسر، فإنّ موعدكم الجنّة. فهات ياسر في العذاب، وأغلظت سمية لأى جهل؛ فطعنها في قلبها في اتت، ورمى عبد الله فسقط» (۱).

بلال الحبشي.. عيّنة لضحايا التعذيب الوحشي

بلال ابن بلاد الحبشة، كان كسائر العبيد المساكين في مكّة، يعاني من عنجهية أُولئك المشركين العتاة القساة، وبعد أن دخل الإسلام إلى قلبه، وأفعم روحه، صبّوا جام حقدهم وانتقامهم عليه، وهو مُستضعَف لا حول له ولا قوّة، ولا حيلة له ولا مناص! اللهم، إلا قوّة الإيهان، وصلابة عقيدة الارتباط بالله القوي العزيز. ويحدثنا التاريخ بمرارة عن تعذيب كبار الوثنين له، ممّا ينمّ عن نفسياتهم المريضة الحاقدة، وضرواتهم في التجرّد عن كل قيم النبل والإنسانية! وهذا هو ديدن سار عليه الأُمويون والوثنيون حتى بعد أن أظهروا م مُكرَهين إسلامهم المهزول، وهم يعيشون كفرهم الجاهلي المتجذّر، ويُبدون نفاقهم الصريح المقيت... وليس بلال الحبشي سوى رمز لآلاف المقهورين والمضطهدين، الذين سحقتهم عجلة الإرهاب

⁽۱) أُنظر: الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص٣٨. وأبو نعيم، الحلية: ج١، ص٢٤. وابن كثير، البداية والنهاية: ج٣، ص٥٥.

الأُموي والوثني لما يقرب من مئة وخمسين سنة! لقد ظلّ أُميّة بن خلف يُعذّب بلالاً أشد تعذيب، حتى أنّه: «كان يخرجه إلى رمضاء مكّة إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثمّ يأمر بصخرة عظيمة فتُوضَع على صدره، ثمّ يقول: لا تـزال هكذا أو تفارق دين محمد. فيقول بلال: أحد، أحد»(١).

الحصار المميت ومطاردة الأبرياء

وأمام هذا الاضطهاد الأليم اضطر المسلمون للهجرة إمّا إلى الحبشة أو لاً، أو إلى المدينة المنورة فيها بعد. كما فرض أُولئك الوثنيون المشركون حصاراً جائراً عميتاً على رسول الله على معه في شعب أبي طالب، منعوا فيه أيّ طعام من الوصول الله على الموتوا جوعاً! واستمر الحصار ثلاث سنين، حتى أنفقت أُم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج النبي الأكرم على الأوتها الطائلة لشراء ما يمكن تسريبه وتهريبه إليهم بأغلى الأثمان المضاعفة!

⁽١) هذا الأمر شائع ذائع، وإذا أحببت فراجع كُتُب التاريخ والسَّير ومتون الحديث، ومنها على سبيل التوثيق لا الحصر: مسند أحمد بن حنبل: ج٨، ص١٦٥. البيهقي، دلائل النبوّة: ج٢، ص١٦٨.

⁽٢) إنّ بطولة الإمام علي الله في ليلة الهجرة وما تلاها يذكرها جميع المؤرّخين من المسلمين مها اختلفت م مذاهبهم ومشاربهم، وبعضهم يعطي تفاصيل كثيرة، من قبيل القول: «وأمّا علي، فإنّه لمّا فرغ من الذي أمره به رسول الله على هاجر إلى المدينة، فكان يسير الليل ويكمن النّهار، حتّى قدم المدينة وقد تفطّرت قدماه، فقال النبي على أدعولي عليّاً. قيل: لا يقدر أن يمشي. فأتاه النبي على واعتنقه وبكى رحمةً لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه وأمرّها على قدميه؛ فلم يشتكها بعد حتّى قُتِلَ». أنظر: ابن الأثير، على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٧.

إرهاب الوثنيين بعد الهجرة

استمرّ الوثنيون وفي مقدّمتهم الأُمويون في ممارسة إرهابهم الشنيع على طول خطّ وجودهم البغيض، ولم يتركوا أيّ فرصة أُتيحت لهم إلاّ ولطَّخوا أيديهم بدماء الأبرياء، أو أسالوا فيها دموع المقهورين.. حتّى إذا حدثت معركة أُحد الشهيرة، واستُشهد سيّدنا الحمزة بن عبد المطّلب الله ، لم يكتفوا بقتله، بل سارعت هند امرأة أبي سفيان أُمّ معاوية _ تقود نساء الجاهليين الإرهابيين لتمثّل بجسد حمزة الشهيد، ويُمثِّلن بأجساد الشهداء المسلمين، ويقطعن آذانهم وأُنوفهم بكل حقد ودناءة، حتى يجعلن منها قلائد وأقراطاً في رقابهن وفي آذانهن!! وانبرت الإرهابية هند بنت عتبة لتشق صدر حمزة، وتأكل قلبه وكبده، فقطعت منها قطعة ولاكتها، لكنّها لم تستطع ابتلاعها، فلفظتها!! إنهّا الوحشية الإجرامية بكل ما تعني الكلمة من معني، وبكل ما تشير إليه من ترميز جارح. يقول المؤرّخون، ومنهم ابن إسحاق_أحد أقدم كتّاب السيرة والتاريخ _: «وقفت هند بنت عتبة _ كما حدّثني صالح بن كيسان _ والنّسوة اللاتي كنّ معها يمثّلن بالقتلي من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، يجدعن الآذان والأنف حتّى اتّخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خِدماً وقلائد، وأعطت خِدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً غلام جبير بن مطعم، وبقرت من كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تُسيغها...»(١).

إنّ التمثيل بالجثث طال كل الشهداء في أُحد، إلا واحداً منهم، كما يقول بعض المؤرّ خين، وهذا ابن جريج يصرّح قائلاً: «مثّل الكفّاريومَ أُحد بقتلى المسلمين كلّهم إلّا حنظلة بن الراهب؛ لأنّ أبا عامر الراهب كان يومئذ مع أبي سفيان؛ فتركوا حنظلة لذلك»(*).

. "| ((#

⁽١) ابن إسحاق، محمد، سيرة ابن إسحاق: ج٣، ص٢١٣.

⁽٢) ابن عبد البر، يوسف، الاستيعاب: ج١، ص٣٧٢.

التجييش لارتكاب أكبر مجزرة

لم يتوقّف إرهاب التحالف الأُموي ـ الوثني ـ اليهودي في حدود التمثيل بجثث المقاتلين، بل تعدّاه لترويع المدنيين العزّل من النّساء والأطفال الأبرياء، وقد ظهر للعيان هذا التحالف في معركة الأحزاب، وهذه المعركة يدلُّ حتَّى اسمها على ذلك التحالف المشين، فقد تحزّبت كلّ قوى الشرك والوثنية على أهل الإسلام، وقد بذل أبو سفيان كل جهوده لتجييش جيوش الأحزاب واليهود، وقد سُمّيت سورة من سور القرآن الكريم بهذا الاسم أيضاً، ولقد وصف القرآن المجيد تلك الجموع الإرهابية، وتعمَّق في ذكر تأثيراتها على نفوس الناس المسلمين بنصوص عديدة، ومنها نص شريف يفصل بين بطولة المؤمنين، وجبن ضعاف الإيمان وهلعهم، كما يعطي الوصف الدقيق لحالة المنافقين والمتآمرين مع الوثنيين من داخل جبهة المدينة المنورة، ويمجّد بالرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وسيّدهم هو الإمام على بن أبي طالب الله كما كان لعمّة الإمام والرسول السيّدة صفية بنت عبد المطلب، موقف بطولي، منع اقتحام جبهة المدينة المنوّرة من الداخل على أيدي اليهود الغادرين الجبناء، وقد تولَّت هي بنفسها قتل يهودي ورمت بسلبه أمامهم في محاولة لإيهامهم بأنَّ مكان اختباء النَّساء والأطفال العزَّل الأبرياء يحرسه أبطال أشدَّاء، وهذه الحادثة مشهورة في كتب السير والتاريخ، وهناك تفاصيل مهمة ذكرها المؤرّخون ومنهم ابن كثر في كتابه البداية والنهاية(١).

⁽۱) جاء في كتاب البداية والنهاية: ج٤، ص٨٠١: «قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد، قال: كانت صفية بنت عبد المطّلب في فارع حصن حسّان بن ثابت، قالت: وكان حسّان معنا فيه مع النّساء والصبيان، فمرّ بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا ورسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا ورسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، وليس بيننا وبينهم ألينا؛ ورسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وأسحابه، فانزل إليه على عورتنا مَن وراءنا من يهود، وقد شُغل رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وأصحابه، فانزل إليه على عورتنا مَن وراءنا من يهود، وقد شُغل رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وأصحابه، فانزل إليه هـ

قتل الآمنين حتى من غير المسلمين

وتفاقم الإجرام الوثني المشرك ليشمل حتى بعض المشركين الآمنين الذين عقدوا اتفاقاً، أو أبرموا معاهدة سلمية مع سيّدنا رسول الله على فإذا بهم يقتلونهم شرّ قتلة وفي داخل المسجد الحرام بمكة!! وهذا ما حدا بالنبي الأكرم على لأن يُعدَّ العدّة لفتح مكّة، والذي كان رحيهاً حتى في غضبه؛ إذ لم ينتقم انتقام الفاتحين من أعدائه، بل أشاع ثقافة السلام بدل الحرب، وأرسى قواعد الوئام بدل الحقد والعنف. وكُتُب التاريخ تذكر تفاصيل ذلك الإجرام، إذ «ثارت بكر بخزاعة حتى بيتوهم بالوتير، وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بسلاح ودواب، وقاتل معهم جماعة من قريش فتفين، منهم: صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهل بن عمرو مع عيرهم وعبيدهم، فانحازت خزاعة إلى الحرم، وقُتل منهم نفر. فلمّا دخلت خزاعة الحرم وعبيدهم، فالت بكر: يا نوفل، إنّا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك! فقال: لا إله له اليوم، يا بني بكر، أصيبوا ثأركم، فلعمري، إنّكم لتسر فون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؟»(١٠).

فاقتله. قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلمّ قال لي ذلك، ولم أرّ عنده شيئاً احتجزت، ثـمّ أخذت عموداً، ثمّ نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتّى قتلته، فلمّ فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسّان، انزل فاستلبه؛ فإنّه لم يمنعني من سلبه إلّا أنّه رجل. قال: ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطّلب. قال موسى بن عقبة: وأحاط المشركون بالمسلمين، حتّى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبهم، فحاصر وهم قريباً من عشرين ليلة، وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدري أتم أم لا. قال: ووجهوا نحو منزل رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) كتيبة غليظة فقاتلوهم يوماً إلى الليل، فلمّ حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي (صلى الله عليه وسلّم) ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا، فانكفأت الكتيبة مع الليل، فزعموا أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) قال: شغلونا عن صلاة العصر، ملأ الله بطونهم وقلوبهم وفي رواية وقبورهم ناراً. فلمّ الشه عليه وسلّم) قال: شغلونا عن صلاة العصر، ملأ الله بطونهم رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) ما بالنّاس من البلاء والكرب... جعل يبشّرهم ويقول: والذي نفسي بيده، ليفرجنّ عنكم ما ترون من الشدّة، وإنّي لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله إلى، مفاتيه الله».

⁽١) ابن الأثير، على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٢٣٩.

فتح مكّة رسالة السلام

ومع كل الرحمة النبوية، والتربية الإيمانية، التي كان ينتهجها سّيدنا رسول الله ﷺ لينقـل ذهنيات الناس من عالم الجريمة والخوف إلى عالم الفضيلة والأمن، إلاّ أنَّ الأُمويين والوثنيين كانوا يرفضون روحية السلم والأمان للجميع، التي أرساها صراط العطاء المحمدي المستقيم. وهذا أبو سفيان بعد أن أحاط به المسلمون، لم يُقتل؛ لأنّه جاءهم غير مقاتل، بل أمر سيّدنا رسول الله عَيَّاللهُ عمّه العبّاس أن يأخذه إلى بيته ويحافظ على حياته، كما تؤكُّد ذلك مصادر التاريخ والسِّـ ؟! بل عندما اضطُرٌّ أبو سفيان لإظهار الإسلام فإنّه لم يقل صراحة: (أشهد أن لا إله إلاّ الله)، ولم يُقر للنبي بأنّه رسول الله؛ لأنّه يجد في نفسه عناداً في الإذعان إلى أنّه رسول من الله: «قال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): اذهب به يا عبّاس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتنى به. قال: فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلمّا أصبح غدوت به إلى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فلمّ رآه رسول الله قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنّه لا إله إلَّا الله؟ فقال: بأبي أنت وأُمِّي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله، لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنّى شيئاً بعد! قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أنّى رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أمّا هذه _والله _ فإنّ في النّفس منها حتى الآن شيئاً! فقال له العبّاس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمداً رسول الله قبل أن تُضرَب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق فأسلم. قال العباس: فقلت: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً. قال: نعم، مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمِن... ومَن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمِن... ومَن أغلق عليه بابه فهو آمِن، ومَن دخل المسجد فهو آمِن»('').

⁽۱) أُنظر: ابن هشام، عبد الملك، السيرّة النبويّة: ج٢، ص١٠٤. ابن كثير، إسماعيل بن كثير، السيرّة النبويّة: ج٣، ص٤٩٥، وغيرها كثير.

هل استفاد الوثنيون من الدرس النبوي؟

هذا السؤال في غاية الأهمية! ولابدّ أن يسبقه سؤال أهمّ: هل دخل الوثنيون إلى الإسلام حقاً؟ أم دخلوه كيداً له ولأهله؟

عند تأمّلنا بالذهنية المسلمة اليوم، وما قبل اليوم، يُلفت انتباهنا بقوّة أن لا أحد من المسلمين يجرؤ على الإجابة صراحة عن هذا السؤال، غير الشيعة! فالشيعة يقطعون بأنّ أبا سفيان وأتباعه وأمثاله والمتحالفين معه ما دخلوا الإسلام إلاّ كيداً، وكانوا يبغون للدين والمؤمنين الغوائل، بكل ما أُوتوا من مكر وخداع وجَهد ودهاء! أجل! لقد كان ذلك واضحاً صريحاً في المأساة الكبرى التي أدّت إلى استشهاد سيّدنا وإمامنا الحسين الله والثلّة الطيبة من آله وأصحابه الكرام (رضوان الله عليه م)، لكننا في قراءة متأنّية نجد هذا الإجرام وذلك الإرهاب واضحاً عند الوثنيين الجاهليين، وإن تظاهروا بالإسلام منذ دخولهم الصوري فيه زمن النبي الأكرم محمد الظلاميين، وما مأساة بني جذيمة إلاّ شاهداً واحداً من شواهد إرهاب الجاهليين الظلاميين، وما مأساة بني جذيمة إلاّ شاهداً واحداً من شواهد القتا, والبطش الأموية الغاشمة!

وطالما ذكرنا مأساة بني جذيمة فلابدّ أن نسلط عليها شيئاً من الضوء:

يذكر الرواة والمؤرّخون أنّ سيّد الرحمة والعدل رسول الله محمداً عَيَّاللهُ كان يبعث السرايا للدعوة إلى الإسلام سلماً، ويأمرهم بأن لا يخوضوا أيّ قتال، لكن رواسب الشرك والجاهلية الرعناء تسري في دماء هؤلاء (المتأسلمين)، بل هي ليست رواسب، إنّها هي دماؤهم تكوَّنت وفارت إرهاباً وإجراماً وقسوةً ولؤماً. وبنو جذيمة قبيلة من القبائل العربية المنتشرة في البادية العربية، وهؤلاء راحوا ضحية اعتداء إجرامي شنيع، اقترفه أحد أكبر الغادرين الذين حاربوا المسلمين قبل فتح مكة بالحيلة والمكر

والغدر.. وحينها وصلت أخبار الجريمة إلى سيّدنا رسول الله على الله الله الله الله تبارك وتقدّس، وتبرّأ من فعل ذلك الغادر... ثمّ أمر الإمام عليا الله أن يأخذ من بيت مال المسلمين أمو الأطائلة ليُدِي بها تلك القبيلة المنكوبة، ويدفع التعويضات لها دياتٍ عن المقتلولين المغدورين، وتعويضاتٍ عن الخسائر المادية التي لحقت بهم، إلى حدّ أنّه الله دفع التعويض حتى عن الميلغة، وهو: الإناء الذي يشرب فيه الكلب ويأكل، في كناية عن التعويض التام عن كل الأضرار التي لحقت بهم.

نعم، لقـ د ذكر كتَّاب السـيرة والمؤرِّخون ورواة الحديث النبوي الشريف شـيئاً من تفاصيل تلك الحادثة المروّعة، ومنها ما قاله ابن إسحاق: «حدّثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن على، قال: بعث رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً. ومعه قبائل من العرب وسليم بن منصور ومدلج بن مرة، فوطؤوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلمّا رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح؛ فإنّ النّاس قد أسلموا. قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لَّا أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منّا - يُقال له: جحدم -: ويلكم يا بني جذيمة، إنّه خالد! والله، ما بعد وضع السلاح إلّا الإسار، وما بعد الإسار إلّا ضرب الأعناق، والله، لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جحدم، أثريد أن تسفك دماءنا؟! إنّ النّاس قد أسلموا ووضعت الحرب وآمن النّاس. فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد. قال ابن إسحاق: فقال حكيم بن حكيم: عن أبي جعفر، قال: فلمّا وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكتفوا، ثمّ عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم. فلمّ انتهى الخبر إلى رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) رفع يديه إلى السماء ثمَّ قال: اللهم، إنَّى أبرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد. قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم، أنّه انفلت رجل من

القوم فأتى رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) فأخبره الخبر، فقال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): هل أنكر عليه أحد؟ فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة، فنهمه خالد، فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدّت مراجعتها. فقال عمر بن الخطاب: أمَّا الأوَّل - يا رسول الله - فابنى عبد الله، وأمَّا الآخر، فسالم مولى أبي حذيفة. قال ابن إسحاق: فحدّثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر قال: ثمّ دعا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) علىَّ بن أبي طالب فقال: يا على، اخرِّج إلى هـؤلاء القوم فأنظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحـت قدميك. فخرج عليٌّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فودى لهم الدماء وما أُصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليُدِي ميلغة الكلب! حتى إذا لم يبقَ شيء من دم ولا مال إلَّا وداه بقيت معه بقية من المال، فقال لهم على حين فرغ منهم: هل بقى لكم دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا. قال: فإنّي أُعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) ممَّا لا يعلم ولا تعلمون. ففعل، ثمَّ رجع إلى رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) فأخبره الخبر، فقال: أصبت وأحسنت. ثمّ قام رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتّى إنّه ليرى ما تحت منكبيه يقول: اللهمّ، إنّ أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد. ثلاث مرات»(١).

ومع كلّ الألم الذي يصيب الباحث في تلك الأحداث، إلاّ أنّه لابدّ وأن يستنتج أنّ بطولة خالد بن الوليد لم تكن بطولة حقيقية، إنّم كانت رعونة الغدر والحيلة والمكر والخداع، وهذا كلّه ليس من الإسلام في شيء، خاصّة وأنّ خالد بن الوليد يؤمّن مَن يغزوهم، ويطمئنهم، ويعترف بإسلامهم، حتى إذا وثقوا منه غدر بهم، ويبدو من قول أحدهم: (إنّه لخالد). أي: لا تصدّقوه. لما عُرف عنه من غدر ونقض لكل عهد! ولقد قالت إحدى نساء هذه القبيلة المنكوبة، واسمها سلمى، شهادةً للتاريخ،

⁽١) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبويّة: ج٢، ص٤٢٨ ـ ٤٢٩. و أنظر أيضاً: ابن كثير، إسماعيل بن كثير، السيرة النبويّة: ج٣، ص٩٦ ـ ٥٩٣، وغيرهما كثير جدّاً.

وقد سهل انتشارها كونها شعراً يأخذ بالألباب، ويرسخ في الأذهان، وهو قولها:

للاقْت سليمٌ يومَ ذلكَ ناطحا ومُرّةُ حتى يتركوا البرْكَ ضابحا أصيبَ ولم يجرحْ وقد كان جارحا غَداتَت نِ منهُنَ مَن كان ناكحا»(۱).

«ولو لا مقالُ القومِ للقومِ أسلِموا لَماضَعَهُمْ بسرٌ وأصحابُ جحْدمٍ فكائِنْ ترى يومَ الغميصاءِ مِن فتىً ألَظَّتْ بخطّاب الأيامي وطُلّقَتْ

على أنّ أبياتاً أُخرى قالها أحد أفراد هذه القبيلة الجريحة، هي من الأهميّة بمكان يجعلها وثيقة حيّة، تشير إلى تمجيد قائلها بدين آل النبيّ محمد عليها، كناية عن الإمام علي الله الذي لامس الجراح بأقواله وأفعاله، فمسح عليها بالرحمة المعهودة والعطف الكبير. «قال ابن إسحاق: وقال رجل من بني جذيمة:

جزاءة بؤسي حيثُ سارتُ وحَلَّتِ وَقَدْ نَهِ لَتْ فينا الرماحُ وَعَلَّتِ لَقَدْ هَربَتْ مِنْهُمْ خُيولٌ فَشلَّتِ كرجلِ جَرادٍ أُرسِلَتْ فاشْمَعَلَّتِ فلانحنُ نَجزيهِمْ بهاقدا ضَلَّتِ (۲).

جزى اللهُ عَنّا مدلجاً حيثُ أصبحَتْ أصبحَتْ أقاموا على أقضاضِنا يَقْسِمونَها فواللهِ لولا دينُن آلِ محمدٍ وما ضَرَّهُمْ أَنْ لا يُعينوا كتيبةً فإما ينيبوا أو يَثوبوا لأمرِهِمْ

جريمة قتل الزوج العاشق

وممّـا أثار رحمة النبي الأكرم وعطفه وغضبه في وقت واحد ما نقله إليه بعضهم، في إخباره عن ذلك المسكين الشاعر الذي ولهّ العشق، وكان يحمي مع ثلاثة آخرين

⁽١) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبويّة: ج٤، ص٥٨٥.

⁽٢) المصدر السابق: ص٨٨٧.

نساءهم؛ خو فأعليهن من انتهاك أعراضهن، وحين قبض عليه جماعة خالدبن الوليد ليقتلوه بأمر خالد، طلب منهم أن يودّع المرأة التي أحبها وربيا كانت زوجته، فرآها، وتناشدا شعراً، ثم قتلوه، وجاءت هي تبكيه حتى ماتت عنده، وربما قُتلت بأيديهم.. فقال سيّدنا رسول الله عَيْلِيُّ حينها أُخبر بذلك: «أما فيكم رجل رحيم»؟!

إنّ هـذه الحادثة تدلّ بكل صراحة على ذلك النهج الدموي الإرهابي الذي كان يسير عليه مَن كان يحارب الإسلام سابقاً في المواجهات العلنية، ثم انتقل ليهدم قِيم الإسلام ومُثْلَه النبيلة، ويكيد له بتخطيط شنيع تلبَّس بأُسلوب جديد، هو التظاهر بالإسلام، وقتل النَّاس باسم الإسلام. وهذا ما نجده في اعتراف عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي(١).

إلاَّ أنَّنا نتلمَّس في طيَّات التاريخ ما يعطينا انطباعاً بأن خالـ دبن الوليد لم يكن يقاتل المشركين والمتجاهرين بالكفر، ولاحتى الذين يحرّضون على قتله، بل يكتفي مع المشركين بأقل ما أوصاه به سيّدنا رسول الله عَيْظِيُّهُ.

اغتيال سعد بن عبادة، والاستخفاف بالعقول

من المارسات الإرهابية المشينة، عمليات الاغتيال التي طالت عدداً من كبار الصحابة الذين لم يبايعوا أبا بكر، ومنهم شيخ الأنصار سعد بن عبادة الخزرجي. هذه العمليات الإجرامية التي نفّذها الأمويون والوثنيون وصلت حتّى إلى بيت رسول الله عَيَّا أَنَّهُ ، في مسعى لإحراق دار بنت النبي الأكرم عَيَّا أنه سيّدتنا فاطمة الزهراء عليما بمن فيها، وفيها فاطمة وزوجها على وابناهما الحسنان وابنتهم زينب الميك ولفيف من بني هاشم!! وهذا ما سنفرد له بعون الله مداراً خاصّاً موسّعاً للبحث والدراسة إن شاء الله.

⁽١) ابن الأثير، على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٥٦ ٢٥٨.

والأمر لا يتوقّف عند الاغتيال، بل يتعدّى إلى حملات الاستخفاف بالعقل الإنساني، حينها يقتلون المعارضين، ويتّهمون الجن بقتلهم! والأغرب والأعجب أنّ كتّاب الحكّام والطواغيت يتسابقون في نقل إلقاء التهمة على الجن (۱۱)! وهذا تسخيف للعقل المسلم من جهة، ومن جهة ثانية فإنّه يقوّض الركائز الأساس التي أرسى قواعدها الدين الإسلامي، وشادها سيّدنا رسول الله على والمقرّبون منه من أهل بيته وأصحابه، بعد جهود مضنية، وجهاد شديد.

ونبقى جميعاً، كوجود بشري، مدينين للإمام الحسين الله الذي كان البرزخ الفاصل ما بين الخطّ المحمّدي الأصيل النبيل، وبين الخطّ الأُموي الإرهابي الوثني، فبالإمام الحسين الله وموقفه البطولي الاستشهادي رُفعت عن الأعين غشاوة التجهيل والتدجيل الأُموي، ونفضت العقول غبار التخدير والتبرير السلطوي، وهي تجد الباصرة الدقيقة التي ترشد إلى خط محمد، وتدين خط أعدائه القدامي الجدد، الذين ظلوا رموزاً للشرك والوثنية، والإرهاب والهمجية، والإجرام والجاهلية، مها تعدّدت الأقنعة، وتغيرّت الثياب.

⁽١) للقارئ الكريم أن يراجع المصادر التاريخية الكثيرة التي ذكرت ذلك، وقد أعرضنا عن ذكرها حتّى لا يتهمنا أحدباًنّنا نتهكم أو نسخر بها وبمؤلّفيها.





الشيخ قيصر التميمي

الإرهاب الحكومي هو أبرز ما واجهه الإمام الحسين الله في حركته الإصلاحيّة، وهو موضوع بحثنا، أوضحنا في قسمه الأوّل أبرز المفاهيم المرتبطة بالبحث، وهي: ١_مفهوم الإرهاب، أوضحنا معناه في اللغة والاصطلاح، ثم استخلصنا أهم

القسم الأوّل (دراسة مفهوميّة)

٢_مفاهيم (السياسة، الحكومة، الدولة)، أوضحنا أيضاً معانيها اللغويّة والاصطلاحة بإياز.

عناصه والتعريفية.

٣_مفهوم الإرهاب الحكومي، أوردنا أبرز تعاريفه الاصطلاحيّة، واستخلصنا أيضاً أهم عناصره التعريفيّة، ثم أشرنا إلى أسباب نشوئه، وبيّنا آثاره المدّمرة على المجتمع الإنساني.

وخلُص المقال إلى أنّ من أهم الأهداف الرئيسة لإنزال الشرائع السهاويّة محاربة هذا اللون من الإرهاب، حيث وقفت بكلّ حزم وثبات بوجه السلطات المستبدّة، التي مارست بحقّ شعوبها أشكال القمع والجريمة. ولولاها لما كنّا ننعم اليوم بجانب من الحياة الإنسانيّة الكريمة.

وأوردنا قصّة النبيّ موسى الله كأبرز مثال قرآنيّ على تلك الجهود الإلهيّة، أرسله الله تعالى ليخلّص بني إسرائيل من ظلم فرعون حينها طغى وعاث في الأرض فساداً،

ومارس أعنف وأقسى أشكال الإرهاب بحقّ شعبه المضطهد، الذين كانوا يعيشون تحت وطأة سلطته القمعيّة الجائرة.

وأمّا من النصوص التاريخيّة والروائيّة، فيختصّ بحثنا بالخطابات والمواقف الحسينيّة ذات الصلة، والتي صدرت من الإمام الحسين الله حينها تصدّى لأخطر وأعتى حكومة إرهابية مستبدّة مارست ألوان العنف والإرهاب بحقّ المسلمين، تلك هي الحكومة الأمويّة الجائرة. وهذا ما تركنا تفصيل الكلام فيه لمقال لاحق بإذن الله تعالى.





Imam al-Ḥusayn's Policy in the face of the Ruling Authorities' Terrorism Part I (A definitive study)

Shaykh Qayşar al-Tamīmī

All the way through his reformative movement, the most outstanding feature that Imam al-Ḥusayn ('a) had to encounter was the terrorism practiced by the Umayyad ruling authorities. This point is the subject matter of this essay, which consists of more than one part. In the first part of it, the writer sheds light on the terms and concepts related to this topic. They are as follows:

- 1. The definition of terrorism: In this section of the essay, the author explains the lexical and terminological meanings of this word to define the most important elements and terms related to it.
- 2. Defining the terms "politics," "government," and "state": Under this title, the writer gives details, yet briefly, of the lexical and terminological meanings of these terms.
- 3. The government's terrorism: This term, which stands for the terrorism practiced by the ruling authorities, is explained through displaying the most prominent definitions of it as a term. The writer then sums up its most important elements, points out the reasons for its being put into practice, and its devastating consequences on the human society as a whole.

In summary, the essay concludes evidentially that one of the major goals of the revelation of Divine laws was to resist and annihilate this sort of terrorism, since the Divine Law has stopped relentlessly against the tyrannical authorities that imposed various sorts of suppression and persecution on people. In fact, had it not been for these ruling authorities, the entire humanity would have lived in felicity and would have been blessed by an honorable human life.

The writer then cites as example the story of the Prophet Moses ('a) whose story is regarded as the best Qur'ānic example of the Divine

Concerning texts derived from historical facts and narrations, the current essay is dedicated to the speeches said by and the attitudes taken by Imam al-Ḥusayn ('a) while he was confronting the misbehaviors of the most dangerous and most despotic government that practiced terrorism as the most outstanding feature of its policy and practiced a big variety of violence and terrorism against Muslims. Thus, the government of the Umayyad dynasty was the most tyrannical government ever witnessed by humanity. The details of this point have been postponed to the next essay, God willing.





دور القيم الحسينيّة في مواجهة الإرهاب

سماحة العلّامة السيد حسين الحكيم

حاورت مجلة الإصلاح الحسيني سياحة العلامة السيد حسين الحكيم حول سبل توظيف المبادئ الحسينيّة في ساحة المواجهة مع الإرهاب، فتحدّث سياحته في بداية اللقاء حول ملامح العلاقة بين القضيّة الحسينيّة والإرهاب، ثم تكلّم عن أهم مقوّ مات المشروع الحسيني في التصدّي للإرهاب، وذكر خمس مقوّ مات، هي: الفكر، والإعلام، والاستعداد العسكري، والدفاع عن الإسلام حتى النفس الأخبر، والقِيم الأخلاقيّة في الحرب والسلم، وتركّز الحديث عن الإعلام الحسيني، وأبرز معالمه في عاشوراء، وبعد ذلك سألت المجلّة سماحته عن التدابير الحسينيّة الأخرى في التصدّي للإرهاب والقوى الظالمة، فذكر سياحته عدّة تدابير منها استخدام الحوار والإقناع والاستعدادات العسكريّة، ومراعاة القيم الأخلاقية في الحرب والمواجهة، ثم انبثق سؤال من ذلك عن إمكانية تطبيق المبادئ الحسينيّة المثاليّة تجاه العدو المتوحش في العصر الراهن، وأجاب سماحته بأن هذه المبادئ هي السبيل الوحيد للقضاء على هذا العدو والتِّفاف المؤمنين حول المشروع الذي يتبنى النهج الحسيني. وفي الختام سألته المجلة عن وسائل ترسيخ القيم والمبادئ الحسينيّة الجهاديّة في المجتمع، فذكر سماحته عدة وسائل وآليات من شأنها أن تجعل القضيّة الحسينيّة واقعاً مُعاشاً في حياة الناس في مختلف مناحي الحياة.

The Role of the Principles of Imam al-Ḥusayn's Uprising in the Face of Terrorism

īkaH-la nyasuH diyyaS ecnenimE siHm

The al-Iṣlāḥ al-Ḥusaynī Magazine interviewed His Eminence Sayyid Ḥusayn al-Ḥakīm and asked him about the best ways of employing Imam al-Ḥusayn's principles in the battle against terrorism. In the beginning of the interview, His Eminence talks about the features of the relationship between Imam al-Ḥusayn's reformative uprising and terrorism. He then moves to thrash out the most important constituents of Imam al-Ḥusayn's method of confronting terrorism, shedding light on five constituents, which are namely thought, mass media, military preparations, defending Islam to the last spark of life, and the importance of ethical values in warfare and in peace. Yet, the discussion is focused on the role of mass media from Imam al-Ḥusayn's point of view and their most eminent features concerning the Event of ʿĀshūrā›.

Thereafter, the Magazine asked His Eminence Sayvid al-Hakīm about the other steps that were taken by Imam al-Husayn (a) in his conflict against terrorism and the unjust ruling authorities. Answering to this question, Sayvid al-Hakīm mentions a number of procedures that Imam al-Husayn (a) followed in his reformative movement, such as dialogue, persuasion, military preparations, and observation of the ethical values in war and fighting. Derived from this question, the Magazine asks him further about the possibility of applying Imam al-Husayn's ideal principles to the conflict against the savage enemy in the present day. He answers that these principles have always been the one and only way to annihilate this enemy; therefore, the believers are required to gather around the project that adopts the course of Imam al-Husayn (a) as an approach. Finally, the Magazine asks His Eminence Sayyid al-Hakīm about the means through which the values and principles of Imam al-Husayn ('a) concerning jihad can be applied to the community; so, he mentions a number of mechanisms and tools that can contribute to changing the reformative movement of Imam al-Husayn ('a) into an actual reality in the various fields of the people's lives.



التطرّف في الجدل المذهبي

سماحة العلّامة الشيخ معين دقيق العاملي

تُعدّ ظاهرة التطرّف من الظواهر التي لا تزال تعيش في المجتمعات الإنسانية، وقد أُسيء توظيفها في الجدل الديني في بعض الأحيان. ولأجل معالجة هذه الظاهرة الخطرة وبيان انعكاساتها السلبية في الجدل المذهبي، بدأ سهاحته ببيان أسئلة البحث وتفريعاتها، ثم تناول معنى التطرّف في اللغة، وانتهى إلى أن المعنى اللغوي للمتطرّف هو ذلك الفاعل الذي يُكثِر من الإمساك والأخذ بطرف الشيء، ويبتعد عن حدّ الاعتدال والتوسُّط. وفي التعريف الاصطلاحي بيّن أن هذه الكلمة منذ القرن الماضي إلى أيامنا هذه أخذت منحى الظاهرة الاجتهاعية التي تُعبِّر عن: الخروج عن النَّسق العام، ومنظومة القيم والمبادئ والأفكار الشائعة والرائجة المتوافق عليها بين النَّاس. ويتحدّد معنى الخروج هنا بها تُضاف إليه هذه الكلمة، فقد تضاف إلى الدين، فيقال: (التطرّف الديني)؛ فتعني الخروج عن الوسط في أُمور الدين، وقد تُضاف إلى الفكر، فيقال: (التطرّف الفكري)؛ فتعني: خلاف الوسطيّة الفكريّة، وفي سياق الحديث عن التعريف أشار المقال إلى كلهات مقاربة استخدمت بمعنى التطرّف، كالغلو.

ثم بين سماحته أنّ العمل بالضوابط الشرعية، وعدم التجاوز عن الحدود التي حدّها الله تبارك وتعالى هو نقطة الوسط التي يكون الخروج عنها تطرُّفاً وغلواً وقصيراً. وبعد تقديم المعنى اللغوي والاصطلاحي للجدل، تمّ استعراض أقسام الجدل في النصوص الدينية من مذموم وممدوح، ثم وُضّح الرَّبط بين التطرّف والجدل

المذهبي في صورتين متقابلتين: صورةٌ مشرقةٌ اتخذت الوسطية والحقّ والإنصاف شعاراً، وصورةٌ مظلمةٌ اتخذت التطرّف والغلوّ والتعصُّب دثاراً. واستعرض سهاحته نهاذج من الصورة المشرقة للجدل المذهبي وهي المناظرات التي جرت بين الشيخ المفيد وبعض معاصريه من علهاء المذاهب الإسلامية في بغداد، وهكذا المراجعات التي حصلت بين الإمام شرف الدّين العاملي والإمام سليم البشري إمام الجامع الأزهر. وفي نهاذج الوجه المظلم للجدل المذهبي يقف ابن تيميّة الحرّاني في كتاب (منهاج السُّنة) أسوأ نموذج في تاريخ الجدل المذهبي والذي شكّل الأساس لمنهج التطرّف الفكري والعقدي.





Extremism in Sectarian Dialectics

His Eminence Shaykh Mu'īn Daqīq al-'Āmilī

In its capacity as one of the phenomena that are still existing in the human societies, extremism has sometimes been misemployed in the religious dialectics. For treating this seriously dangerous phenomenon and demonstrating its disadvantageous reflections on the sectarian dialectics, the writer of this essay begins with explaining this phenomenon and giving answers to the questions related to it as well as to its branches and secondary issues. Discussing the lexical meaning of the word extremism, the writer concludes that an extremist is a person who fanatically adheres to a certain opinion and clings to the furthest extreme of an issue obsessively, dragging himself away from moderation and temperance. Terminologically, the word extremism has been used since the past century and up to the present day to denote the social phenomenon of leaving the public order and withdrawing from the system of the social values and principles and the ideas that are common and familiar to people generally. Moreover, this word is dedicated to a certain meaning when it is annexed to another word. For example, when this word is preceded by the adjective "religious," it then means leaving the moderate course in religious issues. Likewise, it may be preceded by the adjective "ideational," to mean the opposite of moderation in thought. In this regard, the writer refers to synonymous words that have been used to express extremism, such as the Arabic word 'ghuluw,' which means excessiveness or immoderation.

The writer then assures that acting in the frame of the legal restraints and abstinence from going beyond the limits that God the Almighty has outlined for people is the very moderate point; therefore, any violation of this frame is decided as extremism, immoderation, and failure to do the required.

After introducing the lexical and terminological meanings of dialectics, the writer reviews the different parts of dialectics and debate in the religious texts, since some of these parts are praiseworthy while others are discommended. He then makes clear the link between extremism and sectarian debate in two opposite images; one is bright, since it took moderation, truth, and impartiality for motto, while the other is gloomy, since it adopted extremism, immoderation, and fanaticism as background. He thus refers to some samples of the bright image of sectarian debate; namely, the debates that took place between Shaykh al-Mufid and some contemporary scholars of other Islamic sects and schools of thought, as well as the correspondence between Sharaf al-Dīn al-ʿĀmilī and Salīm al-Bishr, the head of the al-Azhar University. On the other hand, the writer cites Ibn Taymiyah al-Ḥarrānī, in his famous book: Minhāj al-Sunnah, as an example of the gloomy image of sectarian debate, since this book comprised the worst sample of baseless sectarian debate in the history of religious debates and it was the basis of the course of ideational and creedal extremism.





ثنائية التطرّف الأموى والاعتدال الحسيني

الشيخ إسكندر الجعفري

يستعرض المقال ظاهرة (التطرُّف الديني)، التي تُعدُّ من أهمّ علل نشوء الإرهاب والتكفير والتعصّب، فتضمّن المقال محاور ثلاثة:

أوَّلها: التطرِّف؛ استعرض الكاتب فيه مفهو م التطرُّ ف تعريفاً وحدوداً، ثمَّ تعرُّ ض لأهم ظواهر التطرِّف كالتعصِّب وعدم قبول الآخر، والسطحيَّة، والتكفير واتَّهام الغبر، ثم تطرّق إلى صور التطرّف في العبادة، والخُلُق، والعقيدة، وبعدها أوضح علل التطرّ ف العقدي.

أما المحور الثاني: فقد تعرّض الباحث فيه إلى نقيض التطرّف، وهي الوسطيّة والاعتدال، وأثبت أن الإسلام دين الوسطية واستعرض بعض الشواهد الدالَّة على ذلك، ثمّ وضّح أنّ ميزان الاعتدال هو اتّباع القرآن الكريم والعترة المطهرة جنباً إلى جنب، وأنَّ تركها، أو ترك أحدهما يوقع في التطرَّف لا محالة.

أما المحور الثالث، فخصّصه لبحث الاعتدال والوسطية في النهضة الحسينيّة، باعتبار أن نهضة الحسين اللَّهِ كانت سدًّا منيعاً في وجه التطرّف الأُموي؛ فهي أسقطت شرعيّة الحاكم الجائر، بعد أن ذكر أسباب نشوء التطرّف الأُموى آنذاك، وكيف استطاعت عاشوراء أن تعري الحكم الأموى الجائر.

The Dualism of Umayyad Extremism and Imam al-Ḥusayn's Moderation

Shaykh Iskandar al-Ja'farī

The essay is about the phenomenon of religious extremism, which is considered one of the most serious effects of the rise of Terrorism, Takfir (accusation of disbelief), and fanaticism. It thus comprises three major parts, the first of which is extremism. Under this title, the writer of the essay touches on the definition and outlines of extremism and then moves to display the most important features of extremism, such as fanaticism, rejecting the other opinion, superficiality, and accusing the others of disbelief (takfir) and of other charges. The writer then mentions other fields of extremism, such as immoderation in devotional acts, in morality, and in beliefs. Finally, he explains the reasons of creedal extremism.

In the second part of the essay, the writer discusses the opposite of extremism; that is, moderation and reasonableness, proving that Islam is the religion of moderation, and giving demonstrations that prove this fact. In conclusion, the writer establishes that the criterion of moderation in Islam is the Holy Quryān and the Holy Prophet's Progeny altogether, since forsaking both of them, or one of them, leads to extremism unquestionably.

The writer dedicates the third part of the essay to discussing moderation and reasonableness in the uprising of Imam al-Ḥusayn ('a), since it was an invulnerable obstruction in the face of the Umayyad extremism. This blessed uprising unmasked the fake legality of the unjust rulers. The writer then puts on show the reasons for the emergence of the Umayyad extremism at that time and shows how the Battle of \dot{A} shūr \bar{a} exposed the Umayyad unjust ruling authorities.

مظاهر الإرهاب الفكري في المعسكر الأُموي

(قراءة في الآليات والنتائج)

السيد شهيد طالب الموسوى

عالج الكاتب في مقاله هذا مفردة الإرهاب الفكري باعتباره أخطر أنواع الإرهاب. ويُعدّ المعسكر الأُموي _ نتيجة لمنهجه العام وما فعله في كربلاء _ المصداق الأتمّ لذلك الإرهاب المقيت، ولأجل ذلك حاول جاهداً رصد الأساليب والآليات التي أنتجها المعسكر الأُموي واعتمد عليها وعُدّت مقوّمات للإرهاب الفكري حتى امتاز به، مثل آلية الركون إلى الظالمين والاصطفاف معهم، وسياسة التجهيل وتغييب الوعي للأُمة، وآلية اللاعقلانية في أخلاق الحرب، وآلية الإفراط في تقديرات الحرب، مع تفصيل في كل آلية من تلك الآليات، وذكر نهاذج لها، وإبراز النتائج المترتبة عليها، وأشار الباحث إلى بعض المطالب الجديرة بالاهتهام، كفلسفة الكثرة المفرطة للجيش الأُموي في وقعة عاشوراء.



Features of Ideational Terrorism in the Umayyad Camp A Perusal in the Mechanisms and Effects

Sayyid Shahīd Ṭālib al-Mūsawī

In this essay, the writer discusses the topic of ideational terrorism, in its capacity as the most dangerous kind of terrorism. The Umayyad camp, as a consequence of its political course in general and the horrible crimes it committed in Karbalā, is seen as the clearest example of ideational terrorism. For this reason, the writer has painstakingly tried to pinpoint the methods and mechanisms that were followed and depended upon by the Umayyad camp. In fact, these methods have been considered the foundations of ideational terrorism that distinguished the Umayyad policy. Counting some examples of such methods, the writer of the essay refers to some policies followed by the Umayyad party, such as the policy of threatening people to line up and stand with the unjust party, the policy of designing for imposing ignorance on people and cancelling out their realization of the facts, the method of the absence of warfare ethics, and the mechanism of challenging all limits of warfare estimations.

The writer then gives details of each one of these policies and methods and singles out the consequences resulting therefrom. Finally, he makes reference to some noteworthy and related topics, such as the reason for recruiting excessive number of troops to fight against Imam al-Ḥusayn (a) in the Battle of \bar{A} sh \bar{u} r \bar{a} .



فاجعة الطفّ وجريمة قطع الرؤوس والتمثيل بها وإهدائها

(رؤية تاريخية . تحليلية)

الشيخ منتظر الإمارة

تحدّث المقال عن ظاهرة من ظواهر الإرهاب الأُموي في معركة الطف، وهي ظاهرة قطع الرؤوس، بدأ الكاتب بتتبع تاريخ هذه الظاهرة قبل الإسلام، ومروراً بالحكم الأُموي حتى واقعة الطف، وانتهى الباحث إلى أن قطع الرؤوس لم يُشكّل ظاهرة قبل الحكم الأُموي وإنّها كانت هناك ممارسات فردية حتى جاء الأُمويون وسنّوا هذه السنة السيئة فتجلّت بأبشع صورها في واقعة الطف. ثم حلّل الباحث الأسباب التي تقف وراء تلك المهارسات اللاإنسانية وانتهى إلى أنّها خمسة، هي: الأحقاد الجاهلية. محاولة نشر الرعب والخوف في قلوب الناس. بيان الغلبة. أنّ التمثيل وإهانة الرأس هو تمثيل وإهانة لذات الإنسان. إسكات أصوات المعارضين. ثم أوضح الباحث الموقف الشرعي تجاه هذه الظاهرة، وتحدّث عن قطع الرؤوس قبل الموت وبعده، أما قبل الموت فالإسلام استخدمها في إطار محدود جدّاً، أمّا بعد الموت فيحرم قطع الرأس ومَن يفعل ذلك عليه الدّية، وقد انتهك الأُمويون كلّ

تلك الأحكام ولم يراعوا أيّ حرمة. ثم عرّج الباحث إلى بيان المبررات التي يقدّمها

الفكر الإرهابي لتبرير أفعاله الدنيئة، من كونها جزاء المحارب المستفاد من إطلاق

بعض الآيات؛ لأنّ هذا الحكم لا يشمل كلّ محارب ومفسد، وتطبيق هذه الأحكام والعقوبات موكول إلى مَن له حق الولاية، كالإمام أو نائبه، وليس شرعة لكل مَن هبّ ودبّ. وكونها تطبيقاً للآيات الدالّة على وجوب التنكيل بالكافرين، وممارسة الشدّة والعنف بحقهم بلا رحمة ولا شفقة، وردّه بأنّه لو تمّ الاستدلال بها فهي مقيدة بأدلّة حرمة المثلة، وهي في مقام تشريع الجهاد الابتدائي أو الدفاعي مع المشركين والمعتدين، وهو إما في مقام الدفاع عن النفس والهويّة والوجود، أو غايته نشر كلمة الإسلام. وأمّا الاستدلال بها فعله الإمام علي بن أبي طالب إلى في بعض المعارك من قطع لرؤوس الأعداء، فإن صحّ ذلك فهي موارد قليلة ونادرة، وفي ظروف خاصّة، ولا تشكّل سنّة يجب اتباعها، كها أنّها لم تكن مع المسلمين، بل كانت مع الكفار والمشركين واليهود والمنافقين، ولم ينقل لنا التاريخ وقوع المثلة بتلك الرؤوس، أو إهداءها و تناقلها من مكان لآخر.





The Tragic Saga of al-Ṭaff and the Crime of Cutting off the heads and carrying them as gifts A Historic-Analytic View

Shaykh Muntazar al-Imārah

One of the phenomena of terrorism that was practiced by the Umayyad army during the Battle of al-Ṭaff was that they cut off the heads of the warriors of Imam al-Ḥusayn's camp after they had killed them and maimed their bodies.

The writer of this essay begins with following up the history of this immoral phenomenon that took place before the advent of Islam and continued up to the Battle of al-Ṭaff, since it was practiced so excessively at the hands of the Umayyad army. He thus concludes that the beheading was not a distinctive practice in wars before the Umayyad reign; rather, there were only few individual practices, but when the Umayyads came to power, they turned it into a war technique and practiced it so excessively and hideously during the Battle of al-Ṭaff.

The writer then analyzes the reasons for such inhumane practices to conclude that there were five major reasons for this phenomenon; they are namely the old malice of the Umayyad dynasty towards the Holy Prophet (s) and his descendants, the spread of terror and panic in the hearts of people, the attempt to prove that they were the victorious party in this clash, the attempt to prove that cutting off the body parts and the heads of the opponents is an insult of humanity, and silencing the voices of the oppositionists.

Explaining the attitude of the Islamic Law to the phenomenon of beheading, the writer distinguishes between cutting the foes' head before and after death. Before death, Islam has allowed cutting off the enemy's head with a very limited frame. On the other hand, Islam has forbidden cutting off the head of the dead enemy and decided that whoever commits this crime must pay the blood-money for the victim as a punishment. Yet, the Umayyad ruling authorities and their followers violated all these laws and did not pay any attention to the inviolability of the victims' bodies after their death.

The writer then mentions the justifications made by the terroristic course for defending this brutal crime. They thus justified that, according to the Islamic Law, beheading is one of the punishments decided for those who wage war against Muslims and make mischief in the land. To refute this unfounded justification, choosing a punishment from among many options is the responsibility of the legal Religious Authority, such as the Imam or his deputy, but this is not legal for every person.

Another false justification was that beheading the enemy is seen as carrying out the instructions mentioned in some verses of the Holy Qur'ān, which generally denote that no mercy should be shown to the infidels whom should be treated as brutally as possible. This is baseless claim, in fact, because many texts of the Islamic Law have proven the forbiddance of cutting off the limbs. This forbiddance is as fixed as jihad, since jihad is of two kinds; either self-defense or attacking the polytheists and transgressors. Generally, jihad is not lawful unless it is practiced for the purpose of defending oneself, the identity of Islam, the religion, or for the purpose of spreading the word of Islam.

However, some of them provided as evidence on the legality of beheading the enemy the act of Imam 'Alī ('a) in some of the wars he led. Although traditions that related this event have not been proven as authentic, history tells us that this act was practiced under certain conditions and for limited reasons; therefore, it cannot be taken for an Islamic tradition or method. Besides, this act was not practiced against Muslims; rather, it was practiced against infidels, polytheists, and hypocrites, assuming that this act was actually practiced, since proofs on practicing this act are still imperfect. Besides, history has not told us of any event of cutting off the heads of the victims, carrying them as gifts, and conveying them from one place to another.



رواية قطع رأس بكر بن غانم على يد علي الأكبر الله (عرضٌ ونقد)

الشيخ أركان التميمي

تتبّع الكاتب في هذا المقال خبر حزّ رأس بكر بن غانم على يد عليّ الأكبر الله، واستعرض تفاصيل الخبر ومصادره، وانتهى إلى أنه لم يرد في مصدر معتبر ولا مقتل معتمد، بل حتى الكتب ذات المنهج التسامحي هي الأُخرى خلت من هذا الخبر، وإنها جاء هذا الخبر في كتب خلطت بين الصحيح والضعيف من أخبار عاشوراء، ثمّ رصد الباحث قتال على الأكر في المصادر المعترة، فرآها خالية تماماً من ذكر هذا الخبر. بعدها قدّم الباحث عدة استبعادات تنفى وقوع أصل الحادثة، أوّها: أنّ قطع الرأس تمثيل منهى عنه، وثانيها: أنَّ هذا الفعل مخالف لأخلاقيات الحرب في الإسلام وقيمه السامية، وثالثها: كيف يقرّ الإمام الحسين الله هكذا فعل وهو إمام معصوم، بعد أن كان هدفه إصلاح مسيرة الأُمة؟! ورابعها: أنّ بكر بن غانم لا وجود له إلَّا في هذا الخبر، مع أنَّ خبر قطع رأسه يصوّر لنا أنه شخصية مشهورة بشجاعتها، وخامسها: صعوبة قطع الرأس والمعركة قائمة. وسادسها: بُعد الخبر عن روح الإسلام، والاستبعاد الأخير: خبر حزّ الرأس مرتبط بوجود ليلي أمّ عليِّ الأكبر اللَّهِ في كربلاء، ومن المعلوم أن وجودها في الطف محلِّ نقاش. وبهذا انتهي المقال إلى نفي هذا الخبر جملة وتفصيلاً. ثم تطرّق المقال إلى بعض الإشكاليات التي ترد على الاستعاد وأجاب عنها.

The Narration of 'Ali al-Akbar's having beheaded Bakr ibn Ghānim Presentation and Critique

Shaykh Arkān al-Tamīmī

In this essay, the writer follows up the narration that reported that 'Ali al-Akbar, the son of Imam al-Ḥusayn ('a), cut off the head of Bakr ibn Ghānim, discussing the details of this report and its sources. He thus ends up with the fact that this report has not been mentioned in any reliable reference book, especially those relating the details of Imam al-Ḥusayn's martyrdom, not to mention the other books that related this event from the opposite point of view. In fact, this report is mentioned in a few books that were a mixture of authentic and inauthentic reports.

The writer then follows up the reports about 'Alī al-Akbar's fight in the reliable references, he concludes that these books have not made any reference to such an incidence.

After that, the writer presents a number of improbabilities, all of which deny this event absolutely. For instance, he proves that beheading the victim is a forbidden act in the Islamic Law, and 'Alī al-Akbar would never commit a forbidden act. Secondly, this act is in violation of the ethics of war as decided by Islam and in violation of the supreme morality of Islam. Thirdly, Imam al-Husayn ('a), who is a Divinely guided and appointed leader, would never accede to such an act, since the Imam's goal was to reform the Muslim community. Fourthly, Bakr ibn Ghānim is a personality that did not exist except in this report, although the same report indicates that he was such a famously brave warrior that if he had existed, other sources should have referred to another situation of him at least. Fifthly, it was not an easy task to cut off the head of an enemy while the war was intensely heated. Sixthly, the report is in violation of the spirit of Islam. Finally, this report is connected to the presence of Laylā, the mother of 'Ali al-Akbar, in Karbalā', while it is well known that the presence of her during that event is doubtfully arguable. In conclusion, the essay ends with denying the authenticity of this report absolutely.

The essay then discusses further argumentative points that refute these improbabilities and then gives persuasive answers to them.





دور محاولات اغتيال الإمام الحسين الله في صناعة الإرهاب

الشيخ صباح عباس الساعدي

تحدّث الباحث في هذا المقال عن المحاولات التي قام ما أعداء الإمام الحسين الميِّلا ودورها في بثّ حالة الإرهاب ونشره، فبدأ بتعريف الاغتيال في اللغة والاصطلاح، ثم بيّن أسبابه وأوضح أنها سياسية وعقدية واقتصادية وإجراميّة متجذّرة في بعض الأفراد. بعد ذلك رصد الكاتب محاولات الجهاز الحاكم آنذاك لاغتيال الإمام الحسين الله الأُولى: هي إيعاز يزيد إلى والي المدينة بالتنفيذ. الثانية: المحاولات التي حصلت في مكّة، وأخيراً مراقبة الإمام الله في مسيره حتى إنزاله في كربلاء. بعد ذلك تمّ استعراض كلمات الإمام الحسين اليلا الدالة على أنّ الجهاز الحاكم كان يخطط لاغتياله، وإنّه المُثلِلِ كان يعلم بذلك. ثم بيّن الباحث الأهداف المتوخاة من الاغتيال، فكانت هناك أهداف سياسيّة وانتقاميّة وإجراميّة وعقديّة. بعدها تطرّق المقال إلى حكم الاغتيال من ناحية فقهية، وبيّن اتجاهين في هذا المضار، أحدهما يؤطر لهذه الظاهرة فقهياً، والآخرير فضها؛ للنصوص الناهية عن الفتك، ولأنَّه غدر وخيانة منهي عنها، وأنَّه لو جاز لاستلزم الفوضي. وفي الختام بيّن الباحث إنَّ محاولة اغتيال الإمام الحسين الله مخالفة لأدلة حتى مَن قال بجو از الاغتيال. وبذلك توصل الباحث إلى أن المحاولات التي قام بها أعداء الإمام الحسين الميلاً لم يكن لها أيّ غطاء شرعى.

**4

The role of the attempts of assassinating Imam al-Ḥusayn in the making of terrorism

Shaykh Şabāh 'Abbās al-Sā'idī

The writer of this essay discusses the attempts of assassination made by the enemies of Imam al-Ḥusayn and their role in disseminating and spreading a state of terroristic feeling in the hearts of people. The essay thus begins with defining assassination lexically and terminologically and then explains its reasons, showing that assassination is a political, creedal, economical, and criminal practice that was rooted in the minds of some people.

The writer then mentions the assassination attempts that the Umayyad ruling authorities practiced against Imam al-Ḥusayn ('a), the first of which was Yazīd's instruction to the ruler of al-Madīnah to eliminate the Imam, and the second was a series of attempts that took place while the Imam ('a) was at Makkah. The third attempt embodied the regime's instruction of watching the Imam during his journey from Makkah to Karbalā'.

Then the writer quotes Imam al-Ḥusayn's words that indicated the fact that the ruling authorities had always planned to assassinate him while he had full knowledge of that.

He then shows the ruling regime's aims for these attempts, proving that there were political, vengeful, criminal, and creedal reasons behind that.

After that, the writer touches on the laws appertained to assassination in the light of the Islamic Law, distinguishing between two major trends in the issue, the first trend outlines the frame of this phenomenon from the prospect of the Islamic jurisprudence, while the other trend rejects it totally, because there are many texts warning against such elimination, in its capacity as a sort of perfidy and treason, which are absolutely forbidden in Islam. So, any violation of this law will definitely cause chaos and mischief in the community.

Finally, the writer proves that the attempts of assassinating Imam al-Ḥusayn ('a) were in clear-cut violation of the proofs provided by those who deemed lawful the practice of assassination in Islam.

In conclusion, the writer deduces that the attempts of assassinating Imam al-Ḥusayn (`a) by his enemies could never be justified through the Islamic Law by any means.



الأُصول الأخلاقيّة للثورة في ضوء النّهضة الحسينيّة

محمد نصر الأصفهاني ترجمة: علي الفيلي

تناول الباحث في هذا المقال الأُصول الأخلاقيّة للثورة في ضوء النهضة الحسنيّة، وييّن أنّ الخُلق الثوري مهارة تشترك فيها جهود من مجالات معرفيّة متعدّدة، وأخلاق الثورة تندرج تحت الأخلاق العامة. ورأى الباحث أنّ أُسلوب نضال الإمام الحسين الله هو أفضل معيار لسنّ قوانين الخُلق الثوري، وأوضح الكاتب أنَّ خلق الثورة عنده للَّهِ ينطلق من روح القرآن والسنَّة والقيم الإنسانيَّة. وبها أنَّ النضال يتعلَّق بحياة الناس، فلابدّ من استشارتهم في إدارة أُمورهم، ومَن يناهض سلطة مستبدّة عليه أن لا يكون مستبدّاً، ويشكّل الالتزام بالعهو د والمواثيق والعمل بها عنصراً مهمّاً في الثورة وأخلاقها، كما أنّ الحفاظ على أرواح القوى النضالية من أهمّ مقوّ مات أخلاق المواجهة. وأشار المقال إلى أنّ عدم الحوار يضفي طابعاً عنيفاً على الثورة، فلابدّ من تجنّبه، والثورة بطبيعتها تتطلّب شجاعة وقوّة في الموقف. وبيّن الباحث وجود علاقة بين قداسة الثورة ومستقبلها وبين مدى طهارة قواها وسلامتها من جهة أُخرى، ونجاح الثورة والنصر مرهون بمدى معاضدة الأفكار العامّة والقوى المساندة لها، ووفقاً لما استعرضه الباحث، فإنّ مَن يؤمن بالقيم الأخلاقية في الحرب والمواجهة عليه اتخاذ قرارات قائمة على معلومات دقيقة، وعلى الثورة تشجيع أصحاب المنجزات ليزدادوا رغبة في أعمالهم، وعليها أن تبيّن مسارها أمام الملا كي تغلق الطريق أمام الأعداء.

Ethical Principles of the Revolution in the Light of Imam al-Ḥusayn's Uprising

Muḥammad Naṣr al-Iṣfahānī Translated into Arabic by: Ali Al-Feili

In this essay, the writer deals with the ethical principles of revolution in the light of Imam al-Ḥusayn's reformative movement, verifying that the revolutionary ethos is a skill that is created by shared efforts from several cognitive fields, and concluding that the ethics in a revolution are listed under the general title: public ethics.

The writer thus believes that the method of struggle adopted by Imam al-Ḥusayn ('a) was the best criterion of enacting revolutionary moral laws. He then shows that Imam al-Ḥusayn's revolutionary morality was based on and derived from the spirit of the Holy Qur>ān, the Prophetic traditions, and human values. Since struggle is directly related to the lives of people, it is necessary to consult with these people concerning any issue that is related to the management of their affairs. Hence, he who resists a despotic authority must never be opinionated. Besides, commitment to and acting upon covenants and pledges is an important element of any revolution and its morality. Likewise, saving the souls of the struggling individuals is one of the most important ethics of confrontation.

The essay affirms that forsaking dialogue may impart a violent feature to a revolution; therefore, it must be avoided, since a revolution, in nature, requires courage and steadfastness in attitudes.

The writer then reveals a relationship between the sacredness and future of the revolution and the scope of the purity and safety of its powers, since the success and victory of a revolution is contingent upon the range of harmony with the public attitude and the powers that support that revolution.

As concluded from the writer in this essay, he who believes in the ethical values in warfare and confrontation is always required to make decisions founded on accurate information, and the revolution is required to encourage those who are expected to make the difference so that their desire for more work is aroused and provoked. It is also required to show as clearly as possible its goals and objectives before the publics so as to block the way in the face of the enemies.



أخلاق المقاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف (القسم الأوّل)

د. طلال الحسن

تلعب شخصيّة المقاتل وأخلاقياته دوراً مهمّا في صناعة النصر وصياغة مفاهيمه، مما يجعلنا بحاجة ماسّة لرسم أخلاقياته ومعالمه، في هذا المقال سلّط الباحث الأضواء على أخلاق المقاتلين من خلال واقعة الطف في محورين، استعرض في المحور الأوّل المقوّمات الأخلاقية التي لابدّ للمقاتل أن يتحلّى بها، حيث بيّن أُسس الجندية الصحيحة وأركانها، وكيفية تعامل المقاتل مع القيادة العليا، وأهدافه في القتال، وأخلاقه أثناء المعركة في إطارها الإيجابي. وفي المحور الثاني تناول الباحث معسكر الإمام الحسين الله بعنو انه النمو ذج الأفضل للمقاتل وما ينبغي أن يكون عليه، وركّز على نقاط مهمّة أسهمت بشكل فاعل في جعل معسكر الإمام الثيلا في كربلاء المصداق الأتمّ لما ينبغى أن تكون عليه أخلاق كلّ مقاتل في سبيل الله، فتطرّق إلى شخصية القائد ودوره في توجيه المقاتل وصموده، ثم استعرض صور أخلاقيات المقاتل التي تجلُّت في معسكر سيِّد الشهداء، فذكر عبادة الأصحاب وتهجِّدهم، ويقينهم بالله تعالى وشوقهم إليه، ورفّض أمان العدو وتفانيهم في الدفاع عن الإمام الحسين الله. بعدها عرض نهاذج من جيش الحق، فعرض أبا الفضل الله بعنوانه نموذج الجندي المطيع لإمامه والقائد الفذَّ، والصحابي أنس بن الحارث الكاهلي بعنوانه شيبة الطف، ونموذج المرأة أم وهب وأم الفتي الذي قُتِل أبوه في المعركة. ولم يغفل المقال عن بيان نهاذج التحوّل الإيجابي، كزهير بن القين، والحرّبن يزيد الرياحي، والأنصاريين سعد بن الحرث وأبي الحتوف.

The fighters' morality between positivism and negativism; and their reflection in the Battle of al-Ṭaff Part I

Dr. Talāl al-Hasan

The personality and morality of a fighter plays an essential role in the making of victory and the re-forming of its meanings. According to this fact, we are in urgent need for portraying the features of the fighter's morality. This essay sheds light on the morality of the fighters in the Event of al-Ṭaff through two major points.

Within the first point, the writer demonstrates the ethical constituents that must be enjoyed by the fighter. He thus presents the correct foundations and rules of military life and the way the fighters are required to deal with the supreme leadership through the objectives of fighting and the morality by which they must be characterized during the battle in the positive way.

In the second point, the writer focuses on the camp of Imam al-Husavn (a) as the best sample of the morality of fighters. Referring to the points that must be enjoyed by these fighters, the writer emphasizes six major points that contributed actively to making the Imam's camp represent the most perfect example of any fighter who fights for the sake of God. He thus stresses on the personality of the leader and his role in directing the fighters towards steadfastness. He then displays a few images of the morality of the fighters in the camp of Imam al-Husayn ('a), referring to the devotional acts and worship of them as well as their absolute faith and desire for meeting the Lord. Another example was their refusal of the enemy's attempts to drag them towards the other camp by offering them security and immunity from punishment, which indicates those fighters' wholehearted devotion to their leader and to defending him. The writer thus quotes the attitudes of some fighters in the camp of Imam al-Husayn (a), on top of whom was al-'Abbās (a) who represented an unmatched example of the soldier who is fully

obedient to his leader and commander. Another example was Anas ibn al-Ḥārith al-Kāhilī, an elderly warrior who dedicated his life to defending his leader, Imam al-Ḥusayn ('a). Women also had a share in this battle. For instance, Ummu-Wahab and the woman who had lost her husband in an early time of the battle, but she encouraged her son to fight in defense of the Imam, were the best examples of the women's role in battles.

The essay also refers to samples of positive turning from the wrong camp to the right camp. Thus, the writer makes references to Zuhayr ibn

al-Qayn, al-Hurr ibn Yazīd al-Riyāhī, Sa'd ibn al-Harth, and Abu'l-Hutūf.

والإنجليزية علاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية

توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين الله المام التسعر القسم الثاني)

د. عادل لعيبي

اختص القسم الثاني ـ الذي بين أيدينا ـ بالشعر المنسوب إليه وإلى غيره، ثمَّ تبيّن من خلال المعايير التي اعتمدها الكاتب أنّ هذا الشعر لم تثبت صحّة نسبته إلى الإمام الحسين الله أو توقف فيه. وتضمّن المقال تسعة عشر مورداً بين قصيدة، أو مقطعة (وهو الشعر القصير)، أو نتفة (وهما البيتان أو الثلاثة)، أو يتيم (وهو البيت الواحد). بعد استقصاء الكثير من المصادر التي ذكرت تخريج ذلك الشعر ونسبته.





Documenting Imam al-Ḥusayn's Poetry Part II

Dr. 'Ādil L'eibī

In a previous essay, the writer dealt with the poetry ascribed to Imam al-Ḥusayn ('a) and to other poets, to prove that these poetic verses were actually said by Imam al-Ḥusayn ('a).

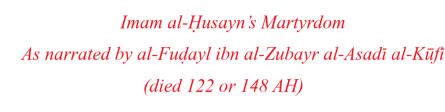
In this essay, the writer discusses some other poetic verses that were ascribed to Imam al-Ḥusayn ('a) and to other people, but he proves, through certain criteria that he follows in defining the composer of a poem or poetic verses, that these poetic verses could not be proven to have been said by Imam al-Ḥusayn ('a), although the writer did not give a decisive opinion about some others.

This essay thus comprises nineteen examples, ranging from a whole poem, a few poetic verses, two or three verses, and one verse only. He thus investigates numerous reference books that dealt with this topic and mentioned the persons to whom these verses were said to have been composed.

مقتل الحسين الله برواية الفضيل بن الزبير الأسدي الكوفي (ت بين ١٢٢ ـ ١٤٨ هـ)

الشيخ عامر الجابري

تناول الكاتب في هذا المقال مقتل الإمام الحسين الله وأهل بيته وأصحابه برواية الفضيل بن الزبير، فبدأ بتعريف شخصية الفضيل، حيث كان يُعدّ من الشخصيّات الكوفيّة التي برزت في القرن الهجري الأوّل، وتنتمي أُسرته إلى بني أسد بالولاء، وهو في الوقت ذاته شخصيّة علميّة ذات اهتهامات كلاميّة تاريخيّة حديثيّة، تمتلك حسّاً علميّا، وبراعة في التأليف، وتطرّق الباحث إلى عقيدة الفضيل، وانتهى إلى أنّه كان من متكلّمي الزيدية، ومن أبرز مساعدي زيد الشهيد الله وفي الوقت ذاته كان على صلة طيّبة بالإمامين الباقر والصادق المين المنافي وقد روى عنهها، ثمّ تطرّق المقال إلى توثيق الفضيل واعتبار روايته، واستعرض جملة من المباني الرجالية التي يكون الشخص على أساسها معتبر الحديث، وبين الباحث أنّ هذا المقتل وردنا ضمن كتاب الأمالي الخميسيّة للشجري، وقد قام بنشره وتحقيقه المحقّق السيّد الجلالي في مجلّة تراثنا، وبعدها بين خصائص المقتل، ثمّ ذكر نصّ المقتل واستعرض في ذيّله روايات الفضيل فيا بتعلّق بكر بلاء وواقعة الطفّ.



Shaykh 'Āmir al-Jābirī

The writer of this essay discusses analytically and critically the report of the martyrdom of Imam al-Ḥusayn (a), his family members, and his companions according to the narration of al-Fuḍayl ibn al-Zubayr. First of all, he opens the essay with a biography of al-Fuḍayl and a definition of his personality, since this person was regarded as one of the most eminent personalities who lived in the city of al-Kūfah during the first century of Hegira. Having belonged to the Banū-Asad tribe, al-Fuḍayl was known for his scientific personality, since he was interested in theology, history, and the Prophetic traditions. He also possessed a scientific faculty and skillfulness in authoring. Talking about the creed followed by al-Fuḍayl, the writer of the essay proves that he was one of the most prominent theologians of the Zaydiyyah Sect and one of the assistants of the martyr Zayd ibn 'Alī. At the same time, al-Fuḍayl had good connection with Imam al-Bāqir and Imam al-Ṣādiq (a) and one of those who reported from them.

The writer then moves to proving that al-Fuḍayl was one of the reliable and trustworthy transmitters of reports and his narrations are considered authentic. He then displays a number of principles depended upon in the science of the biographies of the transmitters of narrations (i.e. ilm al-rijāl), on the basis of which a transmitter of traditions is recognized as trustworthy or the otherwise.

The writer thus maintains that this report reached us through the book of al-Amālī al-Khamīsiyyah by al-Shajarī, which was published and revised by Sayyid al-Jalālī within one of the issues of the Turāthunā Magazine.

After introducing the distinctive features of this report, the writer quotes it along with other narrations that were reported by al-Fuḍayl concerning the event of Karbalā> and the Battle of al-Ṭaff.

الإرهاب الوثني والأُموي

(تأمّلات في الجذور والرؤى والتحالفات)

د. الشيخ عبد الجيد فرج الله

انطلق الباحث في قراءته للتاريخ الإسلامي من عاملين، عامل القوّة والرقى وعامل الضعف والتقهقر، تمثل العامل الأوّل في غزارة تعاليم الإسلام وقيمه السامية، ومثّل العامل الثاني أقطاب الشرك والوثنية المتحالفين مع اليهود والمنافقين على طمس تراث النبي عَيْلِهُ وتعاليمه، وقد انتهج أبو سفيان صاحب الطباع الوثنية منهجاً آخر في الالتفاف على المسار المحمّدي ونجح خطّه في التحكم بمصير الأُمّة الإسلاميّة بسبب فسح المجال له والأذنابه؛ مما أعطاهم قوّة في عزل المجتمع عن قيمه و قادته الحقيقيين تنفيذاً لمؤامرة إرهابية خُطِّط لها باستر اتبجية قيص يّة روميّة متحالفة مع اليهود. واستعرض الباحث مسار الإرهاب الأُموي وبيّن أنه تحرّك بلباس الدين لتغييب خط العطاء المحمّدي، ثم ذكر نهاذج من الإرهاب الأُموي كحادثة مقتل ياسر وامرأته سمية، والتعذيب الوحشي لبلال الحبشي، ومطاردة الأبرياء والقتل والتمثيل بجثث القتلي، وقتل الآمنين حتى من غير المسلمين. ومع أن فتح مكّة أعطى درساً عملياً في رحمة الإسلام وشفقته، إلّا أنّ الأُمويين دخلوا الإسلام كيداً له ولأهله، فسجّل لنا التاريخ جرمهم وإرهابهم.

Pagan and Umayyad Terrorism A glance at the Roots, Views, and Allies

Dr. Shaykh 'Abd al-Majīd Farajullāh

The writer of this essay founds his perusal of the history of Islam on two factors; namely, the factor of power and promotion and the factor of weakness and retardation. The earlier factor is embodied by the great impact of the teachings of Islam and its supreme values, while the latter is embodied by the heads of polytheism and paganism who allied with the Jews and the hypocrites for effacing the Holy Prophet's heritage and traditions. Abū-Sufyān, the pagan, followed another course for convolution on the course of the Holy Prophet Muḥammad (s) and, unfortunately, succeeded in swaying over the destiny of the Muslim nation because some persons granted his followers and him a good opportunity to have power on Muslims. This gave them enough power to separate the Muslim community from the values of their religion and from the actual leaders when they put into practice a terroristic conspiracy that had been schemed through Roman-based strategy along with an alliance with the Jews.

The writer then gives a clear idea about the course of the Umayyad terrorism, proving that this course was attired a religious garment so as to eliminate the other line that was outlined by the Holy Prophet (s). He thus mentions samples of the Umayyad terrorism, such as the incident of murdering Yāsir and his wife Sumayyah, torturing Bilāl so brutally, chasing the innocent Muslims, killing and deforming the dead bodies of the victims, and killing not only Muslims but also non-Muslim innocents.

Although the Conquest of Makkah gave a practical lesson about wide scope of mercy and compassion of Islam, the Umayyads embraced Islam for the purpose of plotting conspiracies against Islam and its people. So, history recorded innumerable examples of their crimes and terroristic practices.

